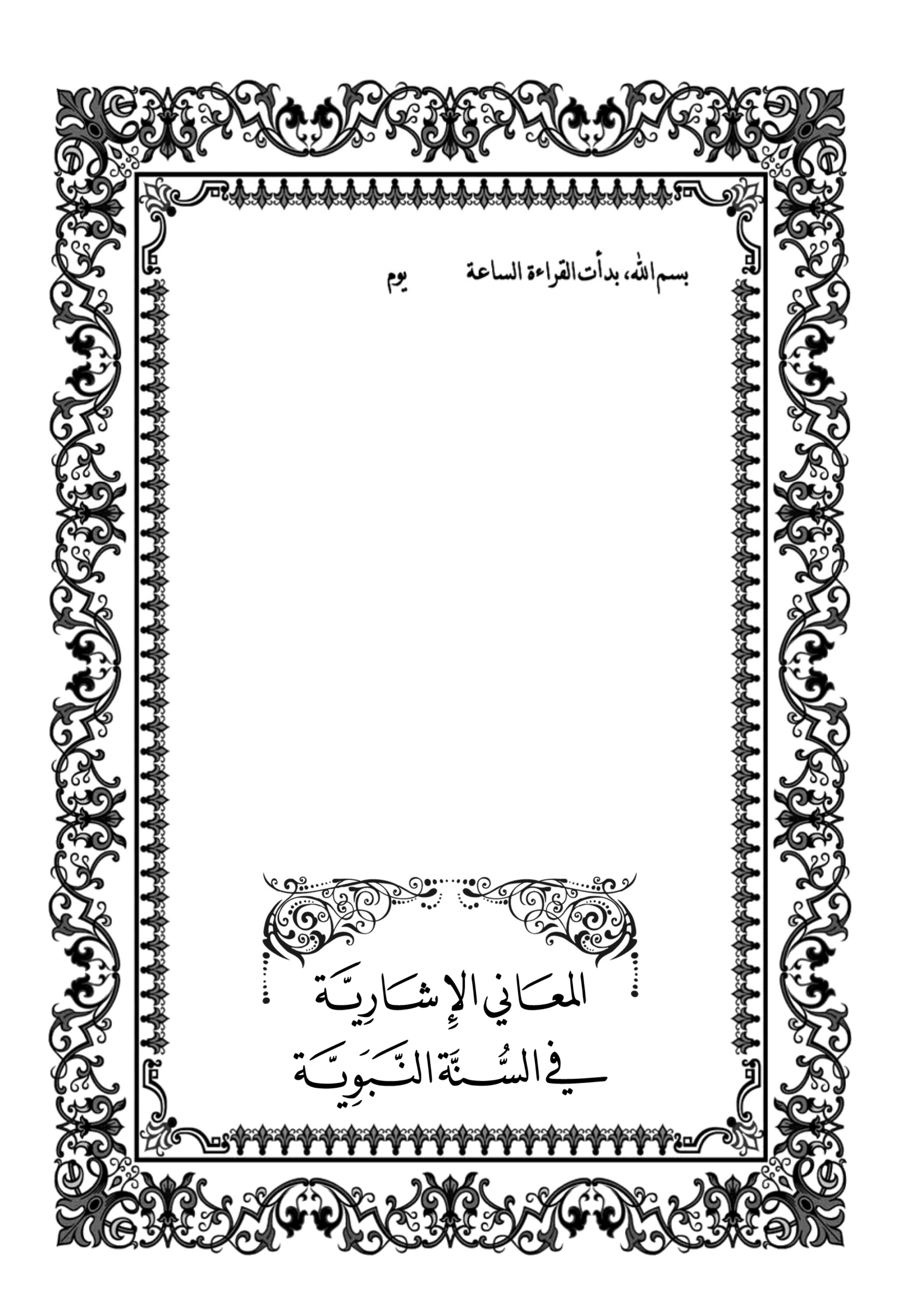
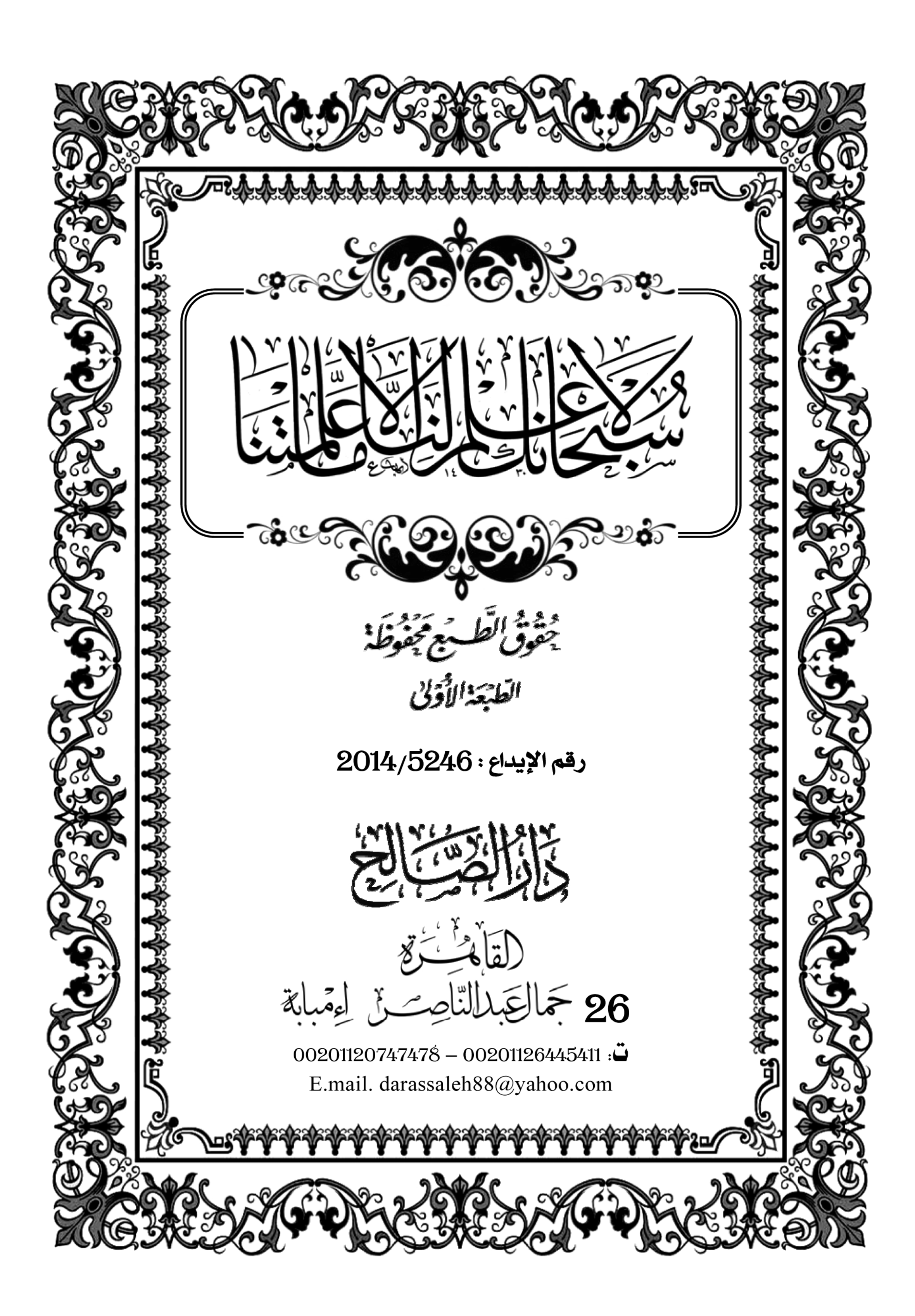


بسم الله، بدأت القراءة الساعة   يوم

المعاني الإشارِيّة في السُنّة النّبوِيّة



الطبعة الأولى

رقم الإيداع : 2014/5246

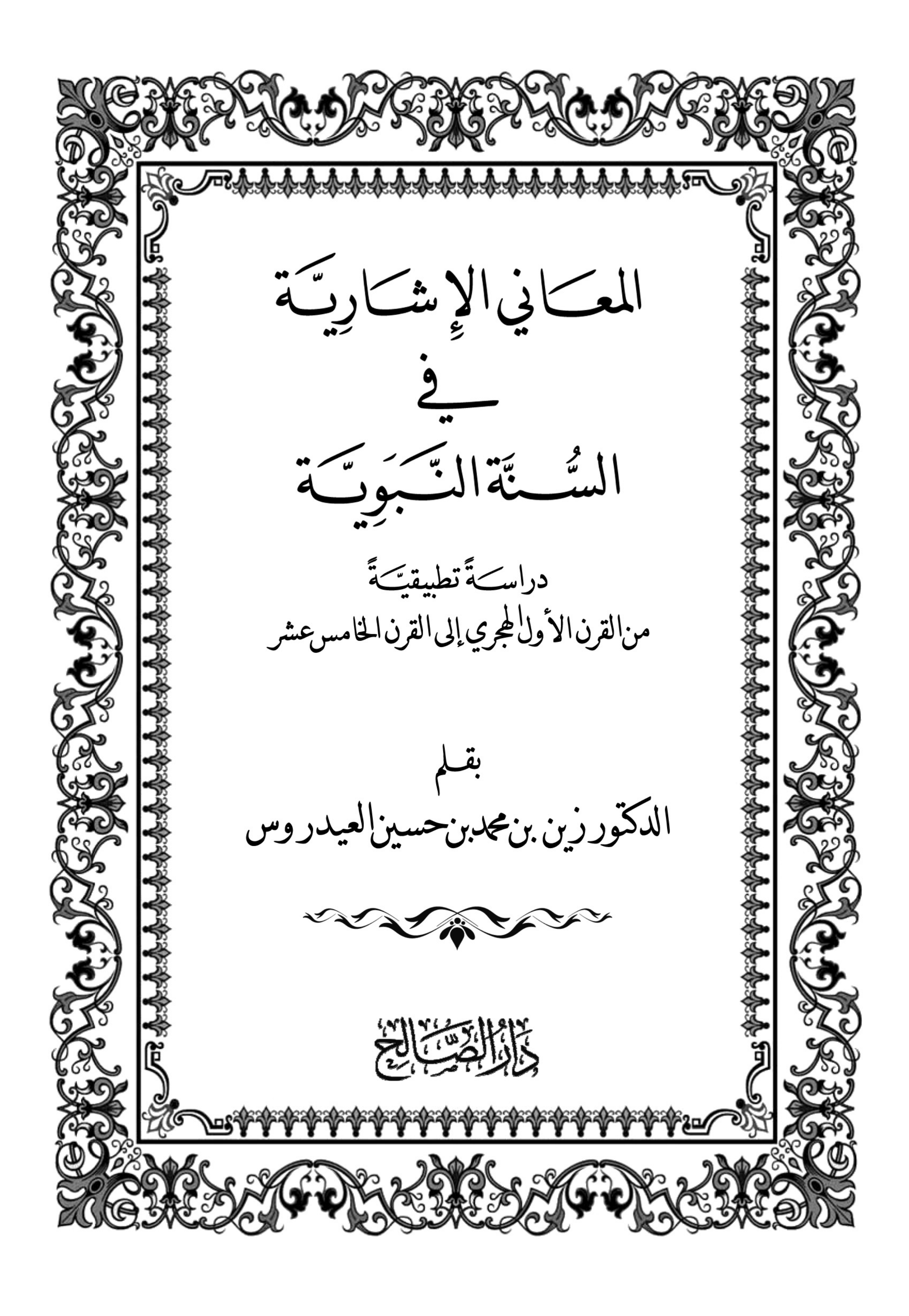
دار الصالح

القاهرة

26 جمال عبد الناصر إمبابة

ت: 00201126445411 – 00201120747478

E.mail. darassaleh88@yahoo.com



المعاني الإشارِيّة
في
السُّنَّة النّبوِيّة

دراسةً تطبيقيّةً

من القرن الأول الهجري إلى القرن الخامس عشر

بقلم

الدكتور زين بن محمد بن حسين العيدروس

دار الصالح



بسم الله الرحمن الرحيم

نيات قراءة الكتاب (*)

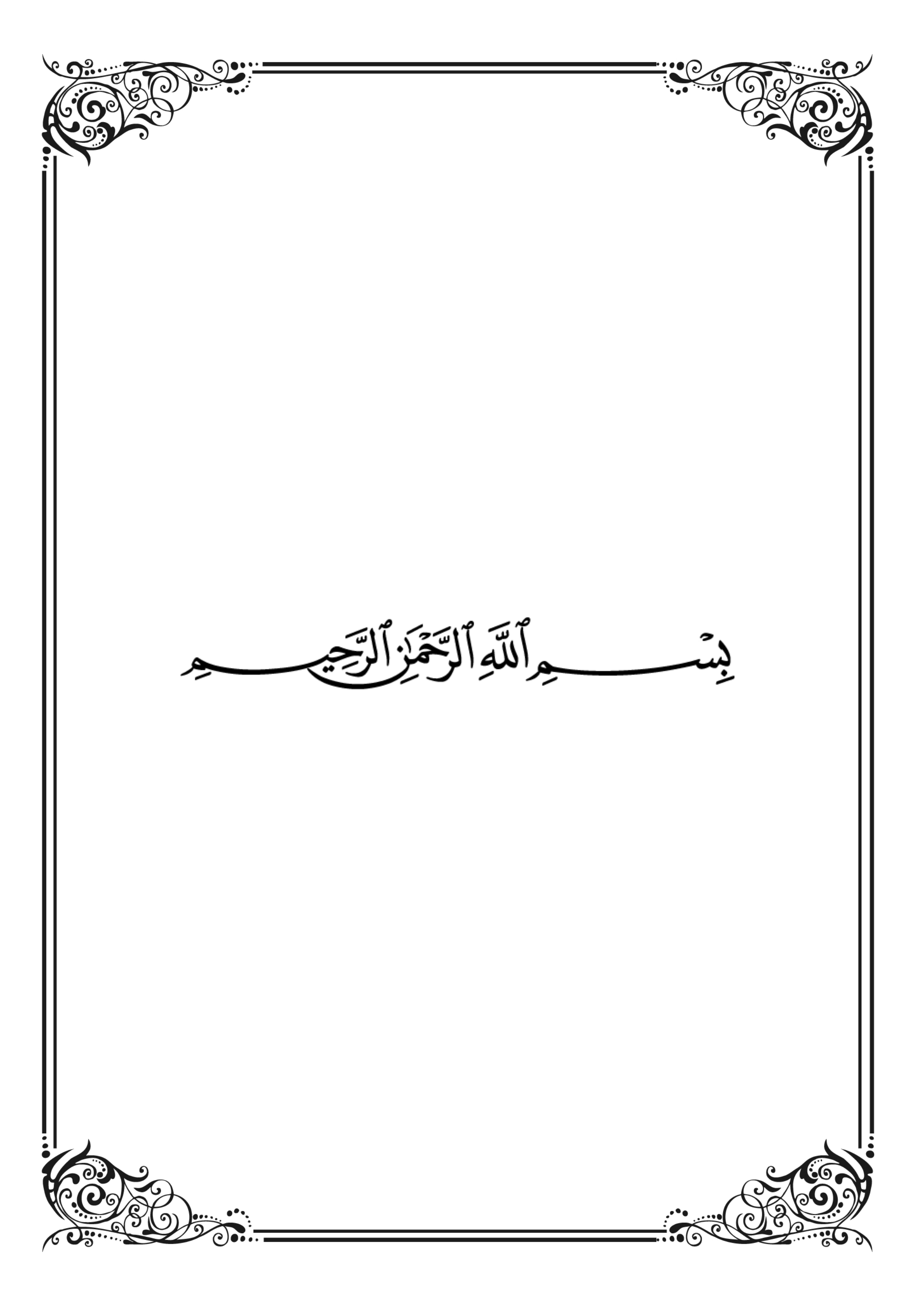
اللَّهُمَّ إِنِّي أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدِي كُلِّ نَفْسٍ وَلَمْحَةٍ وَطَرْفَةٍ يَطْرِفُ بِهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وأَهْلُ الأَرْضِ، وَكُلِّ شَيْءٍ هُوَ فِي عِلْمِكَ كَائِنٌ أَوْ قَدْ كَانَ.

أُقَدِّمُ لَكَ بَيْنَ يَدَي ذَلِكَ كُلِّهِ..

نَوَيتُ بِالتَّعلُّم وَجهَ اللهِ تَعَالَىٰ، ونَشرَ العِلْمِ، وتَعلِيمِه، وبَثَّ الفَوائِدِ الشَّرْعِيَّةِ، وتَبلِيغَ أَحْكَامِ اللهِ تَعَالَىٰ، والازْدِيادَ مِن العِلمِ، وإِحيَاءَ الشَّرعِ الشَّرِيفِ، ودَوامَ ظُهُورِ الحَقِّ، وخُمُولِ البَاطِلِ، وإِظهَارَ الصَّوابِ، والرُّجُوعَ إِلَىٰ الحَقِّ، والاجْتِمَاعَ عَلَىٰ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، والدُّعَاءَ لِلمُسلِمِينَ، ولِلسَّلَفِ الصَّالِحِينَ، ودَوَامَ خَيرِ الأُمَّةِ، بِكَثْرَةِ عُلَمَائِهَا، واغتِنَامَ ثَوَابِهِمْ، وتَحْصِيلَ ثَوَابِ مَنْ يَنْتَهِي إِلَيهِ هَذَا العِلمُ، وبَرَكَةَ دُعَائِهِمْ لِي وتَرَحُّمُهُمْ عَلَيَّ، ودُخُولِي فِي سِلْسِلَةِ العِلْمِ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صلَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيهِ وآلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمْ، وبَيْنَهُمْ، وعِدَادِي فِي جُمْلَةِ مُبَلِّغِي الوَحْيِ، وأَحْكَامِهِ، وإِزَالَةِ الجَهْلِ عَنْ نَفْسِي وعَنْ غَيْرِي للهِ تَعَالَىٰ.

وشُكْرَ اللهِ عَلَىٰ نِعَمِهِ : الصِّحَّةِ، والعَقْلِ، والمَالِ، و........، و........، و..........، و ....

(*) دار الصالح.


بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



إهــداء

إلى كُلِّ غَيورٍ على السُّنة المُطهَّرَة
مِن المُحدِّثين والفُقَهَاءِ والصُّوفيّةِ
وإلى كُلِّ بَاحثٍ عن الحقِّ بِصدقٍ وإخلاصٍ
وإلى كُلِّ طَالبِ عِلمٍ نَافعٍ
أُهْدِي هذا البحث.

ملخص البحث

اعتنى المسلمون بالسنة الشريفة دِراية ورِواية، وكان من تلك الجهود المشكورة استنباط الأحكام الشرعية من الأحاديث النبوية، وهذا ما تفرّغ له الفقهاء والمحدثون، وجانب آخر وهو استنباط المعاني الزُهدية والرقائق الوعظية، وهذا ما تفرّغ له العلماء الربانيون، ويطلق عليها المعاني الإشارية وهي: دلالة اللفظ الوارد في النصَّ الشرعي من القرآن أو السنة على معنى خفي يظهر لأرباب السلوك والعلم اللّدُني مع إمكان الجمع بين معناه الظاهر والمعنى الخفي الباطن.

ولا تخلو تلك المعاني الإشارية من أنحاء ثلاثة: فمنها ما كان يجري مجرى التمثيل لحال شبيه بالمعنى، ومنها ما كان من نحو التفاؤل، ومنها ما كان عبر ومواعظ.

وهذه المعاني الإشارية تُعدُّ إثراءً لفهم النص الشرعي، ولا تُغني عن المعنى الظاهر الأصلي، وقد ظهرت المعاني الإشارية منذ العصر الأول، وبجوازها قال بها السلف والخلف، وخالف بعض أهل العلم وحرّم استخراج تلك المعاني الإشارية، وليس له حجة مقبولة إلا الخوف من أن يُتَقوّل في نصوص الشريعة ما لا يجوز، إلاّ أن هذا التخوّف لا يصلح ولا ينهض أن يكون دليلًا مقنعًا، ويزيل هذا التخوّف ما اشترطه أهل العلم لجواز استخراج المعاني الإشارية بما يأتي:

1- أن يكون لها شاهد شرعي يؤيدها.

2- أن لا تخالف نصًّا من نصوص الشريعة.

3- أن تكون متوافقة مع المعنى الظاهر.

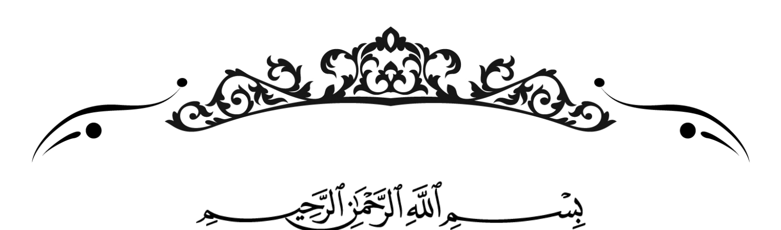
4- أن لا تكون بعيدة عن مقصد النص الشرعي.

5- أن لا يُدّعى أنها المُرادة وحدها دون الظاهر.

6- أن لا يكون فيها ما يُشوّش على العامة. فهذه الشروط إذا رُوعيت كانت مُسوّغًا لاستنباطها والأخذ بها أو تركها، ومَنعتْ من التقوّل في الدين كحال الباطنية والشيعة ومن نحا منهجهم الذي يختلف عن منهج العلماء الربانيين تمامًا، ولم يُوفّق من عمّمَ ولم يُفرّق بين منهج هؤلاء العلماء من أرباب التصوف السُنّي ومنهج الباطنية وأمثالهم.

وقول جمهور أهل العلم من السلف والخلف بجواز استنباط المعاني الإشارية هو الراجح دليلًا - والله أعلم - فآيات الكتاب الداعية إلى التدبر تؤيده، وصح من السنة أن للقرآن ظهر وبطن، والسنة كذلك لكونها من الوحي، ولهذا وردت معاني إشارية عن بعض الصحابة - رضي الله عنهم - ومن جاء بعدهم ابتداءً من القرن الأول الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، وفي الدراسة التطبيقية ما يثبت ذلك.





بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله الحكيم العليم، المنُعِم على أحبابه بمزايا التكريم، والمتفضّل على خلقه بوحْيه العظيم، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾[1]، أَحمدهُ حمْدًا كثيرًا، وأشكرُه شُكرًا جزيلًا، أرسل إلينا حبيبنا وقرة أَعيُننا سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله الذي هدى الخلق بالحكمة، فكانت سُنته لنا دواءً، وأقواله لنا شفاء، وأفعاله لنا بيانًا ورحمةً، فأضاءت كلماتُه قُلُوبًا غُلْفًا، وفَتَحت أَعينًا عُمْيًا، وأسمعت آذانًا صُمًّا، فكلُّ كلمةٍ من كلماتِهِ حوتْ علُومًا جمّة، وأَسرارًا عظيمة، استخرجها الْمُلْهمون وأوضحها المتّقون، فصلى الله على نبينا كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، وصلّى عليه في الأولين والآخرين أفضل وأكثر وأزكى ما صلّى على أحدٍ من خلقه وعلى آله وصحبه وسلّم أما بعد:

فإن الله تعالى وفّق من شاء لما شاء، ووفّق من خلقه لهداية خلقه فألهمهم من الفهوم والعلوم ما يُقربهم إليه وُيزهدهم في الدنيا، ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٤٢﴾[2]، جعل العقول لإدراك الحقائق مُتفاوتة، ورتّبَ للوصول إلى مرضاته أجرًا عظيمًا، فأفرطت طائفة، وفرّطت أخرى، وسلَكَ أَحسن الطرق وأيْسرها أهل الحكمة، ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن

(1) سورة فصّلت: 42.

(2) سورة البقرة: 142.

يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾[1]، ولهذا إمتاز منهج أهل السنة عن سائر المناهج بالوسطية والمنهجية العلمية، التي تأخذ نصوص الشريعة وتعمل بها، وتأخذ برُوحها ولا تُلْغيها، وصدق الصادق المصدوق في قوله ﷺ: «**يَحملُ هذا العلم مِنْ كلِ خلَفٍ عُدوله يَنفُون عنه تَحريف الغالين وانْتِحال المبْطلين وتأْويل الجاهلين**»[2] فهيأَ الله تعالى من العلماء من اعتنى بالسنة المحمدية، والقيام بشرح الكتب المهمّة في الدين، والتي يُعوِّل عليها المتأخرون، سواء كانت في العقيدة أو الفقه أو الترغيب والترهيب أو السلوك والأخلاق وغيرها، مع شرح الأحاديث الواردة وبيان غريبها وتخريجها وبيان طرقها وكلام أهل الجرح والتعديل في رُواتها، وذكر فوائدها المستنبطة وإعرابها وبلاغتها ونحو ذلك.

1. عنوان البحث:

(المعاني الإشارية في السنة النبوية دراسة تطبيقية).

2. موضوع البحث:

يتناول البحث الكلام في المعاني الإشارية، والمراد من المعاني: مارُويت عن العلماء من

---

(1) سورة البقرة: 269.

(2) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 128/1، ورواه الطبراني في مسند الشامين ح 599، 225/1 من حديث أبي هريرة، قال الحافظ ابن حجر: «ووصل هذا الطريق -أي طريق أبي نعيم- الخطيب في شرف أصحاب الحديث، وقد أورد ابن عدي هذا الحديث من طرق كثيرة كلها ضعيفة وقال: في بعض المواضع رواه الثقات عن الوليد عن معان عن إبراهيم قال حدثنا الثقة من أصحابنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكره». الإصابة 225/1، وانظر: تدريب الراوي 154، والحديث حسن بشواهده، وقد أجاد ابن الوزير الصنعاني في الكلام عنه. انظر: الروض الباسم في الذبّ عن سنة أبي القاسم لابن الوزير 42.

المعاني الإشارية المستنبطة من أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ، وحكمها وأقوال أهل العلم فيها، وضوابطها، وذكر أدلة كل قولٍ ومناقشتها، وبيان معنى الفرق بين المعاني الإشارية والتأويلات الباطنية وغيرها، وعلاقة المعاني الإشارية بالتصوف، ونحو ذلك ممّا له صلة بالموضوع، وذكر نماذج من المعاني الإشارية المستخرجة من الأحاديث النبوية، من القرن الأول إلى القرن الخامس عشر الهجري الحالي.

3ـ أهمية الموضوع:

لهذا الموضوع أهمية، نذكر منها ما يأتي:

1ـ أهمية السنة النبوية المُطهّرة، فهي المصدر الثاني للتشريع، وفقه السنة، وما يستفاد منها هو المقصود الأعظم من السنة.

2ـ إن موضوع المعاني الإشارية يُعدُّ من تراث المسلمين الذي تركه لنا الأوائل، ويحتاج إلى الاستفادة منه وتحقيقه وبيان ضوابطه.

3ـ إن كثيرًا من علوم العلماء الربانيين قد هُضِمت ولم يعتنِ بها الباحثون إلّا على سبيل النقد حتى صار المُنتسب لطريقتهم منبوذًا يُنظر له بنظرة الفلاسفة والمنحرفين عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

4ـ إن النظر إلى معرفة ضوابط الاستنباط من النص الشرعي، ومعرفة حدوده أمرٌ مهمٌ لايخفى على أهل العلم، حتى لايقوّل الله تعالى ولارسوله ﷺ بما لم يأذن به الله عزّ وجل.

5ـ أثبتت التجارب بأنه ليس لأي صحوة دينية أن تنجح دون أن تسطحب معها منهج تزكية النفس، وتهذيبها من رذائل الأخلاق، وتحْليتها بفضائل الأخلاق، مع تحقيق معنى العبودية لله تعالى.

4ـ أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي دعتني لاختيار موضوع البحث إضافة لأهميته هي:

1ـ كثرة الخلاف بين العلماء حول المعاني الإشارية في حكمها، وما يتعلّق بها ممّا يحتاج إلى تحقيقٍ وافٍ.

2ـ دخول كثير من أدعياء العلم في تأويلات للأحاديث النبوية تُضاد الدين الحنيف، ممّا يُوجب بيان جهلهم وتفنيد أخطائهم.

3ـ بيان التصوف السُني من غيره من المناهج الدخيلة عليه، والاستفادة منه، واستخراج المعارف من الكتّاب والسنة.

4ـ الإستفادة من المعاني الإشارية التي يذكرها العلماء الراسخون الربانيون للأحاديث النبوية ممّا يوافق رُوح الشريعة الغرّاء ولا يتعارض مع ظواهرها، وهي تُعدُّ كنزًا مباركًا خصوصًا زمن الماديات، وكثرة الشهوات.

5ـ يُبين البحث ما التبس على البعض من أن علوم العلماء الربانيين هي من علوم الفلاسفة والباطنية، ويذكر الفرق بين المنهجين.

وقد كان سبب اختيار الباحث هذا الموضوع بناء على ما تقدّم؛ بُغية الوصول لحقيقة المعاني الإشارية في السنة النبوية، وبيان الصواب من نقيضه؛ ليُقوم بعملٍ جليلٍ يظنُ أنه سوف يخدم تراث علماء الحديث، والذّب عن السنة ممّن يشرحها حسب هواه.

5ـ أهداف البحث:

وتتلخص أهداف هذا البحث فيما يأتي:

أ ـ إظهار القول الراجح حسب الدليل في حُكم المعاني الإشارية في السنة النبوية وفق أُسس علمية.

ب ـ بيان ضوابط استخراج المعاني الإشارية في القرآن الكريم والسنة النبوية، دفاعًا عن كتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله ﷺ، حتى لا يُبيِّنها أصحاب الأهواء حسب أهوائهم.

ج ـ تحقيق منهج العلماء من العمل بظواهر الأحاديث بحيث لا يُلغى معناها والعمل بمعاني الأحاديث بحيث لا يُلغى ظاهرها.

د ـ ذكر نماذج من المعاني الإشارية لأحاديث نبوية للأئمة العلماء الربانيين من القرن الأول حتى عصرنا، للإستفادة منها ومعرفة منهجهم في الاستنباط.

6- منهج البحث:

اعتمدت في البحث على المنهج الوصفي الإستقرائي، القائم على تتّبع النصوص من مصادرها الأصلية، وُفق قواعد البحث العلمي، وذلك عن طريق اتباع الخطوات الآتية:

1ـ جعلت تمهيدًا في أهمية المعاني والتفسيرات الإشارية، وعناية العلماء بها، وعلاقتها بالتصوف.

2ـ بيّنت معنى المعاني الإشارية في اللغة والإصطلاح، والفرق بينها والتأويل والتفسير.

3ـ ذكرت أقوال العلماء في حكم المعاني الإشارية واستخراجها، وأدلة كل قولٍ ومناقشتها، وذكرت ما ترجّح لديّ مع ذكر سبب الترجيح.

4ـ وثّقت ما أنقله من كلام العلماء بعزوه إلى موضعه من مصنفاتهم إن وجدت، ومن الكتب التي تهتم بنقله.

5ـ خصصت بابًا مستقلًّا في ذكر نماذج من المعاني الإشارية لجملة من الأحاديث النبوية للعلماء من السلف والخلف من القرن الأول حتى القرن الخامس عشر الهجري الحالي، وبلغ عدد الأحاديث مائة واثني عشر حديثًا، وعدد العلماء سبعة وأربعين عالمًا.

6ـ قمت في الدراسة بالاطلاع على كتب العلماء من مصنفاتهم الأصلية، وكتب التراجم التاريخية للعلماء خصوصًا طبقات الصوفية وغيرهم، لنقل معانيهم الإشارية.

7ـ قمتُ بشرح الألفاظ الغريبة الواردة في بعض الأحاديث بالاعتماد على كتب غريب الحديث ونحوها.

8ـ قمت بشرح وبيان الألفاظ الغامضة المنقولة عن الصوفية من الكتب المخصصة لبيان كلامهم وشرح إصطلاحاتهم.

9 ـ وقد قام الباحث بذكر الحديث في أحاديث الدراسة بذكر الأركان الثلاثة التي يتوصل بها إلى معرفة المعاني الإشارية وهي: **المُشير:** وهو الدلالة الظاهرة للعبارة النبوية، وهذا هو: المعنى الظاهر، **والمشار إليه:** وهو الفهم الذي يدركه العالم من خلال إشارة المشير، وهذا هو: المعنى الإشاري، **العلاقة الرابطة بينهما:** وهي ما يَنقدح في ذهن المحدّث من الصلة بين المعنى الظاهر للنص وبين المعنى الذي أدركه المحدّث أثناء قراءته للحديث. فمثلًا أذكر نص الحديث كحديث: «**إذا رَاحَ أحدُكم إلى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ**» ثم أذكر كلام العالم، ثم بيان المعنى الظاهر من كتب شرّاح الحديث، ثم أوضحه من خلال بيان الأركان الثلاثة كالتالي: 1ـ **المشير:** طلب غسل الجسم من الأدران الحسية الموجودة في البدن إذا أراد المسلم الذهاب لصلاة الجمعة. 2ـ **المشار إليه:** اعتناء المسلم بطهارة قلبه من درن أمراض القلوب بالتوبة والاستغفار خصوصًا يوم الجمعة. 3ـ **العلاقة بينهما:** علاقة المشير والمشار إليه علاقة ارتباط وتشابه فإن التطهير يكون للبدن والقلب، للظاهر والباطن وكل منهما مطلوب شرعًا لما فيه من الاستعداد لمناجاة الخالق سبحانه وتعالى.

10ـ قمت بذكر العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه، وهذه العلاقة الرابطة هي ممّا ظهر للباحث، وقد يكون هناك رابط آخر أو أكثر لم يتجل للباحث.

11ـ قمتُ بعزو الآيات إلى سورها في الهامش مع ذكر رقم الآية بعد اسم السورة.

12ـ قمتُ بتخريج الأحاديث الواردة في البحث إلى مصادرها الأصلية من كتب السنة، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما، فإني أكتفي بالعزو لهما أو لأحدهما، وإن كان في غيرهما ذكرت كلام الحفاظ في الحكم عليها صحةً أو ضعفًا إن وجدتُ لهم كلامًا فيها.

13ـ ذكرت قبل كل حديث من الأحاديث التي قمت بدراستها رقما متسلسلًا: 1، 2، 3، .....إلخ . وجعلت رمز [**] للأحاديث المتكررة التي تقدّمت.

14ـ قمتُ بذكر لفظ الحديث الذي ذكره العالم في الدراسة من مصدره الأصلي، مع ذكر الراوي الأعلى للحديث.

15- رتبت أحاديث الدراسة في الدراسة التطبيقية حسب القرون الأول فالأول من غير نظر لموضوع الحديث ولا الحروف الهجائية، ثم ذكرت العلماء حسب تاريخ وفياتهم فقدمت من تقدمت وفاته على من تأخرت.

16ـ أوردتُ رموزًا في التخريج وهي: ك، باب، ح، فالكاف لاسم الكتاب الذي ورد الحديث ضمنه، والباب لاسم الباب الذي ذُكِر ضمن الكتاب، والحاء يشير إلى رقم الحديث في الكتاب، وإن كان الحديث في الكتب الستة فأذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث، وإن كان في غيرها فأذكر الجزء والصفحة فقط هكذا: فمثلًا: [631/1]، فالرقم الأول يشير إلى للجزء، والرقم الثاني يشير إلى رقم الصفحة.

17ـ ترجمت للأعلام الذين ذكروا في البحث من العلماء غير المشهورين، عند ذكره أول مرة، ولم أترجم للصحابة الكرام -رضي الله عنهم- ولا أصحاب كتب السنة، لشهرتهم.

18ـ في نهاية البحث ذكرتُ الخاتمة وبيّنت فيها أهم نتائج البحث التي توصلت إليها من خلال البحث، والتوصيات التي أراها.

19ـ قمتُ بوضع فهارس للرسالة.

7- الدراسة السابقة للموضوع:

لم أقف في حدود علمي على دراسة وافية عن المعاني الإشارية في السنة النبوية مع ذكر نماذج منها -والله أعلم-، وأما الدراسات عن المعاني الإشارية في القرآن الكريم في كتب التفسير فقد كتبت رسائل وبحوث فيها، إلّا أنها في القرآن الكريم، ومنها على سبيل الذكر:

1ـ التفسير الإشاري عند أهل السنة، للباحث صالح الداسي، وهو بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه بجامعة الزيتونة، تونس.

2ـ التفسير الإشاري عند الإمام القشيري من خلال كتابه لطائف الإشارات دراسة موضوعية، للباحثة جميلة محمود البدوي بابكر، بحث مقدّم في جامعة أم درمان الإسلامية، السودان.

3ـ الجانب الإشاري في تفسير روح البيان لإسماعيل حقّي، دراسة وتقويم، للباحث ولي زار بن شاه زالدين، بحث دكتوراة مقدّم في جامعة العلامة إقبال المفتوحة -إسلام آباد- الهند، ولم أقف على الثلاث الرسائل السابقة.

ومن المقالات المنشورة في التفسير الإشاري في القرآن الكريم ما يأتي:

1ـ التفسير الصوفي الإشاري للقرآن الكريم، منهج الاستنباط والدلالة الجديدة، للباحث حسين علي عكاش، بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، تصدر عن جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم، زليتن، العدد السابع عشر، يونيو 2008م.

2ـ الإتجاه الإشاري في تفسير القرآن الكريم، للباحث عبد الرحيم أحمد الزقة، بحث في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد الثالث، 1428هـ - 2007م.

3ـ حول مفهوم مصطلح الإشارة ودلالته عند الصوفية، للباحث حسين على عكاش، مقال منشور ضمن مجلة الساتل، تصدر عن جامعة السابع من أكتوبر، العدد 3، ديسمبر 2007م.

8 ـ الهيكل العام للخطة:

قد قسّم الباحث عمله في هذا البحث إلى تمهيد وبابين وخاتمة، كالآتي:

التمهيد: أهمية المعاني والتفسيرات الإشارية، وعناية العلماء بها وعلاقتها بالتصوف، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهمية المعاني والتفسيرات الإشارية لزيادة فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

المبحث الثاني: عناية العلماء بالمعاني الإشارية في الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: علاقة المعاني الإشارية بالتصوف.

الباب الأول: المعاني الإشارية في السنة النبوية، وحكمها وأنواعها وضوابطها، وفيه فصول مباحث:

الفصل الأول: تعريف الإشاري لغة واصطلاحًا، وعلاقته بالتفسير والتأويل، ومأخذه، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإشاري لغة واصطلاحًا

المبحث الثاني: علاقة الإشاري بالتفسير والتأويل

المبحث الثالث: استنباط المعاني الإشارية.

الفصل الثاني: أنواع المعاني الإشارية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أنواع المعاني الإشارية عند العلماء.

المبحث الثاني: الفرق بين إشارات الصوفية والباطنية.

المبحث الثالث: أنواع المعاني الإشارية المقبولة.

الفصل الثالث: حكم المعاني والتفسير الإشاري في القرآن والسنة، وأقوال العلماء فيها وأدلتهم وضوابطها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آراء العلماء في المعاني الإشارية.

المبحث الثاني: أدلة آراء العلماء في المعاني الإشارية ومناقشتها.

المبحث الثالث: ضوابط قبول المعاني الإشارية.

الباب الثاني: الدراسة التطبيقية لنماذج من المعاني الإشارية في السنة النبوية لأهل العلم، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: المعاني الإشارية في القرون الثلاثة الأولى

الفصل الثانــي: المعاني الإشارية في القرن الرابع والخامس والسادس.

الفصل الثالـث: المعاني الإشارية في القرن السابع والثامن والتاسع.

الفصل الرابــع: المعاني الإشارية في القرن العاشروالحادي عشروالثاني عشر.

الفصل الخامس: المعاني الإشارية في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

الخاتمـــة: وتشتمل على العناصر التالية:

أ - نتائج البحث.

ب- التوصيات والمقترحات.

ج - الفهارس، وتشتمل على الآتي:

1- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

2- فهرس الأحاديث النبوية.

3- فهرس الأعلام المترجم لهم.

4- فهرس المصادر والمراجع.

5 - فهرس لمحتويات الرسالة.

9 ـ صعوبات البحث:

وبحمد الله تعالى وتوفيقه كتبت هذه الرسالة، وقد واجهتني بعض الصعوبات في كتابتها ومنها:

1- صعوبة معرفة كلام العلماء الربانيين، فإن لهم إصطلاحات خاصة بهم، ممّا جعلني أرجع إلى كتبهم الخاصة والتي تعني بشرح كلامهم وبيان مُرادهم.

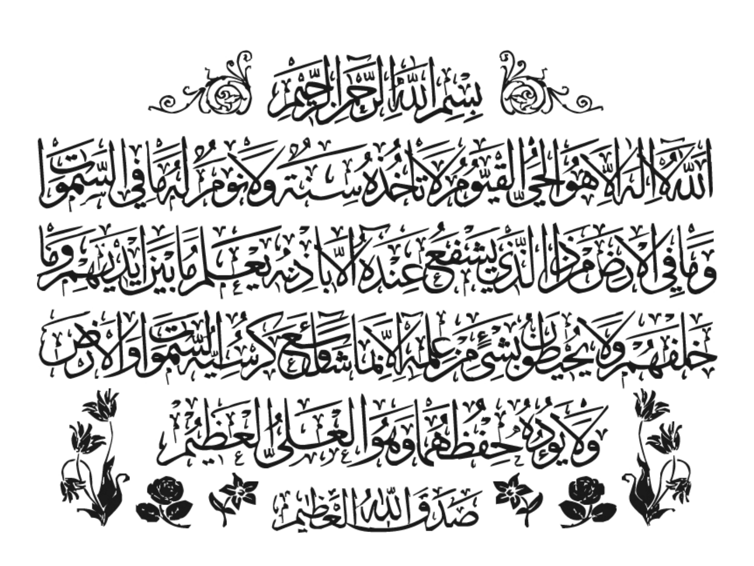
2- بعض مسائل البحث استغرقتُ في تحقيقها وقتًا طويلًا لمعرفة الراجح منها، أداءً للأمانة العلمية، كمسألة مستند المعاني الإشارية وتأصيلها، ومناقشة الأدلة ومعرفة الأقوى حجة.

فهذا جهد المُقل لا أدَّعي فيه الكمال، فإنه لله تعالى وحده، وحسبي أنَّني بذلتُ قُصارى جهدي وأقصى طاقتي وسهرتُ عليه اللّيالي، فأرجو من الله تعالى أن أكونَ قد سُدِّدْتُ في اختيار موضوع هذا البحث، ووُفِّقْتُ في كتابته على أحسنِ وجهٍ.

فإن بلغتُ المراد فهذا توفيق من الله تعالى، نحمده على ذلك حمدًا كثيرًا، وإن جانَبني الصواب، فهذا من نفسي ومن الشيطان أعاذنا الله تعالى من شرورهما، والإنسان مُعَرَّضٌ للخطأ والسَّهو والنّسيان كما هو حال البشر، قال بعضهم: «إنّي رأيتُ أنَّه لا يكتب إنسانًا كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليلٌ على اسْتيلاء النَّقْصِ على جُملة البشر»(1).

وفي الختام أسأل الله المولى جلّ وعلا أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، إنّهُ على ما يشاءُ قدير، وبالإجابة جدير، وصلّى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين.

(1) هذا الكلام للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني كتبه للعماد الأصفهاني معتذرًا عن كلام استدركه عليه. انظر: كشف الظنون 14/1.



بسم الله الرحمن الرحيم
الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات
وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما
خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض
ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم
صدق الله العظيم



التمهيد

أهمية المعاني والتفسيرات الإشارية، وعناية العلماء بها وعلاقتها بالتصوف .

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

أهمية المعاني والتفسيرات الإشارية لزيادة فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

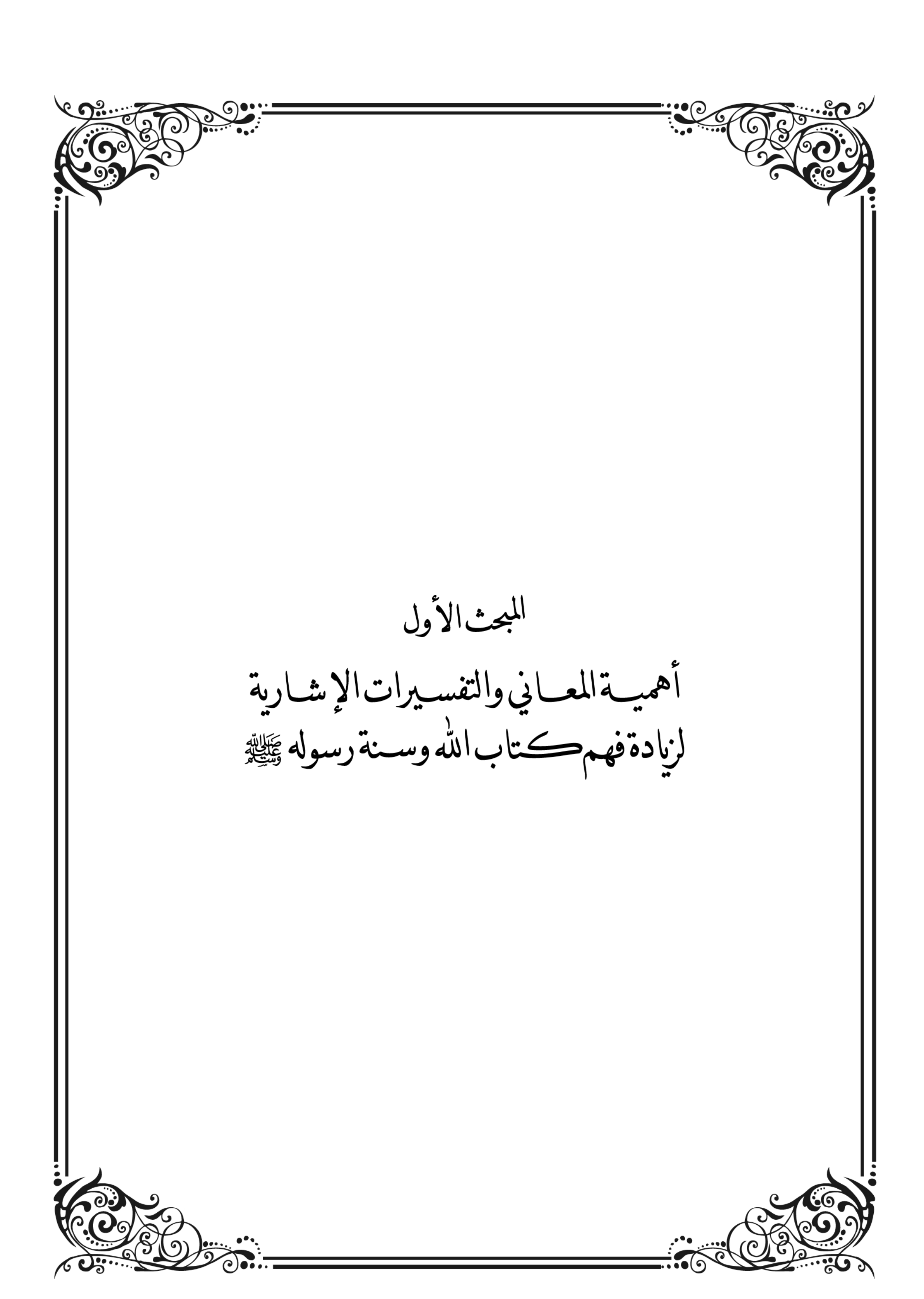
المبحث الثاني:

عناية العلماء بالمعاني الإشارية في الكتاب والسنة .

المبحث الثالث:

علاقة المعاني الإشارية بالتصوف .





المبحث الأول

أهمية المعاني والتفسيرات الإشارية لزيادة فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

أهميـة المعـاني والتفسـيرات الإشـارية لزيادة فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

أسباب البيان:

لا يخفى على كل مسلم أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى أنبيائه وحياً لهداية الخلق، وكان هذا الوحي وسيلة لإفهام البشرية بما يجب عليهم من القيام به ليكونوا عبيدًا لله وحده، وهذا الوحي وحيان: وحي متلو ووحي غير متلو، والمتلو هو الكتاب المنزل على نبيه ﷺ، وغير المتلو هو السنة النبوية وكل منهما من عند الله تعالى.

وقد أرسل الله تعالى كل رسول بلغة قومه وكتابه على لغتهم.

ومع هذا فقد دعت الضرورة لبيان معنى كلام الله تعالى ورسوله ﷺ فألّف العلماء من المفسرين والمحدثين كتباً كثيرة شهيرة، وقد أرجع العلماء سبب التأليف في شرح وتفسير كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ للأسباب الآتية(1):

1- كمال فضيلة النص الشرعي، فإنه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز، فربما عَسُر فهم مراده، فقُصدَ بالشرح ظهور تلك المعاني الخفيّة.

2- قد يكون حُذِف بعض مقدمات الأقيسة، أو تُركت فيها شروطًا اعتمادًا على وضوحها، أو لأنها متعلّقة بعلم آخر فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه.

(1) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي 14/1.

3ـ احتمال اللفظ لمعان متعددة كالمجاز والاشتراك ودلالة الالتزام، فيحتاج الشارح إلى بيان المقصود وترجيحه.

ومع أن القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وكلام الرسول ﷺ من أفصح كلام العرب إلّا أن الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- التفتوا إلى أساليب الوحي بقسْميه من حيث التعبير والبيان، وقد ورد عنهم أسئلة يسألون بها رسول الله ﷺ عن بعض الألفاظ، ليفهموا خطاب الشارع الحكيم فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال لمّا نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[1] قلنا يا رسول الله: أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «**ليس كما تقولون: (لم يلبسوا إيمانهم بظلم) بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان -عليه السلام- لابنه:** ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[2]»[3].

وقد كان الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- يرتَسِمُون ما نُقل عن النبي ﷺ بحذرٍ شديد في شرح غريب أو بيان حكمة وموعظة فيه، ومع هذا فكانوا أقْدر الناس على معرفة قصد التشريع، ومعاني الكتاب العزيز والسنة المشرفة، وقد يختلفون في الفهم بطبيعة الحال على قدر إلمامهم ومعرفتهم بأساليب الكلام والشعر ولغة العرب وعاداتهم.

أمّا المتأخرون فهم يحتاجون لبيان معاني الكتاب والسُنة وزيادة، لقصور إدراكهم بلغة العرب وعاداتهم[4].

---

(1) سورة الأنعام: 82.

(2) سورة لقمان: 13.

(3) رواه البخاري ك: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: 125] ح 3181.

(4) البرهان في علوم القران للزكشي 14/1.

ولا يخفى أن تفسير وشرح ألفاظ الوحي منه ما يحتاج إلى بسط الألفاظ وكشف معانيها، ومنه ما يحتاج إلى ترجيح بعض الاحتمالات على بعضها، ولهذا لا يُستغنى عن قانون عام يُعوّل عليه ويرجع إليه في التفسير والبيان من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها، وسياقه وظاهره وباطنه وغير ذلك، ممّا لا يدخل تحت الوهم ويَدق عنه الفَهم، وفي هذا تتفاوت الأذهان[1].

ومن أمثلة ما لا يدخل تحت قانون عام قول النبي ﷺ لأصحابه: «**لا يُصلينّ أحد العصر إلّا في بني قريظة**»[2]، فاختلفت الأفهام لإدراك مقصود النبي ﷺ فمنهم من صلّى العصر في وقته ومنهم من صلى العصر في بني قريظة بعد خروج وقته.

قال أبو العباس أحمد العلوي المُستغانمي[3] -رحمه الله-: إن القوم لا يفهمون مخاطبة الخلق لهم إلّا عن الله،... فلا تستغرب يا أخي مِنْ فهمهم من الكلمة الواحدة الموضوعة على معنى مخصوص معنى آخر، فإنّ ذلك عندهم من أشرف المقامات[4]، وأعظم الدرجات لكونهم يفهمون الأمور عن الله. وقد أجمع أهل الله على أن الفهم عن الله على

(1) انظر: المصدر السابق نفسه 15/1 بتصرف.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: صلاة الخوف، باب: صلاة الطالب والمطلوب راكبًا وإيماء ح 904.

(3) هو: أحمد بن مصطفى بن محمد بن أحمد المستغانمي المالكي، المشهور بالعلوي (أبو العباس) صوفي، فقيه، شاعر، ولد بمستغانم بالجزائر، ونشأ بها، ورحل إلى بلدان كثيرة، له كتب، منها: الأبحاث العلوية في الفلسفة الاسلامية، والمنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية، ونور الإثمد في سُنة وضع اليد على اليد في الصلاة، وألفية في الفقه المالكي، ديوان شعر على الطريقة الصوفية وغيرها، ووفاته في مستغانم بالجزائر سنة (1353هـ). انظر: الأعلام للزركلي 258/1، ومعجم المؤلفين لكحالة 179/2.

(4) المقامات جمع مقام: وهو عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على التمام، فَمَنْ لم يتحقق بالقناعة لم يصح له التوكل وهكذا. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني 107، والتعريفات للجرجاني 212.

قدر مقام العبد عند الله تعالى، ولم يختلفوا في أن الكلمة الواحدة الدالة على معنى مخصوص قد يفهم منها العبد معاني كثيرة لا تحصى وغرائب لا تُستقصى. وكلهم قائلون إن مريد الطائفة لا ينبغي له أن يسمع إلا في الله وفي رسول الله، أو فيما يُقربه لله ورسوله... والقوم وإن اشتركوا مع غيرهم في ظاهر اللفظ، فإنهم مختلفون في القصد، كما أنهم اشتركوا في المشهود واختلفوا في الشهود، فكذلك اشتركوا في المسموع واختلفوا في الاسماع قال الله تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤﴾(1)، فقد يسمع العالم الرباني ما لا يسمع الغير، ولا يأخذ من القول إلّا أحسنه، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨﴾(2)،(3).

التَّدبُر للنصوصِ طريقٌ للإشارات:

رغّبت الشريعة الغرّاء في إمعان النظر في آيات الله تعالى المرئية والمتلوة وفهم كلام الرسول ﷺ فهمًا قويمًا، فالنظر والتدبر طريق موصلٌ إلى معرفة حقائق الأشياء على وفق ما يريده الله سبحانه.

والتدبر للقرآن الكريم وحديث الرسول ﷺ أصل عظيم لاستنباط المعارف والعلوم منهما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾(4)، وكذلك أشار النبي ﷺ إلى استنباط العلماء من أحاديثه علومًا كثيرة وفُهومًا مُستنيرة وأشار بأنهم قليلون(5)، وهم ممّن

(1) سورة الرعد: 4.

(2) سورة الزمر: 18.

(3) انظر: المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية للعلوي 12-13.

(4) سورة محمد: 24.

(5) انظر: فتح الباري 576/3.

أحكم آلة الاجتهاد وصفا ذهنه واستقام قلبه، فقال ﷺ في خطبة وداعه: «**فرُبَّ مبلّغ أوعى مِنْ سامعٍ**»[1].

ولهذا نجد من العلماء من يتكلّم في الحديث الواحد في جزء مستقل، ويجمع فوائده وأحكامه وما استنبط منه، ومن جملة ذلك حديث: «**يا أبا عُمير ما فعل النُغَير**»[2]، قال ابن حجر[3] -رحمه الله-: «وقد سبق إلى التنبيه على فوائد قصة أبي عُمير بخصوصها من القُدماء أبو حاتم الرازي[4] أحد أئمة الحديث وشيوخ أصحاب السنن ثم تلاه الترمذي في الشمائل ثم تلاه الخطابي[5]، وجميع ما ذكروه يَقرُب من عشر فوائد فقط،

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: الحج، باب: الخطبة أيام منى ح1654.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: الأدب، باب: الانبساط إلى الناس ح5778.

(3) هو: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ثم المصري الشافعي أبو الفضل، شيخ الإسلام وإمام الحفاظ في زمانه، وحافظ الديار المصرية بل حافظ الدنيا مطلقًا قاضي القضاة، ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، وصنّف التصانيف التي عمَّ النفع بها كشرح البخاري الذي لم يُصنّف أحد مثله، ولسان الميزان، والإصابة في الصحابة، ونكت ابن الصلاح، وتعجيل المنفعة برجال الأربعة وغيرها تزيد على المائة، توفي في ذي الحجة سنة (852هـ). انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي 36/2، طبقات الحفاظ للسيوطي 553.

(4) هو: محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، أبو حاتم الرازي الإمام الحافظ الناقد شيخ المحدّثين الحنظلي الغطفاني، كان من بحور العلم، طوّف البلاد، وبرع في المتن والإسناد، وجمع وصنّف وجرح وعدّل وصحح وعلل، قدم مصر قديمًا وكتب بها، مولده سنة خمس وتسعين ومئة، أحد الأئمة الحفاظ الأثبات، توفي أبو حاتم في شعبان سنة (277هـ) وله اثنتان وثمانون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء 247/13، وتذكرة الحفاظ للذهبي 567/2، وطبقات الحفاظ للسيوطي 259.

(5) هو: حَمْدُ بن محمد بن إبراهيم البُسْتي، أبو سليمان، من أهل كابل، من نسل زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب، فقيه محدّث، قال فيه السمعاني: إمام من أئمة السنة، من تآليفه: معالم السنن في =

وقد ساق شيُخنا -أي: الحافظ العراقي[1]- في شرح الترمذي ما ذكره ابن القَاص[2] بتمامه ثم قال: ومن هذه الأوجه ما هو واضح ومنها الخفي ومنها المُتعسّف، قال: والفوائد التي ذكرها آخراً وأكمل بها الستين هي من فائدة جمع طرق الحديث لا من خصوص هذا الحديث»[3].

والعالم الواحد لا يقتصر في بيان الكتاب والسنة على أوجه اللغة فحسب، بل يضيف إلى ذلك الاطلاع على أقوال الحكماء والأصفياء، ومعرفة مقاصد الدين، فإنه حينئذٍ يستخرج منهما جواهراً وعلماً غزيراً.

= شرح أبي داود، وغريب الحديث، وشرح البخاري، توفي سنة (388هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى 218/2، وسيرأعلام النبلاء 23/17، ومعجم المؤلفين 166/1.

(1) هو: عبد الرحيم بن حسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، يُعرف بالعراقي، كردي الأصل، من كبار المحدّثين الحفّاظ، شافعي، أصولي لغوي، ولد بجهة إربل بالعراق وقدم مصر صغيراً مع والده فتعلّم ونبغ، ورحل إلى دمشق وحلب والحجاز والإسكندرية، وأخذ عن جماعة من العلماء، من مؤلفاته: الألفية في علوم الحديث، وفتح المغيث شرح ألفية الحديث، والمغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الآثار، وغيرها، توفي بالقاهرة سنة (806هـ). انظر: الضوء اللامع للسخاوي 17/4، معجم المؤلفين 204/5.

(2) هو: أحمد بن أبي أحمد، الطبري الشافعي، المعروف بابن القاص، فقيه، تفقّه على أبي العباس بن سريج، وتفقّه به أهل طبرستان، وقال ابن السمعاني: والقاص هو: الذي يعظ ويذكر القصص، عرف بالقاص وقيل أبوه، لأنه دخل بلادالديلم وقصَّ على الناس الأخبار المرغّبة في الجهاد، ثم دخل بلاد الروم غازيًا، فبينما هو يقص لحِقه وُجْد وخشية فمات -رحمه الله تعالى-، من تصانيفه: التلخيص في فروع الفقه الشافعي، وأدب القاضي، وجزء في فوائد حديث أبي عمير، توفي سنة (335هـ). انظر: سيرأعلام النبلاء 371/15، طبقات الشافعية الكبرى 59/3.

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري 585/10.

قال الغزالي[1] -رحمه الله-: «ويجب على المفسّر أن ينظر في القرآن من وجه اللغة، ومن وجه الاستعارة، ومن وجه تركّب اللفظ، ومن وجه مراتب النحو، ومن وجه عادة العرب، ومن وجه أُمور الحُكماء، ومن وجه كلام المُتصوفة حتى يقرب تفسيره إلى التحقيق، ولو يقتصر على وجه واحد ويقنع في البيان بفنٍ واحد لم يخرج عن عُهدة البيان، ويتوجّه عليه حجة الإيمان وإقامة البرهان، ومن علم الأصول أيضًا علم الأخبار، فإن النبي ﷺ أفصح العرب والعجم، وكان مُعلِّمًا يُوحى إليه من قِبل الله تعالى، وكان عقله مُحيطاً بجميع العُلويات والسُفليات، فكلُ كلمة من كلماته بل لفظة من ألفاظه يُوجد تحتها بحار الأسرار وكنوز الرموز، فعلم أخباره ومعرفة أحاديثه أمرٌ عظيم، وخطبٌ جليل، لا يقدر أحد أن يُحيط بعلم الكلام النبوي إلّا أن يُهذّب نفسه بمتابعة الشارع، ويُزيل الاعوجاج عن قلبه بتقويم شرع النبي ﷺ»[2].

ومن المعلوم أن الخائضين في المعاني الإشارية هم المُتقون، الصافية قلوبهم من الانحرافات العقدية والفكرية، المُتشوِّقون لعطاء الله تعالى، فيفتح الله تعالى على قلوب أوليائه المتقين وعباده المخلصين بسبب طهارة قلوبهم ما لا يفتح به على غيرهم، وهؤلاء هم الذين أدركوا عبوديتهم لله تعالى كماقال سيدنا علي -رضي الله عنه-: «والذي فلَق الحبة وبرأَ النسْمَة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهمًا يُعطى رجل في كتابه»[3]، ودليل ذلك من كتاب

(1) هو: محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي نسبته إلى الغزّال، حجة الإسلام، فقيه شافعي أصولي، متكلّم، من أئمة التصوف السُني، رحل إلى بغداد، فالحجاز، فالشام، فمصر وعاد إلى طوس، من مصنفاته: البسيط، والوسيط، والوجيز، والخلاصة وكلها في الفقه، وتهافت الفلاسفة، وإحياء علوم الدين وغيرها، وقد نفع الله تعالى بها، توفي سنة (505هـ). انظر: طبقات الشافعية 101/4- 180، والوافي بالوفيات 277/1.

(2) الرسالة اللدنية ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي 228.

(3) رواه البخاري في صحيحه ك: الديات، باب: العاقلة ح6507.

الله تعالى قوله -جل ذكره-: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾[1].

قال ابن القيم[2] -رحمه الله-: «والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص وأن منهم من يفهم من الآية حكماً أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته وتنبيهه واعتباره»[3].

وقد صرّح ابن القيم -رحمه الله- سبب الإشارات المستنبطة بأنه صفاء القلب، وهو نتيجة التقوى المشار إليه في الآية السابقة فقال: «الإشارات: هي المعاني التي تُشير إلى الحقيقة مِنْ بُعد ومن وراء حجاب، وهي تارة تكون من مسموع وتارة تكون من مرئي وتارة تكون من معقول، وقد تكون من الحواس كلها فالإشارات: من جنس الأدلة والأعلام وسببها: صفاء يحصل بالجمعيّة[4] فيَلطُف به الحِس والذهن فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة[5] لا يكشف حسَّ غيره وفهمه عن إدراكها»[6]، ثم إن المعاني الإشارية

---

(1) سورة البقرة: 282.

(2) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، شمس الدين، أحد كبار فقهاء الحنابلة، تتلمذ على ابن تيمية وانتصر له ولم يخرج عن شيء من أقواله، وقد سجن معه بدمشق، وألّف كثيرًا، من تصانيفه: إعلام الموقعين، ومفتاح دار السعادة، ومدارج السالكين، توفي سنة (751هـ). انظر: الدرر الكامنة 3 /400، الأعلام للزركلي 281/6.

(3) إعلام الموقعين 354/1.

(4) الجمعيّة: اجتماع الهم في التوجه إلى الله تعالى، والاشتغال به عمّا سواه. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني 67، والتعريفات 62.

(5) اللطيفة: هي كل إشارة دقيقة المعنى يلوح منها بالفهم معنى لا تسعه العبارة. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية 91.

(6) مدارج السالكين 416/2.

والمعاني الرقيقة الإيمانية مُكَمِّلة للمعنى المتبادر حسب الظاهر، بل ظاهر التفسير لا يُغني عن المعاني الإشارية، وهي لا تتعارض معه وإلا رُدت، وهذا باب دقيق لا يدركه إلا العالمون الراسخون.

قال الغزالي -رحمه الله- عن المعاني الإشارية: «وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفّر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حَدٌّ في الترقي إلى درجة أعلى منه، فأمّا الاستيفاء فلا مَطمع فيه، ولو كان البحر مِداداً والأشجار أقلاماً فأسرار كلمات الله لا نهاية لها، فتنفد الأبحر قبل أن تنفد كلمات الله عز وجل، فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغنى عنه، ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله ﷺ في سجوده: **«أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»**[1] أنه قيل له: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾[2]، فوُجِدَ القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض، فإن الرضا والسُخط وصفان، ثم زاد قربه فاندرج القُرب الأول فيه فرقى إلى الذات، فقال: أعوذ بك منك، ثم زاد قُربه بما استحيا به من الاستعاذة على بِسَاط القُرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله: لا أحصي ثناء عليك، ثم علِم أن ذلك قُصور فقال: أنت كما أثنيت على نفسك، فهذه خواطر[3] تُفتح لأرباب القلوب، ثم لها أغوار وراء هذا وهو

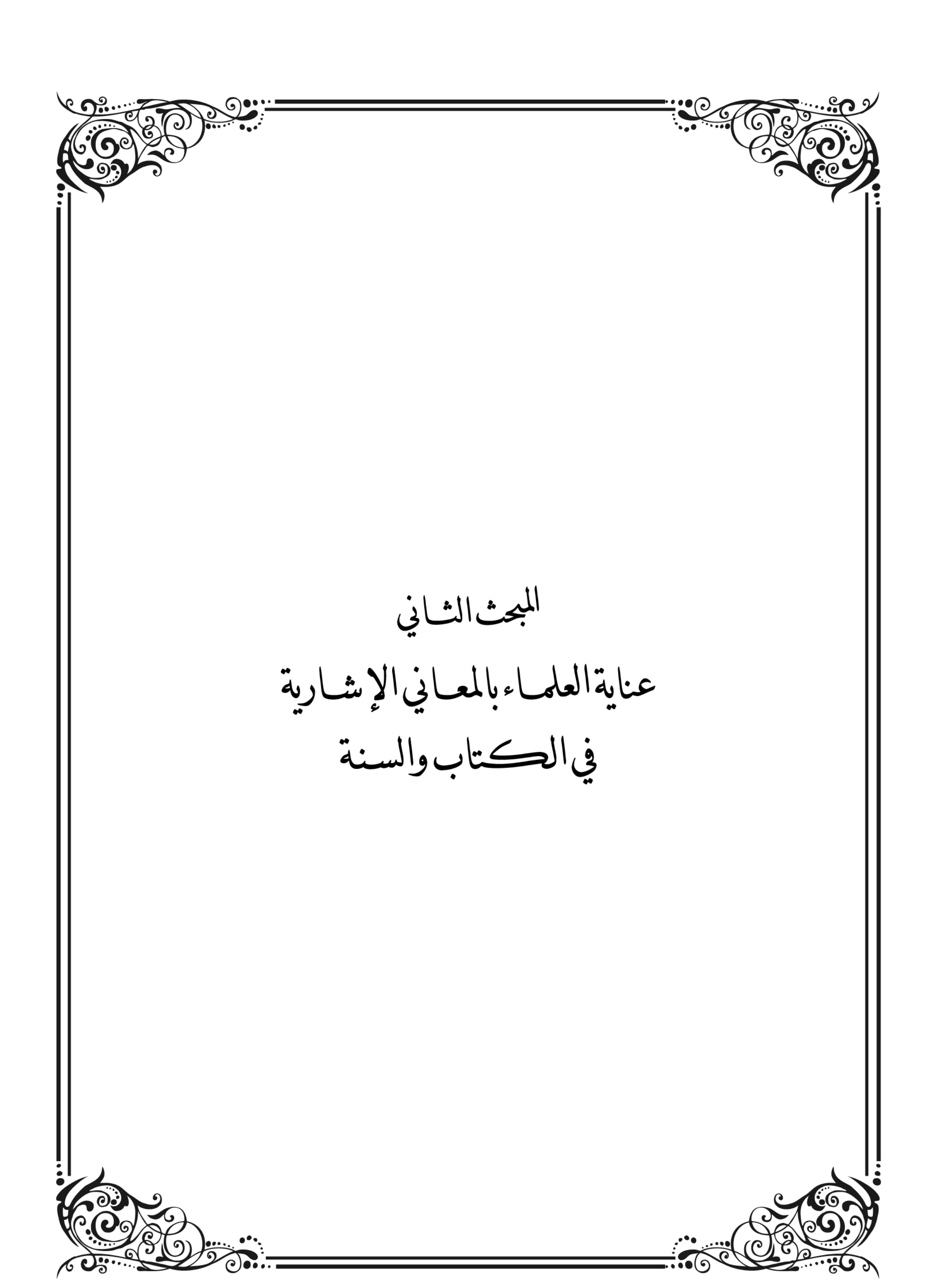
(1) رواه مسلم في صحيحه ك: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود ح486.

(2) سورة العلق: 19.

(3) الخواطر جمع خاطر وهو: ما يرِد على القلب من الخطاب أو الوارد الذي لا تعمّد للعبد فيه، وهو على أربعة أقسام: رباني وملكي ويسمى إلهامًا، ونفساني ويُسمى هاجسًا، وشيطاني. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني 177.

فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود، ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة، ومنه به، وأسرار ذلك كثيرة، ولا يدل تفسير ظاهر عليه وليس اللفظ هو مناقضاً لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لُبابه عن ظاهره، فهذا ما نورده لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر»[1].

(1) إحياء علوم الدين 293/1.



المبحث الثاني

عناية العلماء بالمعاني الإشارية في الكتاب والسنة

المطلب الأول

تعدد اتجاهات العلماء لفهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

اعتنى المسلمون قديمًا وحديثًا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ علمًا وعملًا، فإنهما المعِينان اللذان لا ينضبان حتى تقوم الساعة، من تمسّك بهما نجا مصدقًا لقول الرسول ﷺ: «**يا أيُّها النّاس إني قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبدًا: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ**»(1)، فانهلّ كل عالم منهما حسب فهمه وعلمه، وفق قواعد وضوابط حددها علماء الإسلام مُنذ القِدم فظهرت اتجاهات متعددة لفهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ: لغوية، وعلمية، وتشريعية، وإعجازية، ودعوية، وأدبية، واجتماعية، وعقدية، وبلاغية، وإشارية روحية خدمة لهما لتنتظم حياتهم، وتتحقق لهم السعادة في الدنيا وتصلح آخرتهم التي هي إليها معادهم في الحياة الأخروية(2).

ولهذا ظهر الاتجاه الإشاري للتوسع في فهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ على وفق أُسس متينة من عدم إلغاء المعاني الظاهرة المُتبادرة، واستنباط معاني ذوقيّة زُهدية، ورقائق تهذيبية ذات ملْحٍ بعيد في الاستنباط، وليست بعيدة عن هدي الشرع المصُون،

---

(1) رواه مالك في الموطأ بلاغًا 899/2، وقد وصله ابن عبد البر في التمهيد 331/42، ورواه الحاكم في المستدرك واللفظ له 171/1، وقال: وقد احتج البخاري بأحاديث عكرمة واحتج مسلم بأبي أويس وسائر رواته متفق عليهم. ورواه البيهقي في السنن الكبرى 114/10.

(2) انظر: الاتجاه الإشاري في تفسير القرآن الكريم لعبد الرحيم الزقة 175.

ولا نكير على هذا الاتجاه الذي هو كغيره من الاتجاهات المقبولة، فقد استنبط من القرآن الكريم والسنة المشرفة الفقهاء أحكامًا، واللغويون قواعدًا، والبلاغيون بيانًا، والدُّعاة مناهجًا، والإجتماعيون حُلولًا، والكلاميون عقائدًا، وكذلك علماء السلوك والتصوف فهِموا فُهومًا ورقائقًا تُبصّرهم بحقائقهم وتُزهدهم في دنياهم.

قال عبد الله بن الصديق الغُماري[1] -رحمه الله-: «فكما استخرج علماء الأصول والفقه من ألفاظ القرآن والسنة بطريق الإشارة أحكامًا تشريعية، كذلك استخرج الصوفية بطريقها علومًا ربانية»[2].

والمتأمل لنصوص الشريعة يُوقن أنها مُصْلحة لكل زمان ومكان وأنها شاملة لكل نواحي الحياة العلمية والعملية والسياسية والاقتصادية والروحية والسلوكية، فيَحق حينئذٍ تلّمس الحكمة والمعرفة، ومعرفة العلل والمناسبات في النصوص، واستخراج ما ينفع المسلمين في دنياهم وأخراهم من أحكام وإرشادات.

فلابد من تجديد هذه المعاني الإشارية وإزالة اللُّبس عنها ممّا ليس منها، وتنقيتها ممّا علِقَ بها من العثرات التي خالطتها، وإثبات الحق منها وبيان الباطل منها، ليساعد هذا المنهج في

---

(1) هو: عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، الحسني الإدريسي، المحدّث والفقيه والعالم الأصولي، مشارك في علوم، ولد سنة (1328هـ) بطنجة بالمغرب، من بيت علم وصلاح، ودرَس في فاس على شيوخها، ثم دخل القرويين، ودرَّس بالزاوية الصدّيقية، وأكثر من المطالعة في مختلف الفنون، وامتُحن وسُجن بمصر إحدى عشرة سنة، تلقى العلم عن والده ومحمد بن الحاج وأحمد القادري، وغيرهم، ونال شهادة العالمية بالأزهر، وله مؤلفات كثيرة في فنون مختلفة منها: الحاوي في الفتاوي، والرد المحكم المتين، وتخريج أحاديث اللمع، وبدع التفاسير وغيرها، توفي سنة (1413هـ). انظر: ترجمته لنفسه آخر كتابه بدع التفاسير 127-143، وتكملة معجم المؤلفين 349 -351.

(2) بدع التفاسير: 118.

نهضة الأمة من رُكودها، فهي في أشد الحاجة إلى حضارة رُوحية تربط الروح بالجسد، وتقوم هذه الحضارة على أركان ثلاثة: العلم، والتزكية، والحِكمة، اقتداءً برسول الله ﷺ علمًا وعملًا وإخلاصًا كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾(1)،(2).

اختلاف العلماء في المعاني الإشارية كاختلافهم في التفسير:

إن المعاني الإشارية الكامنة وراء الألفاظ التي تتكشف لأهل الإشارة أثناء تأمّلهم لآيات الله تعالى وأحاديث رسوله ﷺ تأتي على حسب استعدادهم الروحي، ولذلك نجدهم يختلفون في تفسيراتهم للآية والحديث الواحد كما هو شأن أهل التفسير من المدارس الأخرى.

قال الطوسي(3) -رحمه الله-: «وهم أيضًا أي: الصوفية في مستنبطاتهم مختلفون اختلاف أهل الظاهر من المدارس الأخرى، غير أن اختلاف أهل الظاهر يؤدي إلى حكم الغلط والخطأ، والاختلاف في علم الباطن لا يؤدي إلى ذلك، لأنها فضائل ومحاسن ومكارم وأحوال وأخلاق ومقامات ودرجات»(4).

واختلاف أهل الإشارة يكون حسب الذوق المبني على الحال والوقت الذي يعيشونه

(1) سورة الجمعة: 2.

(2) انظر: مقال: الاتجاه الاشاري في تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الرحيم الزقة 175.

(3) هو: عبد الله بن علي بن يحيى أبو نصر السراج الطوسي الصوفي، مصنّف كتاب اللمع في التصوف، كان أبو نصر من أولاد الزهاد، وكان المنظور إليه في ناحيته في الفتوى ولسان القوم، مع الاستظهار بعلم الشريعة، وهو بقية مشايخهم، وقال السخاوي: كان على طريقة السنة. توفي سنة (378هـ). انظر: تاريخ الاسلام 625/26، وشذرات الذهب 92/3، والوافي بالوفيات للصفدي 182/17، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي 408/2.

(4) اللمع 150.

وليس معتمدًا على أحكام العقل والمنطق وقواعد اللغة بحيث يحكم في شأنه بالصح والغلط كما هو حال المفسرين والشرّاح لكتاب الله وأحاديث سيدنا رسول الله ﷺ، هذا إذا كان تفسيرات أهل الإشارة مُنضبطًا بالشرع وعدم تعارضه مع نصوصه الأخرى.

وكما أن أهل التفسير والحديث يُفسرون النصوص الشرعية كُلٌ بحسب زمنه مع اختلافهم مع من سبقهم مع عدم التعارض فكذلك أهل الإشارة فإن نصوص الشريعة الغراء حمّالة المعاني، قال الطوسي -رحمه الله-: «وقد اختلف هؤلاء -أهل الإشارة- في أجوبتهم كاختلافهم في أوقاتهم وأحوالهم وكل ذلك حسن، ولكل جواب من أجوبتهم أهل يليق بهم ما أجابوا»(1).

سبب ظهور المعاني الإشارية:

يمكن أن نلخّص سبب ظهور التفسيرات الإشارية في الكتاب العزيز والسنة المشرّفة في أمرين:

السبب الأول: توضيح علوم العلماء الربانيين لأنفسهم والتفرد بها عن غيرهم.

فكما أن لكل جماعة من العلماء لهم ألفاظ واصطلاحات خاصة بهم فكذلك أهل الإشارة حيث استعاضوا عن اللغة العادية بلغة الإشارة في التعبير إذْ كلّما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة(2).

---

(1) اللمع 152، وانظر: التفسير الصوفي الإشاري للقرآن الكريم للدكتور حسين عكاش 48.

(2) قال ابن عجيبة: الإشارة أرق وأدق من العبارة والرمز أدق من الإشارة، فالأمور ثلاثة عبارات وأشارات ورموز وكل واحدة أدق مما قبلها، فالعبارة توضح والإشارة تلوح والرمز يفرح أي: يفرح القلوب بإقبال المحبوب، وقالوا: علمنا كله إشارة فإذا صار عبارة خفي أي: خفي سره أي: فإذا صار عبارة بإفصاح اللسان لم يظهر سره على الجنان، فإشارة الصوفية هي: تغزلاتهم وتلويحاتهم بالمحبوب كذكر سلمى وليلى وذكر الخمرة والكيسان وغير ذلك مما هو مذكور في اصطلاحاتهم، =

قال القُشيري[1] -رحمه الله-: «وهذه الطائفة يستعملون ألفاظًا فيما بينهم، قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم والإجمال والستر على من باينهم في طريقتهم، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب، وغَيْرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها، إذ ليست حقائقهم بنوع تكلّف أو مجلُوبة بضرب تصرّف بل هي أودعها الله تعالى قلوب قوم استخلص بحقائقها أسرار قوم»[2].

وقد يكون سبب عدم نشرهم للإشارات إلا لخواص أهل العلم، لأنهم يخاطبون الناس حسب عقولهم وإدراكهم لقول سيدنا علي -رضي الله عنه-: «حدّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[3]، ولقول عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «ما أنت بمُحدِّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[4]، واتباعًا لقول الله

=

وأما الرموز فهي إيماء وأسرار بين المحبوب وحبيبه لا يفهمها غيرهما .انظر: إيقاظ الهمم في شرح الحكم 170.

(1) هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، أبو القاسم، النيسابوري، القُشيري الشافعي، من بني قشير بن كعب، شيخ خراسان في عصره، فقيه، أصولي، محدّث، حافظ، مفسّر، متكلِّم، سمع أحمد بن محمد بن عمر الخفاف، وعبد الملك بن الحسن الإسفراييني، وأبا عبد الرحمن السلمي وغيرهم، وعنه ابنه عبد المنعم وابن ابنه أبو الأسعد هبة الرحمن وغيرهم، أخذ الفقه عن أبي بكر محمد بن بكر الطوسي، من تصانيفه: التيسير في التفسير، والرسالة القشيرية، ولطائف الإشارات في التفسير، توفي سنة (465هـ).انظر: طبقات الشافعية الكبرى 243/3، وتاريخ بغداد 83/11، والأعلام 180/4.

(2) الرسالة 114.

(3) رواه البخاري في صحيحه ك: العلم، باب: من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا ح 127.

(4) رواه مسلم في مقدمة صحيحه باب: النهي عن الحديث بكل ماسمع.

تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1]، فليس كل أحد مؤهلًا للعلوم اللدنيّة[2] والمعاني الزُهديّة، وبهذا المنهج الوسطي سلكة أبو هريرة -رضي الله عنه- وقال: «حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءين، فأما أحدهما فبثثتُه وأما الآخر فلو بثثته قُطعَ هذا البلعُوم»[3].

السبب الثاني:

الزهد في الدنيا وفق هدي الكتاب العزيز والسنة النبوية دون إفراط وتفريط، وهو التوسط الذي سلكه الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ خصوصًا لمّا طغت الدنيا على القلوب وافتتن الناس بزخرفها، فقام الجهابذة من العلماء الربانيين لتوضيح بعض المعاني من القرآن والسنة المتعلقة بالجانب الروحي في الإسلام، فكانت محاولاتهم لها نتائج إيجابية مثمرة.

قال أبو طالب المكي[4] -رحمه الله-: «لا يمكن لعبد أن يعرف الزهد حتى يعرف الدنيا أي شيء هي، فقد قال الناس في الزهد أشياء كثيرة، ونحن غير محتاجين إلى ذكر أقوالهم، بما بيّن الله تعالى بكتابه الذي جعل فيه الشفاء والغنى»[5].

---

(1) سورة العنكبوت: 43.

(2) العلم اللدُنّي: هو ما وقع على حسّه بالاستيفاء بلا واسطة، وقيل: هو العلم بلا كُلفة ولا واسطة. انظر: حقائق التفسير للسلمي 414/1.

(3) رواه البخاري في صحيحه ك: العلم، باب: حفظ العلم ح120.

(4) هو: محمد بن علي بن عطية الحارثي أبو طالب المكي، مصنّف قوت القلوب، كان من أهل الجبل ونشأ في مكة وتزهّد، وله لسان حلو في التصوف، قال أبو طاهر: أنه وعظ ببغداد، وتوفي بها سنة(386هـ). انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان 303/4، البداية والنهاية 319/11.

(5) قوت القلوب في معاملة المحبوب 9/1.

ولو تأملنا القرآن الكريم لوجدناه يصف لنا وصفًا جامعًا للحياة الدنيا في قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٤١﴾[1]، يقول أبو طالب المكي بعد الآية: «فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى فمَن نهى نفسه عن الهوى فهو لم يؤثر الدنيا، وإذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزاهد الذي لا يفرح بعاجل موجود من حظ النفس ولا يحزن على مفقود من ذلك... فأول الزهد دخول غم الآخرة في القلب ثم وجود حلاوة المعاملة لله تعالى، ولا يدخل هم الآخرة حتى يخرج هم الدنيا، ولا تدخل حلاوة المعاملة حتى تخرج حلاوة الهوى»[2].

وقد أدرك العلماء العاملون من أسلوب القرآن الكريم بذكر الأمثال الحسيّة والمقصود منها المعاني الرقيقة وصلاح القلب والزهد في الدنيا. قال السيوطي[3] -رحمه الله-: «ضرب الأمثال في القرآن يُستفاد منه أمور كثيرة التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثَمَّ كان الغرض من المثل تشبيهُ الخفي بالجلي والغائب بالشاهد، وتأتي أمثال القرآن مُشتملة

---

(1) سورة النازعات: 37،38،39،40، 41 .

(2) قوت القلوب في معاملة المحبوب 246/1.

(3) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين أبو الفضل، أصله من أسيوط، ونشأ بالقاهرة يتيمًا، كان عالمًا شافعيًّا مؤرخًا أديبًا، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه والفقه واللغة، كان سريع الكتابة في التأليف، ولما بلغ أربعين سنة أخذ في التجرد للعبادة، وترك الإفتاء والتدريس وشرع في تحرير مؤلفاته فألف أكثر كتبه، مؤلفاته تبلغ عدتها خمسمائة مُؤلف، منها: الأشباه والنظائر في فروع الشافعية، والحاوي للفتاوى، والإتقان في علوم القرآن، توفي سنة(911هـ). انظر: شذرات الذهب 51/8، والضوء اللامع 65/4، والأعلام للزركلي 71/4.

على بيان تفاوت الأجر وعلى المدح والذم وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره وعلى تحقيق أمرٍ أو إبطاله، قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ۝٤٥﴾[1]»[2]، مثال ذلك في القرآن قول الله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۝٥٨﴾[3]، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: هذا مثلُ ضربه الله للمؤمن يقول: هو طيّب وعمله طيّب كما أن البلد الطيّب ثمرها طيّب، والذي خبُثَ ضُرِبَ مثلًا للكافر كالبلد السبْخة المالحة والكافر هو الخبيث وعمله خبيث[4].

وكذلك ورد في السنة المطهرة من الأمثلة الحسية الحقيقية التي تشير إلى المعاني الروحيّة والإشارات القلبية ومن ذلك: حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**أَرَأَيْتُمْ لو أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فيه كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا ما تَقُولُ ذلك يُبْقِي من دَرَنِه، قالوا: لَا يُبْقِي من دَرَنِهِ شيئًا، قال: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو الله بها الْخَطَايَا**»[5]، وحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما المُفلس؟**» قالوا: المُفلِس فِينا من لا دِرْهم له ولا متاع، فقال: «**إنّ المُفلسَ من أُمتي يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيام وزكاة ويأتي قد شتَم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك**

---

(1) سورة إبراهيم: 45.

(2) الإتقان 484/2.

(3) سورة الأعراف: 58.

(4) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن 212/8، وابن أبي حاتم في تفسيره 1503/5.

(5) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له ك: مواقيت الصلاة، باب: الصلوات الخمس كفارة ح505، ومسلم ك: المساجد ومواضع الصلاة، باب: المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع بها الدرجات ح667.

دم هذا وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنِيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرِح في النار»[1]، وحديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ من الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي ما هِيَ فَوَقَعَ الناس في شَجَرِ الْبَوَادِي»، قال عبد اللَّهِ: وَوَقَعَ في نَفْسِي أنها النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قالوا: حَدِّثْنَا ما هِيَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «هِيَ النَّخْلَةُ»[2]، وحديث أبي مُوسَى -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ منه وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ منه رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[3].

وقد ظهر تفسير أهل الإشارة منذ العصر الأول وقت نزول القرآن الكريم، فظهرت تفسيرات للصحابة الكرام -رضي الله عنهم- للقرآن الكريم سُمّي فيما بعدُ بالتفسير الإشاري وهو الذي سلكه العلماء الربانيون، وكذلك ظهرت المعاني الإشارية من حديث رسول الله ﷺ، وسيأتي ذكر نماذج منها في الدراسة التطبيقية.

ولعلَّ تفسير القرآن العظيم لسهل بن عبد الله التُسْتَري[4] -رحمه الله- مِنْ أوّل ما وصلنا

---

(1) رواه مسلم في صحيحه ك: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم ح2581.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: العلم، باب: قول المحدث حدثنا أو أخبرنا أو أنبأنا ح 61.

(3) رواه البخاري في صحيحه ك: الذبائح والصيد، باب: المسك ح5214.

(4) هو: سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى التُّسْتَرِيُّ أبو محمد، تخرّج على خاله محمد بن سوار، ولقي أبا الفيض ذا النون المصري بالحرم، كان عامة كلامه في تصفية الأعمال وتنقية الأحوال عن المعايب والأعلال، صاحب كرامات صحب ذا النون المصري، توفي سنة (283هـ) وقيل (273هـ). انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء 189/10، طبقات الصوفية للسلمي 166، تاريخ الإسلام للذهبي 756/6.

مكتوبًا مُتضمّنًا التفسير الإشاري وهو في أواخر القرن الثالث الهجري.

يقول سهل التُسْتَري -رحمه الله- في مقدمة تفسيره: «ما مِنْ آية في القرآن إلّا ولها أربعة معان: ظاهر وباطن، وحدٍّ ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم والحد حلالها وحرامها، والمطلع إشراف القلب على المراد بها فقهًا من الله عز وجل، فلِعلم الظاهر علم عام، والفهم لباطنه والمراد به خاص»[1].

وبهذا انتقل التصوف من عالم الخبرة المباشرة إلى دائرة المنطوق، وذلك عندما حاول أوائل الصوفية صياغة خبرتهم في عبارات صارت بعد ذلك من المأثورات.

وفي القرن الثالث صار التصوف في دائرة المكتوب مع ذلك النشاط التدويني الذي قام به كبار الصوفية آنذاك. وقد تتبّع المؤرخ الكلاباذي -رحمه الله-[2] بدايات الأمر حين رصد الدائرة الأولى في كتابه «التعرُّف لمذهب أهل التصوّف»، فذكر جماعة من صوفية القرن الثاني واصفًا إيّاهم بأنهم ممّن نطق بعلوم الصوفية وعبّر عن مواجِيدهم ونشر مقاماتهم، ووصف أحوالهم قولًا وفعلًا[3]، ثم أشار إلى الدائرة الأخرى حين عدد بعض

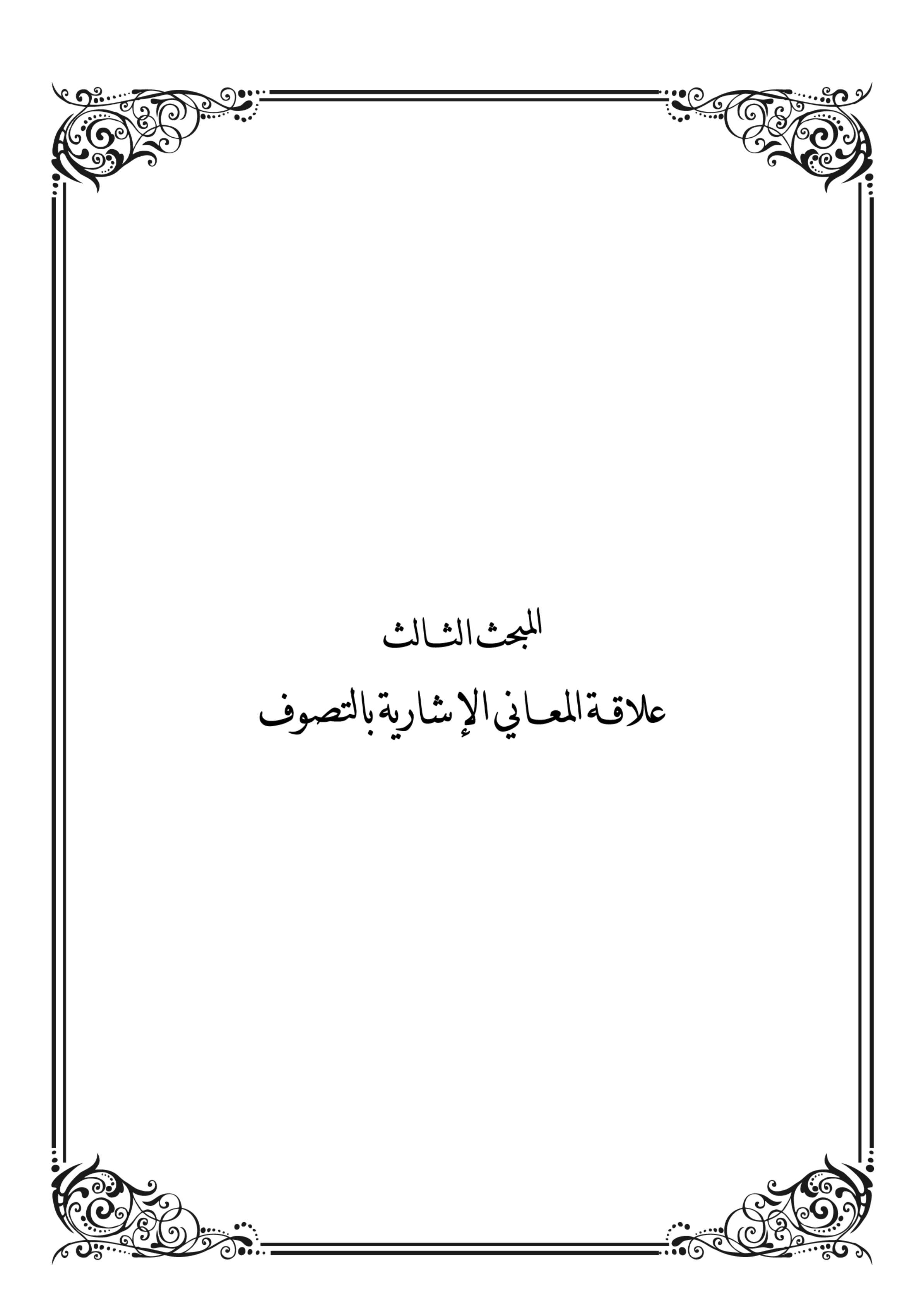
(1) تفسير القرآن العظيم صـ16.

(2) هو: محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي تاج الإسلام، أبو بكر البخاري الحنفي، الإمام المُحدّث الصوفي، من تآليفه أربعين في الحديث الأشفاعِ والأوتار، أمالي في الحديث بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، والتعرف لمذهب التصوف، وحُسن التصرف في شرح التعرف، وفصل الخطاب وغير ذلك، المتوفي سنة (384هـ). انظر: الأعلام للزركلي 295/5، وهدية العارفين 54/6.

(3) انظر: التعرّف لمذهب أهل التصوف ص27، وذكر الكلاباذي من هذه الطائفة المُبكّرة: علي زين العابدين، محمد الباقر، جعفر الصادق من آل البيت، وأويس القرني، ومالك بن دينار، وإبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض -رحمهم الله تعالى-.

الأسماء تحت عنوان «ممّن نشر علوم الإشارة كُتبًا ورسائل»[1]، ولم يكن هذا المنهج مقصورًا على الصوفية فحسب، بل أمّه كثيرٌ من العلماء بمختلف مذاهبهم الفقهيّة، وسيأتي ذكر بعض منهم في حكمهم على المعاني الإشارية، ونماذج من معانيهم الإشارية في الدراسة التطبيقية.

(1) انظر المصدر السابق التعرّف نفسه ص30، وقد ذكر منهم: الجنيد والنوري وأبا سعيد الخراز وأبا محمد رويم وأبا العباس أحمد بن عطاء البغدادي وأبا عبد الله المكي وأبا يعقوب يوسف بن حمدان السوسي وأبا يعقوب إسحاق بن محمد بن أيوب النهرجورى وأبا محمد الحسن بن محمد الجريري وأبا عبد الله محمد بن علي الكتاني وأبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص وأبا علي الأوراجي وأبا بكر محمد بن موسى الواسطي وأبا عبد الله الهاشمي وأبا عبد الله هيكل القرشي وأبا علي الروذباري وأبا بكر القحطي وأبا بكر الشبلي -رحمهم الله تعالى-، وتقع وفيات هؤلاء خلال الربع الأخير من القرن الثالث والربع الأول من القرن الرابع الهجري.



المبحث الثالث

علاقة المعاني الإشارية بالتصوف

علاقة المعاني الإشارية بالتصوف

إذا ذُكرت المعاني الإشارية المأخوذة من القرآن العظيم والسنة النبوية ذكر أهل التصوف فأصبحت المعاني الإشارية مِنْ أبرز اهتمامات أهل التصوف، مع أن جماعة من العلماء قد شاركوهم، وقد عزا كثير من العلماء التفسيرات الإشارية إلى الصوفية[1].

والمتأمل للقرآن الكريم يجد أن كثيرًا من آياته تحثّ على الزهد والانقطاع في طاعة الله تعالى كقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾[2]، وقوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾[4]، وكذلك بالنظر للآيات المرغّبة والمحذّرة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥﴾[5]، وقوله تعالى:

---

(1) انظر: إحياء علوم الدين 341/1، وابن الصلاح في فتاويه 196/1، ومجموع الفتاوى لابن تيمية 376/6، والموافقات للشاطبي 403/3، والبرهان في علوم القرآن للزركشي 170/2، والإتقان للسيوطي 485/2، وابن عجيبة في إيقاظ الهمم بشرح الحِكم 366، ومناهل العرفان للزرقاني 56/2 وغيرهم.

(2) سورة المزمل: 8.

(3) سورة الأنفال: 45.

(4) سورة الأحزاب: 35.

(5) سورة الحجر: 45.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾[1]، فكان أسلوب الترغيب والترهيب عاملًا من أهم عوامل نشأة الزهد والقرب من الله تعالى للفوز برضاه والجنة، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقوم الليل حتى تتّفطر قدماه، فقلتُ له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال ﷺ: «**أَلا أكون عبدًا شكورًا**»[2].

والصحابة سلكوا طريق رسول الله ﷺ وأخذوا عنه، وخطوا خُطاه، وظهرت إشاراتهم في تأويل معاني القرآن والسُّنة عن طريق الإلهام والفراسة، وأخذ هذا الطريق عن الصحابة التابعون، ثم أخذه عنهم تابعوهم، ثم جمعٌ غفير من العلماء سلكوا هذا الطريق، طريق الزهد والعبادة والنسك، والتقرب إلى الله، فهُم خواص الخواص من المؤمنين الذين راقبوا الله بدرجة الإحسان، وهم في رقابة دائمة، وذكر مُستمر سرًّا وعلانية، مُنصاعين لأوامر الله تعالى، هؤلاء الصفوة بلغوا أصول الفضائل والرضا بقضاء الله تعالى، والاستعداد للقائه مُسْتَشعرين رقابة الله تعالى المستمرة عليهم.

ومِنْ بين هؤلاء الصّفوة ظهر المفسرون المُلهمُون للمعاني التي تخدم الحياة الرُّوحية، وتعالج النفس البشرية تلبيةً لشعورهم وأحوالهم في الفضائل والأخلاقيات[3].

وقد ورد عن النبي ﷺ ما يؤيد ذلك من أن الله سبحانه وتعالى يُفيض من علمه على من يشاء من عباده بالفراسة الصادقة حيث أشار إلى ذلك بقوله ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله،** ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾[4]»[5]، فبالفراسة

(1) سورة النبأ: 21.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: التهجّد، باب: قيام النبي ﷺ ح 1130.

(3) انظر: إحياء علوم الدين 314/1، ورُوح المعاني للألوسي 19/16.

(4) سورة الحجر: 75.

(5) رواه الترمذي في سننه ك: تفسير القرآن، باب: سورة الحجر ح3127، والطبراني في معجمه =

الصادقة يُفيض الله تعالى من علمه على مَنْ يشاء مِنْ عباده، وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية[1] -رحمه الله- ينكشف لأهل العلم فهمًا يؤتيهم الله إيّاه في معاني الحديث وإيمانًا وتصديقًا وطاعة وانقيادًا واقتداءً واتباعًا مع ما يقترن بذلك من قوة عقولهم وقياسهم وتمييزهم وعظيم مكاشفاتهم ومخاطباتهم، فإنهم أُسد الناس نظرًا وقياسًا ورأيًا وأصدق الناس رؤيا وكشفًا [2].

ويقول الألوسي[3] -رحمه الله-: «فالفراسة الصادقة ومدلولها مكاشفة النفس ومعاينة القلب، وهي من مقامات الإيمان، إذا امتلأ القلب بنور الله نظرت عينا قلبه بنور أبصر ما لا يُحاط وصفًا»[4]، فالتفسير الإشاري لا يتأتى عن طريق العلم والاستدلال، والحَدس والظن، وإنما هو كشفٌ رباني يُلقيه الله تبارك وتعالى في قلب عبده المؤمن من غير سبب

= الكبير 121/8. قال الترمذي: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه وقد روي عن بعض أهل العلم وتفسير هذه الآية ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ قال للمتفرسين. والحديث صححه السيوطي والهيثمي انظر: اللآلئ المصنوعة 278/2، ومجمع الزوائد 473/10.

(1) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرَّاني الدمشقي، تقي الدين، فقيه حنبلي، ولد في حرّان وانتقل به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، سجن بمصر مرتين من أجل فتاواه. وتوفي بقلعة دمشق معتقلًا، كان فصيح اللسان، مكثرًا من التصنيف ومنها: السياسة الشرعية، ومنهاج السنة، توفي سنة (728هـ). انظر: الدرر الكامنة 144/1، والبداية والنهاية 135/14.

(2) انظر: مجموع الفتاوى 85/4، 313/11.

(3) هو: محمود بن عبد الله، شهاب الدين، أبو الثناء الحسيني الآلوسي، مفسّر محدّث، فقيه أديب لغوي، مشارك في بعض العلوم، من أهل بغداد، تقلّد الإفتاء ببلده سنة (1248هـ)، وعزل فانقطع للعلم، من تصانيفه: روح المعاني في تفسير القرآن، والأجوبة العراقية، توفي سنة (1270هـ). انظر: معجم المؤلفين 175/12، والأعلام للزركلي 53/8.

(4) انظر: روح المعاني 74/14.

اكتسابي أو حسي ويُطْلعه على أمور تخفى على غيره[1].

فالعلم والتعليم عند المفسرين الإشاريين تعليم رباني يفيضه الله على من يشاء من عباده كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[2]، ويُسمّى التعليم اللدني، وعلم المكاشفة[3]، وهو: إلقاء معنى في القلب بطريق الفيض بلا اكتساب وفكر، كما كان يحدث لسيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقد قال رسول الله ﷺ: «**قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم**». قال ابن وهب: تفسير محدَّثون: مُلْهمُون[4] [5].

قال ابن حجر -رحمه الله-: «وقوله: (قد كان في الأمم مُحدَّثون) فثبت بهذا أن الإلهام حق وأنه وحي باطن وإنما حرمه العاصي لاستيلاء وحي الشيطان عليه قال وحجة أهل السنة الآيات الدالة على اعتبار الحجة والحث على التفكر في الآيات والاعتبار والنظر في الأدلة وذم الأماني والهواجس والظنون وهي كثيرة مشهورة وبأن الخاطر قد يكون من الله وقد يكون من الشيطان وقد يكون من النفس وكل شيء أحتمل أن لا يكون حقا لم

---

(1) انظر: مدارج السالكين، 232/3.

(2) سورة الكهف: 65.

(3) المكاشفة: شهود العيان، وما فيها من الأحوال في عين الحق، فهو التحقيق الصحيح بمطالعة تجليات الأسماء الإلهية. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني 346.

(4) معنى المحدَّث: هو المُلْهَم والمُلْهَم: هو الذي يُلْقَى في نفسه الشيء فيُخْبِر بِهِ حَدْسًا وفِراسة وهو نوع يَخْتَصُّ به الله عز وجل من يشاء من عباده الذين اصْطَفَى مِثْلُ عُمر كأنَّهم حُدِّثوا بشيء فقالوه. النهاية في غريب الحديث 907/1.

(5) رواه البخاري في صحيحه ك: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ح 3486، ومسلم في صحيحه واللفظ له ك: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر -رضي الله عنه- ح 2398.

يوصف بأنه حق... قال ابن السمعاني[1] -رحمه الله-: وإنكار الإلهام مردود ويجوز أن يفعل الله بعبده ما يكرمه به ولكن التمييز بين الحق والباطل في ذلك أن كل ما استقام على الشريعة المحمدية ولم يكن في الكتاب والسنة ما يرده فهو مقبول وإلّا فمردود يقع من حديث النفس ووسوسة الشيطان، ثم قال: ونحن لا ننكر أن الله يُكرم عبده بزيادة نور منه يزداد به نظره ويُقوّي به رأيه، وإنما نُنكر أن يرجع إلى قلبه بقول لا يُعرف أصله، ولا نزعم أنه حجة شرعية وإنما هو نور يختص الله به من يشاء من عباده فإن وافق الشرع كان الشرع هو الحجة»[2].

ولا ينكر أحد من الناس ما لصلاح الإنسان في فهم القرآن، كلّما كان المفسر أورع كان أقرب إلى التأويل، وإذا تجردت النفس من الهوى وخلصت لله، ألهمها الله من العلوم والمعاني بطريق الفيض[3].

هؤلاء الزّهاد الذين سلكوا طريق رسول الله ﷺ عرفوا باسم المتصوفة في القرن الثاني للهجرة، هؤلاء الذين عرفوا بالزهد والتفاني في طاعة الله وعبادته، ويقومون الليل، ويصومون النهار تزكية لنفوسهم، وتهذيبًا لأرواحهم، فظهرت تعاليمهم وأفكارهم ونظرياتهم ولا يستطيع أحد إنكار ذلك.

وبعد ترجمة الكتب الفلسفية إلى اللغة العربية دان بعضهم بمبادئ فلسفية، فظهرت

(1) هو: منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي السمعاني المروزي أبو المظفر، الحنفي ثم الشافعي، الإمام العلامة مفتي خرسان وشيخ الشافعية، ووحيد عصره في وقته فضلاً وطريقة، من مؤلفاته: القواطع في أصول الفقه، الانتصار بالأثر، المنهاج لأهل السنة، توفي سنة (489هـ). سير أعلام النبلاء 114/19. انظر: طبقات الشافعية لابن السبكي 21/4.

(2) فتح الباري 388/12 - 389.

(3) انظر: العقائد النسفية بشرح سعد الدين التفتازاني ص41.

تعاليم ونظريات جديدة متأثرة بالفلسفة والثقافات المقتبسة من المذاهب المترجمة، والأديان المختلفة، وهؤلاء خرجوا عن الخط السليم وكوّنوا لهم فلسفة خاصة بهم، فكان هجوم أهل السنة على هؤلاء وعلى تعاليمهم، **فانقسم التصوف إلى قسمين:**

القسم الأول: القائم على البحث والدراسة والمتأثر بالنظريات الفلسفية، والترجمات اليونانية وبالأديان الأخرى، فتعسّف هؤلاء في تأويل آيات القرآن الكريم، وحاولوا إخضاعها لما يتفق ومبادئهم الجديدة، وخرجوا عن ظاهر النصوص القرآنية وأخضعوها لتعاليمهم التي لا تتفق ومراد الله تعالى، فتفسيرهم مبني على مُقدّمات ثابتة في أذهانهم، وجعلوا القرآن خاضعًا لهذه المقدمات، ونزلوا المعاني القرآنية عليها، وأن هذه المعاني هي المعاني الحقيقة، وليس هناك معنى آخر للآية(1). فتفسير هؤلاء وأمثالهم القائم على الثقافات المقتبسة من بعض المذهب غير الإسلامية القائمة على وحدة الوجود ووحدة الأديان، والنظريات الفلسفية مرفوض مردود، لأنه يخرج القرآن عن هدفه لتحقيق ما ارتكز في ذهنه من مقدمات.

القسم الثاني: التصوف العملي القائم على الزهد والصفاء، وعلى مسلك رسول الله ﷺ، وصحابته الكرام -رضوان الله عليهم- وهو التصوف القائم على رياضيات رُوحية مع الله سبحانه وتعالى حتى يصل إلى حالة يفيض على قلبه بعض الإشارات والفيوضات الإلهية في تأويل الآيات القرآنية، وهذه الفيوضات وهذه المعاني لا تنكر المعنى الظاهر ولا تلغيه، بل يمكن التوفيق بينهما وبين الظواهر المُرادة.

فالنصوص على ظواهرها ولكن فيها إشارات خفيّة إلى دقائق تنكشف على أرباب هذا المسلك دون مقدمات ومبادئ مُنقدحة في أذهانهم كما هو الحال عند المفسرين الباطنيين

(1) انظر: التفسير والمفسرون 352/2.

الذين يعتنقون المبادئ الفاسدة التي لا تتفق مع الشريعة، أو المفسرون الذين تعسّفوا في تأويل الآيات القرآنية للربط بينها وبين المقدمات والفلسفات التي يعتقدونها.

فهؤلاء المتصوفة وغيرهم من الزهاد السالكين[1] طريق رسول الله ﷺ الملتزمين بالشريعة، والمطبقين لأوامر الله تعالى، والذين لا يخرجون عنها وعن سنة رسول الله ﷺ قَيْد أنملة؛ هم الذين يقع في قلوبهم الفيض، ويُسمّى تفسيرهم بالتفسير الإشاري أو الفيضي.

فَهُم علماء أتقياء بررة، ذووا عقائد سليمة، وأصحاب ورع وزهد وتقوى ومحاسبة للنفس، وبذل للمعروف، وكف للأذى، بعيدون عن الجهل والظلام والبدع والأهواء[2].

قال القشيري -رحمه الله- عن هؤلاء الصوفية: «مُجمعون على تعظيم الشريعة، مُتصفون بسلوك طرق الرياضة، مُقيمون على متابعة السُّنة، غير مُخلّين بشيء من آداب الديانة، مُتفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات، ولم يبن أمره على أساس الورع والتقوى كان مفتريًا على الله سبحانه وتعالى فيما يدّعيه، مفتونًا هلك في نفسه، وأهلك من اغترَّ به ممن ركن إلى أباطيله»[3].

وهؤلاء من العلماء الربانيين يدركون من الحقائق ما لا يدركه سواهم، ويعرفون من المعاني بتعليم رباني لا يتأتى عن طريق العلم والاستدلال، وإنما يتأتى عن طريق الكشف مع الاستقامة والورع، هذا العلم النوراني الذي ينشرح له القلب ويزداد به اليقين، وهو ما بيّنه النبي ﷺ في تفسيره لشرح الصدر في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ

---

(1) السالكون جمع سالك، والسالك: هو السائر إلى الله تعالى، المتوسط بين المريد والمنتهي ما دام في السير. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني 119.

(2) انظر: الاتجاه الإشاري في تفسير القرآن الكريم لعبد الرحيم الزقة 179 ـ 181.

(3) الرسالة القشيرية 352/1.

صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾[1]، فعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ النُّور إذا دخل الصّدر انفسحَ**»، فقيل يا رسول الله: هل لذلك من علم يعرف، قال: «**نعم التّجافي عن دار الغُرور والإنابةِ إلى دار الخلُود والاستعداد للموت قبل نزوله**»[2].

قال ابن القيم -رحمه الله-: فهذه الإشارات لا تنال إلا بصفاء الباطن وصحة البصيرة[3] وحسن التأويل[4].

وقال الزركشي[5] -رحمه الله-: «اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة،

(1) سورة الأنعام: 125.

(2) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره 353/5، والحاكم في المستدرك واللفظ له 346/4، والبيهقي في شعب الإيمان 352/7، وابن أبي شيبة في مصنفه 77/7، وسعيد بن منصور في سننه88/5، قال الدارقطني في الكلام على الحديث: الصواب عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر عبد الله بن المسور مرسلًا عن النبي ﷺ. العلل189/5، وقد ذكر ابن كثير الروايات في الحديث المرسلة والمتصلة ثم قوّاها فقال: فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يُشد بعضها بعضًا. تفسير القرآن العظيم 176/2، وصرّح السيوطي بأن الحديث صحيح أو حسن لشواهده فقال: له شواهد كثيرة متصلة ومرسلة يرتقي بها إلى درجة الصحة أو الحسن . الإتقان في علوم القرآن 574/2.

(3) البصيرة: تنور العقل بنور الحق، حتى يشهد جميع الأشياء منه، ويشهد عدله في الهداية والإضلال، واختلاف الأقسام، وبرّه في التضييق والإحسان. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية 292.

(4) مدارج السالكين 418/2.

(5) هو: محمد بن بهادر بن عبد الله، أبو عبد الله، بدر الدين، الزركشي، فقيه شافعي أصولي. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في عدة فنون منها: البحر المحيط في أصول الفقه، وإعلام الساجد بأحكام المساجد، والديباج في توضيح المنهاج في الفقه، توفي سنة(794هـ). الدرر الكامنة لابن حجر 397/3، الأعلام للزركلي 286/6.

ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة، وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر أو هوى، أو حب الدنيا، أو غير مُتحقق الإيمان أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر، أو يكون راجعًا إلى معقوله، وهذه كلها حُجب وموانع بعضُها آكد من بعض»[1].

وعلى كلٍّ فالناظر إلى المعاني الإشارية التي استخرجها السادة الصوفية والعلماء الربانيين يشعر أن كل صغيرة وكبيرة في علوم التصوف السُني لها أصل من القرآن الكريم، ويتجلّى ذلك بصفة خاصة حيثما ورد المصطلح الصوفي صريحًا فى النصَّ القرآنى كالذكر والتوكل والرضا، والولي والولاية والحق والظاهر والباطن، والقبض والبسط... إلخ فلا تملك إلا أن تحكم أن الصوفية قد استمدوا أصولهم وفروعهم من كتاب الله الكريم، وأن علومهم ليست غريبة ولا مستوردة كما يحلو لبعض الباحثين حين يتهمون التصوف الإسلامى بالتأثر بالتيارات الأجنبية: اليونانية والفارسية والهندية والمسيحية ونحوها، فما أنصف من ألصق التُّهم ولم يُمحّص النقول، ولم يفرّق بين المنهجين المختلفين في الأصول والفروع[2].

(1) البرهان 18/2.

(2) انظر: مقدمة لطائف الإشارات لإبراهيم بسيوني 6/1.



الباب الأول

المعاني الإشارية في السنة النبوية، وحكمها وأنواعها وضوابطها.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول:

تعريف الإشاري لغة واصطلاحاً، وعلاقته بالتفسير والتأويل، واستنباطه.

الفصل الثاني:

أنواع المعاني الإشارية.

الفصل الثالث:

حكم المعاني والتفسير الإشاري في القرآن والسنة، وأقوال العلماء فيها وأدلتهم وضوابطها.





الفصل الأول

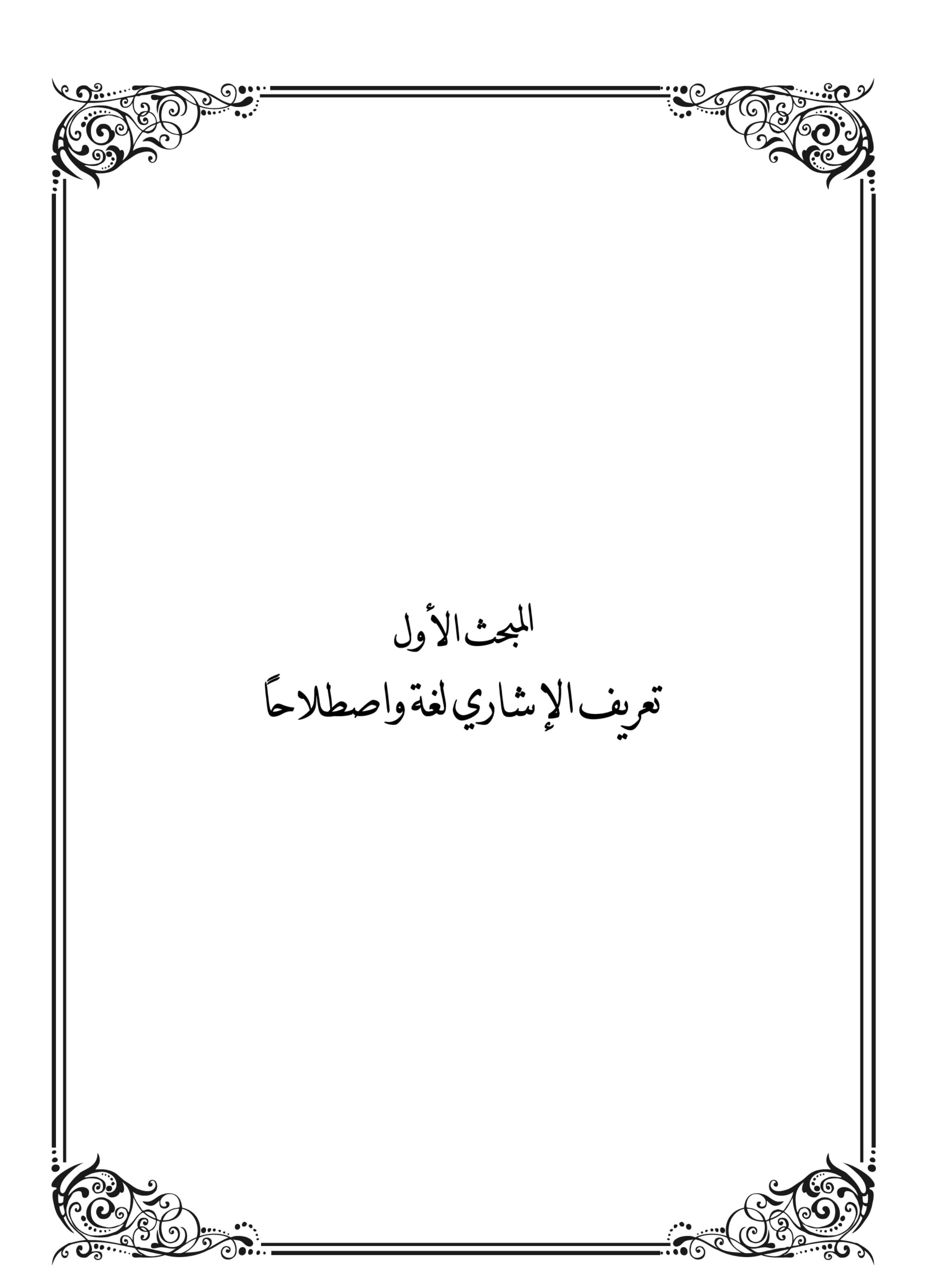
تعريف الإشاري لغة واصطلاحاً، وعلاقته بالتفسير والتأويل، واستنباطه.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:
تعريف الإشاري لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني:
علاقة الإشاري بالتفسير والتأويل.

المبحث الثالث:
استنباط المعاني الإشارية.



المبحث الأول

تعريف الإشاري لغة واصطلاحاً

المبحث الأول
تعريف الإشاري لغة واصطلاحاً

أولًا: تعريف الإشارة لغةً:

الإشارة: الإيماء مصدر أومأ يُومئ، تقول أشار إليه، وشوَّر: أومأ ويكون ذلك بالكف وبالعين وبالحاجب، وأشار الرجل: إذا أومأ بيديه(1)، ويقال: أشار عليه بكذا: أمره، وهي الشورى(2)، قال الجاحظ(3): الإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة:

العينُ تُبْدي الذي في نفسِ صَاحبها * مــن المحبــةِ أو بغــض إذا كانــا
والعــينُ تنطــق والأفــواهُ صَــامِتةٌ * حتى ترى مِنْ ضميرِ القلبِ تبْيانًا(4)

وكلمة الإشارة وما اشتق منها لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، وذلك في سياق حكاية قصة السيدة مريم عندما أتت قومها حاملة وليدها سيدنا عيسى -عليه السلام- وهو

---

(1) انظر: لسان العرب باب الراء، فصل الشين 434/4، مادة شور.
(2) انظر: القاموس المحيط 67/2، مادة شور.
(3) هو: عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ، من أهل البصرة، أحد شيوخ المعتزلة، له كتاب البيان والتبيين، وكتاب الحيوان، وكتاب العرجان والبرصان والقرعان، توفي في المحرم سنة (255هـ) وقد جاوز التسعين. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة 228/2، وسير أعلام النبلاء 526/11.
(4) البيان والتبين 78/1.

قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠﴾[1]، فالإشارة المذكورة في الآية «أشارت إليه» حسيّة قد تكون أداتها الكف أو الرأس أو غير ذلك.

والإشارة تنقسم إلى قسمين: حسيّة وذهنية، فالحسية ما تكون في معاني أسماء الإشارة، وأما الذهنية فهي ما يتضمنها الكلام في معانيه الكثيرة، بحيث لو عبّر عنها لاحتاجت إلى ألفاظ كثيرة، وهذا ما ينطبق على التفسير الإشاري. فالحسي ما يكون في معانيه الخفيّة التي تظهر لأهل التقوى والصلاح، وقد تكون إشارات جليّة تضمنتها الآيات التي تشير على كثير من العلوم الحديثة الاكتشاف، وهو الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في هذا العصر[2].

ثانيًا: تعريف الإشارة اصطلاحًا:

عُرِّفت الإشارة بتعريفات كثيرة لا تختلف في مضمونها نذكر منها:

1ـ التلويح بشيء يفهم منه النطق[3].

2ـ الثابت بنفس الصيغة من غير أن يسبق له الكلام[4].

3ـ المعاني التي تشير إلى الحقيقة من بُعد، سببها صفاء يحصل بالجمعية، فيستيقظ الذهن لإدراك أمور لطيفة[5].

(1) سورة مريم: 26ـ 30.

(2) انظر: أصول التفسير وقواعده للعك 206.

(3) انظر: التوقيف على مهمّات التعريف 65.

(4) التعريفات للجرجاني 22.

(5) انظر: مدارج السالكين لابن القيم 416/2.

4ـ معانٍ ومواَجيد يجدونها عند التلاوة، والمواجيد: هي ما تجده القلوب من الإلهامات الإلهية وهي ثمرة الأوراد[1].

5ـ دلالة اللفظ الوارد في النص الشرعي على معنى خفي[2].

6ـ تأويل النص الشرعي بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضًا[3].

ومن خلال التعريفات السابقة لأهل العلم للإشارة اصطلاحًا يمكن أن نعرّفها وفق التعريفين الأخيرين: بأنها دلالة اللفظ الوارد في النص الشرعي على معنى خفي يظهر لأرباب السلوك والتصوف يمكن الجمع بينه وبين الظاهر المراد.

وهذا التعريف يجمع بين ثلاثة أمور لابد منها:

أولًا: وجود قرينة في النص الشرعي كتابًا أو سنة وهو المعنى الظاهر -المشير- يدل على المعنى الإشاري الذي يفهمه المتأمل من النص -المشار إليه-، وهذا هو المراد من دلالة اللفظ الوارد في النص الشرعي على معنى خفي.

ثانيًا: ظهور الإشارات لأهل العلم الراسخين الذين جمعوا بين العلم والخشية وليس لكل أحد.

ثالثًا: إمكان الجمع بين المعنيين الظاهر والمعنى الإشاري الجديد وهو الباطن.

فمصطلح الإشارة من المصطلحات التي استخدمها العلماء الربانيون بوصفه ملاذًا لهم في التعبير عن مشاهدات قلوبهم ومكاشفاتها، وسبب ذلك كما قال الكلاباذي -رحمه الله- أن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق بل تعلم

(1) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي 60/3.

(2) انظر: روح المعاني 17/1.

(3) انظر: مناهل العرفان للزرقاني 56/2، ومثله في التبيان في علوم القرآن للصابوني 191.

بالمنازلات والمواجيد، ولا يعرفها إلّا من نازل تلك الأحوال وحل تلك المقامات[1].

فالنص القرآني والنبوي تحتجب وراءَ دلالاته اللفظيةِ أفكارٌ عميقةٌ ومعانٍ دقيقة، ومعاني النص لا تتناهى عند المعاني الظاهرة من الألفاظ اللغوية بل هناك معان وراء هذه الألفاظ يكشفها الله تعالى لقلوب أصفيائه.

هذه الإشارات الخفية التي تظهر للمتأمل أثناء تلاوته للقرآن الكريم وقراءته للحديث الشريف ثم يعبّر عنها بلغة مقروءة هو ما يُسمّى بالإشاري، وذلك أنهم حين يتكلمون على الآية أو الحديث يُقرّون المعنى اللفظي ويأخذون بأقوال العلماء من المفسرين والمحدثين ثم يستنبطون منها بعد ذلك معنىً إشاريًّا يتصل بما يفيضون فيه من مقامات وأحوال وأسرار[2].

مصطلح الإشارة عند الصوفية

لا يخفى أن المرء إذا سمع كلامًا عربيًّا تبادر إلى ذهنه ما يدل عليه الكلام بحسب وضعه العربي، فإذا تأمله وتدبره وأمعن النظر فيه فقد يفهم منه مقاصد مطوية وأغراضًا خفية، فالمدلول الأول هو ظاهر الكلام، ويكاد يدركه كل عارف باللغة، والمفهوم الثاني هو باطنه وهو لا يدرك إلا بشيء من التدبر والتأمل[3].

وقد كانت الإشارة عند العلماء الربانيين هي السبيل للوصول إلى ذلك الباطن المستتر وراء أسوار الظاهر، وفي هذا دلالة على أن إبراز الباطن وإظهاره يقتضي أن يمرَّ المفسّر بمرحلة الظاهر، حتى يكون وصوله إلى الباطن مأمون العاقبة.

وقد صرّح بما تقدّم الإمام الغزالي -رحمه الله- بقوله: «ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن ادّعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر كمن يدعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب، أو يدعي فهم مقاصد الأتراك

(1) انظر: التعرّف على مذهب التصوف 87.

(2) انظر: اللمع للطوسي 170.

(3) انظر: أصول التشريع الإسلامي لحسب الله 56.

من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك»[1].

فالإشارة التي يذكرها السادة الصوفية وغيرهم من العلماء الربانيين هي أحد الأركان الثلاثة التي نتوصل بها إلى معرفة المعاني الإشارية وهي كما يأتي[2]:

1ـ **المُشير:** وهو الدلالة الظاهرة للعبارة القرآنية أو النبوية وهي التي يتوقف عندها المفسرون وشرّاح الأحاديث من أهل العلم شارحين إياها ومبينين، وهذا هو: الفهم الظاهر.

2ـ **المشار إليه:** وهو الفهم الذي يدركه العالِـم من خلال إشارة المشير، وهذا هو: الفهم الباطن.

3ـ **العلاقة الرابطة بينهما:** وهذه العلاقة في حقيقتها هي ما يَنقدح في ذهن المفسر أو المحدّث من صلة بين المعنى الظاهر للنص الشرعي الذي يشتمل على هذه اللفظة الواردة في سياق النص، وبين المعنى الذي أدركه العالِـم أثناء تلاوته للقرآن أو قراءته للحديث.

ومعلوم أن الإشارة التي يذكرها العالم الرباني تختلف باختلاف درجة أو حال العالم، فكل عالِـمٍ ينكشف له من الإشارات والمعاني والرقائق بحسب ما منحه الله تعالى له من الاستعداد الروحي، وما وهبه الله تعالى من الأسرار بحسب تقواه وصفاء قلبه.

نموذج من القرآن الكريم للإشارة:

يقول الله تعالى: ﴿ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤ ﴾[3]، نقل الطوسي عن أبي يزيد البسطامي[4] في تفسير الآية قوله: «أراد كذلك

(1) إحياء علوم الدين 343/1.

(2) انظر: العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي 178، فقد أشار للأركان الثلاثة، وبحث: حول مفهوم مصطلح الإشارة ودلالته عند الصوفية للدكتور حسين علي عكّاش 11.

(3) سورة النمل: 34.

(4) هو: طَيْفُور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البسطامي أبو يزيد، الزاهد المشهور، وله مقالات كثيرة =

أن عادة الملوك إذا نزلوا قرية أن يستعبدوا أهلها، ويجعلوهم أذلة لهم، ولا يقدرون أن يعملوا شيئًا إلا بأمر الملك وكذلك المعرفة إذا دخلت القلب لا تترك فيه شيئًا إلّا أخرجته ولا يتحرك فيه شيء إلا أحرقته»[1].

فأركان الإشارة توفرت في تفسير أبي يزيد البسطامي وهي كما يأتي:

1ـ **المشير:** وهو أن عادة الملوك إذا نزلوا قرية أن يستعبدوا أهلها ويخربوها، وهذا المعنى الظاهر.

2ـ **المشار إليه:** وهو أن دخول المعرفة القلب، فإنها لا تترك فيه شيئًا إلا أخرجته، فلا يبقى إلا معرفة الله تعالى، وهذا المعنى الباطن.

3ـ **العلاقة بينهما:** وهي علاقة المشابهة بين الملوك وما يفعلونه من اضطهاد واستعباد لأهل القرى التي يدخلونها، وبين المعرفة التي إذا ما حلّت بقلب أحد أحرقت كل شيء فيه.

نموذج من السنة المشرفة للإشارة

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا رَاحَ أحدُكم إلى الجُمُعَةِ فلْيَغْتَسِلْ**»[2].

قال أحمد الرفاعي[3] -رحمه الله-: «هذا الحديث الشريف فيه من إعظام مناجاة الله:

=

ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة، قال شمس الدين ابن خلكان: توفي سنة (261هـ). انظر: حلية الأولياء 33/10، وسير أعلام النبلاء 86/13، وطبقات الصوفية للأزدي 73.

(1) اللمع 128.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: الجمعة، باب: فضل الجمعة ح842.

(3) هو: أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة، أبو العباس بن أبي الحسن بن الرفاعي المغربي، وكان مولده في المحرم سنة خمسمائة، الشيخ الزاهد الكبير، أحد أولياء الله العارفين، والسادات المشمّرين أهل الكرامات الباهرة، من مؤلفاته: أهل الحقيقة مع الله، والصحيفة النادرة، =

الغاية، فإن العبد إذا صلَّى ناجى ربه، سيّما في يوم الجمعة ومشهدها، فإنه من أعظم مشاهدة الحضرة، والاغتسال: عبارة عن غسل القلب والقالب من الوجودات، هذا مع ما فيه من فضيلة التطهر الشرعي، وهذا سرٌّ من أسرار الاغتسال، ولم يكن من حكم شرعي، وإلا وفيه من الأسرار الباطنة والظاهرة ما تحار له العقول!»(1).

ولتوضيح المعنى الإشاري الذي ذكره الإمام الرفاعي من خلال بيان الأركان الثلاثة فيما يأتي:

1ـ **المشير:** طلب غسل الجسم من الأدران الحسية الموجودة في البدن إذا أراد المسلم الذهاب لصلاة الجمعة(2).

2ـ **المشار إليه:** اعتناء المسلم بطهارة قلبه من درن أمراض القلوب بالتوبة والاستغفار خصوصًا يوم الجمعة.

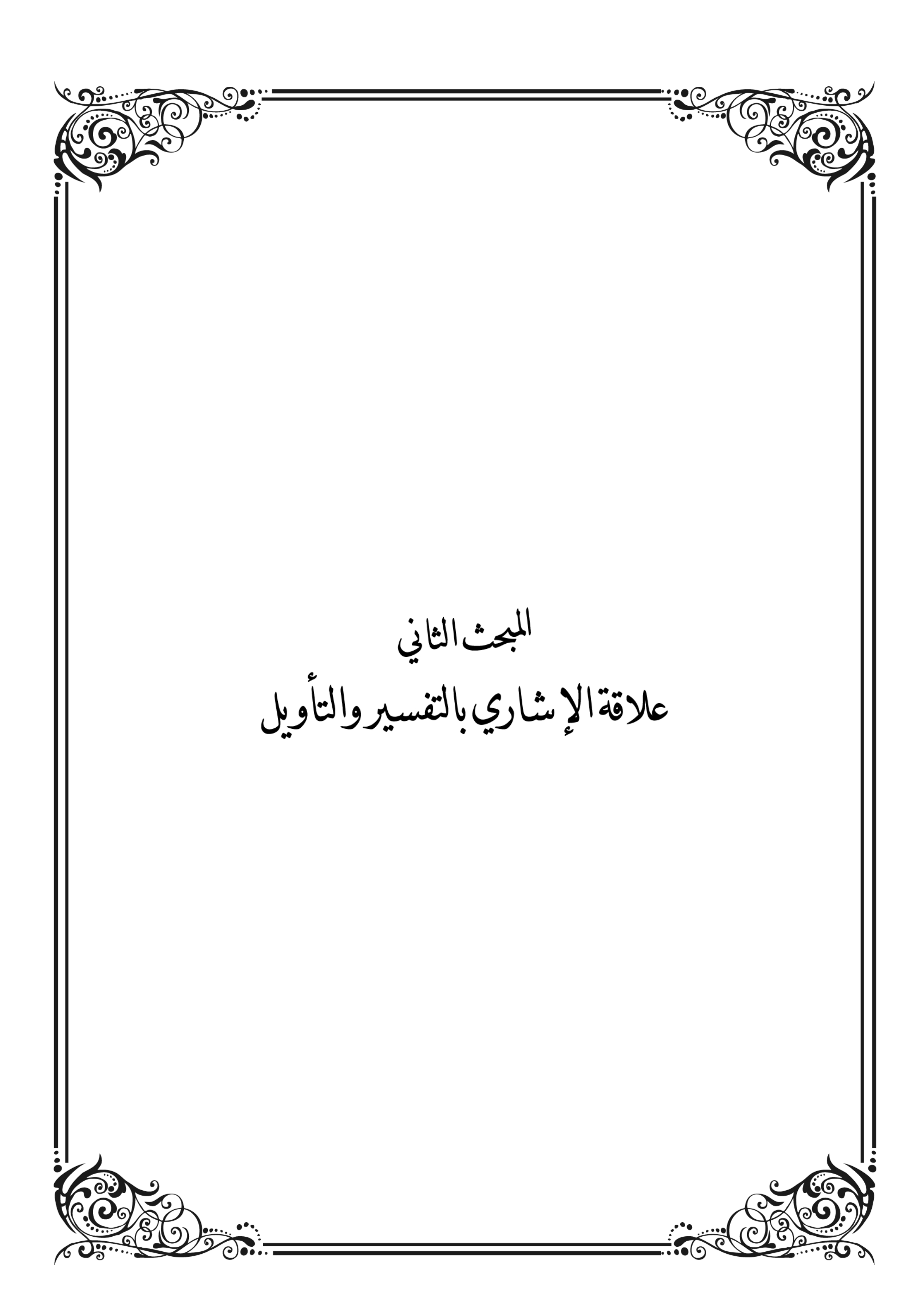
3ـ **العلاقة بينهما:** علاقة المشير والمشار إليه علاقة ارتباط وتشابه فإن التطهير يكون للبدن والقلب، وللظاهر والباطن وكل منهما مطلوب شرعًا لما فيه من الاستعداد لمناجاة الخالق سبحانه وتعالى.

=

توفي يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى سنة (578هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى 23/6، وسير أعلام النبلاء 77/12، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان 409/3.

(1) حالة أهل الحقيقة مع الله تعالى 137.

(2) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري 360/2.



المبحث الثاني
علاقة الإشاري بالتفسير والتأويل

المبحث الثاني
علاقة الإشاري بالتفسير والتأويل

انطلاقًا من الشريعة الغرّاء التي رغّبت وحثّت على التأمل والنظر الثاقب في الوحي المتلو وغير المتلو، أيقن العلماء الربانيون أن المقصود من ظواهر النصوص الشرعية ليس الوقوف عندها فقط دون وقفة إمعان، والخوض في أغمارها واستخراج مقصودها، بل رأوا أن النصوص على ظاهرها ولكنها في الوقت ذاته تتضمن إشارات خفية ومعان دقيقة. والطريق الآمن والأسلم إلى المعاني الخفية والإشارات هو معرفة المعنى الظاهر أولًا وقبل كل شيء، حتى يكون الوصول إلى الباطن مأمون العاقبة.

وتقدّم أن الإشارة تقتضي وجود ثلاثة أركان: مشير وهو ظاهر العبارة، ومشار إليه وهو الفهم الباطن الذي لولا وجود المشير وهو الظاهر لما تم التوصل إليه، ثم تأتي العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه، وممّا تقدّم يمكن أن نبيّن الفرق والعلاقة بين الإشاري والتفسير والتأويل.

أولًا: الإشاري والتفسير

قبل أن نعرف الفرق بينهما لابد من تعريف التفسير لغةً واصطلاحًا.

التفسير لغةً: الكشف والبيان، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾[1] أي: بيانًا وتفصيلًا، وهو مأخوذ من الفَسْر: وهو الإبانة والكشف،

(1) سورة الفرقان: 33.

يقال: فَسَرْتُ الشيء أَفْسِرهُ -بالكسر- فَسْرًا، وفَسَّرَه: أبَانَه[1].

التفسير اصطلاحًا: هو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتمات لذلك[2].

وذكر السيوطي -رحمه الله- تعريفًا آخرًا فقال: «هو علم يُفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه سيدنا محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والصرف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ»[3].

نلاحظ من تعريف التفسير أن هناك فرقًا بين التفسير والإشاري، فالتفسير عبارة عن بيان المعنى الظاهر وفهم مدلولات الألفاظ بناءً على قواعد التفسير، فليس فيه انصراف عن المعنى الظاهر إلى معنى آخر خفي لا يدل عليه المعنى الظاهر دلالة واضحة، بخلاف الإشاري.

فالمعاني الإشارية لا تُعدُّ من باب التفسير في اصطلاح المفسرين، لأن بيان المعنى الظاهر هو التفسير وما وراء ذلك من معانيه الخفيّة والباطنة هو من الإشاري.

وكذلك فإن من ضوابط التفسير تناسقه مع السياق، وكل معنى صحيح أُلحق بالنص الشرعي وهو لا ينتظم مع سياقه وله وجه ارتباط به، فإنه لا يدخل في باب التفسير وإنما من باب الإشاري والاستنباطي.

ويمكن أن يطلق على الإشاري عند أهل العلم تفسيرًا بناءً على المعنى اللغوي للتفسير الذي يفيد الكشف والبيان والإيضاح، إذ العلماء أثناء كلامهم على معاني القرآن الكريم والسنة المطهّرة يكشفون عن معان وأسرار كامنة وراء المعنى الظاهر، فإطلاق المعاني

(1) انظر: مختار الصحاح 99/2، ولسان العرب 55/5، مادة (فَسَرَ).

(2) انظر: البحر المحيط لأبي حيان 13/1.

(3) انظر: الإتقان للسيوطي 222/2، والتفسير والمفسرون للذهبي 14/1.

الإشارية للقرآن أو السنة تفسيرًا ينبغي أن يفهم أن هذه التسمية هي من باب معناها اللغوي وليس الاصطلاحي المعروف بقواعده المبينة في كتب التفسير والحديث[1].

ثانيًا: الإشاري والتأويل:

نذكر تعريف التأويل في اللغة والاصطلاح لندرك الفرق بينه وبين الإشاري.

التأويل لغةً: الرجوع، والمصير، والتدبر، وقد جاء التأويل بمعان مختلفة في القرآن الكريم[2].

التأويل اصطلاحًا: هو صرف الظاهر من اللفظ إلى معنى آخر يحتمله اللفظ لوجود دليل يُؤيّد هذا الانصراف[3].

وعُرّف التأويل أيضًا بأنه: صرف الآية -أو الحديث- عن مدلولها الظاهر إلى ما تحتمله من المعاني الموافقة لما قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة[4].

ومن خلال تعريف التأويل نجد فرقًا بينه وبين الإشاري، فالتأويل اصطلاحًا صرف الظاهر من اللفظ إلى معنى آخر محتمل ويرى المتأول أنه المراد، وهذا لا ينطبق على معالجة العلماء الربانيين للكتاب والسنة، إذ أنهم لا يصرفون اللفظ عن ظاهره بل إنهم يؤكدون المعنى الظاهر، وفي الوقت ذاته يكشفون عن معنى خفي بطريق إشارة ذلك الظاهر، فالظاهر والباطن عندهم شيئان مترابطان يُكملان بعضهما بعضًا.

ومن هنا لا نستطيع أن نُسمي عمل العلماء الربانيون تأويلًا بمعناه الاصطلاحي لوجود الفارق الذي تقدّم.

أمّا إذا نظرنا إلى معنى التأويل في اللغة السابق فإننا نجده يدل على الرجوع والمصير، وهذا

---

(1) انظر: بحث «التفسير الصوفي الإشاري للقرآن الكريم» للدكتور حسين علي عكاش 48.

(2) انظر: الصحاح 1627/3، ولسان العرب 32/11، مادة (أول)، ومفردات القرآن للراغب 31، 32.

(3) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي 18/1.

(4) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي 166/2، والإتقان للسيوطي 221/2.

يمكن أن ينطبق على كلام العلماء الربانيين في إشاراتهم للقرآن والسنة، لأن فيه رجعًا وصيرورة إلى معنى خفي إلى جانب المعنى الظاهري، ويكون ذلك مبنيًا على تدبر وتأمل[1].

نبيّن ما سبق بنموذجين من القرآن الكريم والسنة المشرفة فيما يأتي:

نموذج من القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾[2]، قال سيدنا أبي أمامة -رضي الله عنه- في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ قال: هم الخوارج[3].

وتوضيح هذا المعنى الإشاري الذي ذكره الصحابي الجليل مع ذكر أركانه الثلاثة فيما يأتي:

1ـ **المشير:** ظاهر الآية أن قوم موسى لمَّا أزاغوا عن دين نبيهم وهديه أزاغ الله قلوبهم فكفروا به وآذوه.

2ـ **المشار إليه:** بسبب زيغ الخوارج عن هدي الدين أزاغ الله تعالى قلوبهم لمشابهة اليهود من هذه الحيثية.

3ـ **العلاقة الرابطة بينهما:** علاقة المشير والمشار إليه بينهما علاقة ارتباط وتشابه في الانحراف عن هدي تعاليم الأنبياء، وترك ما جاؤا به فقد زاغ وانحرف اليهود عن الحق وزاغ كذلك الخوارج عن الحق وكان الجزاء من جنس العمل بأن أزاغ الله تعالى قلوبهم.

الصحابي أبو أمامة -رضي الله عنه- صرف المعنى الظاهر -وهم اليهود- إلى معنى آخر خفي لا يدل عليه المعنى الظاهر بحسب سياق الآية، فليس هو تفسيرًا على قواعده

(1) انظر: بحث «التفسير الصوفي الإشاري للقرآن الكريم» للدكتور حسين علي عكاش 49.

(2) سورة الصف: 5.

(3) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن 86/28، وانظر: الجامع في أحكام القرآن للقرطبي 13/4.

المعروفة، وليس تأويلًا اصطلاحيًّا، لأن الصحابي -رضي الله عنه- ليس مراده أن المعْنيّ الأول بهذه الجملة هم الخوارج، بل يقول بظاهر الآية أنهم اليهود وينطبق أيضًا على الخوارج للعلاقة بينهما.

ثم المعنى الإشاري الذي فهمه الصحابي لا ينتظم مع سياق الآية فليس هو تفسيرًا، ولو أردتَ أن تُسبِك المعنى على قول أبي أمامة -رضي الله عنه- لظهر لك اختلال النظم مع المعنى، فالمعنى لو كان كلام أبي أمامة تفسيرًا: وإذْ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وأنتم تعلمون أني مرسل إليكم من الله فلما زاغ الخوارج أزاغ الله قلوبهم. لكن لا يخفى هذا الخلل البيّن. وعلى هذا لا يحسن أن يُعد كلام أبي أمامة من التفسير.

نموذج من السنة النبوية

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا هجرةَ بعدَ الفتح**»(1).

قال عيدروس بن عمر الحبشي(2) -رحمه الله- بعد ذكره الحديث: «مِنْ معنى ذلك: أنّ السَّالك إلى الله إذا وقع على جَليّة الحقِ وحصلَ على رتبة الشُهود والوصال لا عاد -لم يعد- يحمل عليه هجرٌ بعد ذلك ولا إبعاد»(3).

---

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: فضائل الصحابة، باب: هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة ح3686.

(2) هو: عيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشي، الإمام الجليل المسند، كان مُسنِد حضرموت في عصره، واشتهر بهذا الفن، وكانت له رحلات عديدة في طلب الشيوخ والأخذ عنهم، وبلغ عدد شيوخه أكثر من مئتي شيخ منهم: والده، وعبد الله بن عمر بن يحيى، وعبد الله بن أحمد باسودان، من مؤلفاته: عقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية بذكر طريق السادات العلويّة وما لهم من الإسنادات القويّة، ومنحة الفتاح الفاطر في ذكر أسانيد السادة الأكابر، توفي بالغرفة بحضرموت سنة (1314هـ). انظر: مقدمة كتابه عقد اليواقيت 9/1، وفهرس الفهارس للكتاني 866/2، والأعلام للزركلي 99/5، ومعجم المؤلفين لكحالة 17/2.

(3) الفيوضات الربانية من أنفاس السادة العلوية 217.

بيان المعنى الإشاري الذي ذكره الحبشي من خلال أركانه الثلاثة، ثم توضيحه فيما يأتي:

1ـ **المشير:** النهي من الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنوّرة بعد فتح النبي ﷺ لمكة المكرمة، لانتفاء الاستضعاف بمكة، وكذلك لا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون وهذا المعنى الظاهر(1).

2ـ **المشار إليه:** أن العبد السالك إلى الله تعالى ورحمته إذا وقع على جليّة الحقِّ وحصل له من الفتح الرباني فإنه حينئذٍ في رتبة الشهود والوصال فيمنع من الهجر والإبعاد والطرد بل هو قريب من ربه سبحانه، وهذا المعنى الباطن.

3ـ **العلاقة الرابطة بينهما:** علاقة المشير والمشار إليه علاقة ارتباط وتشابه في معنى الهجرة، فإنها بمعنى الابتعاد فكما أن الهجرة ممنوعة بعد فتح مكة المكرمة، كذلك من فتح الله عليه مواهبه فإنه ممنوع من الهجر والإبعاد.

فالمعنى الإشاري الذي ذكره الحبشي -رحمه الله- ليس تفسيرًا ولا تأويلًا، وإنما هو معنى خفيٌّ استنبطه عن طريق الإشارة للعلاقة بين المعنى الظاهر والمعنى الباطن، وإلّا فإن سياق الحديث بالمعنى الباطن لا يستقيم فلو قلنا إن معناه: لا هجر ولا بُعد بعد فتح النبي ﷺ لمكة المكرمة.

والمعنيان الظاهر والباطن عند الحبشي كلاهما صحيحان ويكمل أحدهما الآخر فليس ذلك تأويلًا بمعناه عند المفسرين أو الأصوليين.

وعلى كلٍ يمكن أن نطلق على المعاني الإشارية التي يستنبطها العلماء الربانيون من الآيات الكريمة أو الأحاديث النبوية تفسيرًا أو تأويلًا لكن ذلك ارتكازٌ على المعنى اللغوي لا على المعنى الاصطلاحي.

وهذا ما صرّح به جماعة من أهل العلم منهم الإمام القشيري -رحمه الله- عند تفسيره

(1) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري 190/6.

لقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾[1]، حيث ذكر أولًا معنى هذه الآية على لسان أهل التفسير فقال: «وعلى لسان أهل التفسير...» فذكر كلامهم ثم قال: «وعلى طريق الإشارة لا على معنى التفسير والتأويل...»[2].

وقال الزركشي -رحمه الله- نقلًا عن بعض أهل العلم: «فأما كلام الصوفية في تفسير القرآن، فقيل ليس تفسيرًا، وإنما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة، كقول بعضهم في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾[3]، إن المراد النفس، فأُمرنا بقتال من يلينا، لأنها أقرب شيء إلينا وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه»[4].

وقال أحمد بن عجيبة[5] -رحمه الله-: «وأما تفسير أهل الباطن: فهو إشارة لا تفسير»[6].

---

(1) سورة البقرة: 37.

(2) لطائف الإشارات للقشيري 82/1.

(3) سورة التوبة: 123.

(4) البرهان في علوم القرآن 311/2، وقد صرّح جماعة من أهل العلم أن المعاني الإشارية ليست تفسيرًا ولا تأويلًا، منهم: السيوطي، وابن عجيبة، وابن عاشور، ومحمد الذهبي. انظر: الإتقان 485/2، وإيقاظ الهمم 212، 366، والتحرير والتنوير لابن عاشور 36/1 والتفسير والمفسرون 366/2. ومن قال بأنه تأويل أو تفسير فإنما هو على سبيل المجاز أي: من حيث اللغة -والله أعلم-.

(5) هو: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، العالم العارف بالله، أبو العباس، ولادته كانت سنة (1161هـ) صاحب التفسير الشهير، وحاشية الجامع الصغير للسيوطي، وشرح البردة والهمزية، والأربعين حديثًا في الأصول والفروع، وطبقات الفقهاء المالكية إلى زمانه على ترتيب وجودهم، وشرح الحصن، وتأليف في الأذكار النبوية وغير ذلك، مات عند إسفار يوم الأربعاء 7 شوال سنة (1224هـ) بالطاعون. انظر: الأعلام للزركلي 245/1، معجم المؤلفين 163/2، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات للكتاني 854/2.

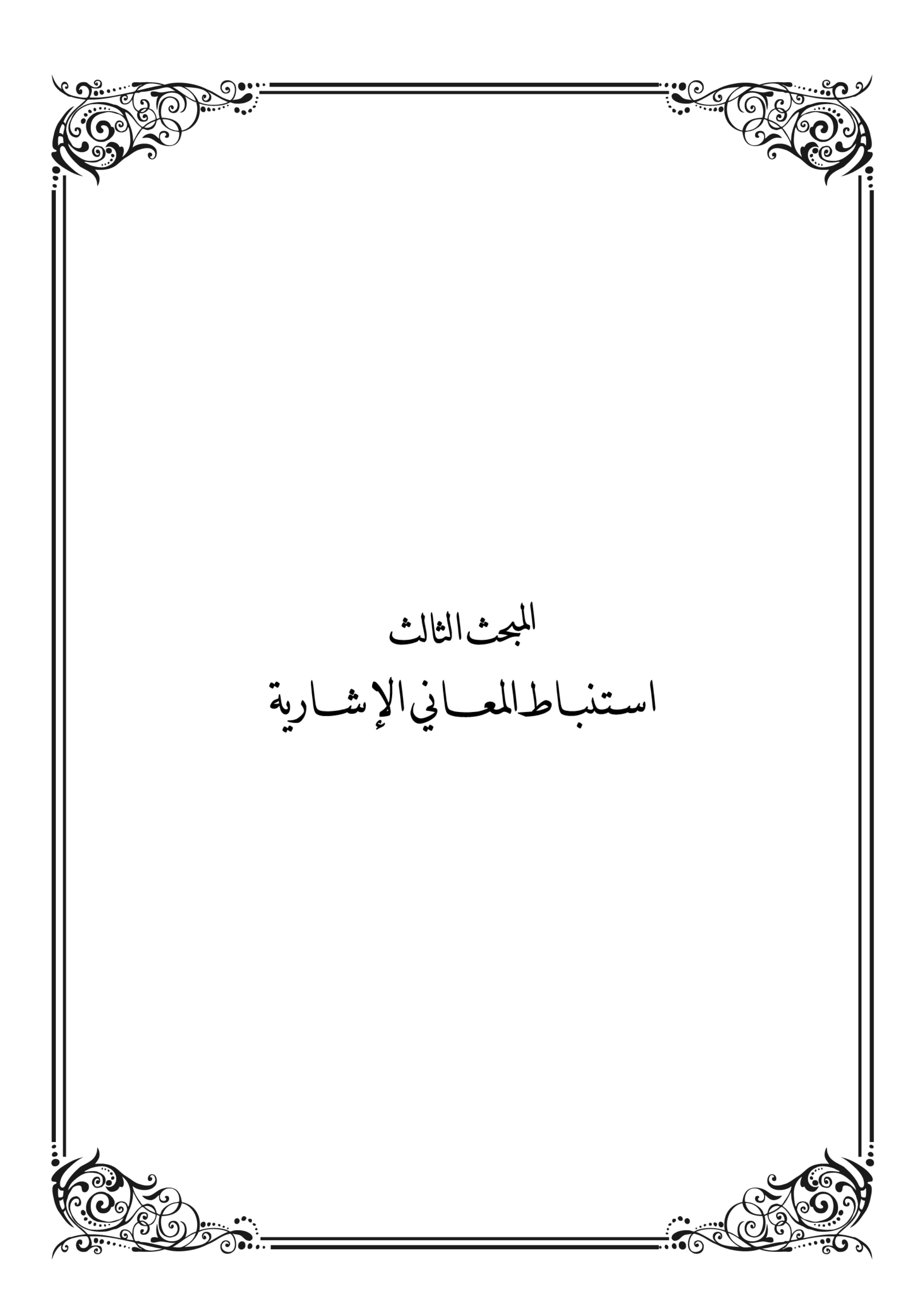
(6) إيقاظ الهمم في شرح الحكم 361.

وقال ولي الله الدهلوي[1] -رحمه الله-: «وأما إشارات الصوفية واعتباراتهم، فإنها في حقيقة الأمر ليست من علم التفسير، بل الواقع أنها تمر حال استماع القرآن الكريم خواطر على قلب السالك وتنكشف له أشياء، تنشأ من تفكيره في النظم القرآني أو الحالة التي يتصف بها أو المعرفة التي يملكها»[2].

من خلال ما سبق يتبين: أنَّ اصطلاحَ العلماء الربانيين في أقوالهم وعباراتهم ممّا يستخرجونه من الكتاب العزيز والسنة المطهرة بأنه إشاري اصطلاحٌ مُوفّق يُميّز منهجهم عن سائر المناهج، لأن هذا المصطلح يجمع بين الظاهر والباطن، وأنه لا باطن دون ظاهر يدل عليه كما لا حقيقة دون أن تكون مؤيدة بالشريعة.

(1) هو: أحمد بن عبد الرحيم، أبو عبد العزيز، الملقب شاه ولي الله، حنفي من أهل دهلي بالهند، فقيه وأصولي، ومحدّث ومفسّر، أحيا الله به وبأولاده وأولاد بيته وتلاميذهم الحديث والسنة بالهند بعد موتهما، وعلى كتبه وأسانيده المدار في تلك الديار، من تصانيفه: الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، وحجة الله البالغة، وفتح الخبير بما لا بد من حفظه في علم التفسير، توفي سنة (1179هـ). انظر: الأعلام للزركلي 144/1، وهدية العارفين 500/6، ومعجم المؤلفين 292/4.

(2) الفوز الكبير في أصول التفسير 190.



المبحث الثالث

استنباط المعاني الإشارية



المبحث الثالث

استنباط المعاني الإشارية

القرآن العظيم والسنة المحمدية معِينان لا ينضبان، منهما يَستقي المسلمون تعاليم الدين الإسلامي لإصلاح أحوالهم في الدارين، ولا يقدر كل أحد أن يستخرج منهما أحكامه وإرشاداته وحِكَمه ورقائقه إلّا من تأَهل لذلك.

وقد بذل العلماء جهودًا كبيرة لمعرفة آلية الاجتهاد وبيان أدواته وطرق الاستنباط، وما يستخرج ويستنبط من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية من معان وأحكام وفوائد يكون بطريقتين:

أولها: عن طريق دلالة الألفاظ: وهي دلالات ظاهرة كالعام والخاص والمطلق والمقيد، والأمر والنهي، والوجوب والندب، والإباحة، ودلالات خفيّة كدلالة الإشارة ودلالة الاقتران ودلالة المفهوم وغيرها.

وهذه الدلالات هي دلالات الألفاظ الوضعية التي اقتصر جمهور العلماء عليها ولم يعتبروا غيرها مستندًا للأحكام الشرعية، وهي تميّز بكونها تنضبط لاعتمادها على وضع الواضع، وما وضعه لا يختلف بحسب الأشخاص وتميز عن كلٍّ من الدلالة الطبيعية والعقلية بهذا الانضباط.

ولا يدخل ضمن هذا الطريق الإشارات التي يذكرها السادة الصوفية، إذ لا علاقة لغوية بين المعنى الإشاري وبين النص المستنبط منه، وإنما هي علاقة ارتباط وتشابه فقط.

ثانيها: من غير طريق دلالات الألفاظ السابقة، وإنما بطرق أخرى منها: الاستنباط من عادات النصوص الشرعية، كاستنباط الأدب في الحديث عن ما يستقبح ذكره من عادة

القرآن والسنة في الكناية عنه، والاستنباط بالقياس على المعاني، وذكر النظير بالنظير من باب الاعتبار.

ولا يخفى أن الطريق الأول هو لغويٌّ محض، والطريق الثاني قائم على الاجتهاد والاستنباط بالقياس واعتبار النظير بالنظير(1).

فالمعنى الإشاري الجديد الذي حصلَ ليس في اللفظ -أي: النص الشرعي- وإنما كان ذلك في الشيء الذي يدل عليه اللفظ والصورة الذهنية لذلك الشيء، فهناك أمور ثلاثة ينبغي التفريق بينها تتمثل في: اللفظ، والشيء، والصورة الذهنية، فكلمة «تفاحة» مثلًا لفظة تتكون من عدة أصوات، والشيء بالنسبة لكلمة تفاحة هي الفاكهة المعروفة لدينا، أما الصورة الذهنية فهي ما يتصوره كل منّا عند سماعنا لتلك الكلمة، فالربط الحقيقي يكون بين الشيء وصورته الذهنية، وما اللفظ إلا دليل أو رمز يشير إلى تلك العلاقة ويستجلبها(2)،

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية 240/13، والتحرير والتنوير لابن عاشور 30/1، والتفسير والمفسرون للذهبي 359/2.

(2) انظر: دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس 102، 103، ولا يخفى أن أهل الأصول وعلم الدلالة قد بينوا أن النسق الدلالي الوضعي هو الذي يكون فيه التلازم بين الدال والمدلول بسبب الوضع للغير،أي: جعل الدال بإزاء المدلول، بحيث إذا فُهم الدال فهم المدلول، فالدلالة في هذه الحالة هي قسمان، 1ـ دلالة وضعية غير لفظية: كدلالة العقود -وهو ما يعقد بالأصابع على كيفيات خاصة على كمّيات معينة من العدد-، ودلالة العلامات المنصوبة لمعرفة الطريق، 2- دلالة وضعية لفظية وهي كون اللفظ كلما أطلق فُهم منه معناه للعلم بتعيينه بنفسه بإزاء معناه المفهوم منه، وهي ثلاثة: مطابقة وتضمن والتزام. وأطلق بعضهم على الدلالة الوضعية غير اللفظية الدلالة أو العلاقة الرمزية، وتدل على المعنى الإيحائي وهو الذي يتعلّق بكلمات ذات مقدرة خاصة على الإيحاء نظرًا لشفافيتها، وهذا النوع من المعاني هي المعاني الإشارية التي تنطبع في ذهن العالم الصوفي، وليس لها علاقة بالدلالات اللفظية، وهذه العلاقة بين الدال والمدلول هي أدخل في باب الكناية، والكناية لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها فلا يمتنع في قولك: فلان طويل النجاد أن تريد طويل نجاده من غير إرتكاب تأويل مع =

قال حسين عكاش[1] مبيّنًا للعلاقة: «والمفسرون من الصوفية لم يُغيّروا في اللفظ المشير إلى تلك العلاقة وإنما حصل تغييرهم في الشيء أولًا ثم في صورته الذهنية ثانيًا، ولا نكاد نجد كلمات جديدة ابتكرها المتصوفة... فالتجديد إذًا الذي وقع كان في الشيء الذي يدل عليه اللفظ وفي الصورة الذهنية أي: بمعنى أنهم لم يتم تجديدهم في التوليد الصوري المرتبط بظهور متوالية جديدة بمعنى معجمي جديد مثلما هو الحال في المولّدات الناتجة عن عمليات الاشتقاق والتعريب والاقتراض والنحت وغيرها، وإنما كان في إطار التوليد الدلالي المرتبط بظهور معنى جديد بالنسبة لوحدة موجودة أصلًا في معجم اللغة»[2].

نموذج من القرآن الكريم في استنباط المعنى الإشاري

قال الله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾[3]، يقول سيدنا جعفر الصادق[4] -رضي الله عنه- مفسرًا للآية:

«أي: من جعل قلوب أوليائه مُستقر معرفته، وجعل فيها أنهار الزوائد من برّه في كل

=
إرادة طول قامته، وهذا بخلاف المجاز فإنه يخالف الحقيقة -والله تعالى أعلم-. انظر: علم الدلالة لفاخوري 31-32، وعلم الدلالة لأحمد مختار 39.

(1) أستاذ بجامعة المرقب - كلية الآداب والعلوم - زليتن - ليبيا.

(2) التفسير الصوفي الإشاري للقرآن الكريم 69.

(3) سورة النمل: 61.

(4) هو: جعفر الصادق بن محمد الباقر، سليل النبوة، الإمام الناطق، ذو الزمام السابق، أقبل على العبادة والخضوع، وآثر العزلة والخشوع، أسند -رضي الله عنه- عن أبيه، وعن عطاء بن أبي رباح، وعكرمة، وعبد الرحمن بن القاسم وغيرهم. وروى عن جعفر عدة من التابعين، منهم: يحيى بن سعيد الأنصاري، وأخرج عنه مسلم بن الحجاج في صحيحه محتجًا بحديثه. توفي سنة ثمان وأربعين ومئة بالمدينة المنورة. انظر: حلية الأولياء 192/3، وسير أعلام النبلاء 245/6.

نفس وأثبتها بجبال التوكل، وزيّنها بأنوار الإخلاص واليقين والمحبة»[1].

وقد اتفق المفسرون على أن معنى الأرض هي: الأرض التي عليها الناس، وفسروها بذلك، وبهذا يكون هذا التفسير لكلمة الأرض مطابقًا للمعنى المعجمي العام[2].

لكن الإمام جعفر الصادق -رضي الله عنه- جعل لمعنى كلمة الأرض معنىً آخر وهو: القلب. ولعله لمّا رأى أن السياق القرآني جاء في إطار الاستدلال على وحدانية الله تعالى بالأرض وما عليها، فضّل الرجوع إلى الحقيقة أو الأساس الذي يجعل الإنسان يدرك أن الأرض وما عليها دليل على وحدانية الله تعالى وتفرده، وذلك الأساس وهو القلب، وما استقر فيه من معرفة بالله تعالى[3].

وبالرجوع إلى أركان المعنى الإشاري من المشير وهو المعنى الظاهر، والمشار إليه وهو المعنى الباطن والعلاقة بينهما، نجد أن هناك نوعًا من علاقة التشابه بين مدلول الأرض ومدلول القلب، وهو استقرار الخلق على الأرض، واستقرار المعرفة بالقلب استطاع جعفر الصادق بالتشبيه أن يجدد معنى الكلمة، وهذا الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي مع عدم إبطاله ومنعه للمعنى الحقيقي الأصلي، بسبب وجود علاقة بين المعنيين كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه على سبيل المثال، ومع هذا فالعلاقة بين الأرض والقلب هي علاقة اجتهادية تقوم على غرض المتكلم[4].

نموذج من السنة المشرفة

عن أبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ تَحْتَ كل شَعْرَةٍ جَنَابَةً**

---

(1) انظر: حقائق التفسير للسلمي 94/2، وروح المعاني للألوسي 135/13.

(2) انظر: التفسير الكبير للرازي 306/2، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 48/1.

(3) انظر: التفسير الصوفي الإشاري للقرآن الكريم 60.

(4) انظر: المصدر السابق نفسه 61، 62.

فَاغْسِلُوا الشَّعْرَ وَأَنْقُوا البَشَرَ»[1].

قال أبو العباس أحمد العلوي المستغانمي -رحمه الله-: «أي: تحت كل شعرة من وجودك أيها المريد قطيعة إن لم تفنها فتبقى الجنابة عليك. والجنابة حقيقتها هي البعد من الله، والعياذ بالله»[2].

وقد نصَّ العلماء شرّاح الحديث بأنه يدل على مشروعية تخليل الشعر بالماء في الغسل، والمراد بالشعر هو الشعر المعروف الذي يكون على جسم الإنسان فيجب تعميمه بالماء في الغسل الواجب من الجنابة[3]، والجنابة: في اللغة البُعد، وكأنه من قولك: جانبت الرجل

(1) رواه أبو داود في سننه واللفظ له ك: الطهارة، باب: في الغسل من الجنابة ح 248، وقال: الحرث بن وَجِيهٍ حَدِيثُهُ مُنْكَرٌ وهو ضَعِيف، والترمذي في سننه ك: في أبواب الطهارة، باب: ما جاء أن تحت كل شعرة جنابة ح106، وقال: حَدِيثُ الحرث بن وَجِيه حديثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إلا من حَدِيثِهِ وهو شَيْخٌ ليس بِذَاكَ وقد رَوَى عنه غَيْرُ وَاحِدٍ من الْأَئِمَّةِ وقد تَفَرَّدَ بهذا الحديث عن مَالِكِ بن دِينَارٍ. ورواه ابن ماجه في سننه ك: الطهارة، باب: تحت كل شعرة جنابة ح597، والحديث بهذا الإسناد ضعيف إلا أنه تقوى بشواهد كثيرة تقويه ليرتقي للحسن منها: حديث علي رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«من تَرَكَ مَوْضِعَ شَعْرَةٍ من جَنَابَةٍ لم يَغسلها فُعِلَ به كذا وكذا من النَّارِ»**، قال عَلِيٌّ: فَمِنْ ثَمَّ عاديت رأسي، فَمِنْ ثَمَّ عَادَيْتُ رَأْسِي ثَلَاثًا، وكان يَجُزُّ شَعْرَهُ. رواه أبو داود في سننه ك: الطهارة، باب: في الغسل من الجنابة ح248، وابن ماجه في سننه ك: الطهارة، باب: تحت كل شعرة جنابة ح599، وقال ابن حجر عن حديث علي: إسناده صحيح فإنه من رواية عطاء بن السائب، وقد سمع منه حماد بن سلمة قبل الإختلاط. التلخيص الحبير 150/1، وقد صحح الحديث أيضًا ابن الملقن في تحفة المحتاج 250/1، والقاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 136/2، وقدحقق الكلام على الحديث وشواهده د. محمود ممدوح في كتابه التعريف بأوهام من قسم السنن إلى صحيح وضعيف 317/2-329.

(2) المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية 96.

(3) انظر: نيل الأوطار للشوكاني 379/1.

إذا أنت قطعته وباعدته، ولجَّ فلان في جناب أهله إذا لجَّ في مباعدتهم، ولذلك قالوا للغريب: جنب، وللغربة: الجنابة، وتطلق في اصطلاح الفقهاء: على الذي وجب عليه غسل بجماع أو خروج مني، لأنه يجتنب الصلاة والقراءة والمسجد ويتباعد عنها(1).

إلّا أنّ أبا العباس العلوي المستغانمي جعل لكلمة الجنابة معنىً آخر وهو: البعد من الله تعالى والعياذ بالله، وهذا معنى باطن هو غير مُراد من ظاهر الحديث.

وفي النظر إلى العلاقة بين المشير وهو المعنى الظاهر والمشار إليه وهو المعنى الباطن نجد: أن بينهما تشابه وارتباط، فإن الجنابة معناها البعد فالإنسان الذي به حدث الجنابة يجب عليه الابتعاد عن الصلاة ومس المصحف والمكث في المسجد وغيرها من المحرمات، حتى يغتسل وكذلك ما ذكره العلوي فإن المسلم إن لم يتطهر من الذنوب تبقى الجنابة عليه فيبتعد من الله تعالى، ومن أجل هذا الارتباط جدّد العلوي المعنى للجنابة من باب الاعتبار وإلحاق النظير بالنظير.

ومن خلال المثالين نجد: أن العلماء الربانيين قد يختلفون في الطريقة التي يتبعها كل واحد منهم في إحداث هذا التجديد، ومن الملاحظ أن طريق المشابهة بين اللفظ الشرعي -من الكتاب والسنة- وما يحمل من معنى ظاهر، وبين المعنى الذي استخرجه منه العالِم هو المنهج الذي كان متبعًا في تفسير كلمة الأرض في الآية، وبيان كلمة الجنابة في الحديث، وهذا الطريق في الحقيقة أشار إليه جماعة من العلماء قديمًا وحديثًا بوصفه منهجًا متبعًا عند السادة الصوفية في إشاراتهم للقرآن والسنة، ومنهجًا مؤيدًا بالدليل.

وفيما يأتي نذكر أقوال العلماء المُؤيدة لمنهج طريقة المشابهة بين المعنيين الظاهر والباطن:

1ـ قال **الغزالي** -رحمه الله- بعد ذكره لمعنى إشاري: «فهذا هو الاعتبار أي: العبور من

---

(1) انظر: غريب الحديث لابن قتيبة 362/2، شرح صحيح مسلم للنووي 5/4.

شيء إلى غيره ومن ظاهر إلى سرٍ»[1].

وقال الغزالي أيضًا: «فإن هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار، إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبه لكونه أيضًا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة، فاعبر أنت أيضًا من البيت الذي هو بناء الخلق إلى القلب الذي هو بيت من بناء الله تعالى، ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته، وهو ما فيه من سبعيّة ونجاسة إلى الروح الكلبية وهي السبعية، واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشَّرَه إلى الدنيا والتكلّب عليها والحرص على التمزيق لأعراض الناس كلب في المعنى، وقلب في الصورة فنُور البصيرة يلاحظ المعاني لا الصور، والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها، وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني»[2].

2ـ قال **ابن العربي**[3] -رحمه الله-: «ومن علم الباطن أن تستدل من مدلول اللفظ على نظير المعنى، وهذا بابٌ جرى في كتب التفسير كثيرًا»[4]، وقال: «قولهم: أن الخبر وإن

(1) مشكاة الأنوار ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي 283.

(2) إحياء علوم الدين 62/1.

(3) هو: محمد بن عبد الله بن محمد، أبو بكر، المعروف بابن العربي، حافظ متبحّر، وفقيه من أئمة المالكية، بلغ رتبة الاجتهاد، رحل إلى المشرق، وأخذ عن الطرطوشي والإمام أبي حامد الغزالي، ثم عاد إلى مراكش، وأخذ عنه القاضي عياض وغيره، أكثر من التأليف، وكتبه تدل على غزارة علم وبصر بالسنة، من تصانيفه: عارضة الأحوذي شرح الترمذي، وأحكام القرآن، والمحصول في علم الأصول، توفي سنة(543هـ). تاريخ الإسلام 159/37، طبقات المفسرين للدنه دي 180، الأعلام للزركلي 106/7.

(4) قانون التأويل 526.

كان ورد بهذه المعاني كلها والأحكام بجملتها وهي محمولة على ظاهرها فلها عبرة إلى سواها مِمّا في معناها. ونحن نقول أنه يمنع الاعتبار والافتكار والتجاوز بالدليل من نظير إلى نظير، وهذا كلام صحيح للصوفية وعلم بديع من علومهم»[1].

3. قال **ابن الصلاح**[2] -رحمه الله-: «وجدتُ عن الإمام أبي الحسن الواحدي[3] المفسِّر -رحمه الله- أنه قال: صنّف أبو عبد الرحمن حقائق التفسير فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر، قال ابن الصلاح وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئًا من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيرًا، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإن النظير يذكر بالنظير»[4].

(1) المصدر السابق نفسه ص561.

(2) هو: عثمان بن عبد الرحمن بن موسى تقي الدين، أبو عَمْرو المعروف بابن الصلاح، كردي الأصل من أهل شهرزور، من كبار علماء الشافعية، إمام عصره في الفقه والحديث وعلومه، وإذا أطلق الشيخ في علم الحديث فالمراد هو، كان عارفًا بالتفسير والأصول والنحو، تفقّه أولًا على والده الصلاح، ثم رحل إلى الموصل ثم رجع إلى الشام، ودرس في عدة مدارس، من تصانيفه: مشكل الوسيط، والفتاوى، وعلم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، توفي سنة (643هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى 326/8، شذرات الذهب 221/5، ومعجم المؤلفين 257/6.

(3) هو: علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري، أبو الحسن، كان من أولاد التجار، أصله من ساوة خراسان، فقيه شافعي، واحد عصره في التفسير، كان إمامًا عالمًا بارعًا محدثًا، من تصانيفه: البسيط، والوسيط، والوجيز كلها في التفسير، وأسباب النزول، توفي بنيسابورسنة(468هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى 289/3، طبقات المفسرين للأدنه وي 127، سير أعلام النبلاء 339/18.

(4) فتاوى ورسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه 196/1، 197.

4ـ قال **الشاطبي**[1] -رحمه الله-: «ولكن له وجه جار على الصحة، وذلك أنه لم يقل إن هذا هو تفسير الآية، ولكن أتى بما هو ند[2] في الاعتبار الشرعي الذي شهد له القرآن من جهتين: إحداهما: أن الناظر قد يأخذ من معنى الآية معنى من باب الاعتبار، فيجريه فيما لم تنزل فيه، لأنه يجامعه في القصد أو يقاربه... وللسنة في هذا النمط مدخل، فإن كل واحد منهما قابل لذلك الاعتبار المتقدّم الصحيح الشواهد، وقابل أيضًا للاعتبار الوجودي»[3].

5ـ قال **ابن تيمية** -رحمه الله-: «وتنقسم إلى الإشارات المتعقلة بالأقوال: مثل ما يأخذونها من القرآن ونحوه فتلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس وإلحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام، لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال ودرجات الرجال ونحو

(1) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد، أبو إسحاق، اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، من علماء المالكية، كان إمامًا محققًا أصوليًّا مفسرًا فقيهًا محدّثًا نظارًا ثبتًا بارعًا في العلوم. أخذ عن أئمة، منهم: ابن الفخار وأبو عبد البلنسي وأبو القاسم الشريف السبتي، وأخذ عنه أبو بكر بن عاصم وآخرون، له استنباطات جليلة وفوائد لطيفة وأبحاث شريفة مع الصلاح والعفة والورع واتباع السنة، من تصانيفه: الموافقات في أصول الفقه، والاعتصام، توفي سنة (790هـ). انظر: الأعلام للزركلي 75/1.

(2) علّق المحقق عبد الله درّاز على كلام الشاطبي فقال: أي: جاء بالمعنى في النِد وأجراه في الآية وإن لم تنزل فيه، لكونه يعتبر شرعًا كالند الذي نزلت فيه، ويشهد لاعتبار هذا الإجراء وجهان: أحدهما: في نفس موضوع اتخاذ الأنداد والأرباب. والثاني: أعم من ذلك، وهو حذر الصحابة وخوفهم من تطبيق الآيات التي أنزلت في الكفار عليهم، فاجتنبوا لذلك ما ورد ذلك خاصًّا بالكفار ممّا اقتضى اتصاف هؤلاء بالحرمان، ولو كان من أصل المباحات، كالتوسع في أخذ الحظوظ الدنيوية. انظر: التعليق على الموافقات 361/3.

(3) الموافقات 361/3ـ368.

ذلك»[1]، وقال أيضًا: «أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس من باب دلالة اللفظ فهذا من نوع القياس فالذي تسميه الفقهاء قياسًا هو الذي تسمية الصوفية إشارة وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل كانقسام القياس إلى ذلك»[2].

6ـ قال **الزرقاني**[3] -رحمه الله-: «ثم إن له شاهدًا يعضده من الشرع وكل ما كان كذلك لا يرفض، وإنما لم يجب الأخذ به، لأن النظم الكريم لم يوضع للدلالة عليه بل هو من قبيل الإلهامات التي تلوح لأصحابها غير منضبطة بلغة ولا مقيدة بقوانين»[4].

7ـ قال **ابن عاشور**[5] -رحمه الله-: «أما ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن، ولكن بتأويل ونحوه، فينبغي أن تعْلموا أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن بل يعنون أن الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلم فيه وحسبكم في ذلك أنهم سمّوها إشارات ولم يسمّوها معاني... فنسبة الإشارة إلى لفظ القرآن مجازية، لأنها إنما تشير لمن استعدت عقولهم وتدبرهم في

---

(1) مجموع الفتاوى 376/6.

(2) المصدر السابق نفسه 240/13.

(3) هو: محمد عبد العظيم الزرقاني: من علماء الازهر بمصر، تخرّج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسًا لعلوم القرآن والحديث، من كتبه: مناهل العرفان في علوم القرآن، توفي بالقاهرة سنة (1367هـ). انظر: الأعلام للزركلي 210/6.

(4) مناهل العرفان 58/2.

(5) هو: محمد الطاهر بن عاشور الشريف التونسي القاضي المالكي، الشهير بابن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، عُيّن عام (1932) شيخًا للإسلام، مالكيًّا، وهو من أعضاء المجَمَعين العربيين في دمشق والقاهرة، كان فصيح عصره ومفخر مصره، من تصانيفه: مقاصد الشريعة الاسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الاسلام، والتحرير والتنوير في تفسير القرآن، توفي سنة (1393هـ). انظر: الأعلام للزركلي 174/6.

حال من الأحوال الثلاثة ولا ينتفع بها غير أولئك فلما كانت آيات القرآن قد أنارت تدبرهم وأثارت اعتبارهم نسبوا تلك الإشارة للآية. فليست تلك الإشارة هي حق الدلالة اللفظية والاستعمالية حتى تكون من لوازم اللفظ وتوابعه كما قد تبين»(1).

وبالنظر إلى أقوال العلماء في استنباط المعنى الإشاري يتضح أن المعاني الإشارية لا تؤخذ من دلالات الألفاظ الشرعية، وإنما عن طريق الاستنباط بالقياس والاعتبار أو من باب ذكر النظير بالنظير، إلّا أن الباحث وجد قولًا لبعض العلماء المعاصرين هو: عبد الله محمد بن الصديق الغماري -رحمه الله- يُفهم منه أن السادة الصوفية استخرجوا إشاراتهم عن طريق دلالة الإشارة المقررة في علم أصول الفقه.

فقال **الغماري** -رحمه الله-: «ودلالة الإشارة معتبرة عند علماء الأصول، فإنهم لما تكلّموا على ألفاظ الكتاب والسنة، وقسموا دلالتها على نوعين:منطوق ومفهوم. قسموا دلالة المنطوق إلى دلالة إقتضاء، ودلالة إشارة، ومثّلوا للأخيرة بقول الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾(2)، وقالوا: دلّت الآية بطريق المنطوق على إحلال الجماع طول ليلة الصيام، ويؤخذ منها بطريق الإشارة صحة صوم من أصبح جنبًا وأخذ العلماء من قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ٢٦﴾(3)، بطريق الإشارة أن الإنسان لو وجد ابنه رقيقًا، فاشتراه عتق عليه بمجرد الشراء، لأن الولديه والعبودية لا تجتمعان، فكما استخرج علماء الأصول والفقه من ألفاظ القران والسنة بطريق الإشارة أحكامًا تشريعية، كذلك استخرج الصوفية بطريقها علومًا ربانية»(4).

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور 1/16-17.

(2) سورة البقرة: 187.

(3) سورة الأنبياء: 26.

(4) بدع التفاسير 118.

ولعلَّ فيما قاله الغماري نظر، فليس مستند المعاني الإشارية مأخوذ بطريق دلالة الإشارة ولإيضاح الفرق سأذكر تعريف دلالة الإشارة عند علماء الأصول:

عُرِّفت دلالة الإشارة بأنها: ما دلّ على أمرٍ ليس هو المقصود من اللفظ الأصلي الذي عبّر به، ولكنه وقع من توابعه(1).

وعُرِّفت أيضًا بأنها دلالة اللفظ على حكم غير مقصود، ولا سِيق له النص ولكنه لازمٌ للحكم الذي سيق لإفادته الكلام(2).

يتبين لنا من تعريف دلالة الإشارة أمران:

أولًا: أن دلالة الإشارة الأصولية دلالة نظمية فهي مُستقاة من نظم اللفظ بينما الإشارات ليست من النظم فلا يستقيم المعنى الباطن إذا فُسِّر النص بها كالخوارج في النموذج الذي تقدّم.

ثانيًا: أن دلالة الإشارة تدل على المعنى من جهة اللزوم العقلي، فلابد من تلازم عقلي بين المعنى المستنبط وبين النص، فهو لازم للحكم الذي سيق الكلام لإفادته، وقد يكون وجه التلازم ظاهرًا، وقد يكون خفيًّا يحتاج فهمه إلى دقة نظر، ومزيد تفكير وتأمل حسب ظهور وجه التلازم وخفائه،(3) فالمثال الذي استشهد به الغماري فيه تلازم في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾(4) بأن فيه إشارة على جواز أن يصبح الصائم جنبًا، وأنه لابد من تأخر غسله إلى النهار، فلو كان ذلك ممّا يفسد الصوم

(1) انظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع للسبكي 165/1.

(2) انظر: شرح التلويح على التوضيح للتفتازاني 243/1، والتعريفات 22، وأصول التشريع الإسلامي 273.

(3) انظر: أصول التشريع الإسلامي 274.

(4) سورة البقرة: 187.

لما أُبيح الجماع في آخر جزء من الليل كما دلّت الآية بلفظها مع أنه غير مقصود لكنه لازم للمعنى الذي دلّت عليه الآية بإشارتها(1).

وعلى ذلك إن لم يوجد هذا التلازم فلا يصح كون المعنى مستنبطًا بدلالة الإشارة كما هو الشأن والحاصل من استنباطات العلماء الربانيين من الكتاب العزيز والسنة المطهرة.

ولمحمد **الطاهر بن عاشور** كلام جيد فيما ذكرته قال -رحمه الله-: «وليس من الإشارة ما يعرف في الأصول بدلالة الإشارة وفحوى الخطاب وفهم الاستغراق من لام التعريف في المقام الخطابي ودلالة التضمن والالتزام كما أخذ العلماء من تنبيهات القرآن استدلالًا لمشروعية أشياء كاستدلالهم على مشروعية الوكالة من قوله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾(2)، ومشروعية الضمان من قوله: ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾(3)، ومشروعية القياس من قوله: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾(4)،: ولا بما هو بالمعنى المجازي نحو: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾(5)، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾(6)، ولا ما هو من تنزيل الحال منزلة المقال نحو: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾(7)، لأن جميع هذا مما قامت فيه الدلالة العرفية مقام

(1) انظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع 165/1.
(2) سورة الكهف: 19.
(3) سورة يوسف: 72.
(4) سورة النساء: 105.
(5) سورة سبأ: 10.
(6) سورة فصلت: 11.
(7) سورة الإسراء: 44.

الوضعية واتحدت في إدراكه أفهام أهل العربية، فكان من المدلولات التبعية»[1].

وقد صرّح ابن تيمية وابن عاشور والزرقاني -رحمهم الله- فيما تقدّم النقل عنهم بأن المعاني الإشارية ليست من دلالة الإشارة الأصولية حتى تكون من لوازم اللفظ وتوابعه، وتصريحهم يُؤيد ما تمَّ بيانه.

ويمكن القول بأن المعاني الإشارية التي يذكرها العلماء عند بيانهم لآيات الكتاب وأحاديث رسول الله ﷺ بأنها أمور وجدانية ذوقيّة تمرُّ حال استماعهم للقرآن وقراءتهم للأحاديث خواطر على قلب السالك وتنكشف له أشياء تنشأ من خلال تفكيره في النظير أو الحالة التي يتصف بها أو المعرفة التي يملكها، للاعتبار والادّكار -والله أعلم-[2].

---

(1) التحرير والتنوير 31/1.

(2) انظر: الفوز الكبير في أصول التفسير للدهلوي 190، 191.



الفصل الثاني
أنواع المعـاني الإشـارية

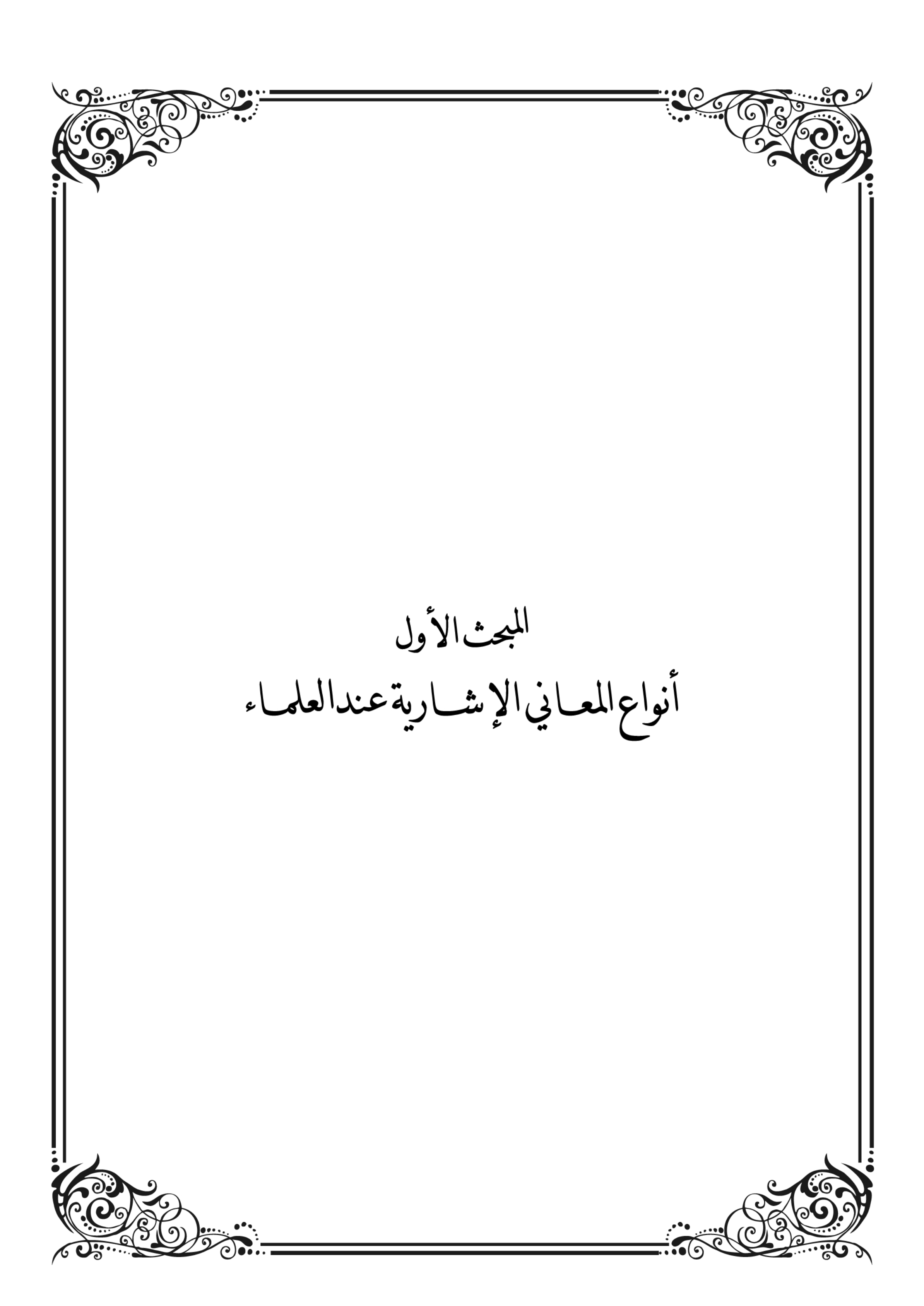
وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:
أنواع المعـاني الإشارية عند العلماء.

المبحث الثـاني:
الفرق بين إشارات الصوفية والباطنية.

المبحث الثالث:
أنواع المعـاني الإشـارية المقبولة.





المبحث الأول

أنواع المعاني الإشارية عند العلماء



المبحث الأول
أنواع المعاني الإشارية عند العلماء

جعل الله تعالى عقول الناس مُتفاوتة، وهذه سنة الله تعالى في خلقه فنجد العلماء فيما بينهم تختلف إشاراتهم في فهمهم للآيات والأحاديث، وهي للإثراء والتنوع لا الاختلاف والتّضاد، وهؤلاء هم الذين لم يخلطوا عُلومهم وأفهامهم بالمباحث النظرية والتعاليم الفلسفية، وأما من شطَّ عقله وخاض بحارًا وهو لا يُتقن السّباحة فلا شك أنه يقع في المهالك والأخطار.

وما مِنْ علمٍ إلا وفيه دُخلاء أو بُسطاء، ولابد لأهل ذلك العلم بيان حقيقة هؤلاء، وبيان منهجهم لكي لا يدخله كل داخل ويفسده كل فاسد.

وعند البحث والتأمل يمكن أن نجعل المعاني الإشارية نوعين، ونبيِّن ما كان مقبولًا عند العلماء الربانيين السائرون على منهج الكتاب والسنة، ومنهج الاعتدال منهج السادة الأوائل كالجنيد[1] والبسطامي وأضرابهم، ومن جاء بعدهم وسار على منهجهم القويم،

(1) هو: الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي القواريري، شيخ الصوفية ولد سنة نيف وعشرين ومئتين، وتفقّه على أبي ثور، وسمع من السري السقطي وصحبه، ومن الحسن بن عرفة، وصحب أيضًا الحارث المحاسبي وأبا حمزة البغدادي، وأتقن العلم ثم أقبل على شأنه وتعبّد ونطق بالحكمة، كان يقول: علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يُقتدى به، توفي سنة (297هـ). انظر: طبقات الصوفية للسلمي 134، سير أعلام النبلاء 66/14، حلية الأولياء 255/10.

وما كان مرفوضًا مردودًا عند المُدَّعين من المتصوفة المنحرفين عن منهجية الوسطية والاعتدال، ومن الإنصاف التمييز بين الفريقين وعدم التعميم والطعن في الجميع.

أنواع الإشارات عند العلماء الربانيين

الإشارات عند العلماء الربانيين نوعان: الإشاري ويُسمى الفيضي، والنظري، وله نماذج مختلفة، والنوع الأول الإشاري أو الفيضي هو المقبول عند العلماء الربانيين والصوفية، والثاني هو من المردود الذي ذمّه الصوفية أنفسهم وبيّنوا مخالفته لمناهجهم المقررة المُستقيمة، وقد صدر من المُدّعين للتصوف والتصوف السُني منهم بَراء.

النوع الأول: الإشاري (الفيضي)

هذا النوع هو المقصود من البحث وقد سبق تعريف الإشارات عند العلماء الربانيين في المبحث الأول[1].

فالمعنى الإشاري (الفيضي) عند العلماء والصوفية للقرآن الكريم والسنة المشرّفة يعتمد على الظاهر أولًا، ويعترف به، ويرون أن لذلك الظاهر إشارات إلى معان خفية، هذه المعاني الخفية لا تعبر عن مذهب عقلي ولا عقيدة باطنية مُستوردة، أو هدف سياسي، أو مقصد دنيوي، بل هي نتاج مجاهدات ورياضات وأحوال، يقول التفتازاني[2] -رحمه الله-: «وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك

(1) انظر: 36 من هذا البحث.

(2) هو: مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين، نسبته إلى تفتازان من بلاد خراسان، فقيه وأصولي، قيل هو حنفي وقيل شافعي، كان أيضًا مفسرًا ومتكلمًا ومحدثًا وأديبًا، من تصانيفه: التلويح في كشف حقائق التنقيح، وحاشية على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب وكلاهما في الأصول، توفي سنة (791 هـ). انظر: الدرر الكامنة 350/4، والأعلام للزركلي 113/8.

فيها إشارات خفيّة إلى دقائق تنكشف عن أرباب السلوك، يمكن التقريب بينها وبين الظواهر المُرادة، فهو من كمال العرفان ومحض الإيمان»[1].

وقد وجد العلماء الربانيون في كلمات القرآن العظيم وأحاديث الرسول الكريم ﷺ مجالًا رحْبًا للتعبير عن أفكارهم، إذْ معاني تلك الكلمات ينفذ البحر دون نفاذها، ومن ثم لا سبيل إلى حصرها وتعدادها فكانت نموذجًا لأهل الذوق[2] والوجدان[3] يحتذون على حذوها عند التلاوة والقراءة للآيات والأحاديث، فينكشف لهم ما استعدوا له من مكنونات علمه ويتجلَّى عليهم ما استطاعوا من خفيّات غيبه، ومن ثمَّ أخرجوا لنا من تلك الكلمات معاني لا نعتقد أن العرب قد أرادوها عندما عبَّروا بتلك الكلمات في مخاطباتهم وأشعارهم، وفي هذا تحقيق لفكرة يؤمن بها العلماء الربانيون، وهي أن كلام الله تعالى غير محدود الدلالة، حيث تتعذر الإحاطة به، فما لا ينتهي لا يعبر عنه إلا بما لا ينتهي، وفي هذا الإطار يقول سهل التُّستَري -رحمه الله-: «لو أُعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم، لما بلغَ نهاية ما جعل الله تعالى في آية من كتاب الله تعالى من الفهم، لأنه كلام الله وكلامه صفته، وكما أنه ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهمون على مقدار ما يفتح الله تعالى على قلوب أوليائه من فهم كلامه»[4].

---

(1) شرح العقائد النسفية 149.

(2) الذوق: هو ثبات البرق، وزيادة السرور والابتهاج لإشفاء الوجه. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني 323.

(3) الوجد: شعلة متأججة من نار العشق يستفيق لها الروح بلمع نور أزلي، وشهود دفعي. انظر: المصدر السابق نفسه 317.

(4) تفسير التستري 98.

فيرى العلماء الربانيون أن النصوص القرآنية على ظاهرها، ولكنها في الوقت ذاته تحوي إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك، هذه الإشارات تظهر للعالم الرباني عند تأمله في الآية أو الحديث فيعبِّرون عن المعاني المستنبطة الإشارات(1).

النوع الثاني: النظري

من أنواع الإشارات الإشارات النظرية، وهي التي خاضها بعض السالكين مسالك الصوفية من المتأثرين بالفلسفة، وقد ظنوا أنهم يحسنون صُنْعًا، وأنهم في طريق السادة الصوفية سائرون، ولكن شتّان بين الباكي والمُتباكي.

ويُعَرّف هذا النوع بأنه: التفسير المبني على أصول فلسفية ورثوها من أصحابها، فحاولوا تحميل نظرياتهم على القرآن والسنة(2).

وقد وُجِدَ من المُتصوّفة من بنى تصوّفه على مباحث نظرية، وتعاليم فلسفية، فكان من البدهي أن ينظر هؤلاء المتصوفة إلى القرآن نظرة تماشى مع نظرياتهم، وتتفق مع تعاليمهم.

وليس من السهل جدًّا أن يجد المتُصوّف في نصوص الشريعة ما يتفق صراحة مع تعاليمه، ولا ما يتمشى بوضوح مع نظرياته التي يقول بها وأخذها من الفلاسفة، فنصوص الشريعة كتابًا وسنة جاءت لهداية الناس لا لإثبات نظرية من النظريات البعيدة من وحْيها بل ربما كانت مخالفة لرُوح الدين وبداهة العقل الصريح.

غير أن المُتصوّف هذا يحرص كل الحرص على أن تُسلّم له تعاليمه ونظرياته، فيحاول أن يجد في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يشهد له أو يستند إليه، فتراه من أجل ذلك

(1) انظر: التفسير الصوفي الإشاري لعكاش 54، 55.

(2) انظر: المناهج التفسيرية للسبحاني 126.

يتعسّف في فهمه للآيات والأحاديث، وربما شرحها شرحًا يُخرجها عن مقصودها الذي قُصِدَ بها[1].

نموذج من المعنى النظري في القرآن الكريم

قال الله تعالى في شأن سيدنا إدريس -عليه السلام-: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾[2].

قال **ابن عربي**[3] -رحمه الله-: «أعلى الأمكنة الذي يدور على رحى عالم الأفلاك وهو فلك الشمس، وفيه مقام رُوحانية إدريس وتحته سبعة أفلاك وفوقه سبعة أفلاك، وهو الخامس عشر فالذي فوقه: فلك الأحمر أي: المريخ، وفلك المشتري، وفلك كحيوان، وفلك المنازل، وفلك الأطلس... أما عُلو المكانة فهو لنا أعني المحمديين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩﴾[4]، في هذا العلو

(1) انظر: التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبي 340/2، ومقدمة لطائف الإشارات لإبراهيم بسيوني 24/1، 25.

(2) سورة مريم: 57.

(3) هو: محمد بن على بن محمد بن أحمد الشيخ محيي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي، المعروف بابن عربي، صاحب التصنيفات في التصوّف وغيره، ولد في شهر رمضان سنة ستين وخمسمائة بمرسية، ذكر الكتبي أنه لولا شطحه في الكلام لم يكن به بأس، ولعلَّ ذلك وقع منه حال سُكره وغيبته فيُرجى له الخير، من تصانيفه: الفتوحات المكية، والتدبيرات الإلهية، والتنزلات الموصلية، وفصوص الحِكَم، قال ابن كثير: وصنّف فيها كتابه المُسمّى بالفتوحات المكية في نحو عشرين مجلدًا، فيها ما يعقل وما لا يعقل وما يُنكر وما لا يُنكر وما يُعرف وما لا يُعرف، وقد أحسن العلماء الظن بابن عربي لصحة عقيدته وكمال متابعته للشرع، منهم: الذهبي وابن حجر، وصنف السيوطي تنبيه الغبي في تبرئة ابن عربي، ووفاته في الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة (638هـ). انظر: فوات الوفيات 397/2، البداية والنهاية 156/13، لسان الميزان 311/5.

(4) سورة آل عمران: 139.

وهو يتعالى عن المكان لا عن المكانة»(1).

فهذه المعاني التي ذكرها ابن عربي تتفق مع النظريات الفسلفية الكونية ولا علاقة لها بالآية لا من قريب ولا من بعيد، وليس فيها قياس أو اعتبار رجوع إلى حقيقة مقام الأنبياء، وأنهم في الجملة أُمناء وعبيدٌ لله تبارك وتعالى الذي يصطفي من يشاء ويرفع من يشاء(2).

نموذج من المعنى النظري في السنة المشرفة

حديث جبريل -عليه السلام- الطويل عن أبي هريرة وفيه قال: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: **«أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**(3).

قال **ابن حجر** -رحمه الله-: «أقدم بعض غلاة الصوفية على تأويل الحديث بغير علمٍ قال: فيه إشارة إلى مقام المحو والفناء، وتقديره: فإن لم تكن. أي: فإن لم تَصِرْ شيئًا وفنيتَ عن نفسِك حتى كأنك ليس بموجود فإنك حينئذ تراه»(4).

---

(1) فصوص الحِكم مع شرح القاشاني 74، 75.

(2) انظر: التفسير والمفسرون 340/2، ولكن قد يُحمل كلام ابن عربي على محمل حسن أويكون ممّا دُسَّ ذلك عليه قال المناوي عنه: وقع له في تصانيف بعض تلك الكتب كلمات كثيرة أشكلت ظواهرها، فكانت سبباً لإعراض كثيرين لم يُحسنوا به الظن، ولم يقولوا كما قال غيرهم من الجهابذة المحققين، والعلماء العاملين، والأئمة الوارثين أن ما أوهمته تلك الظواهر ليس هو المراد، وإنما أمور اصطلح عليها متأخروا أهل الطريق غَيرة عليها. انظر: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية 160/2، وقد توسع المناوي في الدفاع عنه.

(3) رواه البخاري في صحيحه ك: الإيمان، باب: باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة ح50.

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري 120/1.

ومعنى الحديث كما قال **النووي**[1] -رحمه الله-: «إنك إنما تراعي الآداب من خشوع وإخلاص العبادة وفراغ البال. إذا كنت تراه ويراك لكونه يراك لا لكونك تراه فهو دائمًا يراك فأحسن عبادته وإن لم تره، فتقدير الحديث فإن لم تكن تراه فاستمر على إحسان العبادة فإنه يراك»[2].

والمعنى الذي ذكره بعض المتصوفة للحديث لا يوجد فيه وجه ارتباط بين المشار والمشار إليه، وإنما هو مبني على فلسفة منطقية، فيلزم من فناء الشيء عدم وجوده في الوجود[3]، وأيضًا ليس بين **المشير** وهو: الإحسان في العبادة بالخشوع والخضوع والإخلاص **والمشار إليه** وهو: الفناء والمحو أيّ ارتباط، بل القول بذلك مُفضٍ للإتحاد التي خاضها الفلاسفة[4]، إضافة إلى ما تقدّم: مخالفة التأويل المذكور لقواعد العربية.

(1) هو: يحيى بن شرف بن مري بن حسن، النووي أبو زكريا، محيي الدين، من أهل نوى من قُرى حوران جنوبي دمشق، الإمام العلامة في الفقه الشافعي والحديث واللغة، تعلّم في دمشق وأقام بها زمنًا، من تصانيفه: المجموع شرح المهذب وأكمله السبكي والمطيعي، وروضة الطالبين، والمنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، توفي سنة (676هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي 165/5، والأعلام للزركلي 185/9.

(2) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 1/ 158.

(3) اعتقاد أن وحدة الوجود باتحاد الحق بالخلق وأنه لا شيء في هذا الوجود سوى الحق، وأن الكلَّ هو، وأنه هو الكلَّ، وأنه عين الأشياء فهذا ضلال وكفر، وما ورد عن العلماء الربانيين بذلك فمكذوب عليهم، وأما ما وقع لفظ الاتحاد من مُحققي الصوفية فإنما يريدون به معنى الفناء الذي هو محو النفس وإثبات الأمر كلّه لله سبحانه، فهذا ابن القيم يقول بعدكلام طويل: فغاية المحبة إتحاد مُراد المحب بمراد المحبوب وفناء إرادة المحب في مراد المحبوب،هذا الإتحاد والفناء هو: اتحاد خواص المحبين وفناؤهم، قد فنوْا بعبادة محبوبهم عن عبادة ما سواه وبحبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإستعانة به والطلب منه عن حب ما سواه وخوفه ورجائه والتوكل عليه. مدارج السالكين 167/1.

(4) أطلق بعض غُلاة المتصوفة على التوحيد بمسألة المحو والفناء، والسادة الصوفية لا يَعنون به ما عناه هؤلاء الغلاة. قال ابن حجر ردًّا عليهم: فإن أكابرهم لما تكلّموا في مسألة المحو والفناء وكان مرادهم =

وقد بيّن ابن حجر -رحمه الله- هذا المعنى النظري المخالف لمنهج العلماء الربانيين المستقيم فقال: «وغفل قائلُ هذا، للجهل بالعربية من أنه لو كان المراد ما زعم، لكان قوله تراه محذوف الألف، لأنه يصير مجزومًا لكونه على زعمه جواب الشرط، ولم يرد في شيء من طرق هذا الحديث بحذف الألف، ومن ادعى أن إثباتها في الفعل المجزوم على خلاف القياس فلا يُصار إليه، إذْ لا ضرورة هنا[1]، وأيضًا فلو كان ما ادعاه صحيحًا لكان قوله: فإنه يراك ضائعًا، لأنه لا ارتباط له بما قبله، وممّا يفسد تأويله رواية كهمس فإن لفظها: «فإنك إن لا تراه فأنه يراك» وكذلك في رواية سليمان التيمي، فسلّط النفي على الرؤية لا على الكون الذي حمل على ارتكاب التأويل المذكور، وفي رواية أبي فروة «فإن لم تره فإنه يراك» ونحوه في حديث أنس وابن عباس، وكل هذا يبطل التأويل المتقدّم والله أعلم»[2].

المعاني الرمزية

يُسمّي بعض الباحثين[3] من أنواع المعاني الإشارية التفسير الرمزي، وعرّفه بأنه:

=

بذلك المبالغة في الرضا والتسليم وتفويض الأمر، بالغ بعضهم حتى ضاهى المُرجئة في نفي نسبة الفعل إلى العبد، وجرّ ذلك بعضهم إلى معذرة العصاة ثم غلا بعضهم فعذر الكفار ثم غلا بعضهم فزعم أن المراد بالتوحيد اعتقاد وحدة الوجود وعَظُم الخطب حتى ساء ظن كثير من أهل العلم بمتقدميهم، وحاشاهم من ذلك، وقد قدّمت كلام شيخ الطائفة الجنيد وهو في غاية الحُسن والإيجاز. فتح الباري 348/13.

(1) وهناك قول نقل عن جمال الدين بن مالك أن الشرط إذا كان منفيًّا بلم جاز رفع الجواب فلا يكون رفع الفعل المضارع الذي هو «تراه» مانعًا من كونه جوابًا للشرط ولكنه قول مخالف لرأي جمهور النحاة. انظر: شرح الشبرخيتي على الأربعين النووية لإبراهيم بن عطية الشبرخيتي 78 - 79.

(2) فتح الباري 120/1.

(3) هو الدكتور السيد أحمد خليل في كتابه دراسات في القرآن الكريم 128، وانظر: إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للرومي 409/1.

التفسير الذي يعتمد في سبيل الوصول إلى المعرفة على منهج قِوامه الوجد والذوق والترقي في مقاماتهم حتى يصل العالم أو المتصوّف مقام العرفان، فتفيض عليه مكنونات العلم وأسرار المعرفة، بل يصل إلى أبعد من هذا، فتفوض جملة الأمور إليه بحيث لا يسقط ورق من شجر إلا بإذن وكتاب وأجل منه وليس وراء هذه مقام ومرتبة، لأن تفاسيرهم لا تخضع لقاعدة ولا لأصل، بل تختلف باختلاف مقام العالِم ومواجيده وذوقه، لذا تختلف تفسيراتهم اختلافًا شديدًا لا يمكن حده أو النظر في أبعاده.

وبالنظر إلى ما هيّة هذا النوع، فإنه يوجد تشابه بينه وبين الباطني من حيث صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها الواضحة، مع اعتقاده أن المعاني الظاهرة غير مرادة، ويختلف عن النظري بأنه لا يرتكز على مقدمات علمية وإنما على ذوق ووجدان بخلاف النظري فإنه يعتمد على مقدمات علمية فلسفية.

وليس هو من الإشاري (**الفيضي**)، لأنه لا يمنع المعنى الظاهر من النص الشرعي بل يقول به أولًا ثم يذكر ما يستفاد منه ممّا يعتبر به.

وقد استدل الباحث للرمزي مستشهدًا بكلام الغزالي -رحمه الله- وقال: «وهذا النوع هو الذي أراده الإمام الغزالي في الصنف الثاني من الشطح(1) عند الصوفية حيث قال عنه: «كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة، وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل، إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكبر. وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميرة، لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلّمه طريق التعبير

(1) الشطح: عبارة عن كلمة عليها رائحة رُعونة ودعوى، تصدر من أهل المعرفة باضطرار واضطراب، وهو من زلات المحققين، فإنه دعوى حق يُفصح بها العارف، لكن من غير إذن إلهي، بطريق يُشعر بالنباهة.انظر: التعريفات للجرجاني 105، ومعجم ألفاظ الصوفية للشرقاوي 182.

عن المعاني بالألفاظ الرشيقة، ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يُشوش القلوب ويُدهش العقول ويحيّر الأذهان، أو يحمل على أن يفهم منها معاني ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه»[1]»[2].

وبالرجوع إلى كلام الغزالي -رحمه الله- نجد أنه يتحدّث عن شطح بعض المتصوفة من المتأثرين بالباطنية في التأويلات وأدخل هذا الشطح ضمن تأويلات الباطنية فقال بعد ذكره لنوعي الشطح: «وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح، وأمرٌ آخر يخصها -أي الطامات- وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة كدأب الباطنية في التأويلات، فهذا أيضًا حرام وضرره عظيم...»[3].

وهذا يدل على أن ما ذكره الباحث أن الرمزي نوعًا مستقلًّا غير سديد، وإنما يندرج ضمن تأويلات الباطنية -والله أعلم-.

الفرق بين المعاني الإشارية والنظرية

بعد عرضنا لحقيقة المعنى الإشاري (**الفيضي**) والمعنى النظري يتضح أن بينهما فرقًا ظاهرًا لا يخفى على المتأمل، ويمكن أن يُلّخص الفرق بينهما فيما يأتي:

أولًا: إن المعنى النظري يقوم على مُقدمات علمية، تنقدح في ذهن المتصوف أولًا، ثم ينزل القرآن أو الحديث عليها بعد ذلك.

أما المعنى الإشاري فلا يرتكز على مقدمات علمية، بل يرتكز على مجاهدة النفس وتحليتها بكل فضيلة، وتخليص القلب من كل العلائق حتى يصل إلى درجة تنكشف له الإشارات من العبارات.

(1) إحياء علوم الدين 48/1.

(2) دراسات في القرآن الكريم 128.

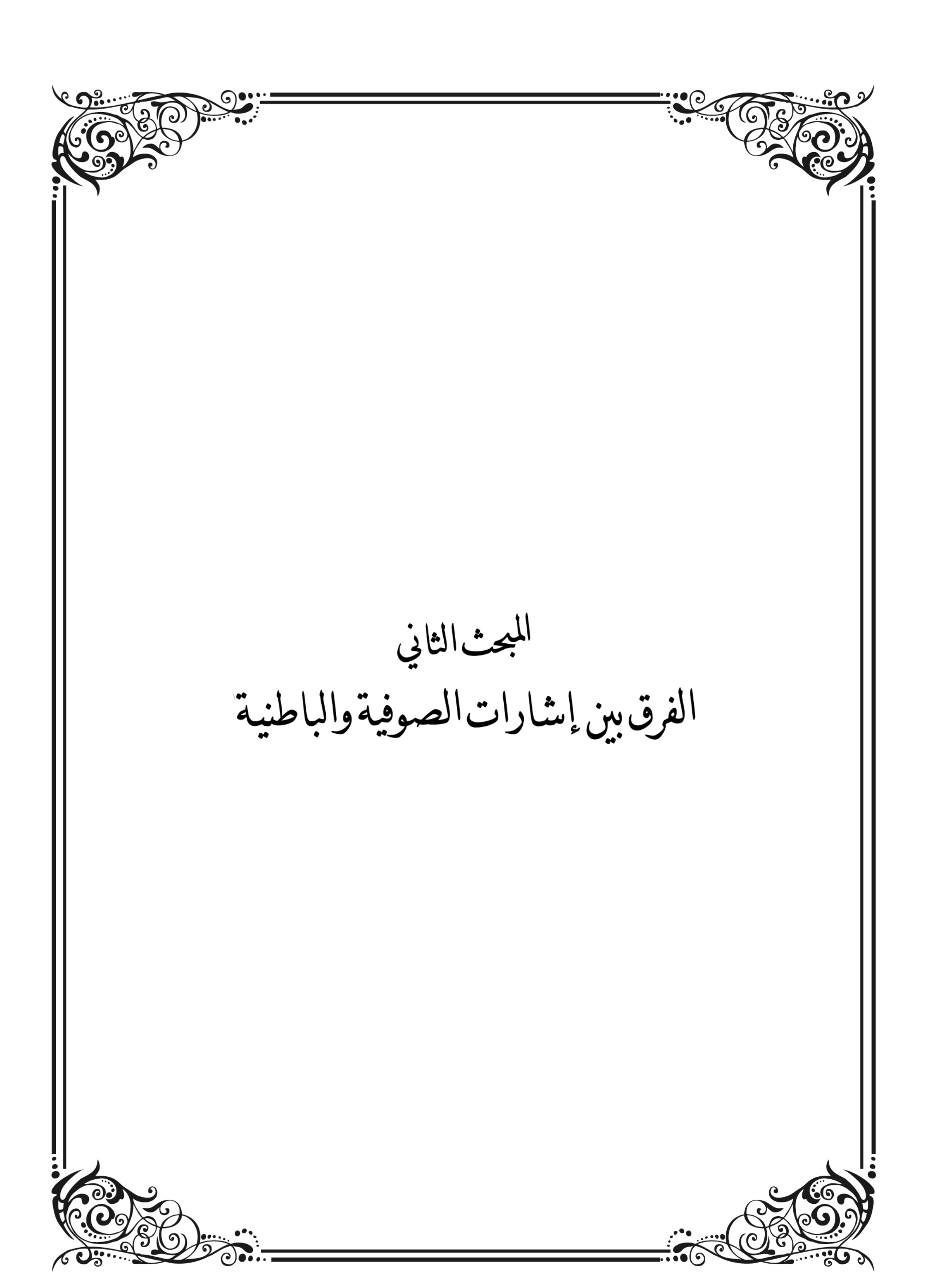
(3) إحياء علوم الدين 49/1.

ثانيًا: إن المعنى النظري يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية أو الحديث من المعاني، وليس وراءه معنى آخر يُمْكن أن تُحمل الآية عليه، وهذا بحسب طاقة المتصوف كما لا يخفى.

أما المعنى الإشاري فلا يرى العالِم الرباني أنه كل ما يُراد من الآية، بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية أو الحديث ويُراد منها أو منه أولًا وقبل كل شيء ذلك هو المعنى الذي يَنساق إليه الذهن قبل غيره.

ثالثًا: إن المعنى النظري يصرف الآيات والأحاديث عن ظاهرها، خدمة لنظرية فلسفية مُسبقة فهو تأويل، أما الإشاري فقد تقدّم أنه ليس تأويلًا ولا تفسيرًا بالمعنى الاصطلاحي المعروف(1).

(1) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي 352/2، والتفسير الصوفي الإشاري للقرآن 54.



المبحث الثاني

الفرق بين إشارات الصوفية والباطنية

المبحث الثاني

الفرق بين إشارات الصوفية والباطنية[1]

بطبيعة الحال أن جعل الله تعالى الناس متفاوتون في إدراكهم وعقولهم ممّا يجعلهم يختلفون في فهومهم لنصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة، فثمَّ معاني يدركها كل من يعرف اللسان العربي، ومعان يفهمها أصحاب الموهبة وأرباب القلوب والبصائر، غير أن المعاني الباطنة للقرآن والسنة لا تقف عند الحد الذي تصل إليه مداركنا القاصرة، بل هي فوق ما نظن وأعظم ممّا نتصور.

ولقد فهم عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أن فهم معاني القرآن مجالًا رحبًا ومتسعًا بالغًا فقال: «من أَرَادَ عِلْمًا فَلْيثوِّرِ الْقُرْآنَ فإنه خَيْرُ الأَوَّلِينَ وَخَيْرُ الآخِرِينَ»[2]، وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ

(1) الباطنية هم: فرقة من الفرق المبتدعة كانوا من أولاد المجوس وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يجسروا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين، وتأولوا آيات القرآن وسنن النبي ﷺ على موافقة أساسهم، وغرضهم الدعوة إلى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة، واستدلوا على ذلك بأن زعيمهم الأول ميمون بن ديصان، كان مجوسيًّا من سبي الأهواز، ودعا ابنه عبد الله بن ميمون الناس إلى دين أبيه. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي 269، 277، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين للإسفراييني 140.

(2) رواه الطبراني في معجمه الكبير 135/9، والبيهقي في شعب الإيمان 347/3، وقال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح. مجمع الزوائد 165/7.

(3) سورة الأنعام: 38.

يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾[1]، قال علي حسب الله[2] -رحمه الله-: «إذا سمع المرء كلامًا عربيًّا تبادر إلى ذهنه ما يدل عليه الكلام بحسب وضعه العربي، فإذا تدبّره فقد يفهم منه مقاصد مطويّة، وأغراضًا خفيّة. فالمتبادر الأول هو ظاهر الكلام، ويكاد يدركه كل عارف باللغة. والمفهوم الثاني هو باطنه، وهو لا يدرك إلا بشيء من التدبر. وللقرآن ظاهر وباطن بهذا المعنى، وكلاهما مراد، غير أن الثاني لا يعتد به إلا إذا لم يكن مناقضًا للأول، وكان له شاهد من مقاصد الدين ومَرامِيه»[3].

إلّا أن هذه المعاني المتكاثرة التي يشتمل عليها باطن القرآن والسنة لم تكن في متناول الجميع من أهل العلم، كما أنهم لم يكونوا مُتساوين في القدر الذي أدركوه منها، بل تفاوتوا في ذلك بمقدار ما بينهم من تفاوت في الأخذ بالأسباب، كما أنهم لم يكونوا جميعًا مصيبين فيما وصلوا إليه منها وأدركوه، بل أصابوا في بعض منها وأخطأوا في بعضه عن جهل وبعضه عن تعمّد ونية سيئة كالفلاسفة وأصحاب الفرق المخالفة لأهل السنة ولمنهج الوسطية والاعتدال.

قال محمد حسين الذهبي[4] -رحمه الله- مبيّنًا لهؤلاء الذين أخطأوا: «فالإماميّة مع

(1) سورة يوسف: 111.

(2) هو: علي محمد حسب الله المصري، عالم أُصولي محقق، ولد سنة (1313هـ) في مدينة الإسماعيلية بمصر، والتحق بالأزهر، ثم بمدرسة القضاء الشرعي، ثم بمدرسة العلوم، عمل مدرسًا في المدارس الحكومية ومدرسة العلوم، وصار أستاذًا، ووكيلًا للكلية في جامعة القاهرة، وعمل بعد إحالته إلى المعاش أستاذاً بجامعة الخرطوم، ثم بجامعة الكويت، وقد درس على يديه شيخي مفتي حضرموت عبد الله محفوظ الحداد بجامعة الخرطوم، ووصفه بالعالم المحقق -رحمهما الله تعالى-، من أشهر مؤلفات المترجم له: أصول التشريع الإسلامي الذي صاغ فيه علم أصول الفقه وقواعده بثوب جديد، والفرقة بين الزوجين وما يتعلق بها من عدة ونسب، توفي سنة (1398هـ). انظر: تكملة معجم المؤلفين لمحمد خير رمضان 706.

(3) أصول التشريع الإسلامي 25، 26.

(4) هو: محمد حسين الذهبي، عالم أزهري كبير، أستاذ دكتور بجامعة بغداد بكلية الشريعة، ورئيس قسم =

قولهم بالظاهر على ما به، قالوا بالباطن أيضًا، ولكنهم تعمّدوا أن يفسروا الباطن على ما يتفق وعقيدتهم الفاسدة، والباطنية لم يعترفوا بظاهر القرآن واعترفوا بالباطن فقط، ولكنهم أيضًا تعمدوا أن يفسروا الباطن على ما يتفق ونواياهم السيئة وكلا الفريقين ضال مبتدع. أما الصوفية أهل الحقيقة وأصحاب الإشارة، فقد اعترفوا بظاهر القرآن ولم يجحدوه، كما اعترفوا بباطنه، ولكنهم حين فسروا المعاني الباطنة خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فبينما تجد لهم أفهامًا مقبولة سائغة، تجد لهم بجوارها أفهامًا لا يمكن أن يقبلها العقل أو يرضى بها الشرع»[1].

أقول: إن الطرف الثاني من الأفهام المنقول عن الصوفية الذي أشار إليه الذهبي ممّا لا يقبلها العقل والشرع قلّ أن تجدها في كلام الصوفية المحققين منهم، نعم تجد ذلك في كلام المُدعين لمنهج الصوفية من المُتصوّفة المتأثرين بالفلاسفة والباطنية كما تقدم بيانه والكمال لله تعالى وحده.

الباطنية والإشارات

تأويل الباطنية: هو رفض الأخذ بظاهر القرآن والسنة مع قولهم بأن لهما ظاهرًا وباطنًا إلا أن المراد منه والمقصود هو باطنه دون ظاهره، وفق أساسهم[2].

= الشريعة بكلية الحقوق العراقية، وكاتب وباحث، حائز لشهادة العالمية من درجة أستاذ في علوم القرآن والحديث، عُرف بحوثه القيّمة في مناهج التفسير، من أشهر مؤلفاته: التفسير والمفسرون، وهو من أحسن التآليف المعاصرة في منهج المفسرين، والاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم وغيرهما، اغتيل في شهر رجب سنة (1397هـ) الموافق (1977م). انظر: تكملة معجم المؤلفين 474، ومقدمة الجزء الثالث من كتابه التفسير والمفسرون 3/3.

(1) التفسير والمفسرون 356/2.

(2) انظر: الفرق بين الفرق 269، مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني 74/2.

وبيّن الغزالي -رحمه الله- تأويل الباطنية فقال: هو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة(1).

هذه المعاني التي يذكرها الباطنية على اختلاف فرقها ونحلها تتفق على صرف نصوص الشريعة الغراء إلى معان باطنية أحدثوها لا علاقة لها بالنص الشرعي إطلاقًا لا من قريب ولا من بعيد، ودون أيّ دليل يدعم تأويلاتهم إلا محاولة نصر عقيدتهم التي لمّا لم يجدوا ما يدعمها من ظاهر القرآن والسنة، تأولوا النصوص على وفق مذهبهم بأمور يعلمون قطعًا أنها غير مرادة بها، ولو لم يكن لهم ذلك الرأي والعقيدة المُسبقة لكان لا يلوح لهم من القرآن والسنة ذلك المعنى، وتأويل الباطنية ومن نحى طريقهم تأويل مُتعسِّف، وهو يختلف اختلافًا كليًا عن المعاني الإشارية عن العلماء الربانيين للقرآن والسنة، وهو طريق يعتمد ظاهر النص ويعترف به، ويرى أن لذلك الظاهر إشارات إلى معان خفية، هذه المعاني الخفيّة لا تعبر عن مذهب عقلي وعقيدة باطنية مستورة أو هدف سياسي بل هي نتاج مجاهدات ورياضات وأحوال(2).

وتأويلات الباطنية ممّا اتفقت كلمة أهل العلم على ذمّها وتحريمها، وأنها طريق لهدم الشريعة، وتقوّلٌ على الله تعالى ورسوله، وهي تختلف عن المعاني الإشارية التي يذكرها العلماء الربانيون والصوفية من أهل السنة، وفيما يأتي **بعض كلام لأهل العلم في ذم تأويلات الباطنية واختلافها عن إشارات الصوفية**(3):

1- قال **الغزالي** -رحمه الله- بعد بيانه لتأويلات الباطنية: «فهذا أيضًا حرام وضرره عظيم، فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه، بنقل عن صاحب

(1) إحياء علوم الدين 49/1.

(2) انظر: إحياء علوم الدين 343/1، والتفسير الصوفي الإشاري للقرآن 51.

(3) تقدم كلام بعض أهل العلم في الموضوع كابن الصلاح والقاري ص60. وانظر: أدب المفتي والمستفتي لابن الصلاح 196/1، ومرقاة المفاتيح للقاري 446/1.

الشرع، ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، فإنّ ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به، والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتّى، وهذا أيضًا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الإغراب، لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له، وبهذا الطريق توصّل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم»[1].

2- وقال **ابن العربي** -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦﴾[2]، بعد ذكر المعنى الظاهر: «وباطنه: قلب عبدي المؤمن الذي كرمته بأن جعلته محل معرفتي وشرحته بنور هدايتي، وملأته حكمة من علمي... قال علماؤنا: ونحن نقطع على أن المراد بخطاب إبراهيم هذا الكعبة، ولكن الناظر العالم يتجاوز من الكعبة إلى القلب بطريق الاعتبار»، ثم ذكر قول الفقهاء وقال: «ولو هديت لهذه الفرقة الضالة من الشيعة والباطنية لما كانت عن سبيل الحق ناكبة، وقال: إن المراد بقوله: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾ القلب، ولا حظّ للكعبة فيه، ولكنه كما أخبر تعالى عنه: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾[3]»[4].

3- وقال **ابن عطاء الله** السكندري[5] -رحمه الله-: «اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام

---

(1) إحياء علوم الدين 49/1.

(2) سورة الحج: 26.

(3) سورة البقرة: 26.

(4) قانون التأويل 539-540.

(5) هو: أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله تاج الدين أبو الفضل الإسكندراني الشاذلي، صحب الشيخ أبا العباس المرسي صاحب الشاذلي، وصنّف مناقبه ومناقب شيخه، وكان المتكلّم على لسان الصوفية في زمانه، وكان إمامًا عارفًا صاحب إشارات وكرامات، وقدم راسخ في التصوف، =

الله تعالى ولكلام رسوله ﷺ بالمعاني الغريبة... فذلك ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جُلبت له الآية ودلّت عليه في عرف اللسان، وثَمَّ أفهامٌ باطنة تُفهم عند الآية والحديث، لمن فتح الله على قلبه، وقد جاء أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**لكل آية ظاهر وباطن حد ومطلع**»(1)، فلا يَصدنّك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل أو معارضة: هذا إحالة لكلام الله عز وجل وكلام رسول الله ﷺ. فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون إحالة لو قالوا: لا معنى للآية إلا هذا وهم لم يقولوا ذلك، بل يُقرّون الظواهر على ظواهرها مرادًا بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله ما أفهمهم»(2).

4- وقال **الشاطبي** -رحمه الله- بعد تقريره لإشارات الصوفية التي وجدت فيها الشرطان التي ذكرها: «وبهذين الشرطين يتبين صحة ما تقدم أنه الباطن، لأنهما متوفران فيه، بخلاف ما فسّر به الباطنية؛ فإنه ليس من علم الباطن، كما أنه ليس من علم الظاهر فقد قالوا في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾(3)، إنه الإمام ورث النبي علمه. وقالوا في الجنابة، إن معناها: مبادرة المستجيب بإفشاء السّر إليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق، ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك، ومعنى الطهور: هو التبري والتنظف من اعتقاد كل مذهب سوى متابعة الإمام، والتيمم: الأخذ من المأذون إلى أن يشاهد الداعي أو الإمام، والصيام: الإمساك عن كشف السر، والكعبة: النبي، والباب: عليّ، والصفا: هو النبي، والمروة: عليّ... إلى سائر ما نقل من خِبَاطهم الذي هو عين الخبال، وضُحْكة السامع...

=

قال الذهبي: كانت له جلالة عجيبة ووقع في النفوس، ومن مصنفاته: التّنوير في إسقاط التدبير، والحكم، ولطائف المنن، وتوفي في نصف جمادى الآخرة سنة (709هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى 23/9، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر 324/1.

(1) سيأتي تخريج هذا الحديث وأقوال أهل العلم فيه مفصلًا 161.

(2) لطائف المنن 248، 249.

(3) سورة النمل: 16.

فأنت ترى هذه الأقوال مشكلة إذا سبرناها بالمسْبَار المتقدّم، وكذلك سائر الأقوال المذكورة في الفواتح مثلها في الإشكال وأعظم، ومع إشكالها فقد اتخذها جمع من المنتسبين إلى العلم، بل إلى الاطلاع والكشف على حقائق الأمور، حججًا في دعاوٍ ادّعوها على القرآن، وربما نسبوا شيئًا من ذلك لعلي بن أبي طالب، وزعموا أنها أصل العلوم ومنبع المكاشفات على أحوال الدنيا والآخرة، وينسبون ذلك إلى أنه مراد الله تعالى في خطابه العرب الأمية التي لا تعرف شيئًا من ذلك، وهو إذا سلم أنه مراد في تلك الفواتح في الجملة، فما الدليل على أنه مراد على كل حال من تركيبها على وجوه، وضرب بعضها ببعض، ونسبتها إلى الطبائع الأربع، وإلى أنها الفاعلة في الوجود، وأنها مجمل كل مفصل، وعنصر كل موجود، ويرتبون في ذلك ترتيبًا جميعه دعاوٍ مُحالةٌ على الكشف والاطلاع، ودعوى الكشف ليس بدليل في الشريعة على حال، كما أنه لا يُعد دليلًا في غيرها»[(1)].

5- وقال **التفتازاني** -رحمه الله-: «الملاحدة وسموا الباطنية، لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها، بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المُعلّم. وقصدهم بذلك: نفي الشريعة بالكلية (إلْحَادٌ) أي: ميلٌ وعدولٌ عن الإسلام،... وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص محمولة على ظواهرها، ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك، يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان»[(2)].

6- وقال **ابن عجيبة** -رحمه الله-: «واعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسول الله ﷺ على غير المعنى المعهود، ليس هو عندهم عين المعنى المراد، ولكنهم يقررون الآية والحديث على ما يعطيه اللفظ، ثم يفهمون إشارات ودقائق وأسرار خارجة من مقتضى الظاهر، خصّهم الله بها لصفاء أسرارهم»[(3)].

(1) الموافقات 3/358، 360.
(2) شرح العقائد النسفية 106.
(3) إيقاظ الهمم في شرح الحكم 361.

7- وقال عيدروس عمر **الحبشي** -رحمه الله-: «لابد من إتباع ظاهر الآية والحديث، إلا ما حصل الاتفاقُ على تأويله، فإذا أعطيت ما ورد عن الله ورسوله حقّه من معناه الظاهر عند العلماء، فلا بأس بعد ذلك أن تستخرجَ من مكنون معاني الكتاب والسنة ما فتح الله به عليك ممّا لا يُردُّه كتابٌ ولا سنة، إن كنتَ أهلًا لذلك»(1).

8- وقال **الزرقاني** -رحمه الله-: «من هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمّى بالتفسير الإشاري، وبين تفسير الباطنية الملاحدة. فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر، بل يحضون عليه ويقولون: لا بدّ منه أولًا. إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر، كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب. وأما الباطنية فإنهم يقولون: إن الظاهر غير مراد أصلًا، وإنما المراد الباطن. وقصدهم نفي الشريعة»(2).

9- وقال علي **حسب الله** -رحمه الله-: «وليس من الفقه في الدين أن يقفَ المرء عند ظواهر الألفاظ، وينصرف عن تدبر كلام الله، فقد ذم الله المنافقين لوقوفهم عند الظواهر، وانصرافهم عن التدبر بقوله سبحانه مخاطباً المؤمنين: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾(3)، وقوله سبحانه: ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾(4)، ذلك لأن الوقوف عند الظواهر يُبعدُ عن المقاصد الشريفة، ويُبطل حكمة التشريع، ومن ذلك أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾(5)، قال اليهود الواقفون عند

---

(1) الفيوضات الربانية من أنفاس السادة العلوية 16.

(2) مناهل العرفان في علوم القرآن 79/2.

(3) سورة الحشر: 13.

(4) سورة النساء: 78.

(5) سورة البقرة: 245.

الظواهر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[1]... وكذلك ليس من الفقه في الدين القول بباطن لا يمت إلى المفهوم اللغوي بسبب، لأن الله تعالى أنزل القرآن تبيانًا لكل شيء بلسان عربي مبين: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٧ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٢٨﴾[2]، ولو كان له من المعاني الخفية ما لا صلة بينه وبين معانيه الظاهرة - لم يكن كما وصفه الله. ومن هذا ما ذهب إليه الباطنية في كثير من المواضع، كتفسيرهم قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[3]، بأن الإمام ورِث علم النبي. وقولهم -في تفسير قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[4]-: الصفا محمد، والمروة علي. وقولهم -في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾[5]- إن المراد بالنار غضب النمروذ عليه، لا النار الحقيقية. وقول عبد الله بن سبأ[6] زعيمهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[7]- إن المراد بالرّد إعادة الرسول في الدنيا إلى الحياة بعد الموت...إلى غير

---

(1) سورة آل عمران: 181.

(2) سورة الزمر: 27، 28.

(3) سورة النمل: 16.

(4) سورة البقرة: 158.

(5) سورة الأنبياء: 82.

(6) هو: عبد الله بن سبأ رأس الطائفة السبئية، وكانت تقول بألوهية علي، أصله من اليمن، قيل: كان يهوديًّا وأظهر الإسلام. رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة، ودخل دمشق في أيّام عثمان بن عفان رضي الله عنه، فرواه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببدعته، ومن مذهبه رجعة النبي ﷺ فكان يقول: العجب ممّن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب برجوع محمد! ونقل ابن عساكر عن الصادق: لما بُويع علي قام إليه ابن سبأ فقال له: أنت خلقت الأرض وبسطت الرزق! فنفاه إلى ساباط المدائن، حيث القرامطة وغُلاة الشيعة. وقال ابن حجر العسقلاني: ابن سبأ من غلاة الزنادقة، أحسب أن عليًّا حرّقه بالنار. انظر: لسان الميزان 39/2، سير أعلام النبلاء 129/4، الأعلام للزركلي 88/4.

(7) سورة القصص: 85.

ذلك مما أكثر منه الباطنية، ولا صلة بينه وبين ظاهر اللفظ، بل لا يخطر ببال عارف باللغة، ولا يقوم دليل على اعتباره، ولا يؤثَر شيء منه عن أحد من السلف»[1].

وممّا سبَق نقله عن العلماء يدل أن تأويلات الباطنية تُعدُ تحريف للكلم عن مواضعه، وقلب للحقائق التشريعية، وتغيير للأخبار القرآنية والنبوية، وممّا يدل على بطلانها ما يأتي:

1- إنه تأويل بالرأي لا يستند إلى مستند شرعي أو لغوي أو عقلي صحيح، وهو داخل تحت قول النبي ﷺ، فعن جُنْدَبِ بن عبد اللهِ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**من قال في القُرآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ**»[2]، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ فِي القُرآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[3]، ومثل القرآن السنة، قال الماوردي[4] -رحمه الله- في بيان معنى الحديث: «ولهذا الحديث تأويل معناه: أن من حمل

(1) أصول التشريع الإسلامي 27، 28.

(2) رواه الترمذي في سننه واللفظ له، ك: تفسير القران عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الذي يفسر القران برأيه من حديث جندب ح2952، وقال: هكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أنهم شددوا في هذا في أن يفسر القرآن بغير علم، وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن، فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم، وقد رُوي عنهم ما يدل على ما قلنا أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم، وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم. ورواه أبوداود في سننه ك: العلم، باب: الكلام في كتاب الله بغير علم ح3652، والبيهقي في شعب الإيمان 540/3، وقال بعده: وهذا إن صح، فإنما أراد والله أعلم الرأي الذي يغلب على القلب من غير دليل قام عليه، فمثل هذا الذي لا يجوز الحكم به في النوازل، فكذلك لا يجوز تفسير القرآن به، وأما الرأي الذي يشده برهان فالحكم به في النوازل جائز، وكذلك تفسير القرآن به جائز.

(3) رواه الترمذي في سننه واللفظ له ك: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ح2950، وقال: هذا حديث حسن.

(4) هو: علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي الشافعي، أبو الحسن، الإمام العلامة، أقضى القضاة، =

القرآن على رأيه ولم يعمل على شواهد ألفاظه فأصاب الحق فقد أخطأ الدليل»(1).

2- إن تأويلات الباطنية مبْنية لأجل تصحيح بدعتهم، مع علمهم أو جهلهم فيلوون عُنق النصوص إلى أهوائهم وينزلون الآيات والأحاديث على وُفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون أنها غير مُرادة(2).

3- إن في تأويلات الباطنية انتقال إلى المعنى الباطن دون معرفة ظاهر النص، ولا يجوز التهاون بمعرفة معنى الظاهر أولًا، قال الغزالي: «ولا مَطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر. ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كَمَنْ يدعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك. فإن ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لا بد منها للفهم»(3).

4- لا يوجد دليل يدل على صحة تأويلاتهم من سياق الآية والحديث بل ينافيه، ولا من دليل خارج، إذ لا دليل عليه كذلك(4).

نماذج من التأويلات الباطنية في السنة المشرّفة

1- عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَسَحَّرُوا فإن في**

=

كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم، من مؤلفاته: الحاوي في الفقه، والنكت في التفسير، والأحكام السلطانية، توفي سنة (450هـ). انظر: سير أعلام النبلاء 64/18. طبقات الشافعية 303/3 - 314.

(1) النكت 35/1، وفي تفسير الطبري جامع البيان في تأويل آي القران نحوه 55/1.

(2) انظر: إحياء علوم الدين 343/1.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) انظر: الموافقات 365/3.

السَّحُورِ بَرَكَةً»(1)، قال الباطنية: أراد النبي ﷺ بالتسحّر الاستغفار في الأسحار(2).

وقد رد الغزالي -رحمه الله- على الباطنية لتأويلهم الحديث بالمعنى الباطني وردهم للمعنى الظاهر المتبادر من الحديث فقال: «هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعًا... وكذا حمل السحور على الاستغفار فإنه كان ﷺ يتناول الطعام ويقول: «تسحّروا» و«**هلمّوا إلى الغذاء المبارك**»(3) فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلًا، وبعضها يُعلم بغالب الظن، وذلك في أمور لا يتعلق بها الإحساس، فكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق، ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم، فلا يظهر لقوله ﷺ: «**من فسّر برأيه فليتبوأ مقعده من النار**»(4) معنى إلا هذا النمط: وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه، فيستجر شهادة القرآن إليه، ويحمله عليه، من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية»(5).

2- وعن أسامة بن شريك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَدَاوَوْا فإن اللَّهَ عز وجل لم يَضَعْ دَاءً إلا وَضَعَ له دَوَاءً غير دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ**»(6)، أوّل الباطنية الحديث

---

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: الصوم، باب: بركة السحور 1823.

(2) انظر: إحياء علوم الدين 49/1.

(3) رواه النسائي في سننه ك: الصيام، باب: دعوة السحور ح2163، وابن حبان في صحيحه 244/8، والحديث ضعفه ابن القطان. انظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفارمع إحياء علوم الدين49/1.

(4) تقدم تخريجه قريبًا صـ 89 لكن بلفظ: «من قال في القرآن بغير علم..» ولم أجده بلفظ: «من فسّر برأيه..»».

(5) إحياء علوم الدين1/ 49، 50.

(6) رواه أبو داود واللفظ له في سننه ك: الطب، باب: في الرجل يتداوي ح3855، والترمذي في سننه ك: الطب، باب: ما جاء في الدواء والحث عليه ح2038، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في سننه ك: الطب، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء ح3436، والحاكم في =

فقالوا: التداوي بالتوبة، ولم يُقرّوا بمعناه الحقيقي المتبادر وهو التداوي المعروف المعهود عند العرب، وهذا غير معتبر في التأويل ولا يصح استعمال الأدلة الشرعية في مثله كما قال الشاطبي -رحمه الله-(1)، لكن العلماء الربانيين يقولون بمعناه الظاهر وهو التداوي المعهود الذي يعرفه العرب، بل يتداوون بذلك، ولكنهم يقولون أيضًا لا يمنع أن نتأمل الحديث فثمَّ معنى باطن وهو التداوي بالتوبة من أمراض الذنوب، فإن وجه ارتباط المعنى الظاهر المشير بالمشار إليه واضح وهو العلاج.

3- وعن أبي طلحة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**لا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ ولا صُورَةٌ**»(2) فيقول الباطني: المراد تخلية بيت القلب عن كَلْب الغضب، لأنه يمنع المعرفة التي هي من أنوار الملائكة إذ الغضب غول العقل ثم يقتني الكَلْب في البيت ويقول ليس الظاهر مرادًا(3).

وفي قول هذا الباطني شطط وبُعدٌ بل هدم لأحكام الدين ومقاصده العظيمة، بينما العلماء الربانيون يأخذون بالمعنى الظاهر ولا يمنعونه، ويقولون بالمعنى الباطن ولا يلزمونه.

كلام للغزالي في منهج الباطنية

وللغزالي -رحمه الله- كلام قيِّم يُبيِّن منهج العلماء الربانيين والصوفية ومنهج الباطنية جدير بالوقوف عليه قال -رحمه الله-: «فإن إبطال الظواهر رأي الباطنية الذين نظروا بالعين

=

المستدرك على الصحيحين 220/4، وقال: هذا حديث أسانيده صحيحة كلها على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والحديث صحيح. انظر: خلاصة الأحكام في مهمّات السنن وقواعد الإسلام للنووي 921/2.

(1) انظر: الموافقات 50/3.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: بدء الخلق، باب: إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه ح3144.

(3) انظر: مشكاة الأنوار ضمن مجموعة رسائل الغزالي 283.

العوراء إلى أحد العالمين، وجهلوا جهلًا بالموازنة بينهما فلم يفهموا وجهه، كما أن إبطال الأسرار مذهب الحشَوِيّة[1] فالذي يجرد الظاهر حشوي، والذي يجرد الباطن باطني والذي يجمع بينهما كامل، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع**»[2]. وربما نُقِل هذا عن علي موقوفًا عليه، بل أقول: موسى فهم من الأمر بخلع النعلين اطرح الكونين، فامتثل الأمر ظاهرًا بخلع نعليه، وباطنًا بخلع العالمين، فهذا هو الاعتبار أي: العبور من شيء إلى غيره، ومن ظاهر إلى سِرٍّ، وفرْق بين مَنْ يسمع قول رسول الله ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلبٌ أو صورةٌ**»، فيقتني الكَلْبَ في البيت ويقول: ليس الظاهر مرادًا بل المراد تخلية بيت القلب عن كَلْبِ الغضب، لأنه يمنع المعرفة التي هي من أنوار الملائكة، إذ الغضب غَوْل العقل وبين من يمتثل الأمر بالظاهر، ثم يقول ليس الكلب بصورته بل بمعناه وهو السبعية والضراوة، وإذا كان حفظ البيت الذي هو مقر الشخص والبدن واجبًا عليه أن يحفظ عن صورة الكلبية، فلأن يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقي الخاص عن سِر الكلبية كان أولى، فإن من يجمع بين الظاهر والباطن جميعًا فهذا هو الكامل، وهو المعني بقولهم الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، وكذلك ترى الكامل لا يسمح لنفسه بترك حدٍ من حدود الشرع مع كمال البصيرة»[3].

---

(1) الحشَوِيّة: هم فرقة من المشبهة والمجسمة، وسبب تسميتهم حشوية أن طائفة منهم حضروا مجلس الحسن البصري بالبصرة وتكلّموا بالسقط عنده فقال: ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة -أي جانبها- فتسامع الناس ذلك وسمّوهم الحشَوية -بفتح الشين، ويصح إسكانها- لقولهم بالتجسيم؛ لأن الجسم محشو.انظر: الملل والنحل للشهرستاني 105/1.

(2) سيأتي تخريجه بتوسع مع بيان طرقه ص161.

(3) مشكاة الأنوار 283، 284.

الفرق بين إشارات الصوفية وتأويلات الباطنية

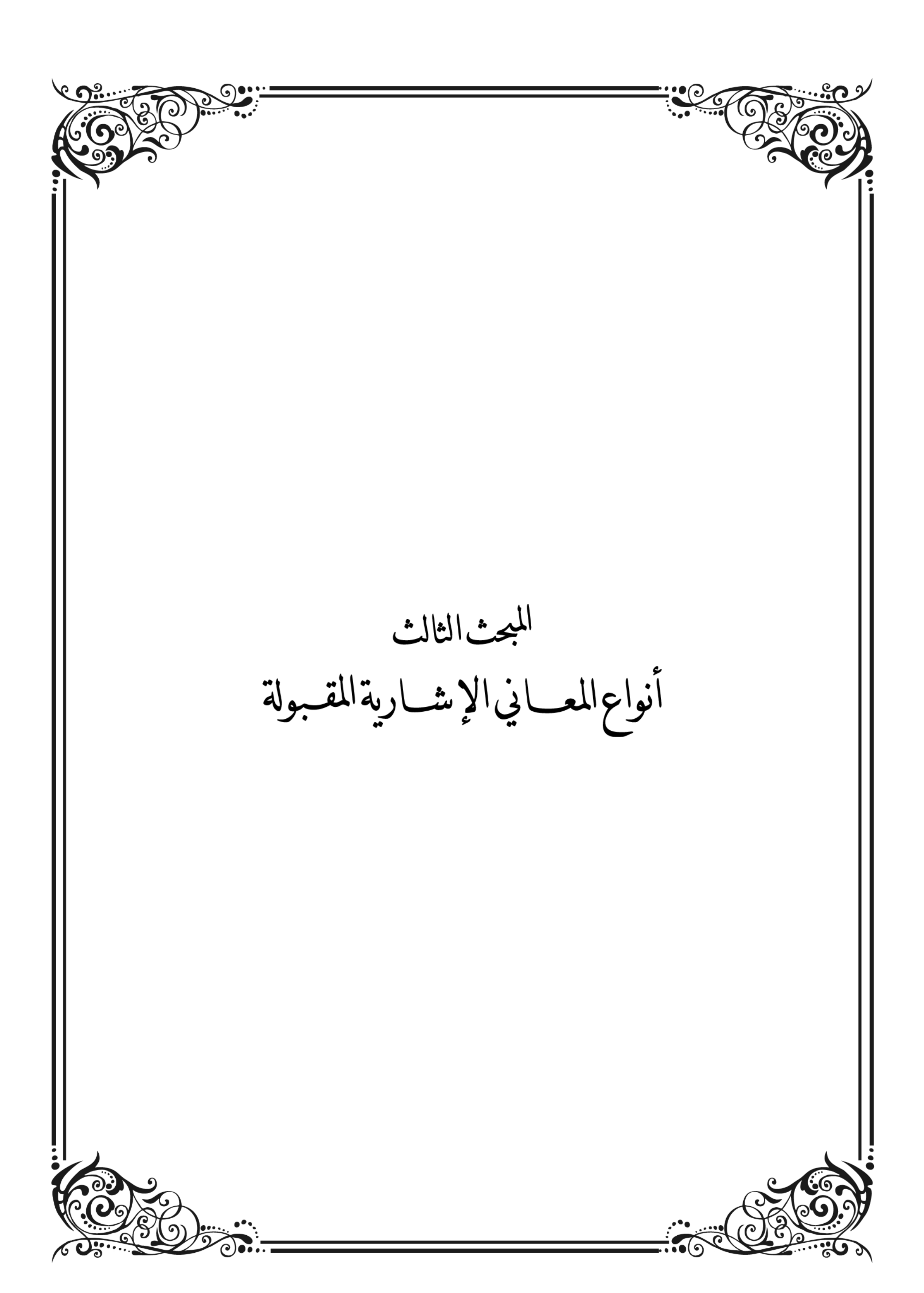
من خلال كلام أهل العلم في التمييز بين إشارات الصوفية والعلماء وتأويلات الباطنية ومن نحا منْحاهم يمكن تلخيص الفرق في ثلاثة أمور كما يأتي:

أولًا: إن الصوفية والعلماء لا يمنعون من النص الشرعي كتابًا أو سنة إرادة معناه الظاهر بل يقررونه ويحضّون عليه ويقولون: لا بد من معرفة وذكر الظاهر أولًا، ثم يستنبطون من الظاهر معنى جديدًا، وهو معنى باطن لا يدركه إلا العالمون، بينما نجد الباطنية لا يأخذون بالمعنى الظاهر بل يزعمون أن الظاهر غير مراد أصلًا، وإنما المراد من النص هو معناه الباطن.

ثانيًا: إن إشارات السادة الصوفية ليس وراءها مقصدًا مذهبيًّا أو سياسيًّا أو عقيدة مُسَبّقة، وإنما مطلبًا روحيًّا وتربويًّا لتهذيب الأرواح وتحليتها بمحاسن الأخلاق، وتخليتها من درن الذنوب، وهذا يختلف تمامًا عن تأويلات الباطنية التي قد يكون لها مآرب عقدية أو سياسية لا صلة لها بالنص الشرعي أحيانًا.

ثالثًا: إن القول بأن للقرآن الكريم وللسنة النبوية ظاهرًا وباطنًا له ما يُؤيده من القرآن والسنة، ولذا أَخذ بإشارات الصوفية كثير من أهل العلم قديمًا وحديثًا، وهذا عكس تأويلات الباطنية فليس لهم دليلًا يُؤيّد تأويلاتهم، بأن المراد من النصوص الشرعية معناها الباطن دون الظاهر، ولا يلجأ إلى المجاز إلا بدليل ولا يوجد[1].

(1) انظر: المصادر السابقة وإحياء علوم الدين 49/1، ومناهل العرفان للزرقاني 79/2، والتفسير والمفسرون 356/2.



المبحث الثالث

أنواع المعـاني الإشـارية المقبولة

المبحث الثالث

أنواع المعاني الإشارية المقبولة

المعاني الإشارية المنقولة عن العلماء الربانيين والصوفية تميّز عن المعاني والتأويلات الأخرى بأنها صحيحة ومقبولة، لكونها منبثقة من أصول الشريعة ولا تأباها قواعد الاستنباط من الكتاب والسنة، وبسبب طبيعة البشر واختلاف أفهامهم، وتنوع مشاربهم تعددت إشاراتهم للآيات القرآنية وللأحاديث مع اتفاق العلماء الربانين من السادة الصوفية على ضوابط الاستنباط وأُسسه بحيث لا يخرجون إلى إشارات بعيدة أو تأويلات منحرفة.

وللإمام الشاطبي -رحمه الله- تقسيم جيّد لأنواع المعاني الإشارية المقبولة، فقد قسّمها إلى نوعين: الاعتبارات القرآنية، والاعتبارات غير القرآنية أو الوجودية الخارجية.

وهذان النوعان لهما أنحاء ثلاثة لا تخرج عنها المعاني الإشارية، وقد لخّصها محمد الطاهر بن عاشور -رحمه الله- وبيّنها وقال: إن هذه الإشارات لا تعدو واحدًا من هذه الأنحاء.

وسأذكر تقسيم الشاطبي أولًا، ثم أنحاء الإشارات الثلاثة عند ابن عاشور، وأعقب كل نوع واتجاه بنموذج من الإشارات المروية في السنة النبوية.

أولًا: تقسيم الشاطبي لأنواع الإشارات المقبولة

قال الشاطبي -رحمه الله-: الاعتبارات القرآنية الواردة على القلوب، الظاهرة للبصائر، إذا صحّت على كمال شروطها فهي على ضربين:

أحدهما: ما يكون أصل انفجاره من القرآن، ويتبعه سائر الموجودات، فإن الاعتبار الصحيح في الجملة هو الذي يخرق نور البصيرة فيه حُجُبَ الأكوان من غير توقف، فإن توقف فهو غير صحيح أو غير كامل، حسبما بيّنه أهل التحقيق بالسلوك.

فإن كان الأول فذلك الاعتبار صحيح، وهو معتبر في فهم باطن القرآن من غير إشكال، لأن فهم القرآن إنما يرد على القلوب على وفق ما نزل له القرآن، وهو الهداية التامة على ما يليق بكل واحد من المُكلفين، وبحسب التكاليف وأحوالها، لا بإطلاق، وإذا كانت كذلك فالمشي على طريقها مشي على الصراط المستقيم، ولأن الاعتبار القرآني قلّما يجده إلا مَنْ كان من أهله عملًا به على تقليد أو اجتهاد، فلا يخرجون عند الاعتبار فيه عن حدوده، كما لم يخرجوا في العمل به والتخلق بأخلاقه عن حدوده، بل تنفتح لهم أبواب الفهم فيه على توازي أحكامه، ويلزم من ذلك أن يكون معتدًّا به لجريانه على مجاريه، والشاهد على ذلك ما نقل من فهم السلف الصالح فيه، فإنه كله جارٍ على ما تقضي به العربية، وما تدل عليه الأدلة الشرعية حسبما تبيّن قبل[1].

نموذج من الإشارات في السنة النبوية من النوع الأول

ممّا يندرج ضمن إشارات الاعتبار القرآني حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «**المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤْمِنِ، والمُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِنِ يَكُفُّ عليه ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ من وَرَائِهِ**»[2].

قال عبد الله محسن العطاس[3] -رحمه الله- في معنى الحديث: «أي: إن قلب العبد

(1) الموافقات 366/3، 367.

(2) رواه البخاري في الأدب المفرد 93، وأبو داود واللفظ له في سننه ك: الأدب، باب: في النصيحة والحياطة ح4918، والحديث حسنه العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار 82/2.

(3) هو: عبد الله بن محسن بن محمد العطاس، السيد الشريف الصالح، ولد بحُريضة حضرموت، أخذ عن أحمد بن حسن العطاس ومحمد بن عيدروس الحبشي، وغيرهما وكان صاحب جاهٍ كبير في جاوة بإندونسيا، له مجموع من كلامه مخطوط، توفي ببوُقور بإندونسيا، سنة (1351هـ). انظر: الفيوضات الربانية 54.

المؤمن مرآةُ لتجلِّي المؤمن سبحانه وتعالى، وسماءُ التنزُّل الإلهي: قلوب العارفين[1]»[2].

فالحديث يُبيِّن أن العبد المؤمن مرآة لأخيه المؤمن يَبصرُ حاله فينصحه في السِّر فهو يرى من أخيه ما لا يراه من نفسه[3].

إلا أن العطاس -رحمه الله- فَهِمَ منه معنى آخر جديدًا انقدح في ذهنه موافقًا لهدي القرآن الكريم، فمن أسماء الله تعالى المؤمن، فهو تعالى يتجلّى لقلب عبده المؤمن ببره وعلومه وفيْضه، وممّا ورد من ذلك في السنة حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إلى أَجْسَادِكُمْ ولا إلى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إلى صَدْرِهِ**»[4].

ووجه الارتباط بين المعنى الظاهر والباطن نظر الله تعالى لقلب عبده ونظر المؤمن لأخيه المؤمن، ونظر الله تعالى لعباده عنايته وحفظه لهم، ونظر المؤمن لأخيه المؤمن لينصحه ويرشده. وهذا المعنى الإشاري منبثق من أصل القرآن الكريم والسنة المطهرة وليس خارجًا منهما.

النوع الثاني: قال الشاطبي والثاني: ما يكون أصل انفجاره من الموجودات جزئيها أو كليها، ويتبعها لاعتبار في القرآن... وإن كان الثاني فللتوقف عن اعتباره في فهم باطن القرآن لازم، وأخذه على إطلاق فيه ممتنع، لأنه بخلاف الأول، فلا يصح إطلاق القول

---

(1) العارفون: جمع عارف، والعارف من أشهده الله تعالى صفاته وأسماءه وأفعاله، فالمعرفة حال تحدث من شهوده. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني 124.

(2) الفيوضات الربانية من أنفاس السادة العلوية 190.

(3) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود 178/13.

(4) رواه مسلم في صحيحه ك: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ح 2564.

باعتباره في فهم القرآن، فنقول: إن تلك الأنظار الباطنية في الآيات المذكورة إذا لم يظهر جريانها على مقتضى الشروط المتقدمة فهي راجعة إلى الاعتبار غير القرآني، وهو الوجود، ويصح تنزيله على معاني القرآن، لأنه وجودي أيضًا، فهو مشترك من تلك الجهة غير خاص، فلا يطالب فيه المعتبر بشاهد موافق، إلا ما يطالبه المربي، وهو أمر خاص، وعلم منفرد بنفسه لا يختص بهذا الموضع، فلذلك يوقف على محله، فكون القلب جارًا ذا قربى، والجار الجنب هو النفس الطبيعي، إلى سائر ما ذكر، يصح تنزيله اعتباريًّا مطلقًا، فإن مقابلة الوجود بعضه ببعض في هذا النمط صحيح وسهل جدًا عند أربابه»(1).

نموذج من الإشارات في السنة النبوية من النوع الثاني المقبول

لعل ممّا يندرج ضمن إشارات الاعتبار غير القرآني والسنة مأخوذ من الاعتبار الخارجي من الموجودات مع إتباع الاعتبار له في السنة النبوية حديث أبي طلحة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**لا تَدْخُلُ الـمَلَائِكَةُ بيْتًا فيه كَلْبٌ ولا صُورَةٌ**»(2).

قال عيدروس بن عمر الحبشي -رحمه الله-: «(البيت) هو القلب، و(الكلب) هو الهوى، و(الصورة) هي الدنيا، أي: لا تدخل الملائكة قلبًا -أي: فيه- هوًى أو دنيا، يعني ملائكة الأسرار والمعارف والأنوار»(3).

فالمعنى الظاهر من الحديث يدل على تحريم اقتناء الكلب لغير صيد أو حراسة وأن الملائكة لا تدخل البيت الذي فيه كلب أو تصاوير(4).

والمعنى الباطن الذي فهمه الحبشي -رحمه الله- معنى مستلهم من بُعد للاعتبار مع

(1) الموافقات 366/3، 367.

(2) تقدم تخريجه ص111.

(3) الفيوضات الربانية من أنفاس السادة العلوية 218.

(4) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد 301/1، وشرح صحيح مسلم للنووي 84/14.

إقراره بالمعنى الظاهري المتفق عليه، وهو من الاعتبار الوجودي، فإن البيت والكلب والتصاوير من الموجودات إلا أنه بعد تقرير حقيقتها، والأخذ بها أُتبع الاعتبار بها من نصوص الشريعة كتابًا وسنةً، ووجه ارتباط المشير (المعنى الظاهر) والمشار إليه (المعنى الباطن) من التشابه أن البيت مأوى الأخيار والأشرار فكذا القلب تَرِدُ عليه المعارف والوردات الإيمانية وترد عليه الخواطر الشيطانية والأمراض القلبية كالهوى ومحبة الدنيا.

فهذا النوع من الاعتبارات الوجودية مقبولة ما دام أن العالم الرباني لم يقل أن المعنى الباطني الذي ذكرته هو المقصود من الحديث أو الآية، وإنما يقرر المعنى الظاهري المتبادر ويعتقد أنه الأصل، ولا يمنع استنباط معاني أخرى باطنية للاعتبار.

وقد نبّه الشاطبي إلى هذا الأمر بعد ذكره نوع الاعتبارات الوجودية غير القرآنية فقال: «فإن من ذكر عنه مثل ذلك من المعتبرين لم يصرح بأنه المعنى المقصود المخاطب به الخلق، بل أجراه مجراه، وسكت عن كونه هو المراد»[1].

ومع هذا فإن هذا الخوض في مثل هذا النوع يجب أن يكون بدراية لمقاصد الشرع وقواعد اللغة، وإلا فهو على خطر ولهذا تخوّف الشاطبي على مَنْ هذا حاله فقال: غير أنه مغرّر بمَنْ ليس براسخ أو داخل تحت إيالة راسخ[2].

ومن كانت هذه حاله فإنه يزل في شِرَاكِ الباطنية أو الفلاسفة أو من مشى طريقهم.

قال الشاطبي -رحمه الله-: «وإن جاء شيء من ذلك وصرّح صاحبه أنه هو المراد، فهو من أرباب الأحوال الذين لا يُفرِّقون بين الاعتبار القرآني والوجودي، وأكثر ما يطرأ هذا

(1) الموافقات 367/3.

(2) المصدر السابق نفسه 367/3.

لِمن هو بَعُدَ في السلوك، سائر على الطريق، لم يتحقق بمطلوبه، ولا اعتبار بقول من لم يثبت اعتبار قوله من الباطنية وغيرهم»(1).

نموذج من الاعتبار الخارجي غير المقبول من القرآن الكريم

مثال الاعتبار الخارجي ما يروونه عن بعضهم في معنى قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾(2)، قال: ألف شهر هي مدة الدولة الأموية، لأنها مكثت ثلاثًا وثمانين سنة وأربعة أشهر، وأن ذلك من الله تسلية لرسول الله ﷺ حيث أطلعه على ملوك بني أمية واحدًا واحدًا، فسرى عنه بهذه السورة هذا المعنى لم يؤخذ من القرآن، بل أخذ من الخارج والواقع في ذاته بموافقة مطابقة العدد، واللفظ لا ينبو عنه، لكنه لا دليل من الشرع على كونه هو المعنى المقصود(3).

نموذج من الاعتبار الخارجي غير المقبول من السنة النبوية

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنما بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قبلكُمْ من الْأُمَمِ كما بين صَلَاةِ الْعَصْرِ إلى غُرُوبِ الشَّمْسِ أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا حتى إذا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا إلى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ فَعَمِلْنَا إلى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأُعْطِينَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ فقال أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ أَيْ رَبَّنَا أَعْطَيْتَ هَؤُلَاءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا وَنَحْنُ كنا أَكْثَرَ عَمَلًا قال قال الله عز وجل هل**

---

(1) الموافقات 368/3.

(2) سورة القدر: 3.

(3) انظر: هامش الموافقات 367/3، والتفسير والمفسرون 367/2، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي 125.

ظَلَمْتُكُمْ من أَجْرِكُمْ من شَيْءٍ قالوا لَا قال فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ من أَشَاءُ»[1].

ذكر بعض المعاصرين أن مدة عمر المسلمين = مدة عمر اليهود مطروحًا منه مدة عمر النصارى، وحيث إن مدة عمر اليهود والنصارى تزيد على ألفي سنة ومدة عمر النصارى هي ستمائة سنة إذن بالطرح الجبري يكون: عمر أمة اليهود = 2000-600=1400 سنة تزيد قليلًا. وذكر أهل النقل وكتب التاريخ العام أن هذه الزيادة تزيد عن المائة سنة قليلًا، إذًا: عمر أمة اليهود = 1500 سنة تزيد قليلًا، وحيث أن عمر أمة الإسلام = عمر أمة اليهود - عمر النصارى، إذًا: عمر أمة الإسلام = 1500-600=900 سنة تزيد قليلًا +500 سنة إذا: عمر أمة الإسلام = 1400سنة تزيد قليلًا[2].

أنحاء المعاني الإشارية المقبولة

ذكر ابن عاشور -رحمه الله- ثلاثة أنحاء للمعاني الإشارية المقبولة، وهي لا تخرج عن النوعين الذين ذكرهما الشاطبي، فسأذكرها واذكر بعدَ كل نوع منها نموذج من المعاني الإشارية من السنة النبوية.

قال ابن عاشور -رحمه الله-: عندي إن هذه الإشارات لا تعدو واحدًا من ثلاثة أنحاء:

(الأول) ما كان يجري فيه معنى الآية مجرى التمثيل لحال شبيه بذلك المعنى كما يقولون مثلًا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾[3]، أنه إشارة للقلوب، لأنها مواضع الخضوع لله تعالى إذ بها يعرف فتسجد له القلوب بفناء

---

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: الصلاة، باب: من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب ح532.

(2) انظر عُمر أمّة الإسلام وقرب ظهور المهدي لأمين محمد جمال الدين صـ49، ولعلّ الخمسمائة هي الفترة بين سيدنا عيسى وبعثة سيدنا محمد صلى الله عليهما وسلم.

(3) سورة البقرة: 114.

النفوس، ومنعها من ذكره هو الحيلولة بينها وبين المعارف اللدنية ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ بتكديرها بالتعصبات وغلبة الهوى، فهذا يشبه ضرْبَ المثل لحال من لا يزكي نفسه بالمعرفة، ويمنع قلبه أن تدخله صفات الكمال الناشئة عنها بحال مانع المساجد أن يذكر فيها اسم الله، وذكر الآية عند تلك الحالة كالنطق بلفظ المثل، ومن هذا من السنة قولهم في حديث: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة**» كما تقدّم[1].

نموذج من المعاني الإشارية من السنة النبوية من النوع الأول:

عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «**اسْتَعِينُوا عَلَى حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتْمَانِ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٍ**»[2].

قال ابن عجيبة -رحمه الله-: عقب ذكره الحديث: «وينْخرط في سِلْك الأحوال التي يجب كتمانها خرق عوائد النفوس، فمن خرق عادة في نفسه فلا يفشي ذلك لغيره، فإن ذلك دسيسة لها، لأنها تحب أن تذكر بالقوة والنجدة، فيكون كلما قتل منها أحياه في ساعته، وفيه أيضًا نقص الإخلاص وإدخال الرياء، وهو سبب الهلاك والعياذ بالله»[3].

وما ذكره ابن عجيبة هو المعنى الباطن الإشاري، وأما معناه الظاهر فهو يرشد لطلب كتم

---

(1) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 29/1، 30.

(2) رواه الطبراني في معجمه الأوسط 292/2، وأبو نعيم في حلية الأولياء 215/5، وغيرهما، والحديث قدتساهل بالحكم بوضعه ابن الجوزي، وضعّفه بعض المحدثين كالعراقي، وأشار لتقويته بطرقه السخاوي والسيوطي، قال السخاوي: ويُستأنس له بما رواه الطبراني في الأوسط 204/7 من حديث ابن عباس مرفوعًا: «**إن لأهل النعم حُسّادًا فاحذروهم**» وفي الباب عن جماعة ذكر عدة منهم: الزيعلي في سورة الأنبياء من تخريجه. انظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار 864/2، والمقاصد الحسنة 112، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة 69/2.

(3) إيقاظ الهمم في شرح الحِكم 144.

الحوائج عن الناس والاستعانة بالله تعالى على الظفر بها، فإن من أظهر حوائجه للناس حسدوه[1].

ووجه ارتباط المشير (المعنى الظاهر) بالمشار إليه بالمعنى الباطن من التشابه وهو: الاستعانة بالله تعالى وعدم الالتفات إلى غيره في حوائج الدنيا والآخرة، لئلا يضْعف إيمان المسلم بربه تعالى.

فكما ينبغي للمسلم أن يَكتُمَ حوائجه، فكذلك ينبغي أن يكتم ما يظهر على يديه من خوارق العادات من الكرامات، وهذا يجري مجرى المثل لحال من يثق بالله تعالى، ويعتمد عليه حتى لا يقع في الركون إلى مخلوق مثله.

(الثاني) ما كان من نحو التفاؤل فقد يكون للكلمة معنى يسبق من صورتها إلى السمع، هو غير معناها المراد، وذلك من باب انصراف ذهن السامع إلى ما هو المهم عنده، والذي يجول في خاطره وهذا كَمَنْ قال في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[2]، مَنْ ذل ذي إشارة للنفس، يصير من المقربين الشفعاء، فهذا يأخذ صدى موقع الكلام في السمع، ويتأوله على ما شغل به قلبه. ورأيت الشيخ محي الدين يُسمي هذا النوع سماعًا، ولقد أبدع»[3].

نموذج من المعاني الإشارية من السنة النبوية من النوع الثاني

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**السَّفَرُ قِطْعَةٌ من الْعَذَابِ يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ فإذا قَضَى نَهْمَته فَلْيُعَجِّلْ إلى أَهْلِهِ**»[4].

(1) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير 623/3.

(2) سورة البقرة: 225.

(3) انظر: التحرير والتنوير 30/1.

(4) رواه البخاري في صحيحه ك: الحج، باب: السفر قطعة من العذاب ح1710.

قال أبو العباس أحمد العلوي المستغانمي -رحمه الله-: «السفر على قسمين: سفر الأشباح وسفر الأرواح، سفر الحسِّ للحسّ وسفر المعنى للمعنى، ومحط الكلام في المعنى لا الحس، وحيث كان الحس خيال المعنى صار كل ما يظهر في الخيال يوجد في ذات المخيل. سفر القوم من الكَون إلى المُكوّن، وسفر غيرهم من كون إلى كون... قال عليه الصلاة والسلام: (السفر قطعة من العذاب) وخصوصًا هذا السفر وما يوجد فيه من المهالك العظام»(1).

ذكَرَ العلوي للسفر معنيان ظاهر وباطن، فالحديث شامل لهما والمعنى الظاهر هو الأصل، وثمَّ ارتباط بين المعنيين وثيق وهو: أن كلًّا منهما فيه مفارقة الأهل والبلد وترك الراحة، وهذا وجه التشابه(2).

فالعلوي أخذ من الحديث معنى سبق إلى فكره ما هو أهم عنده، وهو حقيقة السفر من هذه الدنيا إلى دار القرار، والاستعداد لله تعالى، وهذا السفر محفوف بالمخاطر والمفاوز من القواطع، وفي ذلك من العذاب ما تدركه العقول المتيقظة.

(الثالث) عِبَرٌ ومواعظ وشأن أهل النفوس اليقظة أن ينتفعوا من كل شيء، ويأخذوا الحكمة حيث وجدوها، فما ظنك بهم إذا قرأوا القرآن وتدبروه فاتعظوا بمواعظه فإذا أخذوا من قوله تعالى: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾(3)، اقتبسوا أن القلب الذي لم يمتثل رسول المعارف العليا تكون عاقبته وبالًا. ومن حكاياتهم في غير باب التفسير أن بعضهم مرَّ برجل يقول لآخر: هذا العود لا ثمرة فيه فلم يعد صالحاً إلا للنار، فجعل يبكي ويقول: إذن فالقلب غير المُثمر لا يصلح إلا للنار»(4).

(1) المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية 141، 143.
(2) انظر: فتح الباري 623/3.
(3) سورة المزمل: 16.
(4) التحرير والتنوير 30/1.

ولعلَّ هذا النوع من أكثرها نماذجًا فإن جُلَّ الإشارات المرويّة عند العلماء الربانيين من باب الاعتبار والاتعاظ بما يجري في خُلْد أفئدتهم وقلوبهم.

نموذج من المعاني الإشارية من السنة النبوية من النوع الثالث

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إلى اللهِ ما دَامَ وَإِنْ قَلَّ**»[1].

قال ابن عجيبة -رحمه الله- بعد ذكره الحديث السابق: «فالمراد من العمل القيام برسم العبودية، وتعظيم جانب الربوبية، وليس المراد منها طلب الأحوال والمقامات، فإن ذلك قدْح في الإخلاص عند أهل التوحيد الخاص»[2].

فالمعنى المتبادر الظاهر يشير إلى أن النبي ﷺ بُعثَ مُيسرًا مُسهلًا فأمر أمته بأن يقتصروا في الأمور، لأن ذلك يقتضي الاستدامة عادةً[3].

فابن عجيبة عَبَرَ من معنى الحديث الظاهر إلى معنى باطن، وهو حقيقة العمل الصالح أَلا وهو: تعظيم الرب سبحانه وتعالى، فانتفع بمعناه الحقيقي وأخذ الحِكمة حتى لا يملَّ السالك إلى الله تعالى، فإن العبرة من العمل كثيرًا أو قليلًا هو التعظيم، وفي ذلك من العبرة والعظة ما فيه.

ووجه الارتباط بين المعنيين الاستمرار في الطاعة، والمقصود منه تعظيم الله سبحانه.

هذه الأنحاء أو الأنواع الثلاثة التي تدور عليها إشارات العلماء الربانيين والصوفية المقبولة، سواء كان في الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية قلَّ أن تخرج عن هذه الثلاثة،

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: اللباس، باب: الجلوس على الحصير ونحوه ح5523.

(2) إيقاظ الهمم في شرح الحكم 376.

(3) انظر: فتح الباري 300/11.

وهي جديرة بالتأمل وفهمها، لئلا يبتعد عنها فيكون صاحبها على شفا جرف هارٍ يخشى عليه الوقوع في المهاوي.

قال ابن عاشور -رحمه الله-: «فنسبة الإشارة إلى لفظ القرآن مجازية، لأنها إنما تُشير لمن استعدّت عقولهم تدبّرهم في حال من الأحوال الثلاثة ولا ينتفع بها غير أولئك، فلمّا كانت آيات القرآن قد أَنارت تدبرهم وأثارت اعتبارهم نسبوا تلك الإشارة للآية... وكل إشارة خرجت عن حدِّ هذه الثلاثة الأحوال إلى ما عداها، فهي تقترب إلى قول الباطنية رُويدًا رُويدًا إلى أن تبلغ عين مقالاتهم»[1].

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور 30/1.



الفصل الثالث

حكم المعاني الإشارية في القرآن والسنة، وأقوال العلماء فيها وأدلتهم وضوابطها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

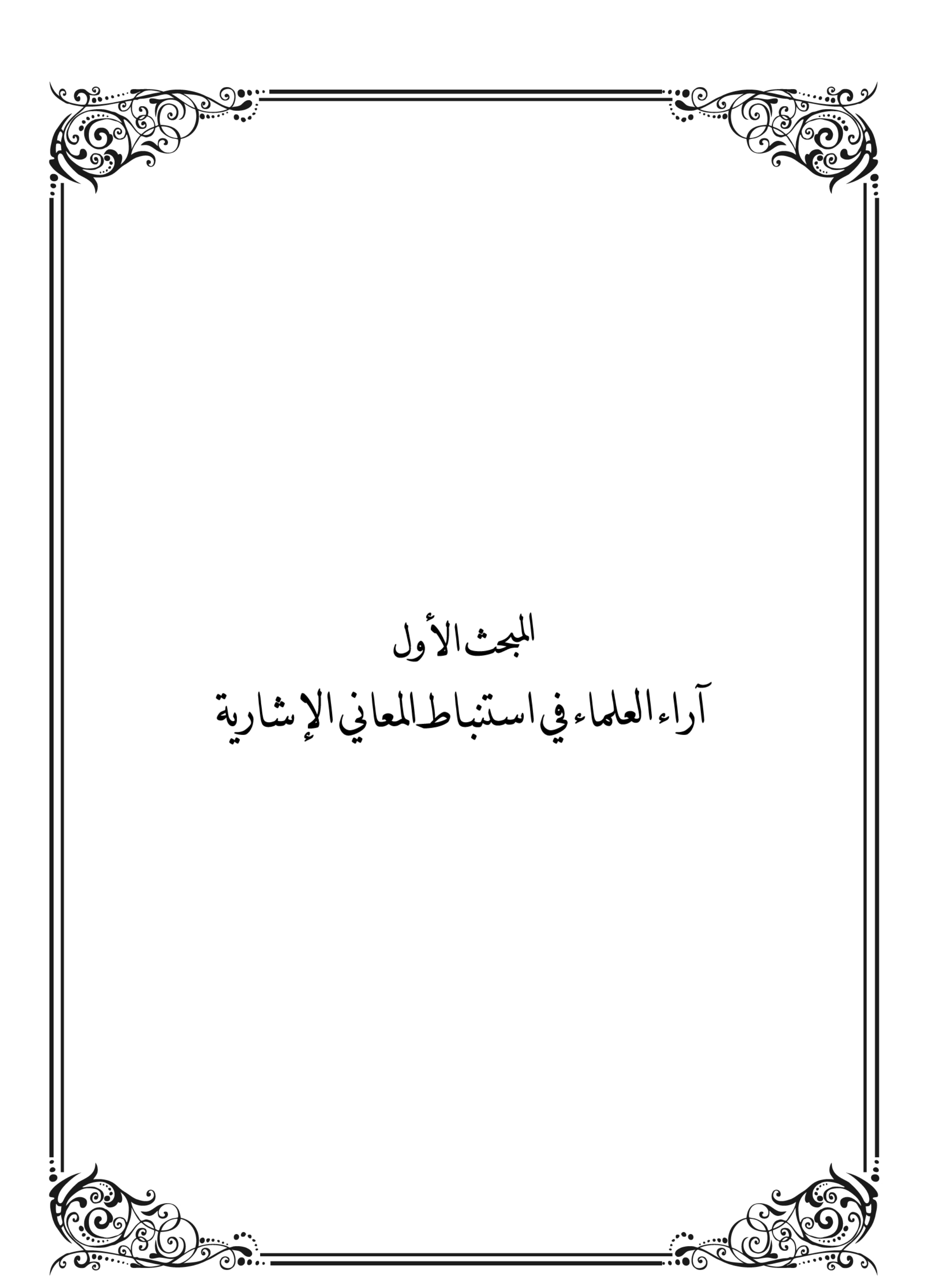
آراء العلماء في استنباط المعاني الإشارية.

المبحث الثاني:

أدلة آراء العلماء في المعاني الإشارية ومناقشتها.

المبحث الثالث:

ضوابط قبول المعاني الإشارية.



المبحث الأول
آراء العلماء في استنباط المعاني الإشارية

المبحث الأول
آراء العلماء في استنباط المعاني الإشارية

طرق ووسائل الاستنباط من الكتاب العزيز والسنة المُطهَّرة كثيرة منها: ما هو متفق عليه، ومنها ما هو مختلف فيه، وبما أن اتجاه استنباط المعاني الإشارية ليس له ضابط لفظي غير ارتباط المعنى المتبادر والمعنى الخفي، مع كونه محكومًا بضوابط أخرى عامة، وقع الاختلاف في القول به خشية أن يدخله كل مُغرضٍ وداخل ممّن لم يتمرّس، ولم يبلغ إدراكَ المعاني الذوقيّة بتصفية القلب عن كل هوى ومُلهي. هذا مع أن جُلَّ العلماء من المتقدمين والمتأخرين يقولون به لا سيّما بعد إحكام شروطه ومعرفة مقاصده حتى لا تزل قدم بعد قدم، وأخذ به -كما سنتعرض لمشاهيرهم وأقوالهم- من أفاضل السلف والخلف سواء بالتصريح أو بذكر جُملٍ من الإشارات أو المعاني المُستنبطات لبعض آيات قرآنية، وأحاديث مرويّة عن سيدنا رسول الله ﷺ.

وفيما يأتي نذكر القولين في المسألة ومَنْ أخذ بها من أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين، مع نقل كلامهم أو الإشارة إلى إشاراتهم سواء كان في الكتاب أو السنة، فإن القصدَ معرفة رأي كل عالم في المسألة، وما جاز في الكتاب الكريم ففي السنة أَجْوز.

(القول الأول) قول المُجيزين لاستنباط المعاني الإشارية من الكتاب والسنة:

القول الأول هو قول مَنْ أجاز استنباط المعاني الإشارية من الكتاب الكريم والسنة المشرّفة، وقد صرّح جماعة منهم بذكر شروط وضوابط لهذا الاستنباط، ولم يُصرّح البعض اكتفاءً لكونها معلومة عند أهلها، فإن التفسير للقرآن والشرح للحديث لهما ضوابط مقررة معلومة.

فَمِنْ المجيزين:

جماعة من الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- منهم سيدنا أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- فقد فهم من قول النبي ﷺ: «**إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ الله بين أَنْ يُؤْتِيَهُ من زَهْرَةِ الدُّنيا ما شَاءَ وَبَيْنَ ما عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ما عِنْدَهُ**» فَبَكَى أبو بَكْرٍ وقال: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبْنَا له وقال الناس: انْظُرُوا إلى هذا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رسول اللَّهِ ﷺ عن عَبْدٍ خَيَّرَهُ الله بين أَنْ يُؤْتِيَهُ من زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ ما عِنْدَهُ، وهو يقول: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا فَكَانَ رسول اللَّهِ ﷺ هو الْمُخَيَّرَ وكان أبو بَكْرٍ هو أَعْلَمَنَا بِهِ)[1]، بطريق الإشارة قرب وفاة الرسول ﷺ ، وأن المراد بالآخرة هي اختيار الرفيق الأعلى.

وفهم سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- من قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2]، قُرب أجل سيدنا رسول الله ﷺ، فَبَكَى عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا يُبْكِيكَ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبْكَانِي أَنَّا كُنَّا فِي زِيَادَةٍ مِنْ دِينِنَا، فَأَمَّا إِذَا كَمُلَ فَإِنَّهُ لَمْ يَكْمُلْ قَطُّ شَيْءٌ إِلَّا نَقَصَ، قَالَ: «**صَدَقْتَ**»[3]، ففي الآية إشارة إلى ذلك، ومنهم سيدنا عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- إذ فهم من قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾[4]، أن الله تعالى أَعْلَمَ نبيَّه بأجله، وكان بمحضر من الصحابة الكرام، لمّا كان عمر يدخله مع أصحاب النبي ﷺ للمشُورة، وهو من أصغرهم سنًّا فأقرَّهُ عمر -رضي الله عنه-، ولم يعترض أحد من الصحابة على هذا المعنى الإشاري فدلّ

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: فضائل الصحابة، باب: هجرة النبي ﷺ ح3691.

(2) سورة المائدة: 3.

(3) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه 88/7، وابن جرير الطبري في جامع البيان في تفسير آي القرآن 80/6، وذكر ابن كثير له شاهدًا في تفسير القرآن العظيم 14/2.

(4) سورة النصر: 1.

على تأييدهم له[1]، وتقدَّم المعنى الإشاري في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾[2]، عن سيدنا أبي أُمامة -رضي الله عنه- وقوله: فلما زاغوا: الخوارج[3]، وستأتي بعض هذه النماذج في الأدلة وبيانها.

1- سهل التُسْتَري:

لسهل بن عبد الله التُسْتَري -رحمه الله- تفسير للقرآن العظيم، وهو مِنْ أول ما وصلنا من المعاني الإشارية في القرآن مكتوبًا[4]، وهو يُعد من المجيزين المُدركين لضوابطه، وقد بيّن في مقدمة تفسيره أن القرآن الكريم يشتمل على ظاهر وباطن، وحد ومطلع، وذكر أن الباطن هو الفهم، وهو خاص، وأهله هم أهل العلم بالله تعالى والمعرفة به[5].

وقد ذكر التستري -رحمه الله- إشارات كثيرة لآيات من القرآن الكريم، ومن ذلك[6] في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾[7]، قال التستري -رحمه الله-: «ولم يرد الله معنى الأكل في الحقيقة، وإنما أراد معنى مُساكنة الهمة[8] مع شيء هو

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: التفسير، باب: قول الله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ ح4686.

(2) سورة الصف: 5.

(3) تقدم تخريجه صـ 47.

(4) انظر: 21 من هذا البحث.

(5) انظر: تفسير التستري 16 - 19.

(6) ولسهل التستري إشارات كثيرة، انظر: تفسيره 26 منها: عند قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ سورة البقرة: 22 وغيرها من الآيات.

(7) سورة البقرة: 35.

(8) الهمّة: هي التوجه إلى الحق بالكلية مع الأنفة من المبالاة بحظوظ النفس من الأغراض وغيرها. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني 304.

غيره، أي: لا يهتم بشيء هو غيره، فآدم صلوات الله عليه لم يعتصم من الهمة والفعل في الجنة، فلحقه ما لحقه من أجل ذلك، وكذلك من ادعى ما ليس له، وساكنه قلبه ناظراً إلى هوى نفسه فيه، لحقه الترك من الله عز وجل مع ما حلّ عليه نفسه إلا أن رحمه الله فيعصمه من تدبيره وينصره على عدوه وعليها»(1).

فالتستري -رحمه الله- لم يمنع الظاهر بل قال به فلذا قال: «معنى الأكل في الحقيقة» فالنهي لم يقع عن مجرد الأكل فقط، بل أيضًا عمّا ينشأ عن الأكل من السكون لغير الله، إذ لو انتهى عمّا نهى الله عنه، لكان ساكنًا لله وحده، فلم يفعل وسكن إلى أمر في الشجرة غرّه به الشيطان، وهو الخلود في الجنة(2).

2- أبو نصر السَّراج الطوسي:

ذكر الطوسي -رحمه الله- كثيرًا من الإشارات في القرآن والسنة مُؤيدًا لها، وعقد عنوانًا: (**باب مذهب أهل الصفوة في المستنبطات الصحيحة في فهم القرآن والحديث**، وغير ذلك، وشرحها) وقال: «المستنبطات: ما استنبط أهل الفهم من المتحققين بالموافقة لكتاب الله عز وجل: ظاهراً وباطنًا، والمتابعة لرسول الله ﷺ ظاهراً وباطنًا، والعمل بها بظواهرهم وبواطنهم، فلما عملوا من ذلك ورثهم الله تعالى: علم ما لم يعلموه وهو علم إشارة، وعلم مواريث الأعمال التي يكشف الله تعالى، لقلوب أصفيائه من المعاني المذخورة، واللطائف والأسرار المخزُونة، وغرائب العلوم وطرائف الحِكم في معاني القرآن ومعاني أخبار رسول الله ﷺ من حيث أحوالهم، وأوقاتهم، وصفاء أذكارهم... ولفقهاء الأمصار وعلمائها في كل وقت مُستنْبطات، مشهورة في آيات القرآن والأخبار الظاهرة مُستعدة للاحتجاج بها بعضهم على بعض في المسائل الخلافية، وقد قال بعضهم: إن في هذا الحديث

(1) تفسير التستري 29.

(2) انظر: التفسير والمفسرون 361/2.

الذي قال رسول الله ﷺ: «**الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله....**»[1]، على ما جاء في الحديث: إنه يدخل في ثلاثين بابًا من أبواب العلم. وهذا لا يكون إلا من طريق الاستنباط، وكذلك أهل الكلام والنظر: احتجاجاتهم العقلية كلها مستنبطات، وكل ذلك حسنٌ عند أهله، ومقبول، إذ المقصود من ذلك النصرة للحق والرد للباطل، وأحسن من ذلك مستنبطات أهل العلم بالعلم والتحقيق، والإخلاص في العمل من المجاهدات، والرياضات، والمعاملات، والمتقربين إلى الله تعالى بأنواع الطاعات، وأهل الحقائق»[2].

3- الكلاباذي

اعتنى الكلاباذي -رحمه الله- بالمعاني الإشارية عن العلماء والصوفية فقد نقل عنهم كثيرًا منها، وعقد بابًا بعنوان: (**علوم الصوفية علوم الأحوال**) وأرشد إلى العناية بأحكام الشريعة، وإحكامها بعد علم التوحيد ثم قال: «فعند ذلك يمكن العبد مراقبة الخواطر وتطهير السرائر، وهذا هو علم المعرفة، ثم وراء هذا علوم الخواطر وعلوم المشاهدات المكاشفات وهى التى تختص بعلم الإشارة، وهو العلم الذى تفردت به الصوفية بعد جمعها سائر العلوم التى وصفناها، وإنما قيل علم الإشارة، لأن مشاهدات القلوب، ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق بل تعلم بالمنازلات والمواجيد، ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وحلّ تلك المقامات، روى سعيد بن المسيب عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مِن العلمِ كهيئةِ المكنونِ لا يَعرفُه إلا العلماءُ باللهِ عزَّ وجلَّ، فإذا**

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: الأيمان والنذور، باب: النية في الأيمان ح6311، لكن بإفراد النية ورواية الجمع (بالنيات) عند البخاري في أول الصحيح في باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ح1 من حديث عمر -رضي الله عنه-.

(2) اللمع 147، 149.

نَطقوا به لا يُنكرهُ إلا أهلُ الغِرَّةِ باللهِ تَعالى»[1]»[2].

4- الغزالي

صرّح الغزالي -رحمه الله- في كثير من كتبه بأن استلهام المعاني الإشارية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مجالًا واسعًا، وهو مقصد شريف لأهل العلم الربانيين. قال الغزالي: «لعلك تقول: عظّمت الأمر فيما سبَق في فهم أسرار القرآن، وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه، فكيف يستحب ذلك وقد قال ﷺ: **«من فسَّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار»**[3]؟ وعن هذا شنّع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوّف من المقصرين المنسوبين إلى التصوّف، في تأويل كلمات في القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس، وسائر المفسرين وذهبوا إلى أنه كفر، فإن صحَّ ما قاله أهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره؟ وإن لم يصح ذلك فما معنى قوله ﷺ: **«من فسّر**

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب210/1، وغيره من طريق عبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي، وقد قال عنه العراقي: ضعيف جدًّا، إلا أن السيوطي حكم بضعفه فقط وأورده في اللآلي المصنوعة وفي كتابه تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية، ثم قال: وهذا إسناد ضعيف وعبد السلام بن صالح هو أبو الصلت الهروي من رجال ابن ماجه، كان رجلًا صالحًا لكنه شيعي، وقد اختلف فيه فقال: أبو حاتم لم يكن عندي بصدوق وقال العقيلي رافضي خبيث، وقال النسائي ليس بثقة، وقال الدارقطني: رافضي مُتهم، وقال عباس الدهري سمعت يحيى يوثق أبا الصلت، وقال ابن محرز عن يحيى ليس ممّن يكذب وأثنى عليه أحمد بن يسار في تاريخ مرو، ثم قال السيوطي: فالحاصل أن حديثه في مرتبة الضعيف الذي ليس بموضوع، وقد أورد القسطلاني هذا الحديث في كتابه في التصوّف، وقال إن له شاهدًا من مرسل سعيد بن المسيب. انظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، واللآلي المصنوعة 202/1، وتأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية 65.

(2) التعرف لمذهب أهل التصوف 99، 101.

(3) تقدم تخريجه صـ 108.

القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار»؟ فاعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حدّ نفسه، وهو مصيب في الإخبار عن نفسه، ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التي هي حدّه ومحطة، بل الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن مُتسعًا لأرباب الفهم»[1].

5- ابن العربي المالكي

صرّح ابن العربي المالكي -رحمه الله- باستحسان استخراج المعاني الإشارية وأنها من باب ذكر النظير بالنظير، وله إشارات أيضًا، إلا أنه حذّر من التكلّف فيه خشية الخروج عن منهج أهل السنة الوسطي، فقد قال: «ومن علم الباطن أن تستدل من مدلول اللفظ على نظير المعنى، وهذا باب جرى في كتب التفسير كثيرًا، وأحسن ما ألف فيه اللطائف والإشارات -أي القشيري -رضي الله عنه- وإن فيه لتكلفًا أوقعه فيه ما سلكه من مقاصد الصوفية، فخذوا ما تعلمون وقِفوا دون ما تجهلون، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١﴾[2]»[3].

وقال ابن العربي -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦﴾[4] بعد ذكره للمعنى الظاهر: «قال علماؤنا: ونحن نقطع على أن المراد بخطاب إبراهيم هذا: الكعبة، ولكن الناظر العالم يتجاوز من الكعبة إلى القلب بطريق الاعتبار عند قوم، وبطريق الأولى عند آخرين،... وقد ركب العلماء على هذا كلامًا، فقالوا: إن علوم القرآن خمسون علمًا وأربعمئة علم، وسبعة آلاف وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن،

(1) إحياء علوم الدين 341.
(2) سورة الأنفال: 21.
(3) قانون التأويل 526، وانظر كتابه: العواصم من القواصم 178، 180.
(4) سورة الحج: 26.

مضروبة في أربعة، إذ لكل كلمة منها ظاهر وباطن، وحدّ ومطلع، هذا مطلق دون اعتبار تركيبه، ونضْد بعضه إلى بعض، وما بينها من روابط على الاستيفاء في ذلك كله، وهذا مما لا يُحصى ولا يعلمه إلا الله تعالى»[1].

6- ابن الصلاح

يُؤيِّد ابن الصلاح العلماء الربانيين في المعاني الإشارية إلا أنه يرجو أن لا يتساهلوا فيه، وهذا ممّن لم يتأهل لذلك بخلاف غيره قال -رحمه الله-: «الظن بمَنْ يوثق به منهم أنه إذا قال شيئًا من أمثال ذلك أنه لم يذكر تفسيرًا، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة في القرآن العظيم، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسالك الباطنية، وإنما ذلك ذكرٌ منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإن النظير يذكر بالنظير، فَمَنْ ذكر قتال النفس في الآية المذكورة فكأنه قال: أُمرنا بقتال النفس، ومن يلينا من الكفار، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإيهام والالتباس»[2].

7- ابن عطاء الله السكندري

قال ابن عطاء الله -رحمه الله-: «اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله تعالى ولكلام رسوله ﷺ بالمعاني الغريبة كما مضى من فهم الشيخ - يعني به أبا العباس المرسي -رضي الله عنه- في قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝﴾[3] ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ الحسنات، ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ العلوم، ﴿أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ علومًا وحسنات، ﴿وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ﴾ لا علم ولا حسنة، وكما مضى أيضًا من قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ

(1) قانون التأويل 538، 540.

(2) أدب المفتي والمستفتي 196/1.

(3) سورة الشورى: 49-50.

بَقَـرَةً﴾[1]، فقال الشيخ: بَقَرة كل إنسان نفسه، والله أمرك بذبحها، وكما سيأتي إن شاء الله في تفسير الأحاديث، فذلك ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت له الآية، ودلّت عليه في عُرف اللسان، وثَمَّ أفهامٌ باطنة تُفهم عند الآية والحديث، لمن فتح الله على قلبه»[2].

8- ابن تيمية

يجعل ابن تيمية -رحمه الله- الإشارات ضمن الاعتبارات الصحيحة المقبولة إذا لم تكن تحريفًا كالباطنية ونحوهم، وذكر ذلك في مواضع كثيرة من فتاويه، فقال: «فإن كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح كانت حسنة مقبولة، وإن كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه، وإن كان تحريفًا للكلام عن مواضعه وتأويلًا للكلام على غير تأويله كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية»[3].

9- ابن القيم

ابن القيم -رحمه الله- من المُؤيدين للإشارات الصحيحة، وقد ذكر إشارات لآيات، وممّا قاله: «الإشارات: هي المعاني التي تُشير إلى الحقيقة من بُعد، ومن وراء حجاب، وهي تارةً تكون من مُسموع، وتارة تكون من مرئي، وتارة تكون من معقول، وقد تكون من الحواس كلها.. وسببها: صفاء يحصل بالجمعية فيلطف به الحس والذهن، فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة لا يكشف حسَّ غيره وفهمه عن إدراكها... مثاله قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾[4]، قال ابن تيمية: «والصحيح في الآية أن المراد به الصحف التي بأيدي

(1) سورة البقرة: 67.

(2) لطائف المنن 248.

(3) مجموع الفتاوى 376/6، و240/13.

(4) سورة الواقعة: 79.

الملائكة... لكن تدل الآية بإشارتها على أنه لا يمس المصحف إلا طاهر، لأنه إذا كانت تلك الصحف لا يمسها إلا المطهرون لكرامتها على الله، فهذه الصحف أولى أن لا يمسها إلا طاهر، ومن هذا: أن استقبال القبلة في الصلاة شرط لصحتها وهي بيت الرب، فتوجه المصلي إليها ببدنه وقالبه شرط، فكيف تصح صلاة من لم يتوجّه بقلبه إلى رب القبلة والبدن؟ بل وجّه بدنه إلى البيت ووجّه قلبه إلى غير رب البيت. وأمثال ذلك من الإشارات الصحيحة التي لا تنال إلا بصفاء الباطن وصحة البصيرة وحسن التأمل»[1].

10- ابن كثير[2]

ذكر ابن كثير -رحمه الله- تفسيرات إشارية لآيات قرآنية في تفسيره ممّا يدل على تأييده لصحة استنباط المعاني الإشارية، فقد ذكر في تفسير قول الله تعالى: ﴿مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾[3]، قوله: «هو إشارة إلى القلوب وتفاوتها، فمنها ما يسع علمًا كثيرًا، ومنها من لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها»[4]، وقال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾[5]: «أي: يوم القيامة، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يُحيي قلب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت

---

(1) مدارج السالكين 406/2.

(2) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير، أبو الفداء، البصروي ثم الدمشقي الشافعي، المعروف بابن كثير. مفسر، محدّث، فقيه، حافظ، قال العيني وابن حبيب: كان قدوة العلماء والحفاظ، عمدة أهل المعاني والألفاظ، وسمع وجمع وصنّف ودرّس وألّف، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ، واشتهر بالضبط والتحرير، من تصانيفه: البداية والنهاية، وتفسير القرآن العظيم، والباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث، توفي سنة (774هـ). انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر 445/1، وطبقات المفسرين للأدنه وي 260.

(3) سورة الرعد: 17.

(4) تفسير القرآن العظيم 668/2.

(5) سورة يس: 12.

قلوبهم بالضلالة فيهديهم بعد ذلك إلى الحق»[1].

11- سعد الدين التفتازاني

جعل التفتازاني -رحمه الله- الإشارات الخفيَّة التي يكشفها العلماء الربانيون، هي دليل لقوة إيمان صاحبها وبلوغه مرتبة العرفان وهي منزلة لا ينزلها إلا من ذاقها فقال: «ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص محمولة على ظواهرها، ومع ذلك ففيها إشارات خفيّة إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك، ويُمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان»[2].

12- الشاطبي

ذكر الشاطبي -رحمه الله- معاني إشارية عن سهل التستري -رحمه الله- لآيات قرآنية، وقال مدافعًا عنها: «ولكن له وجه جار على الصحة، وذلك أنه لم يقل إن هذا هو تفسير الآية، ولكن أتى بما هو ندّ في الاعتبار الشرعي الذي شهد له القرآن من جهتين: **إحداهما:** أن الناظر قد يأخذ من معنى الآية معنى من باب الاعتبار، فيجريه فيما لم تنزل فيه، لأنه يجامعه في القصد أو يقاربه»[3]، ثم قال بعد كلام: «وإنما احتيج إلى هذا كله لجلالة من نقل عنهم ذلك من الفضلاء، وربما ألمّ الغزالي بشيء منه في (الإحياء) وغيره، وهو مزلّة قدم لمن لم يعرف مقاصد القوم، فإن الناس في أمثال هذه الأشياء بين قائلين: منهم من يصدّق به ويأخذه على ظاهره، ويعتقد أن ذلك هو مراد الله تعالى من كتابه، وإذا عارضه ما ينقل في كتب التفسير على خلافه فربما كذب به أو أشكل عليه، ومنهم من يكذبه على

---

(1) تفسير القرآن العظيم 744/3، وانظر: تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝١٧﴾ سورة الحديد 17.

(2) شرح العقائد النسفية 142.

(3) الموافقات 361/3.

الإطلاق، ويرى أنه تقوّل وبهتان، مثل ما تقدَّم من تفسير الباطنية ومن حذا حذوهم، وكلا الطريقين فيه ميْل عن الإنصاف»[1]، وقال بعد تصحيحه للمعاني الإشارية من القرآن بشروطها: «وللسنة في هذا النمط مدْخل، فإن كل واحد منهما قابل لذلك الاعتبار المتقدِّم الصحيح الشواهد»[2].

13- الزركشي

بيّن الزركشي -رحمه الله- أن معاني العلماء الصوفية لا تُعدُّ من التفسير وإنما هي مواجيد، وقال: «فأما كلام الصوفية في تفسير القرآن، فقيل: ليس تفسيرًا وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة كقول بعضهم في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾[3]، إن المراد: النفس أمرنا بقتال من يلينا، لأنها أقرب شيء إلينا، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه قال ابن الصلاح في فتاويه...»[4].

ثم نقل فتوى ابن الصلاح -رحمه الله- مُقرًّا ومُستدلًا بها.

14- ابن حجر العسقلاني

صرّح ابن حجر -رحمه الله- بجواز استخراج المعاني الإشارية من الكتاب العزيز، ومثله السنة من باب أولى، فبعد شرحه لحديث ابن عباس -رضي الله عنهما- في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾[5]، وأن فيها إشارة لأَجَلِ سيدنا رسول الله ﷺ قال: «وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكّن من ذلك من

(1) المصدر السابق نفسه 366/3.
(2) المصدر السابق نفسه 368/3.
(3) سورة التوبة: 123.
(4) البرهان في علوم القرآن 170/2.
(5) سورة النصر: 1.

رسخت قدمه في العلم، ولهذا قال علي -رضي الله عنه-: «أو فهمًا يؤتيه الله رجلًا في القرآن»[(1)]»[(2)].

15- السيوطي

نقل السيوطي -رحمه الله- عن أهل العلم كابن الصلاح والتفتازاني وابن عطاء الله أقوالهم في تفسيرات ومعان العلماء الربانيين مُؤيدًا لهم، وقال: «وقال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم، فهذا يدل على أن في فهم معاني القرآن مجالًا رحبًا، ومتسعًا بالغًا، وأن المنقول من ظاهر التفسير وليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل والسماع، لا بد منه في ظاهر التفسير ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط، ولا يجوز التهاون في حفظ الظاهر بل لا بد منه أولًا، إذْ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كَمَنْ ادّعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يُجاوز الباب»[(3)].

16- ولي الله الدهلوي

ولي الله الدهلوي -رحمه الله- له باعٌ كبير ويدٌ طُولى في استنباط إشارات دقيقة من أحاديث شريفة، وكتابه (**حجة الله البالغة**) أوضح بيانًا لذلك، فذكر فيه جملة صالحة من الإشارات والمعاني الواضحة، وقد قال في الإشارات: «وأما إشارات الصوفية واعتباراتهم، فإنها في حقيقة الأمر ليست من علم التفسير، بل الواقع أنه تمرّ حال استماع القرآن الكريم

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: الجهاد والسير، باب: الحربي إذا دخل دار الإسلام بغير أمان ح 2882.
(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري 736/8.
(3) الإتقان في علوم القرآن 561/2، وانظر: كتابه تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية 73، 74.

خواطر على قلب السالك وتنكشف له أشياء، تنشأ من تفكيره في النظم القرآني، أو الحالة التي يتّصف بها، أو المعرفة التي يملكها فهي أمور وجدانية ذوقية لا تفسير للآيات القرآنية، ومثال ذلك أن يسمع عاشق متيَّم قصة ليلى ومجنون، فيتذكر عشيقته ويستعيد الذكريات التي بينها وبينه»[1].

17- مرتضى الزبيدي[2]

أيّد الزَّبِيْدي -رحمه الله- الغزالي -رحمه الله- وغيره من العلماء المُجوزين للمعاني الإشارية التي يذكرها العلماء الربانيون، وذلك في شرحه لإحياء علوم الدين، ومن جملة تصريحه لإشارات الآيات القرآنية قوله: «الفهم فيها للخصوص يَشهدون فيها بقدر ما قُسِمَ لهم من العقل عنها، فهم مُتفاوتون في الأشهاد والفهوم حسب تفاوتهم في الأنصبة من العقول والعلوم، إذ القرآن عموم وخصوص، ومُحُكَم ومُتشابه، وظاهر وباطن، فعمومه لعموم الخلق وخصوصه لخصوصهم، وظاهره لأهل الظاهر، وباطنه لأهل الباطن، والله واسع عليم ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾[3]»[4].

وقد استدل الزبيدي بكلام ابن عطاء الله السابق[5].

---

(1) الفوز الكبير في أصول التفسير للدهلوي 190.

(2) هو: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الزبيدي الملقب بمرتضى، أبو الفيض، لغوي، نحوي، محدّث أصولي، أديب، ناظم، ناثر، مؤرخ نسابة، مشارك في علوم عدة، أصله من واسط العراق، من مؤلفاته: تاج العروس شرح القاموس، وإتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين وغيرهما، توفي سنة (1205هـ). انظر: الأعلام للزركلي 70/7، معجم المؤلفين 282/11.

(3) سورة البقرة: 213.

(4) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين 1/ 173.

(5) انظر: المصدر السابق نفسه 178/1.

18- ابن عجيبة

ابن عجيبة -رحمه الله- من علماء الإشارة وقد نقل في كتبه كثيرًا من المعاني الإشارية، وقال: «وأما تفسير أهل الباطن فهو إشارة لا تفسير معنى.. واعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسول الله ﷺ على غير المعنى المعهود، ليس هو عندهم عين المعنى المراد، ولكنهم يُقررون الآية والحديث على ما يعطيه اللفظ، ثم يفهمون إشارات ودقائق وأسرار، خارجة من مقتضى الظاهر، خصهم الله بها لصفاء أسرارهم»[1].

19- الألوسي

يُعدُّ الألوسي -رحمه الله- من المهتمين بذكر إشارات العلماء والصوفية في تفسيره، ومن المدافعين عن منهجهم الموافق لروح الشريعة ممّا لم يتأثر بالفلسفة ولا بالباطنية وأمثالهم.

قال -رحمه الله- في مقدمة تفسيره: «وأما كلام السادة الصوفية في القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان، لا أنهم اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلًا، وإنما المراد الباطن فقط إذ ذاك اعتقاد الباطنية الملاحدة توصلوا به إلى نفي الشريعة بالكلية، وحاشى سادتنا من ذلك كيف وقد حضوا على حفظ تفسير الظاهر، وقالوا: لا بد منه أولًا إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر... فالإنصاف كل الإنصاف التسليم للسادة الصوفية الذين هم مركز للدائرة المحمدية ما هم عليه، واتهام ذهنك السقيم فيما لم يصل، لكثرة العوائق والعلائق إليه وإذا لم تر الهلال فسلِّم لأناسٍ رأوه بالأبصار»[2].

---

(1) إيقاظ الهمم في شرح الحكم 361.

(2) روح المعاني 7/1، 8، وانظر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۝٥١﴾ البقرة: ٥١، وعند قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٤﴾ الأنعام: ١٤، =

20- الزرقاني

الزرقاني -رحمه الله- من العلماء الذين جوّزوا الأخذ بالمعاني الإشارية وفق شروط ذكرها وعلى حَذَرٍ، خشية الوقوع في الإشارات المُخالفة لدين المسلم وعقيدته، وبعد ذكره لشروط قبول الإشاري قال: «ثم إن هذه شروط لقبوله بمعنى عدم رفضه فحسب، وليست شروطًا لوجوب اتباعه والأخذ به ذلك، لأنه لا يتنافى وظاهر القرآن، ثم إن له شاهدًا يعضده من الشرع وكل ما كان كذلك لا يرفض وإنما لم يجب الأخذ به، لأن النظم الكريم لم يوضع للدلالة عليه بل هو من قبيل الإلهامات التي تلوح لأصحابها غير منضبطة بلغة ولا مقيدة بقوانين»(1).

وقد أبدى الزرقاني في الأخير نصيحة خالصة من الوقوع في المعاني الإشارية المُلتوية كي يبتعد عن المزالق(2)، وهو مُحقٌّ فيمَنْ لم يدرك حقيقة المعاني الإشارية وضوابطها: فإمّا يقع في المعاني النظرية الفلسفية أو الباطنية، وإمّا يقع في أعراض العلماء الربانيين فيرميهم بالمُروق والطعن في دينهم، لبُعده عن إدراك كلامهم وإشاراتهم.

21- محمد الطاهر بن عاشور

لا يمنع ابن عاشور -رحمه الله- استخراج المعاني الإشارية من النص الشرعي، وجعلها لا تخرج عن ثلاثة أنحاء، مُدللًا عليها ومُمثلًا، وأن ما خرج منها فهو يَقرب من معاني الباطنية(3).

=

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨﴾ ص: ١٨.

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن 81/2.

(2) المصدر السابق نفسه 89/2، 90.

(3) انظر: التحرير والتنوير 30/1.

وممّا قاله عن الإشارات: «أما ما يتكلّم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن، ولكن بتأويل ونحوه، فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدّعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن، بل يعنون أن الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلم فيه، وحسبكم في ذلك أنهم سمُّوها إشارات ولم يسموها معاني»[1].

22- محمد حسين الذهبي

يُفرّق الذهبي -رحمه الله- بين الإشاري النظري والفيضي ويُصرّح بأن الإشاري النظري قائم على نظرية وحدة الوجود وأنه لا يقبل مهما كان قائله[2].

وأن الإشاري الفيضي يُقبل إذا توفّرت فيه شروط، وقال الذهبي بعد ذكره للشروط وبعد نقله لآراء العلماء فيه: «هذه هي الشروط التي إذا توفرت في التفسير الإشاري كان مقبولًا، ومعنى كونه مقبولًا عدم رفضه لا وجوب الأخذ به، أما عدم رفضه فلأنه غير مناف للظاهر ولا بالغ مبلغ التعسّف، وليس له ما ينافيه أو يُعارضه من الأدلة الشرعية. وأماً عدم وجوب الأخذ به، فلأنه من قبيل الوُجدانيات، والوجدانيات لا تقوم على دليل، ولا تستند إلى برهان، وإنما هي أمر يجده الصوفي من نفسه، وسر بينه وبين ربه. فله أن يأخذ به ويعمل على مقتضاه، دون أن يُلزم به أحدًا من الناس سواه»[3].

23- أبو الفضل الغماري

أجاد أبو الفضل عبد الله بن الصديق الغماري -رحمه الله- بالمعاني الإشارية التي يذكرها الصوفية في القرآن الكريم والسنة المشرّفة، ودلّل لها وأشار إلى مَنْ كتب فيها من المفسرين

(1) المصدر السابق نفسه 29/1.

(2) انظر: التفسير والمفسرون 350/2.

(3) التفسير والمفسرون 378/2.

وشرّاح الحديث وغيرهم وقال: «من أنواع التفسير: التفسير الإشاري الذي يسلكه الصوفية في تفاسيرهم، وذلك أنهم حين يتكلمون على آية من القران، يُقرّؤن تفسيرها اللفظي كما ذكره المفسرون، ويأخذون منها بعد ذلك معنى إشاريًّا يتصل بما يفيضون فيه من مقامات وأحوال، ومعارف وأسرار. وقد ذكرنا مثالًا لذلك في سورة الضحى، وهو بالنسبة للتفسير اللفظي كنسبة المفهوم إلى المنطوق، فكما أن المنطوق هو: ما دلّ عليه اللفظ في محل النطق، مثل وجوب الصلاة المدلول عليه بلفظ: ﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1]، كذلك التفسير اللفظي للآية، وهو ما أفاده نظمًا، واقتضاه سياقها، وكما أن المفهوم هو: ما دلّ عليه اللفظ لا في محل النطق، مثل تحريم الضرب للوالدين المدلول عليه بقوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾[2]، لكن لا في محل النطق، لأنه غير منطوق به. كذلك التفسير الإشاري هو: ما استفيد من الآية لا بطريق لفظها وعبارتها»[3]، ثم ذكر من اعتنى بالمعاني الإشارية من المفسرين كالآلوسي وإسماعيل حقي، وابن عجيبة، ثم قال: «والمقصود: أن الصوفية لهم في فهم القرآن والسنة تلميحَات وإشارات، تدل على إلهامات إلهية، وتنزلات قُدْسية. وقد كنت في بداية طلبي للعلم، أقرأُ شرح العارف أبي محمد بن أبي جمرة[4] على مختصره

(1) سورة الأنعام: 72.

(2) سورة الإسراء: 23.

(3) بدع التفاسير 117، 118.

(4) هو: عبد الله بن سعد بن أبي جمرة، أبو محمد، الأزدي، الأندلسي مالكي، من العلماء بالحديث، ذو تمسك بالإثر، واعتناء بالعلم، أخذ عنه صاحب المدخل ونقل عنه كثيرًا في كتابه، من تصانيفه: جمع النهاية في بدء الخير والغاية مختصر صحيح البخاري، وشرحه بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها، توفي سنة (695هـ). انظر: البداية والنهاية 346/13، ومعجم المؤلفين 57/6، والأعلام للزركلي 221/4.

للبخاري على سيدنا الأستاذ الإمام الوالد رضي الله عنه، فكان يُلفت نظري إلى مافيه من دقائق الاستنباطات التي لم يتفطّن لها شرّاح البخاري قبله، وهي مما ألهم الله إياها، وفتحَ بها عليه، ويقول لي: أن الحافظ ابن حجر ينقل عنه كثيرًا منها في فتح الباري، ويحلّيه بلقب (العارف) مع أنه ليس من أنصار الصوفية. وما ذاك إلا لأنه يُقدّر علمه وفهمه، ويعترف بما فتح الله به عليه ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾[1] »[2].

وقد نصَّ جماعة من العلماء المتأخرين[3] على جواز استخراج المعاني الإشارية من الكتاب والسنة، وذكر البعض منهم ضوابط الاستخراج، واكتفى البعض الآخر بضوابط التفسير والاستنباط، وسيأتي ذكر ضوابط المعاني الإشارية.

(القول الثاني) قول المانعين من استنباط المعاني الإشارية

سواء كانت من الكتاب العزيز أم السنة الشريفة، وقد أخذ بالمنع من أهل العلم سدًّا للذريعة، وخشية أن يتلاعب بآيات الله تعالى وأحاديث نبيهم ﷺ أصحاب الأهواء والمقاصد السيئة، وفيما يأتي ذكر أشهر من قال بهذا القول:

---

(1) سورة الحديد: 21.

(2) بدع التفاسير للغماري 119، وقول الغماري أن ابن حجر ليس من أنصار الصوفية فيه نظر.

(3) من هؤلاء العلماء: علوي بن عباس المالكي في كتابه نفحات الإسلام من البلد الحرام 260، وعلي حسب الله في كتابه أصول التشريع الإسلامي 26، ومحمد علي الصابوني في كتابه التبيان في علوم القرآن 175، 178، ومحمد جعفر في كتابه التصوف طريقًا وتجربة ومذهبًا 157، وأحمد خليل في كتابه دراسات في القرآن 127، ومحمد عبد الرزاق الرضواني في كتابه المعجم الصوفي 6/4، وخالد عبد الرحمن العك في كتابه أصول التفسير وقواعده 207، ومنّاع القطان في كتابه مباحث في علوم القرآن 347، ونور الدين عتر في كتابه علوم القرآن الكريم 98.

1- أبو الفرج ابن الجوزي[1]

يرى أبو الفرج ابن الجوزي -رحمه الله- أن هذه المعاني الإشارية التي يذكرها الصوفية لا يحل ذكرها ولا استنباطها، وعدَّها من قبيح الكلام، وأن منبعه من قلة العلم وسوء الفهم[2]، وأورد من هذه المعاني لآيات قرآنية عن سهل والغزالي وغيرهما، وقال: «وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي[3] في تفسيرات القرآن من كلامهم الذي أكثره هذيان

---

(1) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، أبو الفرَج. نسبته إلى محلة الجوز بالبصرة، كان بها أحد أجداده. قرشي يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق، من أهل بغداد، حنبلي، علامة عصره في الفقه والتاريخ والحديث والأدب، اشتهر بوعظه المؤثر وكان الخليفة يحضر مجالسه، مُكثر في التصنيف، من تصانيفه: تلبيس إبليس، وصفوة الصفوة، والموضوعات في الحديث وغيرها، توفي سنة (597هـ). انظر: تاريخ الإسلام 925/13، البداية والنهاية 28/13، وطبقات المفسرين للسيوطي 16، والأعلام للزركلي 89/4.

(2) انظر: تلبيس إبليس 404، 407.

(3) هو: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى النيسابوري الصوفي الأزدي الأب السلمي الأم نسب الى جده القدوة أبي عمرو إسماعيل السلمي، الحافظ العالم الزاهد شيخ المشايخ، سمع أبا العباس الأصم وأحمد بن محمد بن عبدوس ومحمد بن المؤمل، وكتب العالي والنازل وصنّف وجمع وسارت بتصانيفه الرُّكبان، حمل عنه القشيري والبيهقي، بلغ فهرست تصانيفه المائة أو أكثر، وكتب الحديث بمرو ونيسابور والعراق والحجاز، مولده في سنة ثلاثين وثلاث مائة، وكان شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان صنّف لهم سننًا وتفسيرًا وتاريخًا وغير ذلك. قال السبكي: «وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي كان يعني السلمي وافر الجلالة له أملاك ورثها من أمه وورثتها هي من أبيها، وتصانيفه يقال إنها ألف جزء وله كتاب سمّاه حقائق التفسير ليته لم يصنفه فإنّه تحريف وقرمطة، فدونك الكتاب فسترى العجب انتهى، قلتُ -القائل السبكي-: لا ينبغي له أن يصف بالجلالة مَنْ يدّعي فيه التحريف والقرْمطة، وكتاب حقائق التفسير المشار إليه قد كثُر الكلام فيه من قِبَل أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات، ومحال للصوفية ينبو عنها ظاهر اللفظ» ومات في شعبان سنة (412هـ). انظر: تذكرة الحفاظ 1046/3، طبقات المفسرين للسيوطي 98، وطبقات الشافعية الكبرى 147/4.

لا يحل نحو مجلدين سمّاها حقائق التفسير... وهو من جنس ما حكينا عن الباطنية»[1].

وقد ذكر ابن الجوزي -رحمه الله- سبب ذكرهم الإشارات قال: «بعُدَ هؤلاء عن العلم واقتناعهم بواقعاتهم الفاسدة أوجب هذا التخليط، وليعلم أن الخواطر والواقعات إنما هي ثمرات علمه فمن كان عالمًا كانت خواطره صحيحة، لأنها ثمرات علمه، ومن كان جاهلًا فثمرات الجهل كلها حظه»[2].

وكلامه هذا يدل على تفرقته بين إشارات العلماء المحققين وإشارات الذين لم يتأهلوا بالعلم، وهذا منه إنصاف [3].

2- ابن الأثير[4]

يجعل ابن الأثير -رحمه الله- المعاني الإشارية من الاستنباط الممنوع إلا أنه فرّق بينه وبين ما يذهب إليه الباطنية، فجعل ما يذهب إليه بعض أهل العلم والصوفية له غرض صحيح في ذاته، وما يذهب إليه الباطنية له غرض فاسد، لأن مذهبهم باطل، قال ابن الأثير -رحمه الله-: «وتارة -أي التفسير- يكون له غرض صحيح، فيطلب له دليلًا من

(1) تلبيس إبليس 403، 404.

(2) المصدر السابق نفسه 408.

(3) عقد ابن الجوزي في كتابه صيد الخاطر فصلًا بعنوان (**أهل الإشارة**) وذكر فيه انتفاع بعض السلف ببعض الكلمات، وتأثرهم بها، لأنهم قد فهموها بمعان شريفة مفيدة، وأثنى عليهم. فلينظر: 106-107.

(4) هو: المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، العلامة مجد الدين أبو السعادات الجزري ابن الأثير، وكان فاضلًا بارعًا عالمًا، أقام بداره وأنشأ رباطًا من مؤلفاته: جامع الأصول وغريب الحديث وشرح مسند الشافعي، توفي بالموصل سنة (606هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى 377/8، وسير أعلام النبلاء 489/21.

القرآن، ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به، كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول: قال الله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧﴾[1]، ويشير إلى قلبه، ويؤمي إلى أنه المراد بفرعون. وهذا الجنس قد استعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة، تحسيناً للكلام، وترغيباً للمستمع، وهذا ممنوع وقد استعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة، لتغرير الناس، ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل، فيُنزِّلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعًا أنها غير مُرادة به، فهذه الفنون: أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي»[2].

وقد أخذ بعض المعاصرين من أهل العلم بالقول الثاني من المنع من ذكر إشارات لنصوص الشريعة الغرّاء ومن هؤلاء:

1- مصطفى صادق الرافعي[3]

يقول الرافعي -رحمه الله-: «أمّا المتصوفة ومن يُقلِّدون علم الباطن لا حصر لمذاهبهم وأقوالهم في تفسير القرآن، وبخاصة المتأخرين منهم لهم في ذلك المزاعم العريضة، ممّا يَخرج عن أن يكون من علم الناس فإلى الله أمره. وقد ذكر الشيخ محيي الدين ابن العربي في الفتوحات عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ۝١٢﴾[4] أن قوله: ﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾ يدل على أنه تعالى ما أودع فيه إلّا عُلومًا متناهية مع كونها خارجة عن

---

(1) سورة النازعات: 17.

(2) جامع الأصول في أحاديث الرسول 5/2.

(3) هو: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد الرافعي، عالم جليل، عالم بالأدب والشعر، من كبار الكُتّاب، أصله من طرابلس الشام، ومولده في هتيم، شعره نقي الديباجة، من مؤلفاته: ديوان شعر وتاريخ آداب العرب، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ووفاته في طنطا بمصر سنة (1356هـ) وقد كتب عنه محمد سعيد العريان كتابًا أسماه (حياة الرافعي). انظر: الأعلام للزركلي 235/7، ومعجم المؤلفين 256/12، وانظر: مقدمة كتابه إعجاز القران والبلاغة النبوية 5 بتحقيق العريان.

(4) سورة يس: 12.

الحصر لنا. قال: وقد سألت بعض العلماء بالله تعالى: هل يصح لأحد حصر (أُمهات) هذه العلوم؟ قال: نعم، هي مائة ألف نوع وتسعة وعشرون نوع وسبعمائة نوع، كل نوع منها يحتوي على علوم لا يعلمها إلا الله تعالى.اهـ بنصه، قلنا -القائل الرافعي- قد ألّف بعض علماء القوم كتابًا سمّاه (تنبيه الأغنياء على قطرة من بحر علوم الأولياء) كانت هذه القطرة فيه زهاء ثلاثة آلاف علم، فترى ما عسى أن يكون البحر؟ اللهم إن السلامة في الساحل، ولكن لبعض المحققين من مشايخ الصوفية دقائق في تفسير لا تتفق لغيرهم، لسُمو أرواحهم ونور بواطنهم..»[1].

كلام الرافعي فيه إنصاف المُحققين من العلماء الربانيين فكلامهم الإشاري في الغالب بعيد عن الشطط، وسبب ذلك سمو أرواحهم وزكاة قلوبهم.

2- صبحي الصالح[2]

يجعل صبحي الصالح إشارات الصوفية ضمن التفسير بالرأي، وأنها من المذموم ويُعلل ذلك، لأن أصحابها لم يؤلفوها إلا لتأييد أهوائهم، أو الانتصار لمذاويقهم ومواجيدهم، وعدَّ تفسيرات المعتزلة والمتصوفة والباطنية من الرأي المذموم[3].

---

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية 89.

(2) هو: صبحي بن إبراهيم الصالح، عالم وباحث وداعية، ولد في طرابلس سنة 1345هـ، وتلقى دراسته الثانوية المدنية والشرعية في دار التربية والتعليم فيها، حصل على الشهادة العالية (الإجازة) من كلية أصول الدين، كما نال الشهادة العالمية عام 1949م، ونال شهادة دكتوراه الدولة في الآداب عام 1954م، تولّى عددًا من المناصب آخرها نائب رئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، ورئيس اللجنة العليا للقرن الخامس عشر الهجري في لبنان، والأمين العام لرابطة علماء لبنان، درّس بكلية الآداب بجامعة دمشق، وأستاذ القران وعلومه، وقُتِل غيلة سنة(1407هـ)، من آثاره: مباحث في علوم القرآن، والنظم الإسلامية، وعلوم الحديث ومصطلحه وغيرها. انظر: تكملة معجم المؤلفين 241.

(3) انظر: كتابه مباحث في علوم القرآن 337.

وقال: «ويقرب من تفسير المُتصوفة ما يُسمّى بالتفسير الإشاري، وهو الذي تؤوَّل به الآيات على غير ظاهرها مع محاولة الجمع بين الظاهر والخفي، من ذلك تفسير الآلوسي ت 1270هـ»[1]، ثم ذكر نماذج عنه وقال: «وتفاسير الباطنية أشد بعدًا عن النسق القرآني من تفاسير التصوف والتفاسير الإشارية، وإن كانت تشترك جميعًا في مخالفة ظاهر القرآن واستلهام معانٍ ما أنزل الله بها من سلطان»[2].

كلام بعض أهل العِلم المُوهم بمنع استنباط المعاني الإشارية

تكلَّم بعض أهل العلم في المعاني المستنبطة غير الظاهرة ولا المتبادرة، فحَكَم بأنها ضلال بل إلحاد على سبيل العموم والإجمال، وكلامهم يُوهِمُ أنه لا يجوز استخراج المعاني الباطن إطلاقًا، وإنما الواجب أخذ المعنى الظاهر، إلا أن العلماء مِنْ بعدهم بيّنوا مُرادهم على سبيل التبيين والتخصيص، فمِنْ هؤلاء العلماء:

1- أبو الحسن الواحدي

قال ابن الصلاح -رحمه الله- في جوابه عن المعاني الإشارية للعلماء الربانيين: «وجدتُ عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر -رحمه الله- أنه قال: صنّف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر»، ثم أجاب ابن الصلاح عن كلام الواحدي فقال: «وأنا أقول: الظن بمَنْ يوثق به منهم -أي: العلماء الربانيون- أنه إذا قال شيئًا من أمثال ذلك، أنه لم يذكره تفسيرًا، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن الكريم، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإن النظير يذكر بالنظير»[3].

---

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) المصدر السابق نفسه 341.

(3) أدب المفتي والمستفتي 196/1.

وقد تقدّم أن العلماء الربانيين لا يريدون بإشاراتهم في القرآن الكريم أو السنة المشرفة بأنها تفسير أو تأويل لآيات الله سبحانه أو لأحاديث رسول الله ﷺ، وإنما هي معانٍ أدركوها وفهوم توصلوا إليها مع تقريرهم للمعنى الظاهر المتبادر(1).

2- النَسفي(2)

قال النسفي -رحمه الله-: «النصوص على ظواهرها، والعدول عنها إلى معان يدّعيها أهل الباطل إلحاد»(3).

وقد بيّن التفتازاني -رحمه الله- المراد من كلام النسفي فقال شارحًا لكلامه: «سمّيت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها، بل لها معانٍ لا يعرفها إلا المعلّم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية، قال: وأمّا ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها...»(4)، فأقرّ التفتازاني -رحمه الله- ما يذهب إليه المحققون من الصوفية وردَّ على الباطنية مذهبهم، وهو الذي عنَاه النسفي، لأنهم لا يقرون ظواهر النصوص إطلاقًا.

---

(1) انظر: 45 من البحث.

(2) هو: عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي، فقيه مفسّر، حافظ، من فقهاء الحنفية، وهو من أحد الأئمة المشهورين بالحفظ الوافر، والقبول التام عند الخواص والعوام، أخذ الفقه عن أبي اليسر محمد البزدوي، وأبي بكر الإسكاف، وأبي القاسم الصفار وغيرهم، وتفقّه عليه ابنه أبو الليث أحمد المعروف بالمجد النسفي، من تصانيفه: طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، والعقائد يعرف بعقائد النسفي، والأكمل الأطول في التفسير وغيرها، توفي سنة (537هـ). انظر: سير أعلام النبلاء 126/20، وطبقات المفسرين للأدنه وي 171، والأعلام للزركلي 222/5، ومعجم المؤلفين 305/7.

(3) العقائد النسفية مع شرحها شرح العقائد النسفية 142.

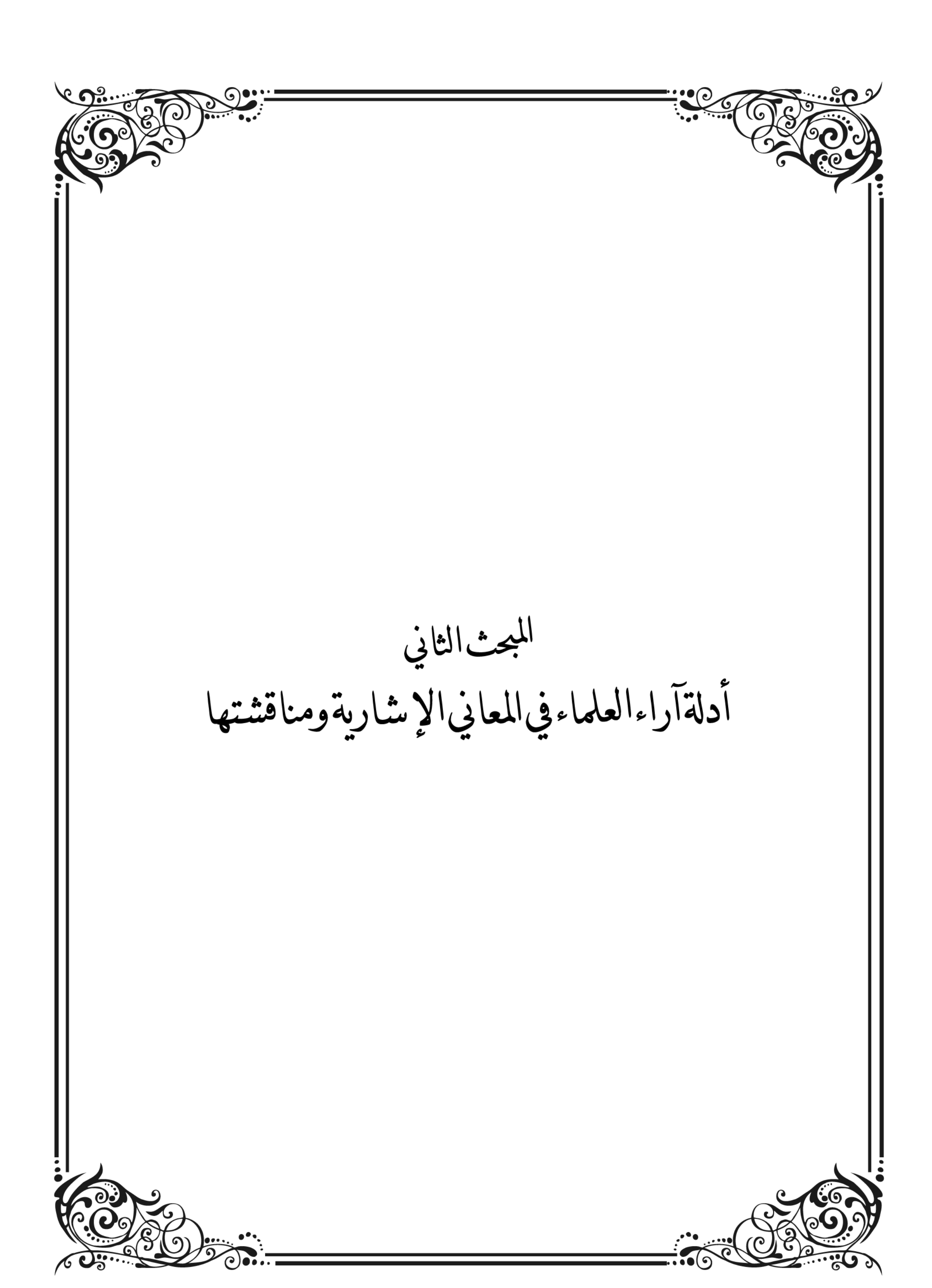
(4) المصدر السابق 142.

وقد نبّه علي القاري[1] -رحمه الله- مَنْ يسلك منهج الباطنية من المتصوفة الذين لم يسلكوا منهج المحققين من العلماء الربانيين وذمّهم واستشهد بكلام الغزالي -رحمه الله- فقال: «وقد أخطأ الباطنية الذين يعتقدون أن للقرآن ظهراً وبطنًا، وأن المراد باطنه دون ظاهره، ومن هذا ما يسلكه بعض الصوفية من تفسيرهم: فرعون بالنفس وموسى بالقلب، إن زعموا أن ذلك مراد من الآية بإشارات ومناسبات للآيات. وقد صرّح الغزالي وغيره، بأنه يحرم صرف شيء من الكتاب والسنة عن ظاهره من غير اعتصام فيه بنقل من الشارع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل عقلي»[2]، وبيّن أيضًا بعض العلماء المتأخرين قصْدَ الواحدي والنسفي -رحمهما الله- وأنهما لا يمنعان استخراج المعاني الإشارية التي تبطل المعاني الظاهرية مع حُسن الظن بأهل العلم السابقين التي نُقلت عنهم بعض المعاني الإشارية، وهذا مأمور به شرعًا[3].

(1) هو: علي بن محمد سلطان الهروي المعروف بالقاري الحنفي، أحد صدور العلم، فريد عصره، من مؤلفاته: شرح المشكاة، شرح الشمائل، شرح الشفاء، وغيرها، توفي سنة (1014هـ). انظر: الأعلام للزركلي 15/4، معجم المؤلفين 100/7.

(2) مرقاة المفاتيح 446/1.

(3) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي 369/2، 374، والتبيان في علوم القرآن للصابوني 172.



المبحث الثاني

أدلة آراء العلماء في المعاني الإشارية ومناقشتها

المبحث الثاني
أدلة آراء العلماء في المعاني الإشارية ومناقشتها

استدل العلماء المُجيزون لاستنباط المعاني الإشارية بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة والآثار الثابتة عن الصحابة الكرام -رضي الله عنهم-، وكذلك استدل المانعون من استخراج الإشارات من نصوص الشريعة بأدلة، وقد اعترضوا على أدلة الجمهور باعتراضات وفيما يأتي أدلة الفريقين ومناقشتها.

أولًا: أدلة العلماء المجيزين

يَستقي العلماء الذين أجازوا استنباط الإشارات من نصوص الشريعة بأدلة من الكتاب العزيز ومن السنة النبوية، ومن الآثار الثابتة عن سادتنا الصحابة الذين شهدوا التنزيل وسَبروا أقوال نبيهم سيدنا رسول الله ﷺ، وسلكوا منهجه في التعامل في فهم كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ.

أولًا: القرآن الكريم:

1- وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تحثُّ المؤمنين على التدبر والتفكروالتأمل لمعانيه، والتأمل المطلوب منهم هو: الالتفات إلى مقاصد القرآن، ليعقلوا معانيه، ويُدركوا مَراميه، والمقصود أن يصلوا إلى مراد الله تعالى من كلامه، لا أن يفهموا نفس الكلام فقط، فهو بلغتهم ولسانهم وهم فرسان اللغة، وهم عرب والقرآن لم يخرج عن لغتهم، فهم يفهمون ظاهره بلا شك، ولكن النص القرآني يتضمن وراء دلالته اللفظية أفهامًا وأحكامًا، ومعاني عميقة دقيقة لا تتعارض مع ظاهر النص اللغوي اللفظي، وإنما توضّحه

وتجعله نافذًا للقلوب، فحضّهم ورغّبهم على أن يتدبروا آياته حتى يقفوا على المقصود الأعظم ومعرفة مراد الله تعالى(1)، ومن هذه الآيات الداعية للتدبر والتأمل قول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾(2)، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾(3)، وقوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾(4)، وقوله جل جلاله: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨﴾(5)، قال الشاطبي -رحمه الله-: والمعنى لا يفهمون عن الله تعالى مراده من الخطاب، ولم يُرد أنهم لا يفهمون نفس الكلام، كيف وهو منزل بلسانهم؟(6).

الاعتراض الأول: اعتُرض على هذا الدليل بأمرين:

1- إن الاستدلال بهذه الآيات من الضعف بمكان، فإنها تدعو إلى التدبر في نفس المفاهيم المستفادة من ظاهر الآيات، وكون القرآن الكريم عربيًّا، وكون القوم عربًا لا يكفي في فهم القرآن الكريم من دون تدبّر وإمعان، فهل يكفي كون القوم عربًا في فهم مغزى قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾(7)، أو في فهم قوله سبحانه: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾(8)، أو في فهم قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا

(1) انظر: الموافقات 346/3، والتفسير والمفسرون 353/2.

(2) سورة ص 29.

(3) سورة محمد 24.

(4) سورة النساء: 82.

(5) سورة النساء: 78.

(6) انظر: الموافقات 346/3، واللمع للطوسي 147.

(7) سورة الحديد: 3.

(8) سورة الأنبياء: 22.

﴿بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١﴾[1]، فالدعوة إلى التدبر لا يدل على أن للقرآن وراء ما تفيده ظواهره بطنًا [2].

والجواب على هذا الاعتراض بما يأتي:

1- إن مفهوم التدبر المأمور به في الآيات ليس معناه فقط الوقوف عند ظاهر النصّ، وإنما التفكر فيه والنظر في عواقبه، وما يُؤديه النص وما يرشدُ إليه[3] سواء عن طريق دلالات الألفاظ أو طريق الاستنباط الذي يعتمد على القياس والاعتبار وذكر النظير ونحو ذلك[4].

قال القرطبي[5] -رحمه الله-: «ودلّت هذه الآية - أي: قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٨١ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾[6] - وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾[7]، على وجوب التدبر في القرآن ليعرف معناه فكان في هذا ردٌ على فساد قول من قال: لا يؤخذ من

(1) سورة المؤمنون: 91.

(2) انظر: المناهج التفسيرية لجعفر السبحاني 133.

(3) انظر: لسان العرب 274/4 مادة (دبر)، والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري 75.

(4) تقدّم بيان استنباط المعاني الإشارية في المطلب الثالث ضمن المبحث الأول صـ 53.

(5) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح، أندلسي من أهل قرطبة أنصاري، من كبار المفسرين، كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن وهو من أجلّ التفسير وأعظمها نفعًا، والتذكرة بأمور الآخرة، والمقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى، المتوفى سنة(671هـ). انظر: تاريخ الإسلام 229/15، وطبقات المفسرين للداوودي 69/2، والأعلام للزركلي 218/6.

(6) سورة النساء 81 ـ82.

(7) سورة محمد: 24.

تفسيره إلا ما ثبت عن النبي ﷺ ومنع أن يتأول على ما يسُوغه لسان العرب، وفيه دليل على الأمر بالنظر والاستدلال وإبطال التقليد، وفيه دليل على إثبات القياس»[1].

2- إن الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- استنبطوا فهومًا من المعاني الإشارية، وهي معان زائدة على المعاني الظاهرة، وهم أدرى الناس بمقاصد القرآن وبكلام الرسول ﷺ كيف وهم العرب الفصحاء، ففهم ابن عباس -رضي الله عنهما- من قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾[2]، قُرب أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله نبيه، وأيّده عمر -رضي الله عنه- بمحضر كبار الصحابة[3].

قال الشاطبي -رحمه الله-: «فظاهر هذه السورة أن الله أمر نبيه ﷺ أن يسبح بحمد ربه ويستغفره إذ نصره الله وفتح عليه، وباطنها أن الله نعى إليه نفسه، ولمَّا نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[4]، فرح الصحابة وبكى عمر، وقال: ما بعد الكمال إلى النقصان، مُستشعراً نعيه عليه الصلاة والسلام، فما عاش بعدها إلا أحدًا وثمانين يومًا، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٤١﴾[5] الآية، قال الكفار: ما بال العنكبوت والذباب يذكر في القرآن؟ ما هذا كلام الإله. فنزل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ

(1) الجامع لأحكام القرآن 290/5.

(2) سورة النصر:1-3.

(3) تقدم تخريجه صـ 109.

(4) سورة المائدة: 3.

(5) سورة العنكبوت:41.

مِن رَّبِّهِمْۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[1]، فأخذوا بمجرد الظاهر، ولم ينظروا في المراد، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ﴾ الآية، ويشْبَه ما نحن فيه نظر الكفار للدنيا، واعتدادهم منها بمجرد الظاهر الذي هو لهو ولعب وظل زائل، وترك ما هو مقصود منها، وهو كونها مجازًا ومعْبرًا لا محل سكني، وهذا هو باطنها على ما تقدّم من التفسير» وقد ذكر نماذج كثيرة في الموضوع ثم قال: «فاعلم أن الله تعالى إذا نفى الفقه أو العلم عن قوم، فذلك لوقوفهم مع ظاهر الأمر، وعدم اعتبارهم للمراد منه، وإذا أثبت ذلك فهو لفهمهم مراد الله من خطابه، وهو باطنه»[2].

3- لا ينكر على المفسرين الذين استنبطوا من كتاب الله، والعلماء من حديث رسول الله ﷺ مسائلًا وأحكامًا وعلومًا في كل وقت وفي كل زمن، ولا يزال العلماء ينهلون من القرآن جواهرًا، ويجدون فيه حلًّا لمشكلاتهم وإشكالاتهم عن طريق التدبر والتأمل في آياته، والتمّعن في سنة رسولهم ﷺ وكذلك فعل العلماء الربانيون[3].

4- لا يلزم من التدبر في نفس المفاهيم المستفادة من ظاهر الآيات والأحاديث إطلاقًا فثَمَّ معان تُشير لها الآيات والأحاديث عن بُعد، وتكون مُرادة أيضًا، إذْ لا تتعارض والمعاني المتبادرة من النص، بل يجب أن يوجد ارتباط بين المعاني الإشارية والمعاني الظاهرية[4]، فالوقوف على ظواهر الألفاظ فقط لا يحصل به فهم القرآن أو الحديث ومعرفة مقاصده وبواطنه، فهؤلاء العرب لمّا قالوا في الحسنة: ﴿هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ

(1) سورة البقرة: 26.

(2) الموافقات 3/348، 349.

(3) انظر: اللمع للطوسي 149.

(4) انظر: ما تقدم صـ 41.

﴿عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾[1]، وفي السيئة: هذا من عند رسول الله، بيّن لهم أن كلًا من عند الله، وأنهم لا يفقهون حديثًا، لكن بيّن الوجه الذي يتنزل عليه أن كلًا من عند الله بقوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾[2] الآية، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾[3]، فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن فلم يحصل منهم تدبر[4].

5- وأما ما اعترض به بذكر آيات الإيمان وصفات الله تعالى، وأن التدبر لا يدل على أن للقرآن معاني باطنة، **فجوابه:** التدبر في نصوص الشريعة أمرٌ مطلوب شرعًا، وهو درجات يختلف الناس فيه حسب اختلاف مداركهم وعلومهم، فالآيات التي ذكرها المعترض هي من جملة الآيات التي أُمرنا بتدبرها كسائر آيات الكتاب العزيز، وتدل على توحيد الله تعالى وبيان صفاته العُلى، ولابد من تأملها، لأنها تقرر أعظم الأدلة لإثبات وحدانية الله تعالى ونفي الشريك عنه، ونفي مشابهته لخلقه، فكم استنبط العلماء من قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[5]، ما نزّهوا الله تعالى عن مشابهة خلقه، وردوا على المشبهة والمجسمة في كل عصر ومصر[6].

أمّا آيات وأحاديث الصفات فنحن مأمورون بعدم الخوض في الآيات المتشابهات منها، والتوغل فيها بل نُهينا عن التفكر في ذات الله تعالى، والواجب التصديق بها، وتفويض

(1) سورة النساء: 78.

(2) سورة النساء 79.

(3) سورة محمد: 24.

(4) انظر: الموافقات 347/3.

(5) سورة الشورى: 11.

(6) انظر: التفسير الكبير للرازي 129/27.

حقيقة معناها إلى الله تعالى، وقد أوضح هذا المنهج السديد الشاطبي -رحمه الله- في بيان معرض الاستدلال لمنهج العلماء الربانيين في المعاني الإشارية فقال: «وكما زعم أهل التشبيه في صفة البارئ حين أخذوا بظاهر قوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾(1)، ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾(2)، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ﴾(3)، وحكموا مقتضاه بالقياس على المخلوقين، فأسرفوا ما شاؤوا... وهكذا المشبهة لو حققت معنى قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، في الآيات المذكورة لفهموا بواطنها، وأن الرب منزه عن سمات المخلوقين. وعلى الجملة فكل من زاغ ومال عن الصراط المستقيم فبمقدار ما فاته من باطن القرآن فهمًا وعلمًا، وكل من أصاب الحق وصادف الصواب على مقدار ما حصل له من فهم باطنه»(4).

2- (الاعتراض الثاني)

أنه يمكن أن يكون الأمر بالتدبّر هو: تطبيق العمل على ما يفهمونه من القرآن والسنة، فربّ ناصح يُدلي بكلام فيه نصيحة الأهل والولد، ولكنهم إذا لم يُطبّقوا عملهم على قول ناصحهم، فيعود الناصح إليهم، ويقول: لماذا لا تتدبرون في كلامي؟ لماذا لا تعقلون؟ مُشعراً بذلك أنكم ما وصلتم إلى ما أدعوكم إليه وإلا لتركتم أعمالكم القبيحة وصرْتم عاملين بما أدعو إليه(5).

والجواب عن هذا الاعتراض: أنه لا يخفى أن المقصود من التدبر هو العمل والاقتداء الفعلي وفق ما أراد الله تعالى، سواء كان العمل فعلًا أو قولًا أو اعتقادًا كإجلال الله تعالى وتعظيمه، وعدم الركون للدنيا والزهد فيها، واستنباط المعاني الإشارية المقصود الأعظم منها

(1) سورة القمر: 14.
(2) سورة يس: 71.
(3) سورة الزمر: 67.
(4) الموافقات 3/ 353، 354.
(5) انظر: المناهج التفسيرية للسبحاني 133.

هو العمل وتحقيق معنى العبودية المحضة لله رب العالمين، فليس لما اعترض به وجه للاعتراض. قال الشاطبي -رحمه الله-: «وكل ما كان من المعاني التي تقتضي تحقيق المخاطب بوصف العبودية، والإقرار لله بالربوبية، فذلك هو الباطن المراد والمقصود الذي أنزل القرآن لأجله ويتبين ذلك بالشواهد المذكورة آنفًا، ومن ذلك أنه لما نزل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾[1]، قال أبو الدحداح: إن الله كريم استقرض منا ما أعطانا، هذا معنى الحديث، وقالت اليهود: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[2]، فَفَهِمُ أبو الدحداح هو: الفقه، وهو الباطن المراد، وفي رواية قال أبو الدحداح: يستقرضنا وهو غني؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «نعم ليُدخلكم الجنة»[3] وفي الحديث قصة؟ وفهم اليهود لم يزد على مجرد القول العربي الظاهر، ثم حمل استقراض الرب الغني على استقراض العبد الفقير، عافانا الله من ذلك»[4]، وما فَهِمَ العلماء المعاني الإشارية بتدبرهم من نصوص الشرع إلا للإهتداء بها، والعمل بمقتضاها، وإنهاض الهمم لترجمة الأقوال الشرعية إلى أعمال، فهذا الاعتراض لهم وليس عليهم.

2- ما دلّت عليه الآيات القرآنية بأن هناك علمًا لَدُنِّيًا يلقي الله تعالى في قلب العبد علمًا من غير سبب اكتسابي أو حسي، وإنما بسبب التقوى فيطلعه الله تعالى على أمور تخفى على

(1) سورة البقرة: 245.

(2) سورة آل عمران: 181.

(3) رواه الطبري في جامع البيان في تأويل آي القرآن 593/2، وسعيد بن منصور في سننه 934/3، والطبراني في معجمه الكبير 301/22، وأبو يعلى في مسنده 404/8، والبزار في مسنده 402/5، وروى القصة بطولها القرطبي بسنده في تفسيره الجامع في أحكام القرآن 237/3 كلهم من طريق حميد الأعرج الكوفي، وهو ضعيف. انظر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية 421/16، وتهذيب الكمال للمزي 409/7.

(4) الموافقات 352/3.

غيره[1]، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[3]، وقال جل شأنه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[4].

وهذا هوالعلم اللدني الذي لا يتحصل إلا بالمجاهدة والاستقامة، فيَهبُ الحق تبارك وتعالى مَنْ يشاء من عباده فهومًا وعلومًا لا يدركها إلا المُوفّقون، قد أثبته جماعة من المفسرين منهم: الرازي، والقُشيري، والسلمي، والألوسي، والصابوني[5]،[6].

قال إسماعيل حقي[7] -رحمه الله- عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾: «اعلم أن التحقيق في هذا المقام: أن العلم المأمور موسى -عليه السلام- بتعلمه من الخضر هو العلم الباطني المتعلم بطريق الإشارة لا العلم الباطني المتعلم بطريق المكاشفة، ولا العلم الظاهري المتعلم بطريق العبارة، والدليل عليه: إرسال الحق سبحانه موسى إلى عبده الخضر وعدم تعليمه بواسطة أمين الوحي جبرائيل، وتعليم الخضر بطريق الإشارة بالأمور الثلاثة، لكن

---

(1) انظر: اللمع للطوسي 148.

(2) سورة الكهف: 65.

(3) سورة الشورى: 52.

(4) سورة البقرة: 282.

(5) هو: محمد بن علي الصابوني، أصله من سوريا، عالم جليل معاصر، متخصص في القرآن وعلومه والأدب والبلاغة وإعجاز القرآن الكريم، أستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، له خدمة جليلة للقرآن الكريم، من آثاره: صفوة التفاسير، والتبيان في علوم القرآن، ومختصر تفسير ابن كثير وغيرها. وهو موجود حاليًا بمكة المكرمة. ذكره في تكملة معجم المؤلفين 325.

(6) انظر: مفاتيح الغيب 150/21، ولطائف الإشارات 407/2، وروح المعاني 22/16.

(7) هو: إسماعيل بن مصطفى حقي الأستانبولي، الحنفي الجلوتي، عالم متصوف مفسّر، من مؤلفاته: روح البيان في تفسير القرآن، والأربعون حديثًا، والرسالة الخليلية، المتوفى سنة (1137هـ). انظر: الأعلام للزركلي 331/1، ومعجم المؤلفين 266/2، وهدية العارفين 181/1.

لمّا كان الظاهر بالنظر إلى غلبة جانب علم الظاهر في وجود موسى، أن يطلب تعلّمه من طريق العبارة لا بطريق الإشارة، وطريقه: طريق الإشارة لا طريق العبارة قال: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ۝٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ۝٦٨﴾[1]، من طريق التعليم بالإشارة لا بالعبارة، والغالب عليك هو طريق العبارة، ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ﴾[2]، ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[3]»[4].

- **اعترض على ما تقدم بأمرين: أولًا:** بأن العبد المذكور في سورة الكهف هو نبي وليس عبد صالح، فلذا ما يخبر به ليس من العلم اللدني الرباني، وإنما هو من الوحي فلا يُعول على العلم اللدني الذي يدّعيه المُدّعون، **ثانيًا:** إن السالكين منهج التصوف لا يتلقون علومهم إلا من العلم اللدني الذي هو علم الباطن، وفي هذا مخالفة للشريعة المنزلة المأمور إتباعها[5].

والجواب عن ذلك بأمرين:

أولًا: العبد الصالح المذكور في سورة الكهف وهو الخضر، وقد اختلف العلماء فيه هل هو نبي أو ولي؟ بل قيل إنه ملك وهذا غريب بعيد كما قاله العلماء، فقال بعضهم: إنه ولي، وقال جمهور العلماء وهم الأكثر أنه نبي، لظاهر قول الله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾[6]،

---

(1) سورة الكهف: 67 ـ68.

(2) سورة البقرة: 148.

(3) سورة الإسراء: 84.

(4) روح البيان في تفسير القرآن لحقي 210/5، وقد أثبت هذا العلم ابن تيمية، ويطلق عليه كشفًا. انظر: مجموع الفتاوى 318/11.

(5) انظر: مدارج السالكين لابن القيم 476/2، والصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة ليوسف الرفاعي 123، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية لصادق سليم 211، 212.

(6) سورة الكهف: 82.

فإنه بأمر من الله، وكيف يكون النبي تابعًا لغير النبي إن قلنا إنه ولي؟[1].

وعلى كلٍ فالمسألة خلافية اجتهادية ولا يمنع من أن سيدنا الخضر -عليه السلام- نبيًّا، ما يحصل عليه العلماء الربانيين من العلوم الربانية بواسطة الإلهام، ويُسمى لدُنيًّا أيضًا، والعلوم الحاصلة عن طريق الوحي هي علوم نبويّة، مع أنه لم يرد -فيما أعلم- نص صريح يُصرّح بأن علم الخضر كان عن طريق الوحي[2].

قال الغزالي -رحمه الله-: «العلم الحاصل عن الوحي يسمى علمًا نبويًّا، والذي يحصل عن الإلهام يُسمى علمًا لدنيًّا، والعلم اللدني هو الذي لا واسطة في حصوله بين النفس وبين الباري، وإنما هو كالضوء من سراج الغيب يقع على قلب صاف فارغ لطيف... فالوحي حلية الأنبياء، والإلهام زينة الأولياء. فأما علم الوحي فكما أن النفس دون العقل فالولي دون النبي فكذلك الإلهام دون الوحي فهو ضعيف بنسبة الوحي قوي بإضافة الرؤيا، والعلم علم الأنبياء والأولياء. فأما علم الوحي فخاص بالرسل موقوف عليهم، كما كان لآدم وموسى عليهما السلام وإبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم وغيرهم من الرسل، وفرّق بين الرسالة والنبوة. فالنبوة قبول النفس القدسية حقائق المعلومات والمعقولات إلى المستفيدين والقابلين، وربما يتفق القبول لنفس من النفوس، ولا يتأتى لها التبليغ لعذر من الأعذار وسبب من الأسباب، والعلم اللدني يكون لأهل النبوة والولاية كما كان للخضر -عليه السلام- حيث أخبر الله تعالى عنه، قال: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾[3]»[4].

---

(1) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر 288/2، والبداية والنهاية لابن كثير 328/1.

(2) للحافظ ابن حجر العسقلاني رسالة في الموضوع أسماها (الزهر النضر في أخبار الخضر) أفاد فيها وأجاد، ولابن الجوزي والعراقي والسيوطي وغيرهم رسائل في الخضر -عليه السلام-.

(3) سورة الكهف: 65.

(4) الرسالة اللدنية 232.

وقد بيّن العلماء أن الإلهام يجوز الأخذ به في الأمور التي لم يرد النص الصريح به ولا يتعارض والشرع، ويكون صحيحًا في نفسه، ولهذا أجازه جمهور أهل العلم(1)، وإليك بعض أقوالهم:

1- قال ابن الصلاح -رحمه الله-: «الإلهام: فهو خاطر حقٍ من الحق تعالى، من علامته أن ينشرح له الصدر ولا يعارضه معارض من خاطر آخر»(2).

2- قال أبو المظفر السمعاني -رحمه الله-: «واعلم أن إنكار أصل الإلهام لا يجوز، ويجوز أن يفعل الله تعالى بعبد بلطفه كرامة له. ونقول فى التمييز بين الحق والباطل من ذلك أن كلَّ من استقام على شرع النبي ﷺ ولم يكن في الكتاب والسنة ما يرده فهو مقبول، وكل ما لا يستقيم على شرع النبي ﷺ فهو مردود، ويكون ذلك من تسويلات النفس ووساوس الشيطان، ويجب ردّه، على أنا لا ننكر زيادة نور الله تعالى كرامة للعبد وزيادة نظر له، فإما على القول الذي يقولونه وهو أن يرجع إلى قوله في جميع الأمور فلا نعرفه»(3)، وقد نقل الشوكاني(4) -رحمه الله- نقولًا كثيرة عن أهل العلم في موضوع الإلهام(5).

---

(1) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر 388/12.

(2) فتاوى ابن الصلاح 196/1.

(3) قواطع الأدلة 352/2.

(4) هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ثم الصنعاني، العالم القاضي، والفقيه المفسر، من مؤلفاته: نيلُ الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، فتح القدير الجامع بين فنَّي الروايةِ والدراية من علم التفسير، إرشادُ الفحول إلى تحقيق الحقِّ من علم الأصول،وقد ترجم له تلميذه محمد بن الحسن الشجني الذماري في كتاب سماه (التقصار في جيد زمان علاّمة الأقاليم والأمصار شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني) توفي الشوكاني في 26 جمادى الآخرة من سنة (1250هـ)، ودفن بصنعاء.
انظر: البدر الطالع 110/2، والأعلام للزركلي 298/6، ومعجم المؤلفين عمر رضا كحالة 53/11.

(5) انظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقِّ من علم الأصول 368، وللعلامة علوي عباس المالكي رسالة في =

ثانيًا: إدعاء أن العلماء الربانيين لا يتلقّون علومهم إلا من العلوم اللّدنية غير صحيح، بل الأصل عندهم الكتاب والسنة وأدلة الشريعة، وما عارض الشريعة ولم يستق منها هو من العلوم الشيطانية التي حذّروا منها، بل معانيهم الإشارية مأخوذة من نصوص الشرع، وهو دليل لما تقدّم، والعلماء الربانيون هم الذين يجمعون بين العلمين الشرعي واللدني، والعلم اللدني له أدلته ووجهته وهو في نفس الوقت ليس حجة على العباد، ولا يؤخذ منه حكم شرعي وإنما للاستئناس وصاحبه يُعطى من السداد والتوفيق في فهم النصوص الشرعية وفي الأعمال باستقامته مع الله عز وجل، فلذا جعل له نورًا قال الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾(1)(2).

وقد فصّل ابن القيم -رحمه الله- العلم اللدني من غيره، وضوابط الأخذ به عند أهله فقال: «يُشير القوم بالعلم اللّدُني إلى ما يحصل للعبد من غير واسطة بل بإلهام من الله وتعريف منه لعبده، كما حصل للخضر -عليه السلام- بغير واسطة موسى قال الله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾(3)، وفرّق بين الرحمة والعلم، وجعلهما من عنده ومن لُدنه، إذْ لم ينلهما على يد بشر وكان من لدنه أخص وأقرب من عنده، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ۝٨٠﴾(4)، فالسلطان النصير الذي من لُدنه سبحانه: أخص وأقرب ممّا عنده، ولهذا قال تعالى: ﴿صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ۝٨٠﴾ وهو الذي

=

الإلهام ضمن مجموع فتاوى ورسائل الإمام السيد علوي المالكي الحسني ذكر فيها آراء أهل العلم وأدلتهم.

(1) سورة النور: 40.

(2) انظر: الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة ليوسف الرفاعي 123، 124.

(3) سورة الكهف: 65.

(4) سورة الإسراء: 80.

أيّده به والذي من عنده: نصره بالمؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾(1)، والعلم اللُّدني ثمرة العبودية والمتابعة، والصدق مع الله والإخلاص له، وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله، وكمال الانقياد له فيفتح له من فهم الكتاب والسنة بأمرٍ يخصه به كما قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وقد سئل: هل خصّكم رسول الله بشيء دون الناس فقال: «وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ما أَعْلَمُهُ إلا فَهْمًا يُعْطِيهِ الله رَجُلًا في الْقُرآنِ»(2)، فهذا هو العلم اللّدُني الحقيقي. وأما علم مَنْ أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتقيّد بهما: فهو من لدُن النفس والهوى والشيطان، فهو لدُنّي لكن من لدن مَنْ؟ وإنما يُعرف كون العلم لدُنيًّا رحمانيًا: بموافقته لما جاء به الرسول عن ربه عز وجل، فالعلم اللدني نوعان: لدني رحماني، ولدني شيطاني بطناوي، والمحك: هو الوحي ولا وحي بعد رسول الله ﷺ، وأما قصة موسى مع الخضر -عليهما السلام-: فالتعلّق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني إلحاد وكفر مُخرج عن الإسلام، موجب لإراقة الدم، والفرق: أن موسى لم يكن مبعوثًا إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأمورًا بمتابعته، ولو كان مأمورًا بها لوجب عليه أن يهاجر إلى موسى ويكون معه، ولهذا قال له: أنت موسى نبي بني إسرائل قال: نعم. ومحمد مبعوث إلى جميع الثقلين، فرسالته عامة للجن والإنس في كل زمان، ولو كان موسى وعيسى -عليهما السلام- حيين لكانا من أتباعه، وإذا نزل عيسى ابن مريم -عليهما السلام- فإنما يحكم بشريعة محمد ﷺ. فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى، أو جوّز ذلك لأحد من الأمة: فليجدد إسلامه، وليتشهّد شهادة الحق، فإنه بذلك مُفارق لدين الإسلام بالكلية، فضلًا عن أن يكون من خاصة أولياء الله، وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوّابه، وهذا الموضع

(1) سورة الأنفال: 62.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: الجهاد والسير، باب: الحربي إذا دخل دار الإسلام بغير أمان ح2882.

مقطع ومفْرَق بين زنادقة القوم، وبين أهل الاستقامة منهم، فحرِّك تره، وقوله -أي صاحب منازل السائرين-: إسناده وجوده يعني: أن طريق هذا العلم: هو وجدانه كما أن طريق غيره: هو الإسناد وإدراكه عيانه أي: إن هذا العلم لا يؤخذ بالفكر والاستنباط، وإنما يؤخذ عيانًا وشهودًا، ونعته حكمه يعني: أن نعوته لا يوصل إليها إلا به، فهي قاصرة عنه يعني: أن شاهده منه ودليله وجوده،....، ولذلك لم يكن بينه وبين الغيوب حجاب، بخلاف ما دونه من العلوم فإن بينه وبين العلوم حجابًا ، والذي يشير إليه القوم: هو نور من جناب المشهود يمحو قُوى الحواس وأحكامها، ويقوم لصاحبها مقامها فهو المشهود بنوره ويفنى ما سواه بظهوره، وهذا عندهم معنى الأثر الإلهي: «**فإذا أحببتُه كنتُ سمْعهُ الذي يَسمعُ له وبصرهُ الذي يبْصر به**»[1]، فبي يَسمعُ وبي يبُصر، والعلم اللدني الرحماني: هو ثمرة هذه الموافقة والمحبة التي أوجبها التقرب بالنوافل بعد الفرائض واللدني الشيطاني: ثمرة الإعراض عن الوحي وتحكيم الهوى والشيطان والله المستعان»[2].

3- صرّح القرآن الكريم بأن الله تعالى يختص من عباده فيرزقه فهمًا ثاقبًا، وإدراكًا لأحكام قد تغيب عن كثير، قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[3]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- الحكمة: يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله[4]، وقال أيضًا: الحكمة: الفهم في القرآن[5].

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: الرقائق، باب: التواضع ح6137.
(2) مدارج السالكين 2/475ـ 477.
(3) سورة البقرة: 269.
(4) رواه الطبري في جامع البيان في تأويل آي القرآن 3/89.
(5) المصدر السابق نفسه، وانظر أقوال أهل العلم في معنى الحكمة، في تفسير القرآن لابن أبي حاتم 2/531.

ويؤيد المعنى من الآية، وهو اختصاص الحق سبحانه بفهم كتابه العزيز من شاء من أحبابه حديث علي -رضي الله عنه- حينما سئل: هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال: «**وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ما أَعْلَمُهُ إلا فَهْمًا يُعْطِيهِ الله رَجُلًا في الْقُرْآنِ**»[1].

قال الشاطبي -رحمه الله-: «الكلام في القرآن على ضربين: أحدهما: يكون برواية فليس يُعتبر فيها إلا النقل، والآخر: يقع بفهم فليس يكون إلا بلسان من الحق إظهار حكمةٍ على لسان العبد، وهذا الكلام يُشير إلى معنى كلام علي»[2].

وفي قول الله عز وجل: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾[3] ما يدل على ما يميّز الله تعالى من خلقه بفهمٍ واسعٍ، قال الغزالي -رحمه الله-: «سمّى ما آتاهما علماً وحكماً، وخصّص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدمًا على الحكم والعلم، فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالًا رحبًا ومُتّسعًا بالغًا، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس مُنتهى الإدراك فيه»[4].

قد يعترض على اختصاص بعض العلماء لفهم معان خفيّة لا يدركها غيرهم، بأن دين الإسلام شامل لجميع الخلق فليس في نصوص الشرع وأدلته ما هو خاص لبعض دون بعض، بل الظاهر والباطن من المعاني واحد[5].

والجواب عن هذا الاعتراض بأنه ثبت شرعًا وواقعًا اختلاف الناس في أفهامهم لنصوص الشرع المصون، وطلبت الشريعة منّا بذل الوسع والاجتهاد قال الله تعالى:

---

(1) تقدم تخريجه صـ 173.

(2) الموافقات 347/3.

(3) سورة الأنبياء: 79.

(4) إحياء علوم الدين 342/1.

(5) انظر: المصدر السابق نفسه 119/1.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾[1]، وقال سيدنا رسول الله ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثمّ أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثمّ أخطأ فله أجرٌ**»[2]، وهذا دليل على اختلاف الخلق في إدراك النصّ الشرعي، قال الغزالي -رحمه الله-: «إن انقسام هذه العلوم إلى خفيّة وجلية لا يُنكرها ذو بصيرة، وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقّفوا في أوائل الصبا شيئًا، وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترقٍ إلى شأو العلاء، ومقامات العلماء والأولياء، وذلك ظاهر من أدلة الشرع، قال ﷺ: «**إن للقرآن ظهراً وبطنًا وحدًا ومطلعًا**»[3]، وقال علي -رضي الله عنه- وأشار إلى صدره: إنّ ههنا علومًا جمّة لو وجدتُ لها حَمَلَةً، وقال ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عُقولهم**»[4]، وقال ﷺ: «**ما حدّث أحدٌ قومًا بحديث لم تبْلغهُ عقولهم إلّا كان**

---

(1) سورة العنكبوت: 69.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد وأصاب أو أخطأ ح6919.

(3) سيأتي تخريجه مع ذكر طرقه صـ 161 وما بعدها.

(4) رواه الديلمي بهذا اللفظ عن ابن عباس كما في الفردوس بمأثور الخطاب398/1، وسنده ضعيف إلا أن السخاوي ذكر له شواهد كثيرة تجعله لاينزل عن مرتبة الحسن، قال السخاوي: ورواه أبو الحسن التميمي من الحنابلة في العقل له بسنده عن ابن عباس أيضًا بلفظ: «**بعثنا معاشر الأنبياء نخاطب الناس على قدر عقولهم**»، وله شاهد من حديث مالك عن سعيد بن المسيب رفعه مرسلًا: «**إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا**» وذكره، بل عند البخاري في صحيحه عن علي موقوفًا: «**حدِّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله**»، ونحوه ما رواه مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن مسعود قال: «ما أنت بمحدّث قوما حديثًا لا تبلغه عقولهم إلّا كان لبعضهم فتنة». انظر: المقاصد الحسنة 164، والمغني عن حمل الأسفار في الأسفار 119/1، وكشفاء الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني 226/1.

فتنة عليهم»[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[2]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[3]: «لو ذكرتُ تفسيره لرجمتموني وفي لفظ آخر: لقلتم إنه كافر»[4]، وقال أبو هريرة -رضي الله عنه-: حفظت من رسول الله ﷺ: **«وعاءين أما أحدهما فبثثته وأما الآخر لو بثثته لقطع هذا الحلقوم»**[5]، وقال ﷺ: **«ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره»**[6]، رضي الله عن أبي بكر الصديق، ولا شك في أن ذلك السِّر كان متعلقًا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد

(1) رواه ابن عساكر واللفظ له في تاريخ دمشق 356/38، والعقيلي في الضعفاء الكبير 201/3، وفي سند الحديث عثمان بن داود، قال عنه ابن عساكر والعقيلي: عثمان بن داود مجهول بنقل الحديث لا يتابع على حديثه ولا يعرف إلا به. وروى الحديث مسلم موقوفًا في مقدمة صحيحه باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع عن ابن مسعود بلفظ: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»، وانظر: الحديث الذي قبله.

(2) سورة العنكبوت: 43.

(3) سورة الطلاق: 12.

(4) رواه الطبري في جامع البيان في تأويل آي القرآن 153/28 بلفظ: «لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها». وروى الحاكم في مستدركه 583/3 وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، عن أبي هريرة قوله: «حفظت من حديث رسول الله ﷺ أحاديث ما حدثتكم بها، ولو حدثتكم بحديث منها لرجمتموني بالأحجار»، وانظر: الدر المأثور في التفسير بالمأثور للسيوطي 209/8.

(5) تقدم تخريجه صـ 39.

(6) لم يروى مرفوعًا عن النبي ﷺ، وذكره الحكيم الترمذي عن أبي بكر بن عبد الله المزني رضي الله عنه من قوله قال: «إن أبا بكر رضي الله عنه لم يفضل الناس بكثرة صلاة ولا صوم وإنما فضلهم بشيء كان في قلبه» نوادر الأصول في أحاديث الرسول 55/3، وانظر: والمغني عن حمل الأسفار في الأسفار 119/1.

الدين لم يكن خافيًا بظواهره على غيره»[1].

ثانيًا: السنة المشرفة

ورد في السنة المشرفة حديث يدل على أن للقرآن الكريم معنى ظاهرًا وآخر باطنًا، من روايات كثيرة، والظاهر هو المفهوم من الألفاظ، والباطن هو المعاني الإشارية العميقة التي يعقلها الراسخون في العلم: فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن**»[2].

وفي رواية أخرى عن ابن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو كنتُ متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذتُ أبا بكر بن أبي قحافة خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الله، وإن القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهرٌ وبطنٌ، ولكل حدٌّ مطلعٌ**»[3].

وسيتناول الباحث الكلام على الحديث متنًا وسندًا لأهميته فيما سيأتي.

وقد اختلف أهل العلم في معنى الظهر والبطن والحد والمطلع في الحديث إلى أقوال من أهمها:

القول الأول: أن الظهر تنزيله الذي يجب الإيمان به، والبطن وجوب العمل به، وهذا المعنى تحصيل حاصل وهو ممّا لا يختلف فيه اثنان.

القول الثاني: الظهر القصص التي قصّها الله تعالى عن الأمم الماضية وما عاقبهم به، ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين، وإنما هو حديث حدّث به عن قوم وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم فيحلَّ بهم مثل ما حلَّ بهم[4]، إلا أنه يرِدُ عليه أن هذا

---

(1) إحياء علوم الدين 119/1.

(2) رواه ابن حبان في صحيحه 276/1.

(3) رواه أبو يعلى في مسنده 278/9.

(4) وهذا القول ارتضاه أبو عبيد القاسم بن سلام كما في كتابه غريب الحديث 13/2.

المعنى الذي ذكره خاص بالقصص والحديث عام.

القول الثالث: الظهر اللفظ، والبطن التأويل إلا أن معنى البطن التأويل لا ينطبق على المعاني الإشارية، لأنها لا تعد من التأويل إلا من حيث اللغة لا الاصطلاح، نعم إن قلنا أن معنى التأويل والتفسير بمعنى واحد كما هو عند المتقدمين كابن جرير الطبري(1) وغيره ويراد به الكشف والإظهار لمعنى الآية والحديث وما يستفاد منها، فهذا القول كالقولين اللذين بعدهما، ومنه قول النبي ﷺ لابن عباس -رضي الله عنهما-: «**اللهمَّ فقِّههُ في الدِّين وعلّمْهُ التأويل**»(2).(3).

القول الرابع: الظهر تلاوته كما أنزل، والبطن الفهم والتدبر والتفكر فيه، قال السيوطي -رحمه الله-: «يؤيد هذا ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: «إن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون لا تنقضي عجائبه ولا تبلغ غايته فَمَنْ أوغل فيه برفق نجا، ومَنْ أوغل فيه بعُنف هوى، أخبار وأمثال وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه،

---

(1) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر، من أهل طبرستان، استوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته، من أكابر العلماء، كان حافظًا لكتاب الله، فقيهًا في الأحكام، عالمًا بالسُّنن وطرقها، عارفًا بأيّام الناس وأخبارهم، وجمع من العلوم ما لم يشركه فيه أحد، عُرِضَ عليه القضاء فامتنع، له اختيار من أقاويل الفقهاء، سمع من محمد بن عبد الملك وإسحاق بن أبي إسرائيل وإسماعيل بن موسى السدي وآخرين، روى عنه أبو شيب الحراني والطبراني وطائفة، من تصانيفه: اختلاف الفقهاء، وكتاب البسيط في الفقه، وجامع البيان في تفسير القرآن، وهو من أقدم التفاسير التي وصلتنا، توفي سنة (310هـ). انظر: تذكرة الحفاظ 251/2، والبداية والنهاية 145/11، الأعلام للزركلي 294/6.

(2) رواه الحاكم في مستدركه 615/3، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن حبان في صحيحه 531/15، ورواه البخاري في صحيحه بلفظ: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» ك: الوضوء، باب: وضع الماء عند الخلاء ح143.

(3) تقدّم الكلام عن علاقة الإشاري بالتأويل. انظر: المطلب الثاني من المبحث الأول صـ 44.

وظهر وبطن فظهره التلاوة، وبطنه التأويل فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء»[1].

القول الخامس: ظهر الآية ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وبطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله تعالى عليها أرباب الحقائق[2].

والقول الرابع والخامس لا يختلفان بل هما مُتحدان ولا وجه للتفرقة بينهما[3]، فإن ما يتوصل إليه العلماء الربانيون من معاني باطنية طريقها التفهم والتدبر والتفكر في النصوص الشرعية كتابًا وسنة.

وهذان القولان هما الأقرب لمعنى الظهر والبطن -والله أعلم- والدليل على ذلك ما روي عن الصحابة -رضي الله عنهم- أنهم قالوا: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَنَجِدُ لِلْقُرْآنِ مِنْكَ مَا لَا نَجِدُهُ مِنْ أَنْفُسِنَا إِذَا نَحْنُ خَلَوْنَا، فَقَالَ: «**أَجَلْ، أنا أَقْرَأُهُ لِبَطْنٍ، وأَنْتُمْ تَقْرَءُونَهُ لِظَهْرٍ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْبَطْنُ مِنَ الظَّهْرِ؟ قَالَ: «**أقرأُهُ أتدبَّرُهُ وَأَعْمَلُ بِمَا فِيهِ، وَتَقْرَءُونَهُ أَنْتُمْ هَكَذَا**»، وَأَشَارَ بِيَدِهِ فَأَمَرَّهَا هَكَذَا) [4].

وأما المراد بالحد والمطلع فقيل: الحد الغامض من المعاني، والمطلع ما يتوصل به إلى معرفته، وقيل: الحد أحكام الحلال والحرام،والمطلع الإشراف على الوعد والوعيد[5].

والقول بأن الحد: هو الغامض من المعاني مناسب للقول الخامس في معنى البطن، فإن الأسرار التي يُطلع الله تعالى بها العلماء الربانيين لا يُدْركها كل أحد، ولا تنال إلا بالتقوى والمجاهدة، فهي غامضة بالنسبة لغيرهم.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن 561/2، وقال بالقول الرابع من الأصوليين المتأخرين علي حسب الله في كتابه أصول التشريع الإسلامي 26.

(2) انظر: الإتقان 561/2، والنهاية في غريب الحديث والأثر 166/3، ونوادر الأصول للحكيم 180/1.

(3) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن 81/2.

(4) رواه محمد بن نصر المروزي في مختصر قيام الليل 173.

(5) انظر: الإتقان 561/2.

ولهذا قال البغوي[1] -رحمه الله- بعد ذكره للقول الرابع وارتضاءه له: «المطلع: هو الفهم، وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر فيه من التأويل والمعاني ما لا يفتح على غيره، وفوق كل ذي علم عليم، قال أبو الدرداء -رضي الله عنه-: «لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهًا كثيرة»[2]»[3]، وقال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: «من أَرَادَ عِلْمًا فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ فإنه خَيْرُ الأَوَّلِينَ وَخَيْرُ الآخِرِينَ»[4]، وما قاله أبو الدرداء وابن مسعود -رضي الله عنهما- لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر فقط، ويدل على أن وراء النص الشرعي معاني أخر تدرك بالتأمل.

وقد فصّل الرفاعي -رحمه الله- مراتب الناس في فهمهم لآيات الله تعالى وأحاديث رسوله ﷺ إلى **أربعة مراتب** كما ذكر في الحديث فقال: «وله -القرآن ومثله السنة- ظهر وبطن، وحد ومطلع، وهذه أربعة أركان بُني عليها فهم القرآن، فالظاهر: هو التنزيل نزل به الروح الأمين والباطن: هو التأويل كما قال: **«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»**[5]،

(1) هو: الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، البغوي، شافعي، فقيه. مُحدّث، مفسر، نسبته إلى بَغْشُور من قرى خراسان، ويلقب مُحيي السنة وركن الدين، كان إمامًا في التفسير، إمامًا في الحديث، إمامًا في الفقه، من مصنفاته: شرح السنة في الحديث، ومعالم التنزيل في التفسير وغيرها، توفي سنة (510هـ). انظر: سير أعلام النبلاء 439/19، وطبقات المفسرين للسيوطي 41، والأعلام للزركلي 284/2.

(2) رواه عبد الرزاق في مصنفه 255/11،و أبو نعيم في حلية الأولياء 211/1، ورواه ابن عبد البر مرفوعًا وموقوفًا، وقال بعد روايته المرفوع: صدقة بن عبد الله هذا يعرف بالسمين، وهو ضعيف عندهم مُجمع على ضعفه، وهذا حديث لايصح مرفوعًا، وإنما الصحيح فيه إنما هو من قول أبي الدرداء. جامع بيان العلم وفضله 271.

(3) شرح السنة 265/1.

(4) تقدم تخريجه صـ 103.

(5) تقدم تخريجه صـ 179.

والحد: هو الذي يتوقف عنده، وهو الذي يفصل بين التشبيه والتعطيل، والمطلع: هو موضع إشراف المكاشفين على حقائق ما أريد به بإلهام الملك وفطنة الروح، ولا يشهد معانيه ولا يطلع على حقائقه إلّا من كان له كشف ومشاهدة وقلب سالم مُسلم وأسلم، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٣١﴾[1]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾[2]، **فأول** المراتب معرفة التنزيل، **الثاني** معرفة التأويل والتنزيل ينبغي أن يكون أمرًا كما جاء لا يحرّف ولا يُبدّل، لأنه أساس التأويل، والتأويل منزل على التنزيل لا يخرج به عن مطابقة التنزيل فلا يعدل بمعانيه إلى التعطيل ولا يحاد به عن موافقة طريق السنة الواردة عن سيد المرسلين، والرتبة **الثالثة** وهي الوسطى وهي الحد المانع الجامع يجمع بين ظاهر التنزيل وباطن التأويل ويمنع من التشبيه والتعطيل، والرتبة **الرابعة** هي الاطلاع عليه بالنور المبين الذي لا يوجد إلا عند المتقين، وهو تعليم العزيز الرحيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٨﴾[3]، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٨٢﴾[4]، فالله سبحانه مُعلّم الفهم والرسول مُعلّم الحكم والحكمة، ويطلع على معالم الفهم ويوصل إلى مقام الاطلاع بإرشاده، إذ هو واسطة بين العباد وبين ربهم: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ۝١٥١﴾[5]»[6].

---

(1) سورة البقرة: 131.

(2) سورة ق: 37.

(3) سورة الحديد: 28.

(4) سورة البقرة: 282.

(5) سورة البقرة: 151.

(6) البرهان المؤيد 178، 179.

ولا يقال إن الأحاديث الواردة في الظهر والبطن إنما هي في القرآن دون السنة فلا يتأتى في الأحاديث النبوية معنى الظهر والبطن، ومن ثَمَّ المعاني الإشارية والفهوم الذوقية، لأنهما مصدران للوحي والتشريع، ومنهما تُستخرج العلوم، وما جاز في النص الشرعي من القرآن الكريم فيجوز في النص الشرعي في السنة النبوية بجامع أنهما بلغة العرب، نعم القرآن الكريم معجز بلفظه وهو أحد الفروق بين القرآن والسنة(1).

اعترض بما استدل به المجوزون بحديث الظهر والبطن باعتراضين:

الاعتراض الأول: بأنه حديث ضعيف فهو مروي عن الحسن البصري تارة مرفوعًا وتارة موقوفًا(2)، ورواية الحسن مرفوعًا: «**مَا مِنْهُ آيَةٌ إِلَّا ولها ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَمَا فِيهِ حَرْفٌ إِلَّا وَلَهُ حَدٌّ وَلِكُلِّ حَدّ مَطْلَعٌ**»(3)، وهو دائر بين أن يكون حديثًا ضعيفًا لإرساله، لأن الحسن -رحمه الله- لم يُسَمِّ الصحابي الذي أخذ عنه هذا الحديث، وبين أن يكون من كلام الحسن البصري، وكان عبد الرزاق الصنعاني قد نقل الرواية في مصنفه عن الحسن، ثم قال: «فحدثتُ به مَعْمراً، قال: امْحُهُ، لا تحدّث به أحدًا»(4)،(5).

والجواب عن هذا الاعتراض:

بأن الحديث قد صحّ من بعض طرقه وضُعّفَ من طرق أخرى، وقد روي من أربع طرق: طريق مرسل، وثلاث طرق مُسنده، وسنذكرها ونبيّن ما صحَّ منها، وما لم يصح فيما يأتي:

---

(1) انظر: الإتقان 311/2.

(2) رواه عبد الرزاق في مصنفه 358/3.

(3) رواه عبد الرزاق في مصنفه موقوفًا ح5965، 358/3.

(4) مصنف عبد الرزاق 358/3.

(5) انظر: محاضرات في علوم القرآن للدكتور غانم قدوري الحمد 205.

1- **أما الطريق المرسل** فهو مرسل صحيح، فقد رواه عبد الرزاق وابن المبارك، والبغوي(1)، وعزاه السيوطي -رحمه الله- للفريابي(2)، وقد صحح إسناده عبد الله بن الصديق الغماري -رحمه الله-(3).

2- **الطريق الثاني المسند** المرفوع من حديث عبد الله ابن مسعود -رضي الله عنه- وهي التي ذكرها الباحث، وقد رواه ابن حبان وأبو يعلى والطبراني والبزّار(4).

وقد صحح الهيثمي -رحمه الله- بعض طرق الحديث وقال: «رواه البزار وأبو يعلى في الكبير، وفي رواية عنده: «لكل حرف منها بطن وظهر» والطبراني في الأوسط باختصار آخره ورجال أحدهما ثقات، ورواية البزّار عن محمد بن عجلان عن أبي إسحاق، قال في آخرها: لم يرو محمد بن عجلان عن إبراهيم الهجري غير هذا الحديث، قلتُ: ومحمد بن عجلان إنما روى عن أبي إسحاق السبيعي، فإن كان هو أبو إسحاق السبيعي فرجال البزّار أيضًا ثقات»(5).

أما رواية البزّار فقد قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري ثنا أيوب بن سليمان بن بلال(6) حدثنا ابن أبي أويس(7) -يعني: أبا بكر- عن سليمان بن بلال(8) عن

(1) مصنف عبد الرزاق 3358، والزهد لابن المبارك 23/2، وشرح السنة 262/1.

(2) قال السيوطي: قال الفريابي: حدثنا سفيان عن يونس بن عبيد عن الحسن مرفوعًا بلفظ: «لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع». الإتقان 486/2.

(3) انظر: تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية للسيوطي بتعليق الغماري 9. وقد حسّن حديث ابن مسعود أيضًا شعيب الأرنوؤط في تحقيقه لصحيح ابن حبان 276/1.

(4) صحيح ابن حبان 276/1، ومسند أبو يعلى 278/9، والمعجم الأوسط للطبراني 236/1، والكبير له 105/10، ومسند البزار 442/5.

(5) مجمع الزوائد 152/7.

(6) أيوب بن سليمان: ثقة روى له البخاري وغيره. تهذيب الكمال 472/3، الكاشف 261/1.

(7) ابن أبي أويس هو عبد الحميد ثقة، قال الدارقطني: حجة. الكاشف 616/1، تهذيب التهذيب 107/6.

(8) سليمان بن بلال التيمي: ثقة روى له الستة. تهذيب التهذيب 154/4، الكاشف 457/1.

محمد بن عجلان[1] عن أبي إسحاق[2] عن أبي الأحوص[3] عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- مرفوعًا: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن**» قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا من حديث الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله، ولا نعلم أن ابن عجلان روى عن الهجري غير هذا الحديث ولا نعلم أن هذا الحديث يروى من حديث ابن عجلان عن أبي إسحاق إلا من هذا الوجه[4].

وأبو إسحاق هو إبراهيم الهجري وليس السبيعي كما قد يُفهم من كلام الهيثمي المتقدم، فإنه روى عن أبي الأحوص، وروى عنه محمد بن عجلان[5]، والهجري ضعيف لكن يُكتب حديثه، إلا أن ابن حجر -رحمه الله- قد حسّن رواية البزار هذه وقال بعد كلام البزار: إسناد حسن[6]. ولعله حسّنه لشواهده -والله أعلم-.

ومن شواهد الحديث ما رواه الطحاوي بسنده فقال: حدثنا فهد بن سليمان[7] قال:

(1) محمد بن عجلان وثقه أحمد وابن معين. الكاشف 200/2، تهذيب الكمال 101/26.

(2) أبو إسحاق: هو إبراهيم بن مسلم العبدي أبو إسحاق الكوفي المعروف بالهجري، قال عنه يحيى بن معين: ضعيف ليس بشيء، وقال أبو حاتم: لين الحديث ليس بقوي، وقال النسائي ضعيف، قال ابن عدي: مع ضعفه يُكتب حديثه. تهذيب الكمال 204/2، تقريب التهذيب 94.

(3) أبو الأحوص: هو عوف بن مالك بن نضلة الجشمي له صحبة، وهو ثقة. تهذيب التهذيب 150/8، الكاشف 101/2.

(4) مسند البزار 442/5.

(5) انظر: ترجمة أبي إسحاق، ومحمد بن عجلان فقد ذكر المزي ممن روى عن أبي إسحاق ابن عجلان. تهذيب الكمال 101/26.

(6) مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد 253/2.

(7) شيخ الطحاوي وهو: ثقة ثبت . تاريخ الإسلام للذهبي 416/20.

ثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني[1] ح[2] وثنا يحيى بن عثمان[3] قال حدثنا موسى بن هارون البردي[4] قالا حدثنا جرير وهو ابن عبد الحميد[5] عن مغيرة[6] عن واصل بن حيان[7] عن عبد الله بن أبي الهذيل[8] عن أبي الأحوص[9] عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُنْزِلَ الْقُرآنُ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ لِكُلِّ آيَةٍ منها ظَهْرٌ وَبَطْنٌ وَلِكُلِّ حَدٍّ ومَطْلَعٌ**»[10]. والحديث حسن لغيره لشواهده -والله أعلم-.

---

(1) حافظ وثقه ابن معين وغيره، وتكلّم فيه أحمد وابن المديني والذهلي، وضعّفه النسائي، وقال ابن عدي: له مسند صالح ولم أر شيئًا منكرًا في مسنده وأرجو أنه لا بأس به، وقال ابن حجر: حافظ إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث. تقريب التهذيب 593، وانظر: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي 425.

(2) المراد من (ح) هو: حاء تحويل من إسناد إلى إسناد آخر، فهي مأخوذة من التحول وأن القارئ يلفظ بها، وبعض المحدثين يستعملها بالخاء المعجمة، يريد بها آخرًا أو إشارة إلى الخروج من إسناد إلى إسناد. انظر: فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي 189/2.

(3) يحيى بن عثمان بن صالح السهمي مولاهم المصري صدوق رُمي بالتشيع وليّنه بعضهم. تقريب التهذيب 594، الكاشف 371/2.

(4) موسى بن هارون بن بشير القيسي البردي، قال أبو زرعة: لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقات، ووثقه الذهبي. تهذيب الكمال 162/29، الكاشف 309/2.

(5) جرير ثقة . تهذيب التهذيب 76/2.

(6) مغيرة بن مقسم: ثقة متقن فقيه. تهذيب التهذيب 270/10.

(7) واصل بن حيان: وثقه يحيى وأبو داود والنسائي وأبوحاتم .تهذيب الكمال 400/30، تقريب التهذيب 579.

(8) عبد الله بن أبي الهذيل: تابعي ثقة. تهذيب التهذيب 57/6، الكاشف 605/1.

(9) أبو الأحوص له صحبة، وقد تقدم الكلام عنه قريبًا.

(10) شرح مشكل الآثار 109/8.

3- **الطريق الثالث** المسند المرفوع من طريق: مسلم بن إبراهيم عن كثير بن عبد الله اليشكري عن الحسن بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاثة تحت العرش يوم القيامة: القرآن له ظهر وبطن، يُحاج العباد، والأمانة والرحم تنادي: ألا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله**» رواه البغوي والديلمي والحكيم الترمذي والعقيلي(1).

إلا أن كثير بن عبد الله اليشكري(2)، لم يُصحح الحفّاظ حديثه، قال العقيلي: لا يصح إسناده، ثم ذكر الحديث المذكور بسنده. وقد قال عنه ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي والدارقطني: متروك الحديث، وقال ابن عبد البر(3): مجمع على ضعفه، وقال ابن حجر: ضعيف أفرط من نسبه إلى الكذب (4).

4- **الطريق الرابع المسند المرفوع** من طريق: عبيد الله بن أبي حميد عن أبي المليح عن

(1) مسند الفردوس للديلمي 228/3، ومعالم التنزيل للبغوي واللفظ له 310/1 ونوادر الأصول للترمذي 709/1، والضعفاء للعقيلي 5/4.

(2) وكثير بن عبد الله اليشكري هو: كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني وليس هما اثنان، وهذا ما بيّنه ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب 377/8، وأحمد بن الصديق الغماري في المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي 332/3.

(3) هو: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الحافظ، أبو عمر. ولد بقرطبة. من أجِلَّة المحدثين والفقهاء، شيخ علماء الأندلس، ومؤرخ أديب، مكثر من التصنيف. رحل رحلات طويلة، من تصانيفه: الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والكافي في الفقه، وتوفي سنة(463هـ). انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان 66/7، والوافي بالوفيات99/29، الأعلام 317/9.

(4) انظر: الضعفاء للعقيلي 5/4، وتهذيب التهذيب 377/8، وتقريب التهذيب 46، ولسان الميزان 483/4.

معقلٍ بن يسار -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ وفيه: «**وإنّ لكلِ آيةٍ منه يوم القيامة ظهرٌ وبطنٌ** » رواه ابن عدي[1].

إلا أن عبيد الله بن أبي حميد قال عنه النسائي -رحمه الله-: متروك، وعن يحيى بن معين: ضعيف الحديث[2].

وقد تبيّن ممّا سبق: أن حديث الظهر والبطن له طرق، وقد صحَ منها مرسل الحسن، وحديث ابن مسعود مرفوعًا، وأما طريق عبد الرحمن بن عوف، ومعقل بن يسار -رضي الله عنهما- فلا يصح إسنادهما، ويُغني عنهما ما صحَّ سنده، ولعلَّ مَنْ أطلق ضعف الحديث في الجملة لم يُخالفه الصواب -والله أعلم-.

الإعتراض الثاني: القول بأنه يوجد في النص الشرعي من آية أو حديث ناحية واضحة تدرك في ضوء الاشتقاق، وأن فيهما ناحية أخرى ربما كانت أخفق وأعمق بالنسبة للناحية الأولى غير صحيح، فإن القرآن، والسنة لعامة الناس ويستوي الناس في فهمهما لأخذ أحكام الشريعة ومقاصدها، ولهذا فسُّر معنى الظهر والبطن بوجوب الإيمان بالقرآن، والعمل بمقتضاه على القول الأول[3].

ويمكن الجواب عن هذا: بأنه لا يمكننا أن ننكر أن الحقيقة الإنسانية الثابتة تُشير إلى عدم تساوي الناس في الفهم والإدراك، وقد ظهرت تلك الحقيقة في حياة سيدنا رسول الله ﷺ وصحابته -رضي الله عنهم- الذين تفاوتت أقدارهم في سرعة ومدى فهمهم للقرآن الكريم وكلام نبيهم ﷺ، وهذا يُفسّر ما ورد عنهم من تفسيرات مختلفة لكلام الله تعالى ولكلام رسوله ﷺ وسيأتي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ما يدل على ذلك.

---

(1) الكامل في ضعفاء الرجال 326/4.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) انظر: المعجم الصوفي لمحمود عبد الرزاق الرضواني 31/4.

ولهذا اختلفت وجهات نظر الفقهاء والأصوليين والمفسرين وغيرهم في فهم نصوص الشريعة، وهذا لا يُشك فيه لوقوعه بل هذه الفكرة يمكن أن تُطبّق في الواقع على أيّ نصٍ، فكل نصٍ له ناحية قريبة مباشرة تُدرك بلا عناء، وناحية أخرى تحتاج إلى إعمال عقل وبذل جهد في استيعابها وفهمها[1].

قال الألوسي -رحمه الله-: «لا ينبغي لمن له أدنى مَسْكة من عقل بل أدنى ذرة من إيمان أن ينكر اشتمال القرآن على بواطن يُفيضها المُبدِئ الفيَّاض على بواطن من شاء من عباده، ويا ليت شعري ماذا يصنع المنكر بقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[3]، ويا الله العجب! كيف يقول باحتمال ديوان المتنبي وأبياته المعاني الكثيرة، ولا يقول باشتمال قرآن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآياته، وهو كلام رب العالمين المنزل على خاتم المرسلين على ما شاء الله تعالى من المعاني المحتجبة، وراء سرادقات تلك المباني ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ۝١٦﴾[4]، بل ما مِن حادثة ترسم بقلم القضاء في لوح الزمان إلّا وفي القرآن العظيم إشارة إليها ، فهو المشتمل على خفايا المُلْك والملكوت[5] وخبايا قُدس الجبروت[6]»[7].

(1) انظر: التبيان في علوم القرآن للصابوني 171، والمعجم الصوفي لمحمود عبد الرزاق الرضواني 30/4.

(2) سورة الأنعام: 145.

(3) سورة الأنعام: 37.

(4) سورة النور: 16.

(5) المُلْك: عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية كالعرش والكرسي، وكل جسم، والملكوت: عالم الغيب. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني 108، والتعريفات للجرجاني 186.

(6) الجبروت: هو عالم الأسماء والصفات الإلهية. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني 124.

(7) روح المعاني 7/1.

ما ورد عن الصحابة -رضي الله عنهم- ممّا يُؤيد المعاني الإشارية:

ورد عن الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- من المعاني والأفكار التي فهموها عن طريق الفيض الإلهي، باطلاع الله -سبحانه وتعالى- لهم خارجة عن دلالة الألفاظ، ومِنْ ذلك ما يأتي:

1- عن أبي سعيد الخدري أن أبا بكر الصديق -رضي الله عنه-، لمّا سمع قول النبي ﷺ: **«إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ الله بين أَنْ يُؤْتِيَهُ من زَهْرَةِ الدُّنيا ما شَاءَ وَبَيْنَ ما عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ما عِنْدَهُ»** فَبَكَى أبو بَكْرٍ وقال فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا فَعَجِبْنَا له وقال الناس انْظُرُوا إلى هذا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رسول اللَّهِ ﷺ عن عَبْدٍ خَيَّرَهُ الله بين أَنْ يُؤْتِيَهُ من زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ ما عِنْدَهُ وهو يقول فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا فَكَانَ رسول اللَّهِ ﷺ هو الْمُخَيَّرَ وكان أبو بَكْرٍ هو أَعْلَمَنَا بِهِ»(1)، وهذا إعلام إلهي وكشف رباني ومعرفة لدُنية لأبي بكر الصديق.

وقد علّق ابن تيمية على هذا الحديث بقوله: «فالنبي ﷺ ذكر عبدًا مطلقًا، وهذا كلام عربي لا لغز فيه، ففهم الصديق لقوة معرفته بمقاصد النبي ﷺ أنه هو العبد المخيّر، ومعرفة أن المطلق هذا المعين خارج عن دلالة اللفظ ولكن يوافقه ولا يخالفه، ولهذا قال أبو سعيد: كان أبو بكر أعلمنا به»(2).

2- وقد بكى أيضًا سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عندما نزل قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾(3)، فقد فهم منها أجل النبي ﷺ وقال: ما بعد الكمال إلا النقصان، في حين أن الصحابة فرحوا بها. وما عاش النبي ﷺ بعدها إلا واحد وثمانون يومًا، فسيدنا عمر -رضي الله عنه- أدرك المعنى الإشاري، وهو نعي

(1) تقدم تخريجه صـ 134.

(2) مجموع الفتاوى 78/11.

(3) سورة المائدة: 3.

النبي ﷺ وأقره النبي ﷺ على فهمه هذا. فقد ورد أن عمر -رضي الله عنه- لما نزلت الآية بكى، فقال النبي ﷺ: «**مَا يُبْكِيكَ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبْكَانِي أَنَّا كُنَّا فِي زِيَادَةٍ مِنْ دِينِنَا، فَأَمَّا إِذَا كَمُلَ فَإِنَّهُ لَمْ يَكْمُلْ قَطُّ شَيْءٌ إِلَّا نَقَصَ، قَالَ ﷺ: «**صَدَقْتَ**»(1).

3- عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: كان عمر يدخلني مع أصحاب النبي ﷺ، فقال له عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه-: أتدخله ولنا بنون مثله؟ فقال عمر -رضي الله عنه-: إنه من حيث تعلم. فسألني عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾(2)، فقلتُ: إنما هو أجل رسول الله ﷺ أَعلمه إيّاه، وقرأ السورة إلى آخرها، فقال عمر -رضي الله عنه-: «والله ما أعلم منها إلا ما تعلم»(3)، هذا الفهم الذي فهمه ابن عباس رضي الله عنهما، وفهم مثله سيدنا عمر -رضي الله عنه- هو من فهم القرآن بطريق الإشارة، وهو المعنى الباطني الذي دلّت عليه السورة، وبقية الصحابة لم يفهموا منها أكثر من معناها الظاهر، فهو تفسير إشاري مبني على فهم ومعرفة بحقائق الأمور(4)، وقد علّق ابن حجر في شرح حديث ابن عباس بقوله: «فيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يدركه ويتمكّن من ذلك الفهم من رسخت قدمه في العلم»(5).

وقال الشاطبي: «فظاهر السورة أن الله أمر نبيه ﷺ أن يسبح بحمد ربه ويستغفره إذا نصره وفتح عليه وباطنها أن الله نعى إليه نفسه»(6).

(1) تقدم تخريجه صـ 134.

(2) سورة النصر: 1.

(3) تقدم تخريجه صـ 134.

(4) انظر: التفسير والمفسرون 355/2.

(5) فتح الباري 736/8.

(6) الموافقات 384/3.

يتضح ممّا تقدم: أن الصحابة رضوان الله عليهم فسّروا القرآن بطريق الإشارة، والفيض الإلهي، وأن الله تعالى يُلقي في قلب العبد علمًا من غير سبب اكتسابي أو حسي، ويُطْلعه على أمور تخفى على غيره، ويُسمّى هذا العلم بالعلم اللدني[1]، ولا ينبغي أن يعترض على ما فهمه الصحابة -رضي الله عنهم- من المعاني الإشارية بأنها آراء وأقوال صحابه، **وهي غير مُلزمة لأمور:**

أولًا: لأن فهمهم للنصوص الشرعية كان مع إقرار النبي ﷺ لهم فلم ينكر على أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- بكاءه بسبب ما فهمه من قوله، كما أنه أيّد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

ثانيًا: وقوع ما فهمه أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- فعلًا من وفاة النبي ﷺ بعد قوله ﷺ: «**إن عبدًا خيّره الله بين الدنيا والآخرة.. الحديث**»، وبعد نزول قول الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[2]، وذلك بعد زمنٍ يسيرٍ، وهذا يُصحح المعنى الإشاري الذي فهماه.

ثالثًا: إن ما فهمه ابن عباس -رضي الله عنهما- من سورة النصر قد أيّده عمر -رضي الله عنه- ولم يعترض عليهما أحد من كبار الصحابة وأشياخهم، فكان بمثابة الإجماع[3].

ثانيًا: أدلة العلماء المانعين

للعلماء المانعين الذين يمنعون استنباط الإشارات والمعاني الباطنية من نصوص الشريعة أدلة رأوا أنها لها رجاحتها ووجهتها، وفيما يأتي ذكر أهم أدلتهم ومناقشتها.

(1) انظر: مدارج السالكين لابن القيم 222/3، والتفسير والمفسرون 356/2.

(2) سورة المائدة: 3.

(3) انظر: علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر 997.

أولًا: استدلوا بحديث: «**من قال في الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ**»(1) وقالوا: إن المعاني التي يذكرها العلماء الربانيون هي من المعاني بالرأي، وهو مذموم شرعًا، ومن القول على الله تعالى ورسوله، ولإنزالهم النصوص على رأيهم ومذهبهم وهم يعلمون أنها غير مرادة(2).

والجواب عن هذا الاستدلال بأنه بعيد بل يُعدُّ إنزالهم الحديث على العلماء الربانيين وإشاراتهم من القول بغير دليل، لأنه قد عُلم مستندهم واستدلالهم فهم لا يمنعون من ظاهر النص الشرعي ولا يردونه إطلاقًا، بل يأخذون به ويقررونه، ثم يستنبطون منه مفاهيم أخرى لها صلة وعلاقة بظاهر النص، بخلاف الباطنية كما تقدم الرد عليهم، وبيان مذهبهم وقد بيّنا ذلك فيما سبق(3).

وقد حمل أهل العلم هذا الحديث على القول في كتاب الله تعالى ومثله السنة بما لا علم للإنسان به، وأما من تكلّم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعًا فلا حرج عليه ولا يشمله الحديث(4).

وذكر الطبري -رحمه الله- جوابًا آخر فقال: «ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يُدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله ﷺ أو بنصبه الدلالة عليه فغير جائز لأحدٍ القيل فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه وإن أصاب الحق فيه فمخطئ فيما كان من فعله بقيله فيه برأيه، لأن أصابته ليست إصابة موُقن أنه محق»(5).

وقد أوضح الغزالي -رحمه الله- معنى الحديث وأنه غير شامل للنهي عن استنباط المعاني المقبولة ممّا لم يرد به النقل مع بيان ذلك بالمثال فقال: «فأما قوله ﷺ: «**من فسر القرآن**

(1) تقدم تخريجه صـ 112.

(2) انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير 5/2.

(3) انظر: صـ 79 من البحث.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 7/1، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 32/1.

(5) جامع البيان عن تأويل آي القرآن34/1.

برأيه» ونهيه عنه وقول أبي بكر -رضي الله عنه-: «أيُّ أرض تقلني، وأيّ سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي»[1]، إلى غير ذلك مّما ورد في الأخبار والآثار في النهي عن تفسير القرآن بالرأي، فلا يخلو إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع، وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم أو المراد به أمرًا آخر، وباطل قطعًا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه **لوجوه:**

أحدها: أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعًا من رسول الله ﷺ ومسندًا إليه، وذلك مّما لا يصادف إلا في بعض القرآن، فأمّا ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغي أن لا يقبل، ويقال هو تفسير بالرأي، لأنهم لم يسمعوه من رسول الله ﷺ وكذا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

والثاني: أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات، فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها، وسماع جميعها من رسول الله ﷺ محال، ولو كان الواحد مسموعًا لرد الباقي، فتبيّن على القطع أن كل مُفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه، حتى قالوا في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها، فقيل: إن (الر) هي: حروف من الرحمن، وقيل: إن الألف الله واللام لطيف والراء رحيم، وقيل: غير ذلك، والجمع بين الكل غير ممكن، فكيف يكون الكل مسموعًا.

والثالث: أنه ﷺ دعا لابن عباس رضي الله عنه وقال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[2]، فإن كان التأويل مسموعًا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك.

---

(1) رواه الطبري في جامع البيان في تأويل آي القرآن 35/1، وابن أبي شيبة في مصنفه 136/6، والبزار كما في مختصر زوائد البزار لابن حجر ح2004، وقال الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد 384/9، فتح الباري 271/13.

(2) تقدم تخريجه صـ 179.

والرابع: أنه قال عز وجل: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾[1] فأثبت لأهل العلم استنباطًا ومعلوم أنه وراء السماع، وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال، فبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله، وأما النهي فإنه ينزل على أحد وجهين: **أحدهما** أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه وليحتج على تصحيح غرضه)... ثم ذكر الوجه الثاني وقال: «**والوجه الثاني** أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل، فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المُبهمة والمُبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير»[2].

ثانيًا: إن تأويلات نصوص الشرع بالإشارات تُعدُّ من تأويلات الجاهلين الباطلة، فيجب ردها، وهو منهج العلماء المحققين في كل زمن، فقد قال رسول الله ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خلَفٍ عُدوله يَنفُون عنه تحريف الغالين وانتحال المُبطلين وتأويل الجاهلين**»[3]، [4].

ويُجاب عن الحديث والإستدلال به بجوابين:

(الأول) إن الإشارات التي يستلهمها العلماء الربانيون لا تُعد من التأويلات إطلاقًا، فإن التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر محتمل دون الأخذ بالمعنى الظاهر المتبادر الحقيقي، وهذا لا يقول به العلماء الربانيون فإنهم يأخذون بمعناه الظاهر ويقررونه،

(1) سورة النساء: 83.

(2) إحياء علوم الدين 1/342ـ 343.

(3) تقدم تخريجه في المقدمة صفحة ب.

(4) انظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب المكي 668، وكيف نتعامل مع السنة النبوية للقرضاوي 30.

ثم بعد ذلك يذكرون معاني أخرى له ارتباط بمعناه الأول، وقد سبق بيان ذلك عند ذكر العلاقة بين الإشاري والتأويل[1].

(الثاني) الحديث يتناول تأويلات الجاهلين المُستكرَهة التي لا تستند لدليل، ولا علاقة لها والنص الشرعي، فهذه المذمومة لا على إطلاقها، وقد بيّن ذلك العلماء، قال أبو المظفر السمعاني -رحمه الله-: «لا يجوز حمل الخاطر على استخراج التأويلات المُستكرَهة للأخبار، وينبغي للعالم الورع أن يتجنّب ذلك ويحترز عنه غاية الاحتراز، لأن الكلام على كلام الشارع صعب، والزلل فيه يكثر وقد ورد في الخبر: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدولهم»، وقال في وصفهم: «ينفون عنه تأويل الجاهلين» والله العاصم بمنّه والمرشد إلى الصواب بفضله وعونه، ونسأله تعالى أن لا يجعلنا من هؤلاء القوم، فقد بيّن النبي ﷺ أن الجهل يحمل الإنسان على التأويلات المستكرهة وذكر أن العدول من علماء الأمة ينْفون ذلك، وذكر أيضًا أنهم ينفون تحريف الغالين وانتحال المبطلين»[2].

وقد فصّل الجواب عن الحديث المذكور أبو طالب المكي -رحمه الله- وبيّن التأويلات المبنية على غير علم الصادرة من الجاهلين، والتي تُلغي النص وتعمل بأهوائها، وبيّن علم العلماء الربانيين المأخوذ من علم اليقين الذي هو ثمرة التقوى، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[3]، وقال: «ولكن الله تعالى قد جعل هذه الطائفة من أهل العلم بالله تعالى تردُّ على جميع الطوائف من الشاطحين والمبتدعين أهل الجهالة بالدين، والحيدة عن سبيل المؤمنين بما أراهم الله تعالى من علم اليقين، وبما شهد لهم رسول الله ﷺ بالعلم والتعديل في قوله: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال

(1) انظر: صـ 46 من البحث.

(2) قواطع الأدلة 414/1.

(3) سورة البقرة: 282.

المبطلين وتأويل الجاهلين»، فالغالون هم الشاطحون، لأنهم قد جاوزوا العلم ومحوا الرسم فأسقطوا الحُكم، والمُبطلون هم المدّعون المبتدعون، لأنهم جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وافتروا بالدعوى، وابتدعوا بالرأي والهوى، والجاهلون هم المنكرون لغرائب العلم المفترون لما عرفوا من ظاهر العقل... ثم قال: وكل من تأول السنن بالرأي أو المعقول أو نطق بما لم يسبق إليه السلف من القول أو بمعناه فهو مُتكلّف مُبطل، فأهل العلم بالله تعالى يردّون علوم المعقول بعلم اليقين، وعلم الرأي بعلم السنة، يثبتون أهل الآثار ويؤيدون نقلة الأخبار بما يفصلون من أخبارهم، ويفسّرون من حديثهم مما لم يجعل للنقلة طريق إليه، ولم يهتد الرواة إلى كشف منه بما أشهدهم الله عزّ وجلّ واستودعهم ونوّر به قلوبهم ونطقهم فهم ينطقون عن الله سبحانه وتعالى فيما يخبرون عنه، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»(1).

ومن الإنصاف من العلماء الربانيين والصوفية السائرون على منهج السنة وطريق السلف الصالح، أن بيّنوا تأويلات الشطح والخروج عن طريق الجادة من المُدعينَ لمنهجهم، قال أبو طالب المكي -رحمه الله-: «وقد قال ﷺ في وصف علماء السنة ومدحهم: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»، فالغالون هم المجاوزون للسنن والآثار، والمبطلون هم المدعون بالرأي والقياس، والجاهلون هم الشاطحون من المتصوّفة الضلال، وعدول كل خلق من اتبّع سنّة صالح من سلف ولم يبتدع في الدين، ولا اتخذ وليجة دون طريق المؤمنين؛ وهم رواة الأخبار وحملة الآثار من المحدثين وفقهاء المسلمين»(2).

وما ذكره أبو طالب عن تأويلات المتصوفة هي التأويلات الرمزية، وجدير بأن تُسمى تأويلات باطلة، لأنها تخرج عن ظاهر النص ولا فائدة منها، وهي على مقتضى أهوائهم

(1) قوت القلوب 244/1.

(2) المصدر السابق نفسه 66/2.

وقد جعلها الغزالي -رحمه الله- ضمن تأويلات الباطنية(1).

ثالثًا: واستدل المانعون بأن منهج العلماء من الصوفية مُشابه لمنهج الباطنية في توجيه النصوص لمصطلاحاتهم، فقد دخلوا في النص الشرعي بالمقرّر الفكري المُسبق كما فعل الشيعة ونحوهم، ووظّفوا الآيات والأحاديث لتشهد لآرائهم وأفكارهم(2).

ويُجاب عن استدلال المانعين بأنه تقرر أنه لا وجه للشبَهِ بين منهج الصوفية ومنهج الباطنية في فهم النصوص، ومَنْ سوّى بينهما لم يعرف مناهج الفريقين، وقد تقدّم في المبحث الثاني من الفصل الأول بيان الفرق بينهما(3).

وقد أوضح ذلك الغزالي -رحمه الله- ورد على الباطنية طريقتهم المخالفة تمامًا لمنهج الصوفية الذي ارتضاه الغزالي نفسه فقال: «يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه، وليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى، وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته، وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يُلبّس به على خصمه، وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه، ويُرجّح ذلك الجانب برأيه وهواه، فيكون قد فسّر برأيه أي: رأيه هو الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يترجّح عنده ذلك الوجه، وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلًا من القرآن، ويستدل عليه ممّا يعلم أنه ما أُريد به كَمَنْ يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله ﷺ: «**تسحروا فإن في السحور بركة**»(4)، ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر، وهو يعلم أن المراد به الأكل، وكالذي يدعو

(1) انظر: إحياء علوم الدين 48/1، وكيف نتعامل مع السنة النبوية 168.
(2) انظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين 512.
(3) انظر: صـ 78 من البحث.
(4) تقدم تخريجه صـ 104.

إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله عز وجل: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧﴾[1]، ويشير إلى قلبه ويومئ إلى أنه المراد بفرعون، وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام، وترغيباً للمستمع وهو ممنوع، وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس، ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وُفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعًا أنها غير مرادة به»[2].

فمنهج العلماء الربانيين والصوفية في النص الشرعي الجمع بين الظاهر والباطن، وهو منهج المحققين من العلماء، وقد نقل ابن الجوزي -رحمه الله- عن بعض الحنابلة هذا المنهج وأيّده فقال: «هلَك الإسلام بين طائفتين بين الباطنية والظاهرية، فأما أهل البواطن فإنهم عطّلوا ظواهر الشرع بما ادّعوه من تفاسيرهم التي لا برهان لهم عليها، حتى لم يبق في الشرع شيء إلا وقد وضعوا وراءه معنى، حتى اسقطوا إيجاب الواجب والنهي عن المنهي، وأما أهل الظاهر فإنهم أخذوا بكل ما ظهر ممّا لا بد من تأويله، فحملوا الأسماء والصفات على ما عقلوه، والحق بين المنزلتين وهو أن تأخذ بالظاهر ما لم يصرفنا عنه دليل، ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع»[3].

رابعًا: إن تفسيرات بعض الصوفية لم تسلم من التساهل في الاعتماد على الأحاديث الموضوعة والضعيفة، فلا يجوز الاعتماد على تلك التفسيرات المأخوذة من تلك الأحاديث[4].

ويمكن أن يجاب عن ذلك: بأن العلماء الربانيين والصوفية يعتمدون على الأحاديث

---

(1) سورة النازعات: 17.

(2) إحياء علوم الدين 343/1.

(3) تلبيس إبليس 132/1.

(4) انظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين 496، والتعليقات الحافلة على الأجوبة الفاضلة لعبد الفتاح أبو غدة 132.

الصحيحة كغيرهم من أصحاب العلوم، والدليل على ذلك أن كثيرًا من الأحاديث التي شرحوها صحيحة، فهذا ابن أبي جمرة -رحمه الله- شرح مختصر صحيح البخاري بطريقة المحدثين وبطريقة الصوفية وغيره، وستأتي دراسة الأحاديث في الدراسة التطبيقية.

وأما الأحاديث الموضوعة فمتفق بين العلماء قاطبة حُرمة روايتها، فضلًا عن شرحها واستنباط الأحكام منها، وقد يذكر بعض الصوفية بعض الأحاديث الموضوعة ولا يجوز الاعتماد عليها إطلاقًا وإن عظمت مكانة ناقليها في النفوس، وقد تساهل أيضًا بذكر الأحاديث الموضوعة غير الصوفية من المفسرين والفقهاء والمؤرخين وغيرهم(1)، فليس أحد معصوم إلا الأنبياء، فالصوفية كغيرهم.

وبالنسبة للأحاديث الضعيفة فإن كان ضعفها ليس شديدًا فقد أجاز العلماء بروايتها والعمل بها في فضائل الأعمال، والترغيب والترهيب، ونحوها بشروط بينوها، واستخراج الإشارات منها لا يمنع منه، لأن المعاني الإشارية هي من باب الترغيب والترهيب في الجملة.

خامسًا: إن المعاني الإشارية تُحمل بمشقة وتكليف، فلا يجد العالِم في النص الشرعي ما يتفق صراحة مع تعاليمه، ولا ما يتمشّى بوضوح مع نظرياته التي يقول بها، وحرصًا منه على أن تَسْلم له تعاليمه ونظرياته، فيحاول أن يجد في الآية أو الحديث ما يشهد له فيتعسّف في فهمه(2).

والجواب عن هذا الاستدلال: أنه رُوعي فيه سد الذرائع، وهذه القاعدة مطلوبة ولكن لا يمكن أن تُلغي ما ثبت جوازه بالنص، فإن استنباط المعاني الإشارية قد أقرّها سيدنا رسول الله ﷺ من فعل بعض الصحابة الكرام كأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- لمّا فهم قرب أجل رسول الله ﷺ كما تقدم، ومعلوم أن هذه القاعدة لا يعمل بها عند

(1) انظر: حجة الله البالغة 107/1، والتعليقات الحافلة على الأجوبة الفاضلة 116.

(2) انظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين 512، ومباحث في علوم القرآن لصبحي 337.

وجود النص والبيان من رسول الله ﷺ[1]، فقد ثبت أن للقرآن الكريم ظهراً وبطنًا.

وما ذكر في الاستدلال على المنع من وجود تعسّفات في فهم الآية أو الحديث من غير المتأهلين لاستخراج المعاني الإشارية من المُدّعين لا يمنع من استخراجها من قِبل العلماء الراسخين والشيوخ المُلهمين، ومن الإنصاف أن نقرَّ ما كان مقبولًا، وأن ننكر ما كان مردودًا، وليس لنا أن نمنع استنباط الإشارات مطلقًا.

ولهذا من الإنصاف أن ننكر الإشارات البعيدة المُتكلّفة التي تُخرج النص الشرعي عن مقصوده، وأن نُقرَّ المعاني الصحيحة المتوفرة فيها شروطه.

وهذا الصابوني -حفظه الله- من المجيزين للإشاري ويقول: إن له ما يُؤيده من الشرع إلا أنه ينتقد بعض الإشارات التي سلك فيها أصحابها مسلك الباطنية، ولم يراعوا الشروط التي وضعها العلماء[2]، ثم قال: «ولقد سمعتُ من يستشهد بالآية الكريمة: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝﴾[3]، على ضرورة ملازمة المريد لذكر الله تعالى بلفظ (الله) فجعل هذه اللفظة مقول القول: أي (قل: الله) وما درى هذا الجاهل الغبيّ أنّ هذه جملة حذف منها الخبر، والتقدير: (الله أنزله) بدليل سياق الآية الكريمة: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى﴾[4] إلى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝﴾ وأمثال هذا التخليط كثير. فلا ينبغي لعلماء المسلمين أن يسمحوا لأمثال هؤلاء الجهلة، بالتطاول على كتاب الله، وبتفسيره بما يخالف الظاهر، ويجافي الحق والصواب، زعمًا منهم أنه من نوع **(التفسير الإشاري)** فالتفسير له حدود وشروط، وليس

(1) انظر: البحر المحيط للزركشي 205/3.

(2) انظر: التبيان في علوم القرآن 178.

(3) سورة الأنعام: 91.

(4) سورة الأنعام: 91.

لكل إنسان أن يقول فيه برأيه، أو يعبث في نصوصه بفهمه العليل»(1).

ولمثل هذه التعسّفات والإشارات المُنحرفة وضع العلماء للمعاني الإشارية شروطًا تكفُلُ لمن أخذ بها، والتزمها السلامة من الوقوع في الانحراف الذي وقع فيه الباطنية والشيعة ونحوهم.

ولم يقل أحد من العلماء بوجوب الأخذ بالمعاني الإشارية التي توفرت فيها ضوابطها إنما صرّحوا بخلاف ذلك قال محمد الذهبي -رحمه الله- بعد ذكره لشروط استنباط المعاني الإشارية: «هذه هي الشروط التي إذا توفرت في التفسير الإشاري كان مقبولًا، ومعنى كونه مقبولًا عدم رفضه لاوجوب الأخذ به، أما عدم رفضه فلأنه غير منافٍ للظاهر ولا بالغ مبلغ التعسّف، وليس له ما ينافيه أو يعارضه من الأدلة الشرعية، وأما عدم وجوب الأخذ به، فلأنه من قبيل الوجدانيات، والوجدانيات لا تقوم على دليل ولا تستند إلى برهان، وإنما هي أمر يجده الصوفي من نفسه، وسر بينه وبين ربه، فله أن يأخذ به ويعمل على مقتضاه، دون أن يلزم به أحدًا من الناس سواه»(2).

ولعلَّ القول الراجح -والله أعلم- قول المجيزين لاستنباط المعاني الإشارية من النص الشرعي سواء من الكتاب العزيز أو السنة المشرّفة بضوابطه، لما تقدّم من أدلة جمهور العلماء، ولما لها من رجاحة وقوة **وللأسباب التالية أيضًا:**

1- صح عن بعض الصحابة -رضي الله عنهم- ما يدل أن للنص الشرعي معاني كثيرة، وليس كل هذه المعاني تأخذ من ألفاظه، وإنما تؤخذ من طريق الاستنباط بالاعتبار والقياس، قال علي -رضي الله عنه-: «لو شئتُ لأوقرتُ لكم من تفسير سورة الفاتحة

(1) التبيان في علوم القرآن 178، 179.

(2) التفسير والمفسرون 378/2.

سبعين وُقْرًا -حِمل بعير من الكتب-»[1]، وقال أبو الدرداء -رضي الله عنه-: «لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهًا كثيرة»، وقال ابن عباس -رضي الله عنه-: «إن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون لا تنقضي عجائبه ولا تبلغ غايته فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أوغل فيه بعنف هوى، أخبار وأمثال وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن فظهره التلاوة، وبطنه التأويل فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء»، وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «من أرادَ عِلمًا فليثوِرِ القرآنَ فإنه خَيْرُ الأَوَّلِينَ وَخَيْرُ الآخَرِين»[2].

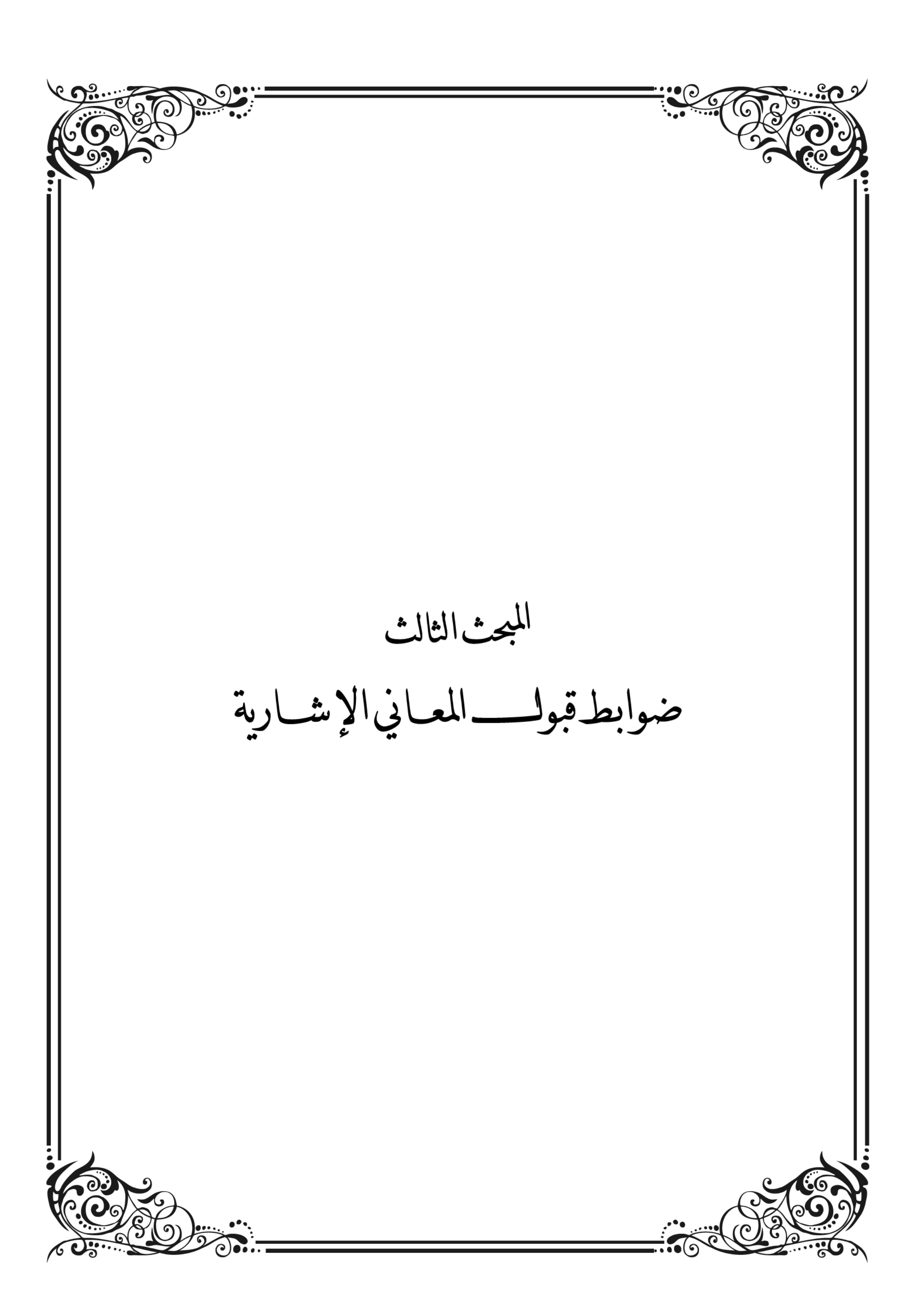
2- إن الخائضين في ذكر الإشارات هم من الراسخين في العلم، وإشاراتهم في الغالب لا تحيد عن أصول الشريعة الغرّاء، وفي الدراسة دليل على ذلك.

3- ليست المعاني الإشارية أحكامًا مُسْبَقة قبل فهم النص الشرعي، ولا تلغي معناه المتبادر منه، فليس فيها ما يمنعها كتأويلات الباطنية والرموز النظرية.

4- إن الوحي بقسميه المتلو وغير المتلو: هو المَعِينُ العذب لكل وارد، وفي كل علم، وهو المُصلح لكل زمان ومكان، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[3]، وقال جل ذكره: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[5]، فاستقى منهما أهل كل علم، وقامت كل طائفة بعلم من علومهما منهم: القُرّاء والنحويون والمفسرون والأصوليون

(1) انظر: فيض القدير 69/1.
(2) تقدم تخريج هذه الآثار صـ 103.
(3) سورة الأنعام: 38.
(4) سورة النحل: 89.
(5) سورة الحشر: 7.

والكلاميون والفقهاء والمؤرخون والبيانيون والخطباء والوعاظ وغيرهم، وكذلك العلماء الربانيون والصوفية كغيرهم من أهل العلوم وُفق ضوابط الاستنباط والموافقة لأصول الشرع.



المبحث الثالث

ضوابط قبول المعاني الإشارية



المبحث الثالث

ضوابط قبول المعاني الإشارية

بعد عرض آراء أهل العلم في استنباط المعاني الإشارية من نصوص الشرع، وذكر أدلة كل رأي ومناقشتها، تبيّن أن المعاني الإشارية لكي تكون مقبولة عند المجيزين، ويمكن الاستفادة منها لابد من توفر شروط وضوابط، حتى لا تكون من المعاني الرمزية البعيدة ولا من التأويلات الباطنية المنحرفة، فهذه الضوابط إذا وُجدتَ وتوفرت في المعاني كانت مقبولة، وإليك هذه الضوابط مع بيانها:

الضابط الأول: أن يكون للمعنى الإشاري شاهد شرعي يُؤيده

فالمعنى الإشاري يجب أن تَشهد له نصوص الشرع وتُقرّه، وإلا كان مردودًا على صاحبه، لأن الشريعة الغرّاء هي الحاكمة للأقوال والأفعال والمقاصد، وهي التي يُقاس بها الناس وأقوالهم، ولهذا قال الجنيد -رحمه الله-: علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، منْ لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به[1].

فلهذا جاءت المعاني الإشارية عن العلماء الربانيين ولها ما يعضدها من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ، لأن المقصد منها بيانهما والعمل بما فيهما ليبلُغ المسلم مراتب اليقين وقوة الإيمان، ومع هذا فإنها قد يتطرّق إليها ما يتطرق للاجتهاد، فهي فهوم استنباطية والعصمة للأنبياء.

وقد سمّاها ابن القيم -رحمه الله- أنوارًا فقال: «والقوم يلُوح لأحدهم أنوارٌ هي من

(1) رواه أبو نعيم بإسناده في حلية الأولياء 255/10.

ثمرات الإيمان، ومعاملات القلوب، وآثار الأحوال الصادقة، فيفيد الظن ولا يفيد اليقين، فتعرض هذه الكشوف على الكتاب والسنة فإن قبلاه صحَّ وإلا رفض»[1].

الضابط الثاني: أن لا يخالف المعنى الإشاري نصًّا من نصوص الشريعة

فكل معنى يخالف نصًّا شرعيًا فإنه يُرد، ويكون حينئذ مُجرد دعوى لا دليل عليها، وهذا الضابط لم يذكره بعض أهل العلم، لأن الضابط الأول يُغْنِي عنه وإنما ذُكر تأكيدًا وإيضاحًا، ولهذا جعلهما الشاطبي واحدًا، وقال في بيانهما: «إن لم يكن له -المعنى الإشاري- شاهد في محل آخر أو كان له معارض صار من جملة الدعاوى التي تدّعى على القرآن، والدعوى المجردة غير مقبولة باتفاق العلماء»[2].

الضابط الثالث: أن يكون المعنى الإشاري متفقًا مع المعنى الظاهر

يجب أن يكون المعنى الإشاري منسجمًا ومتوافقًا مع معنى النص الشرعي الظاهر، وما المعنى الإشاري (الباطن) إلا مُضيفًا معنى جديدًا يعضد المعنى الظاهر ولا يحل محله ولا يطغى عليه، وإنما هو إشارة من اللفظ يفهمها من فتح الله تعالى بصائرهم بمعان مُستنبطة من المعنى الظاهر من مدلولات الألفاظ مع عدم المخالفة الشرعية، ويلزم من موافقة المعنى الإشاري للمعنى الظاهر صحة المعنى الإشاري على مقتضى الألفاظ العربية وإلا كان مرفوضًا، وذلك لأن النص الشرعي كتابًا وسنة عربي فارتباط المعاني القرآنية والنبوية بالألفاظ العربية أمرٌ ضروري، لأن اللفظ وسيلة لتحصيل المعنى. إلا أن بعض المعاصرين جعل عدم مخالفة اللغة العربية شرطًا مستقلًا وضابطًا منفردًا لجواز المعنى الإشاري[3]، بينما نجد الشاطبي -رحمه الله- جعل هذا الضابط الثالث وموافقة الإشاري للمعنى الظاهر وجريانه على مقاصد

(1) مدارج السالكين 464/3.

(2) الموافقات 357/3، 358.

(3) انظر: الاتجاه الإشاري في تفسير القرآن الكريم لعبد الرحيم الزقة 186.

اللغة العربية شرطًا واحدًا، ولعلّ جعله لهما ضابطًا واحدًا أولى، فإن المعنى الظاهر لا يقبل إلا إن كان موافقًا للغة العرب ومن باب أولى المعنى الباطن، لأنه مبني على الظاهر.

قال الشاطبي -رحمه الله- في هذا الضابط: «أن يصح على مقتضى الظاهر والمقرر في لسان العرب، ويجري على المقاصد العربية» ثم قال في بيانه: «فأما الأول: فظاهر من قاعدة لكون القرآن عربيًّا فإنه لو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب لم يوصف بكونه عربيًّا بإطلاق ولأنه مفهوم يلصق بالقرآن ليس في ألفاظه ولا في معانيه ما يدل عليه وما كان كذلك فلا يصح أن ينسب إليه أصلًا، إذ ليست نسبته إليه على أن مدلوله أولى من نسبة ضده إليه ولا مرجح يدل على أحدهما، فإثبات أحدهما تحكّم وتقوّل على القرآن ظاهر، وعند ذلك يدخل قائله تحت إثم من قال في كتاب الله بغير علم، والأدلة المذكورة في أن القرآن عربي جارية هنا»(1).

والضابط الثالث هوأهم الضوابط كلها فلهذا ذكره العلماء عند تعريفهم للمعاني الإشارية وهو إمكان التطبيق بينها وبين الظواهر المُرادة(2)، ولا يكون الإمكان والموافقة إلا بعد وجود العلاقة الرابطة بين المعنى الظاهر والباطن وهو الركن الثالث من أركان المعنى الإشاري(3)، ويفيد انضباط المعنى الإشاري بما يحتمله كلام العرب، الذي نزل به القرآن، ويجب فهمه على وفق كلام العرب، كما يفيد الالتزام بالمعنى الظاهري الأصل المراد من كلام الله تعالى(4).

(1) الموافقات 357/3.

(2) انظر: المبحث الأول في تعريف الإشارة صـ36.

(3) انظر: التبيان في أقسام القرآن لابن القيم 49، والأركان الثلاثة وتفصيلها في المبحث الأول من الباب الأول صـ 40.

(4) انظر: علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر 97.

الضابط الرابع: أن لا يكون المعنى الإشاري بعيدًا كتأويلات الباطنية

فالمعنى الإشاري إذا كان بعيدًا لا يحمله اللفظ ولا يقبله العقل كتأويلات الباطنية والتفسيرات النظرية، وغيرها من المعاني القائمة على نظريات الفلاسفة الذين بحثوا في الطبيعة وما وراء الطبيعة، فلا يجوز أن يقبل على أنها معاني موافقة لمراد الله تعالى أو مراد رسوله ﷺ، لأن ذلك تحميل للنص الشرعي ما لا يحتمل، ولا يعدو أن يكون ضربًا من التخمين والظن [1].

فالباطنيون أخضعوا نصوص الشريعة لأفكارهم المختزنة في أذهانهم، فكانت بعيدة عن ظاهر النص وخرجوا عن مقصده الأصلي، فكل ما في هذا الوجود من ماديات فلها عندهم في عالم الروحانيات مثال وشبيه، فإذا ما تحدّث القرآن مثلًا عن قصة موسى -عليه السلام- وما جرى له مع قومه حملوا ذلك على النفس والقلب والصراع بينهما، وما ينزل على القلب من معان وما يدرك من أسرار فالفكرة عندهم جاهزة قبل تفسير القرآن الكريم وهذا تعسّف ظاهر، ولا يتوافق مع ظاهر النص، وهو من الرأي المذموم [2].

وهذا **الضابط الرابع** يؤكد الضابط الثالث ويمنع ضده، ولهذا استغنى عنه بعض العلماء بالضابط الثالث [3].

ومن أمثلة المعاني البعيدة ولا تحملها الألفاظ قول بعضهم في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾ [4]، فجعل كلمة ﴿لَمَعَ﴾ فعلًا ماضيًا بمعنى أضاء و﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ مفعوله [5].

---

(1) انظر: التفسير والمفسرون 350/3.

(2) انظر: الاتجاه الإشاري للزقة 189، والموافقات 358/3، ومناهل العرفان 84/2.

(3) انظر: مناهل العرفان للزرقاني 81/2، والتفسير والمفسرون 377/2، والموافقات 357/2.

(4) سورة العنكبوت: 69.

(5) انظر: التفسير والمفسرون 377/3.

الضابط الخامس: أن لا يُدّعَى أن المعنى الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر:

فيجب التسليم بأن المعنى الظاهر هو المراد أولًا ولا يُدّعى أن المعاني الإشارية هي المرادة وحدها دون الظاهر،لأن الله تعالى أمرنا بالعمل بمفهوم ظاهر الألفاظ، والخروج عن هذا الظاهر يؤدي إلى دخول الآراء الباطلة، وفتح الطريق أمام الأهواء وأهل الباطل لتحريف القرآن الكريم والحديث النبوي.

ولأهمية هذا الضابط أفرد بعض أهل العلم[1] ضابطًا آخر، وهو في الحقيقة يندرج ضمن هذا الضابط الخامس وهو: بيان المعنى الموضوع للنص أولًا، ثم بيان المعنى الإشاري حتى يسلم من مذاهب الباطنية وتأويلاتهم.

وقد أجلى هذا الضابط الغزالي -رحمه الله- فقال: «فَمَنْ لم يحكم بظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثُر غلطه، ودخل في زمرة من يُفسّر بالرأي، فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولًا، ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتّسع التفهم والاستنباط، والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة، ونحن نرمز إلى جُملٍ منها ليستدل بها على أمثالها، وُيعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولًا، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كَمَنْ يدّعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب»[2].

الضابط السادس: أن لا تكون في المعاني الإشارية تشويش على المفسَّر لَه:

إذا التزم العالم بضوابط المعاني الإشارية الخمسة، فإنه يَبْعُد منه أن يأتي بما يُشوش على عموم المُكلفين بل يذكر ما عليه العمل، ويقربهم إلى الله تعالى، ولهذا حرّمت الشريعة ذكر

(1) انظر: مناهل العرفان للزرقاني 81/2.

(2) إحياء علوم الدين 343/1، وانظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي 561/2.

ما يؤدي إلى الفتنة في الدين كالمعاني المُلْتَوية الخارجة عن حدود الضبط والتقييد(1).

فهذا الضابط بمثابة الثمرة من تحقيق الضوابط الخمسة الأولى، فالالتزام بها يجعل العالم لا يذكر تلك المعاني المُشوّشة للعقول المفسدة لدين المسلم.

وقد ذم الغزالي -رحمه الله- الخائضين في ذكر المعاني غير المفهومة والتي سمّاها كلمات الشطح، وذم قائلها وذكر ما يدل على منعها فقال: «وأما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها، وإيرادها بعبارة تدل على ضميره، لقلة ممارسته للعلم، وعدم تعلّمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة، ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يُشوّش القلوب ويُدهش العقول، ويُحيِّر الأذهان أو يحمل على أن يفهم منها معاني ما أُريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه، وقد قال ﷺ: **«ما حدث أحدكم قومًا بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم»**(2)، وقال ﷺ: **«كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله»**(3)، وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله، فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره»(4).

والضوابط الخمسة لا يختلف عليها أحد، وهي تحفظ العالِم من الوقوع في المعاني البعيدة، والتأويلات الفاسدة والانحراف في فهم نصوص الشريعة، وتضيء له الطريق لاستلهام المعاني المستقيمة، والكلمات المفيدة، وبعضها يندرج ضمن بعضها كما تبيّن عند ذكرها،

(1) انظر: مناهل العرفان 90/2.

(2) تقدم تخريجه ص17.

(3) رواه الديلمي مرفوعًا كما في الفردوس بمأثور الخطاب ح129/266,2، وإسناده واه، إلا أن البخاري في صحيحه رواه عن علي -رضي الله عنه- موقوفًا بلفظ: **«حَدِّثُوا النَّاس بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ الله وَرَسُولُهُ»** ك: العلم، باب: باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا ح127. انظر: كشفا الخفاء 421/1.

(4) إحياء علوم الدين 48/1.

وأما الضابط السادس فهو النتيجة بعد ذكر المعاني، وهو عدم تشويش عقول السامعين لمثل تلك المعاني، ويمكن أن يَندرج ضمن الضابط الرابع، فإن المعاني البعيدة الساذجة هي التي يكون بسببها التشويش والخلط.

ويمكن ذكر ضوابط المعاني الإشارية كلها غير متداخلة فيما يأتي:

1- أن يكون للمعنى الإشاري شاهد شرعي يُؤيده.

2- أن لا يخالف المعنى الإشاري نصًّا من نصوص الشريعة.

3- أن يكون المعنى الإشاري متوافقًا مع المعنى الظاهر.

4- أن يصح المعنى الإشاري على مقتضى لغة العرب.

5- أن يكون بين المعنى الإشاري والظاهر ارتباط.

6- أن لا يكون المعنى الإشاري بعيدًا كتأويلات الباطنية.

7- أن لا يُدّعى أن المعنى الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر.

8- بيان المعنى الموضوع للنص أولًا، ثم بيان المعنى الإشاري.

9- أن لا تكون في المعاني الإشارية تشويش على المفسَّرِ لَه.

إذا توفرت هذه الضوابط في المعاني الإشارية، وليس فيها ما ينافيها أو يعارضها من الأدلة الشرعية جاز الأخذ بها أو تركها، لأنها من قبيل الاستنباطات والوجدانيات التي لا تقوم على القواعد الأُصولية، وإنما هي عبارة عن باعث لتنمية المشاعر، وتحصيل مكارم الأخلاق، ودعوة للزهد في الدنيا وشهواتها، وفق ضوابط شرعيّة وعلى منهج رباني نبوي.

نموذجان من المعاني الإشارية لم تتوفر فيها ضوابطه

1- عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: (كنا نَتَحَدَّثُ بِحَجَّةِ الْوَدَاعِ وَالنَّبِيُّ ﷺ بين أَظْهُرِنَا ولا نَدْرِي ما حَجَّةُ الْوَدَاعِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عليه ثُمَّ ذَكَرَ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَأَطْنَبَ في ذِكْرِهِ وقال: **«ما بَعَثَ الله من نَبِيٍّ إلا أنذره أُمَّتَهُ أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ من بَعْدِهِ وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِيكُمْ**

فما خَفِيَ عَلَيْكُمْ من شَأْنه فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّ رَبَّكُمْ ليس بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ العين الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ...الحديث»[1].

جعل بعضهم أحاديث المسيح الدجال والتي منها الحديث السابق، أنها ترمز إلى الحضارة الغربيّة السائدة الآن، فهي حضارة عوراء كما وُصف الدجال بأنه أعور، وأنها تنظر إلى الحياة والإنسان بعين واحدة هي العين المادية فقط، وما عدا ذلك لا تراه، فهو يجعل الدجال الحضارة الغربيّة وليس إنسانًا له أوصاف التي أشار إليها رسولنا ﷺ الصادق الأمين[2].

وهذا المعنى الذي أُخذ من أحاديث الدجال مخالفٌ لما أثبتته الأحاديث المتكاثرة[3] أن الدجال إنسان فرد شخص يغدو ويروح، ويدخل ويخرج، ويدعو ويُغري ويُهدد، وغير ذلك ممّا نطقت به الأحاديث الصحيحة الصريحة، وهذا تأويل بعيد جدًّا مخالف لنصوص الشريعة الغراء، وفيه إلغاء معنى النص الشرعي المتبادر إلى الذهن، والذهاب به إلى المجاز دون أي قرينة ولا برهان.

2- عن جابر بن عبد اللهِ -رضي الله عنه- قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ على الحقِ ظَاهِرِينَ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قال فَيَنْزِلُ عِيسَى بن مَرْيَمَ ﷺ فيقول أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لنا فيقول لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هذه الْأُمَّةَ**»[4].

فقد أوّل بعض الكتّاب المعاصرين من المسلمين الحديث، وكل الأحاديث الصحيحة الواردة بنزول سيدنا المسيح عيسى -عليه السلام- آخر الزمان أنها ترمز إلى عصر يسود فيه

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: المغازي، باب: قصة وفد طيء 4141.

(2) انظر: كيف نتعامل مع السنة النبوية للدكتور يوسف القرضاوي 169.

(3) نصّ جماعة من أهل العلم على تواتر حديث الدجال. انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر لمحمد الكتّاني 229.

(4) رواه مسلم في صحيحه ك: الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ ح156.

السلام والأمن، فقد اشتهر بين الناس أن المسيح -عليه السلام- هو داعية السلام والسماحة بين البشر.

فقد نسي الكاتب أن هذا التأويل يتنافى تمامًا مع مدلول الأحاديث الصحيحة في نزول المسيح -عليه السلام- والتي وصفته بضد ذلك -العصر- منها قول النبي ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ بن مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حتى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حتى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا من الدُّنيا وما فيها، ثُمَّ يقول أبو هُرَيْرَةَ واقرؤوا إن شِئْتُمْ:** ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾[1]»[2]، ومنها قوله ﷺ: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ في أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يومًا أو أَرْبَعِينَ شَهْرًا أو أَرْبَعِينَ عامًا، فَيَبْعَثُ الله عِيسَى بن مَرْيَمَ كَأنهُ عُرْوَةُ بن مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ الناس سَبْعَ سِنِينَ ليس بين اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ**،... الحديث»[3].

وما ورد في هذه مناقض كل المناقضة للتأويل المذكور، على أن هذا التأويل يُعطي ظِلالًا للمقولة التبشيرية والاستشراقية الظالمة، التي تزعم أن الإسلام هو دين السيف، وأن المسيحية هي وحدها دين السلام[4].

(1) سورة النساء: 159.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: الأنبياء، باب: نزول عيسى بن مريم -عليهما السلام- ح3264.

(3) رواه مسلم في صحيحه ك: الفتن وأشراط الساعة، باب: بَاب في خروجِ الدَّجَّالِ ومُكْثِهِ في الأرض ونُزولِ عِيسى وَقَتْلِهِ إِيَّاهُ ح2940، ورواية الترمذي بينت مدة الأربعين وفيها: قلنا يا رسولَ اللهِ وما لَبْثُهُ في الأرض؟ قال: «**أَرْبَعِينَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ**» وقال: حديث حسن صحيح. ك: الفتن، باب: فتنة الدجال ح2240.

(4) انظر: كيف نتعامل مع السنة النبوية للقرضاوي 169، 170.



الباب الثاني

الدراسة التطبيقية لنماذج من المعاني الإشارية في السنة النبوية لأهل العلم

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: المعاني الإشارية في القرون الثلاثة الأولى.

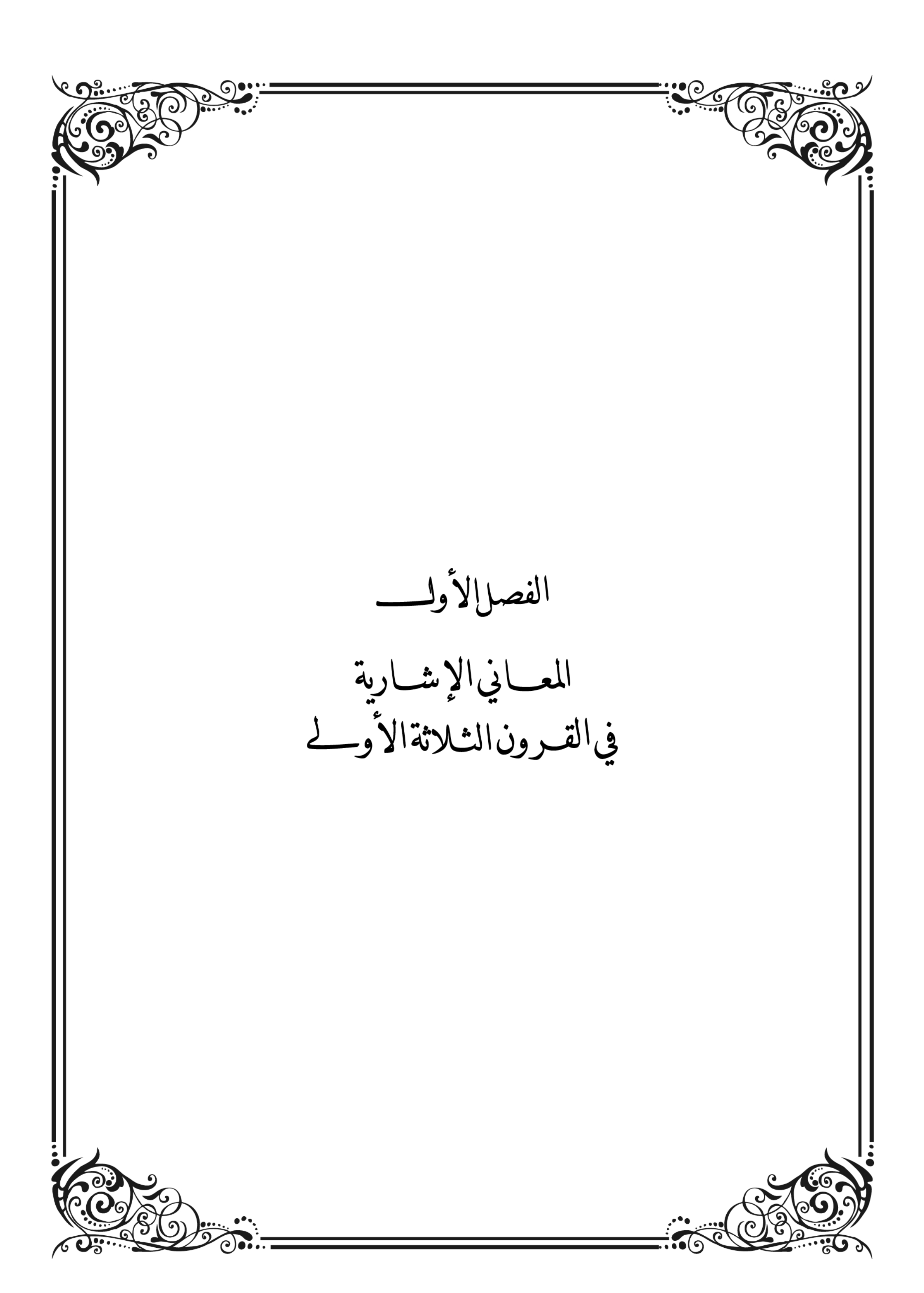
الفصل الثاني: المعاني الإشارية في القرن الرابع والخامس والسادس.

الفصل الثالث: المعاني الإشارية في القرن السابع والثامن والتاسع.

الفصل الرابع: المعاني الإشارية في القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر.

الفصل الخامس: المعاني الإشارية في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.





الفصل الأول

المعاني الإشارية في القرون الثلاثة الأولى

الفصل الأول
المعاني الإشارية
في القرون الثلاثة الأولى

1- سيدنا أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- خليفة سيدنا رسول الله ﷺ (ت 13هـ)

1) عن أبي سَعِيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جلَسَ على المِنْبَرِ فقال: «**إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ الله بين أَنْ يؤْتِيَهُ من زَهْرَةِ الدُّنيا ما شَاءَ وَبَيْنَ ما عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ ما عِنْدَهُ**»، فَبَكَى أبو بَكْرٍ، وقال: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا فَعَجِبْنَا له، وقال الناس: انْظُرُوا إلى هذا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رسول اللهِ ﷺ عن عَبْدٍ خَيَّرَهُ الله بين أَنْ يُؤْتِيَهُ من زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ ما عِنْدَهُ وهو يقول: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رسول اللهِ ﷺ هو الْمُخَيَّرَ، وكان أبو بَكْرٍ هو أَعْلَمَنَا بِهِ[1].

والمعنى الظاهر من قول النبي ﷺ عموم العبد المذكور، وأن الله -تعالى- خيّره بين الدنيا والآخرة، ويحتمل أن التخيير في عطاء الله -تعالى- الدنيوي والأخروي من حيث الثواب والجنة.

وقد فهم سيدنا الصديق -رضي الله عنه- معنى إشاريًّا غير المعنى الظاهر المتبادر من لفظه، وهو أن الله تعالى خيّر نبيه ﷺ بين البقاء في الدنيا وبين اللحاق بالرفيق الأعلى، فاختار الرفيق الأعلى[2]. ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المُشير:** وهو تخيير الله تعالى لعبد من عباده بين عطائه الدنيوي أو الأُخروي، فاختار

(1) تقدم تخريجه صـ 134.

(2) انظر: فتح الباري 13/7، وإرشاد الساري بشرح صحيح البخاري للقسطلاني 452/1.

ذلك العبد ما عند الله، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾(1)، وهذا المعنى الظاهر من اللفظ.

2- **المشار إليه:** إن الله تعالى خيّر نبيه سيدنا محمد ﷺ بالخصوص في البقاء في الدنيا أو اللحاق بالرفيق الأعلى، فاختار النبي ﷺ الثاني، ولذا بكى سيدنا الصديق -رضي الله عنه-، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** توجد صِلة بينهما وهي: التخيير بين أمرين فالتخيير بين الدنيا والآخرة يشمل عطائه في الدنيا أو الآخرة، ويشمل البقاء في الدنيا أو اللحاق بالرفيق الأعلى بالانتقال إلى دار الآخرة إلا أن سيدنا الصديق -رضي الله عنه- من الذين أكرمهم الله تعالى بهذا العلم الخاص(2).

* * *

2- عبد الله بن المبارك(3) (ت 181هـ)

2) عن سلمان الفارسي -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ من صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عليه عَمَلُهُ الذي كان يَعْمَلُهُ وأجرى عليه رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الفَتَّانَ**»(4).

---

(1) سورة النحل: 96.

(2) انظر: فتح الباري 15/7.

(3) هو: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، أبو عبد الرحمن، الإمام الحافظ المجاهد الزاهد، صاحب التصانيف النافعة والرحلات الشائعة، ولد سنة (118هـ) سمع من سليمان التيمي وعاصم الأحول وحميد الطويل وغيرهم، حدّث عنه: عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن معين وأبو بكر بن أبي شيبة وخلق كثير، من مصنفاته: الزهد، توفي سنة (181هـ). انظر: تذكرة الحفاظ 279/1، وحلية الأولياء 162/8.

(4) رواه مسلم في صحيحه ك: الإمارة، باب: فضل الرباط في سبيل الله عز وجل ح1913.

سئل عبد الله المبارك عن الرباط، فقال: «رابط بنفسك على الحق حتى تقيمها على الحق فذلك أفضل الرباط»[1].

والمعنى الحقيقي من الرباط في هذا الحديث المذكور ونحوه من الأحاديث الواردة في فضل الجهاد هو: ملازمة الثغر، وهو: المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم[2].

ولتوضيح المعنى الإشاري الذي ذكره ابن المبارك -رحمه الله- من خلال ذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المُشير:** وهو عند إطلاق الرباط فيُراد به حفظ ثغور المسلمين من الكافرين وملازمتها، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** أن يلازم المسلم نفسه على الحق دومًا، ليقيمها على الحق والهدى، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** هو وجود صلة بين البقاء على الثغور وتعويد النفس على الحق والخير، وهي: اتفاقهما في الملازمة فإن أصل الرباط هو: الحبس على الشيء كأنه حبَسَ نفسه على هذه الطاعة[3].

ويُؤيد هذا المعنى الإشاري الذي ذكره ابن المبارك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**أَلا أَدُلُّكُمْ على ما يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا ويَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ**»، قالوا: بَلَى يا رَسُولَ اللهِ، قال: «**إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ على المَكَارِهِ، وكَثْرَةُ الخُطَا إلى المَسَاجِدِ، وانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ**»[4]، فإن النبي ﷺ ذكر هذه الثلاثة الأمور من الإسباغ وكثرة

(1) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء 171/8.

(2) انظر: فتح الباري 85/6.

(3) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 406/1.

(4) رواه مسلم في صحيحه ك: الطهارة، باب: ما جاء في إسباغ الوضوء ح47.

الخُطا والانتظار، لما فيها من أعظم القهر لأعدى عدوك الذي هو النفس الأمارة بالسوء، وقمع شهواتها وقمع مكايد الشيطان[1]، وهذا هو جهاد النفس الذي ذكره ابن المبارك -رحمه الله-.

***

3- أبو الفيض ذو النون المصري[2] (ت 245هـ)

3) عن أَبِي سعيد الخُدْرِيّ عن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً يَرْفَعْهُ اللهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَمَنْ يتكَبَّرْ عَلَى اللهِ دَرَجَةً يَضَعْهُ اللهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ، وَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَمَّاءَ لِيسَ عَلَيْهِ بَابٌ وَلا كُوَّةٌ لَخَرَجَ مَا غَيَّبَهُ لِلنَّاسِ كَائِنًا مَا كَانَ**»[3].

قال ذو النون المصري -رحمه الله- في معنى قول النبي ﷺ: «**مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً يَرْفَعْهُ اللهُ دَرَجَةً**»: «من تذلل لله سبحانه وتعالى بالمسكنة والفقر إليه، رفعه الله سبحانه وتعالى بعز الانقطاع إليه»[4].

---

(1) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان 392/6.

(2) هو: ذو النون بن إبراهيم المصري، أبو الفيض الزاهد، والعلَمُ المُضي والحكَم المرضي، الناطق بالحقائق، له العبارات الوثيقة والإشارات الدقيقة، أسند عن مالك والليث وابن عيينة وغيرهم، توفي سنة 245هـ وقيل 236هـ. انظر: حلية الأولياء 331/9، وصفوة الصفوة 315/4، والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية 400/1.

(3) رواه ابن ماجه في سننه ك: الزهد، باب: البراءة من الكبر والتواضع ح1476، وابن حبان في صحيحه 491/12 واللفظ له، وأبو يعلى في مسنده 358/3، وأحمد في مسنده 76/3، والحديث حسنه العراقي وغيره. انظر: المغني عن حمل الأسفار 1152/2، والحديث رواه مسلم في صحيحه بلفظ: «**وما تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إلا رَفَعَهُ اللهُ**»، ك: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع ح2588.

(4) مجمع الأحباب 343/4.

والمعنى الظاهر من الحديث أن الإنسان الذي يتواضع وكان قاصدًا بتواضعه وجه الله تعالى يرفع قدره في قلوب الناس، ويطيب ذكره في الأفواه، ويرفع قدره في الآخرة، وإن فعل ذلك لأجل الدنيا فلا عزَّ معه(1).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه الثلاثة فيما يأتي:

1- **المشير:** نصَّ الحديث على أن المسلم يتواضع لإخوانه المسلمين عامة ابتغاء وجه الله تعالى، ليرفعه الله سبحانه والعكس بالعكس، وهذا المعنى الظاهر المتبادر.

2- **المشار إليه:** يفهم من الحديث أيضًا أن الافتقار إلى الله تعالى والتذلل إليه مع اعتقاد الكبرياء لله وحده طريق موصل لرفعة الله لعبده، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** هي المسكنة والتذلل، وهي تختلف من حيث معاملة الخلق والخالق، فالمسكنة والتذلل للخلق تعني الرفق بهم ورحمتهم وعدم الاستعلاء عليهم، وأما بالنسبة للخالق فهي مسكنة عبودية، وتذلل افتقار، فهذه الصلة بينهما، وكلٌ منهما مطلوب.

* * *

4- يحي بن معاذ الرازي(2) (ت 258هـ)

4) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إذا أَتَاكُمْ كَرِيمَ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ**»(3).

---

(1) انظر: شرح الزرقاني على موطأ مالك 549/4.

(2) هو: يحيى بن معاذ الرازي، أبو زكريا الواعظ الذّكار من كبار المشايخ، له كلام جيّد ومواعظ مشهورة، خرج إلى بَلَخ وأقام بها مدة، ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة (258هـ). انظر: طبقات الصوفية للأزدي 98، وحلية الأولياء 51/10.

(3) رواه ابن ماجه في سننه ك: الأدب، باب: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ح3712 واللفظ له، =

سئل يحيى بن معاذ -رحمه الله- عن معنى قوله ﷺ: «إذا أتاكُمْ كَرِيمَ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ» فقال: «كريم القوم: تقيّهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[1] على موافقة كتاب الله ما تناولت من أحاديث رسول الله ﷺ، فإن الفاسق لا يكون كريمًا على الله وعلى رسوله»[2].

والمعنى الظاهر من الحديث أن المراد بكريم قوم أي: رئيسًا وسيّدًا في قومه، فينبغي أن يُكرم حتى لا يكون له ولقومه حقد منهم، وكريم القوم عامًّا سواء كان مؤمنًا أو كافرًا، وقيل المراد: إنزال الناس منازلهم حسب أحوالهم فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت أَمَرَنَا رسول اللهِ ﷺ «أَنْ نُنَزِّلَ الناس مَنَازِلَهُمْ»[3]،[4].

= والحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح الإسناد 324/4، والبيهقي في السنن الكبرى 168/8، والحديث له طرق كثيرة، وقد صححه السخاوي والسيوطي. انظر: المقاصد الحسنة 77، واللآلئ المصنوعة 68/2.

(1) سورة الحجرات: 13.

(2) انظر: جواهر التصوف للرازي جمع سعيد هارون 227.

(3) رواه أبو داود في سننه ك: الأدب، باب: في تنزيل الناس منازلهم ح4842، وقال: ميمون لم يدرك عائشة. ورواه أبو يعلى في مسنده 246/8، وذكره مسلم في مقدمة صحيحه معلقًا باب: وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين 6/1، واللفظ له، قال النووي: ورواه أبو داود في سننه بإسناده منفردًا به وذكر أن الراوي له عن عائشة ميمون بن أبي شبيب ولم يدركها قال الشيخ -أي ابن الصلاح-: وفيما قاله أبو داود نظر فإنه كوفي متقدم قد أدرك المغيرة بن شعبة ومات المغيرة قبل عائشة، وعند مسلم التعاصر مع إمكان التلاقي كاف في ثبوت الإدراك فلو ورد عن ميمون أنه قال: لم ألق عائشة استقام لأبي داود الجزم بعدم إدراكه وهيهات ذلك. شرح صحيح مسلم 19/1، والحديث حسنه السخاوي وغيره. انظر: المقاصد الحسنة 163.

(4) انظر: فيض القدير 24/1.

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** الحث على إكرام أصحاب الجاه في أقوامهم، لإكرامهم أو لدفع شرّهم عند الخوف منهم، وهذا المعنى الظاهر من الحديث.

2- **المشار إليه:** ليحيى بن معاذ -رحمه الله- معنى آخر للحديث وهو إكرام الأتقياء من الناس، لأنهم تولوا الله تعالى بالطاعة، وهذا يُعدّ من موالاة المؤمنين الصالحين، أما غيرهم من الفاسقين فلا إكرام لهم لبعدهم عن الله ورسوله، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** هو اشتراك المعنيين في وصف (الكريم) فالمعنى الظاهر عمم الإطلاق فشمل كل من سَاد في قومه ولو كان فاسقًا أو كافرًا، وأما المعنى الإشاري الذي ذكره يحيى بن معاذ -رحمه الله- خاص بالتقوى فجعل الكريم هو المتقي بهذا الذي أُمرنا بإكرامه، لإكرام الله تعالى له ومصداقًا لقول النبي ﷺ: «**لا تُصَاحِبْ إلَّا مُؤْمِنًا، ولا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِيٌّ**»[1].

***

5- أبو سعيد الخراز[2] (ت 279هـ)

5) عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: «**جُبِلت القلوب على حُبِّ**

(1) رواه أبو داود في سننه ك: الأدب، باب:من يؤمر أن يجالس ح4832 واللفظ له من حديث أبي سعيد الخدري، والترمذي في سننه ك: الزهد، باب: ما جاء في صحبة المؤمن ح2395، وقال: هذا حَدِيثٌ حسن إنما نَعْرِفه من هذا الوَجه. والحاكم في المستدرك 143/4، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأحمد في مسنده 38/3، وابن حبان في صحيحه 314/2.

(2) هو: أحمد بن عيسى البغدادي الخرّاز أبو سعيد شيخ الصوفية، القُدوة، إمام القوم في كل فن من علومهم، أخذ عن إبراهيم بن بشار الخُرساني، وصحب سريًا السقطي وذا النون المصري، وأسند الحديث، توفي سنة (279هـ). انظر: طبقات الصوفية للأزدي 185، وطبقات الصوفية للسلمي 73، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر 129/5.

من أحسن إليها وعلى بغض من أساء إليها»[1].

سئل أبو سعيد الخراز عن معنى الحديث فقال: «فواعجبًا! ممّن لا يرى مُحسنًا إلا الله عز وجل.. كيف لا يميل بالكليّة إليه، والمحب يجتهد في الوصول إلى محبوبه بكل شيء ولا يتسلّى عنه بشيء، ويتبع آثاره ولا يدع استخباره، فلا يرى كل الخير إلا منه، ويتوكل في جميع أحواله عليه»[2].

والمعنى الظاهر من الحديث أن قلوب الخلق خُلقت وطُبعت على محبة من أحسن إليها سواء كان الإحسان بالقول أو الفعل وبغض من أساء إليها بذلك، لأن الآدمي مرُكّب على طبائع شتّى وأخلاق متباينة، ولهذا استنبط أهل العلم من الحديث عدم قبول هدايا الكفار والفجار، لأن قبولها يميل القلب إليهم بالمحبة قهراً إلا إن دعت إلى ذلك مصلحة دينية[3].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يبين النبي ﷺ أن الله تعالى فطر الخلق على حب وموالاة من أحسن إليهم بأي شيء والعكس كذلك، فإن من أساء إلى الخلق أبغضوه وهجروه، وهذه سنة الله تعالى في خلقه، وهذا المعنى الظاهر.

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان 481/6، واللفظ له، والقضاعي في مسند الشهاب 350/1، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال 286/2، وقال: وهذا لم اكتبه مرفوعًا إلا من هذا الشيخ ولا أرى يرفع هذا الحديث إلا من هذا الوجه وهو معروف عن الأعمش موقوف. ثم رواه بسنده موقوفًا من قول ابن مسعود، وقال ابن الجوزي: لا يصح الحديث عن النبي ﷺ، ونقل قول ابن عدي بأنه موقوف، وقد رواه البيهقي مرفوعًا وموقوفًا وقال: المحفوظ الموقوف. والحديث ضعيف جدًّا. انظر: شعب الإيمان 481/6، والعلل المتناهية 520/2، والمقاصد الحسنة 280.

(2) انظر: طبقات الصوفية للسلمي 74، وشعب الإيمان للبيهقي 381/1، ومجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب للواسطي 188/5، 193.

(3) انظر: فيض القدير للمناوي 344/3.

2- **المشار إليه:** يرشد الحديث أيضًا إلى معنى آخر أدركه العلماء الربانيون ومنهم الخرّاز -رحمه الله- وهو أن مَنْ أَيقن أن كل الإحسان الواصل إليه هو من عند الله تعالى في الحقيقة، فإنه لا يركُن ولا يميل إلّا إلى الله تعالى، وأن الخلق كلهم عبيده، فأصل كل خير فهو من ربه ومولاه.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** هو محبة المحسن وموالاته، فَمَنْ أحسن إليك من الناس فتحبه وترضى عليه، ولكن ثَمَّ معنى آخر قاله أهل البصائر، وهو اعتقاد وصول كل خير وسعادة هو من الرب الخالق سبحانه، وإنما الخلق هم أسباب وعبيدٌ لله تعالى أجرى الله تعالى الخير على أيديهم لا غير، وهذا مقام عظيم وهو مقام الإحسان والعبودية المحضة لله سبحانه الديان.

* * *

6 - سهل بن عبد الله التُسْتَري (ت 283 هـ)

6) عن عمر -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**من سَرَّتْهُ حَسَنَتهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتهُ فذلك المُؤْمِنُ**»(1).

سئل سهل التستري -رحمه الله- عن معنى الحديث المذكور فقال: «حسنته: نِعَم الله وفضله، وسيئته نفسه إن وكل إليها»(2).

---

(1) رواه الترمذي في سننه ك: الفتن، باب: ما جاء في لزوم الفتن ح2165، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي ﷺ. ورواه الحاكم في المستدرك من أكثر من طريق 59/1، وقال: هذه الأحاديث كلها صحيحة متصلة على شرط الشيخين. والحديث صحيح. انظر: مرقاة المفاتيح للقاري 159/11.

(2) انظر: اللمع 164.

يبيّن النبي ﷺ أن المؤمن الكامل هو الذي تسُره الحسنة التي يفعلها لكونه راجيًا ثوابها موقنًا بنفعها، وتسوؤه سيئته ويندم عليها ويأخذه القلق، لإيقانه بخبر الآخرة وشرها(1).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه:

1- **المشير:** يدل الحديث أن من علامات الإيمان أن المؤمن إن فعل حسنةً فرح بها لثوابها، وإن فعل سيئةً ندم عليها لعقابها، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ليس للمؤمن فعل وإنما هو مُتسبّب متعرّض لعطاء الله تعالى، فحسناته هي من فضله وجوده عليه، وسيئاته هي نفسه الأمارة بالسوء، لأنه ركن إليها، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** أن كلًّا من فعل المؤمن الحسن ونعم الله تعالى الكثيرة عليه هي من خلق الله تعالى وإيجاده، وحتى ما يفعله من سيءٍ، ولكن السيئ لا يُنسب إلى الله تعالى تأدبًا، وإنما يُنسب للعبد من حيث الكسب والاختيار، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة في مسألة خلق الأفعال قال الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾(2).

* * *

7) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال سمعت الرسول ﷺ يقول: «**الدُّنيا مَلْعونَةٌ مَلْعونٌ ما فيها إلا ذِكْرَ اللهِ وما وَالَاهُ أو عَالِمًا أو مُتَعَلِّمًا**»(3).

(1) انظر: فيض القدير 152/6.

(2) سورة النساء: 79، 78.

(3) رواه الترمذي في سننه ك: الزهد، باب: ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل ح2322، وقال: =

سُئل سهل التستري -رحمه الله- عن معنى الحديث فقال: «ذكر الله في هذا الموضع: الزهد في الحرام، وهو: أن يكون إذا استقبله حرام بذكر الله تعالى، ويعلم أن الله مطّلع عليه فيجتنب ذلك الحرام»(1).

يرشد النبي ﷺ إلى أن الدنيا مطرودة مبْعودة عن الله تعالى وكل ما فيها مطرود أيضًا مِنْ كل ما يشْغل عن الله تعالى، واستثنى ذكر الله تعالى وما والاه مِنْ كل ما يحبه الله ويرضاه؛ وهو العمل الصالح(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** كل ما ألهاك عن طاعة الله تعالى من أمور الدنيا فهو -والعياذ بالله- مطرود من رحمة الله تعالى، باستثناء ذكر الله وكل عملٍ صالح مقبول شرعًا، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ذكر الله تعالى ليس الذكر الذي يقرأه المسلم فقط فثمَّ معنى آخر، وهو أن يزهد في الحرام باستشعار المراقبة، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** هو استشعار عظمة الله تعالى والخوف منه، وهو حاصل بذكر الله وبالابتعاد من الحرام، وذكر الله تعالى دليل على استشعار مراقبته والخوف منه، وهذا هو حال اليقظين من المؤمنين كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾(3).

* * *

=

هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه في سننه ك: الزهد، باب: مثل الدنيا ح4112 واللفظ له، والحديث حسن. انظر: الترغيب والترهيب 24/1.

(1) انظر: اللمع 164.

(2) انظر: فيض القدير 326/2.

(3) سورة الأعراف: 201.

7 - الجنيد (ت 297هـ)

8) عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ**»(1).

قال الجنيد -رحمه الله- لمّا سئل عن الحديث: «حبك للدنيا يُعمي ويُصم عن الآخرة»(2).

والمراد بظاهر الحديث أن حبك لإنسان يعمي ويصم عن تأمل قبائحه ومساويه، فلا تراها ولا تسمعها وإن كانت فيه، أو أن المراد أن مِنْ الحب ما يُعميك عن طريق الرشد ويصمك عن استماع الحق وإن غلب الحبُّ على قلبه ولم يكن له رادع من عقل أو دين أصمّه حُبّه عن العدل وأعماه عن الرشد(3)، والمقصود من الحديث هو النهي عن حب ما لا ينبغي الإغراق في حبه(4).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يرشد الحديث إلى أن مِنْ المحبة ما تُعمي عن طريق الرشد وتُبعد عن الحق، وتجعل السيء حسناً، وهذا خروج عن الجادة والعدل المأمور به شرعًا، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ذكر الجنيد -رحمه الله- للحديث معنى إشاريًّا وهو: أن محبة الدنيا سبب عن العدول عن الآخرة، فيعمى عن أسباب السعادة الأخروية لانهماكه بمحبة دنياه، وهذا المعنى الإشاري.

---

(1) رواه أبو داود في سننه ك: الأدب، باب: في الهوى ح5130، وأحمد في مسنده 194/5، والطبراني في معجمه الأوسط 334/4، وقال السخاوي: وقد بالغ الصغاني فحكم عليه بالوضع وكذا تعقبه العراقي وقال: إن ابن أبي مريم لم يتهمه أحد بكذب إنما سرق له حلي فأنكر عقله، وقد ضعّفه غير واحد ويكفينا سكوت أبي داود عليه، فليس بموضوع بل ولا شديد الضعف فهو حسن. المقاصد الحسنة 295، وانظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس 419/1.

(2) مجمع الأحباب 98/5، واللمع 164.

(3) انظر: مدارج السالكين 14/3، وكشف الخفاء 411/1.

(4) انظر: فيض القدير 372/3.

3- **العلاقة بينهما:** علاقة المعنى الظاهر بالإشاري هو العدول عن الإغراق في ما لا ينبغي، إذ يترتب على ذلك الحيف والشطط عن طريق الهدى وهو منهي عنه على كل الأحوال.

***

9) عن الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**إنه لَيُغَانُ على قلبي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ في اليومِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[1].

قال الشعراني -رحمه الله-: «ويؤيد ما قررناه قول الجنيد في معنى قوله ﷺ: «**إنه لَيُغَانُ**[2] **على قلبي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ في اليومِ مِائَةَ مَرَّةٍ**» أن المراد به أنه اطلع على ما تقع فيه أمته من المعاصي بعده، فكان يستغفر الله تعالى لهم لا له، لأنه ﷺ لا ذنب عليه، فقال له -أي للجنيد- قائل: فما المراد بقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[3]؟ فقال: المراد به ذنب أمته، وإنما أضيف إليه، لأنه هو المشرع لتحريمه، فكأنه قيل له: استغفر لأهل الذنب الذي حرّمته شريعتك»[4].

لمعنى الحديث احتمالات منها: أنه ﷺ كان شأنه الدوام على الذكر فإذا فتر أو غفل عدّ ذلك ذنبًا واستغفر منه، ومنها: اشتغاله ﷺ بالنظر في مصالح أمته وأمورهم ومحاربة العدو وتأليف المؤلفة ونحو ذلك فيشتغل بذلك فيراه ذنبًا بالنسبة لعظيم منزلته، ومنها: أن هذا الغين هو السكينة التي تغشى قلبه لقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ

---

(1) رواه مسلم في صحيحه ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه ح2702.

(2) المراد من الغَيْن في الحديث ما يتغشى القلب. انظر: غريب الحديث لابن الجوزي 170/2.

(3) سورة محمد: 19.

(4) لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية 389، ونقل الشعراني في هذا الكتاب أيضًا عن شيخه علي الخواص -رحمهما الله- مثل ما نقله عن الجنيد -رحمه الله-.

تَرَوْهَا﴾(1)، ويكون استغفاره إظهارًا للعبودية وشكرًا لما أولاه(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** كان النبي ﷺ يعدُّ عدم استمراره في الذكر دومًا أو اشتغاله بقضايا أمته قصورًا فيستغفر الله أكثر من سبعين مرة في اليوم والليلة مع أن ذلك لا يُعدّ في الحقيقة ذنبًا، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يُطْلَع النبي ﷺ على تقصير أمته من بعده، فيستغفر الله تعالى لهم مع أنه ليس بتقصيره ولا ذنبه رحمةً بأمته ﷺ، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو النظر إلى التقصير، فالرسول ﷺ ينظر إلى عدم دوامه على الذكر يعدُّه تقصيرًا، وكذلك بالنظر إلى أعمال أمته من تقصير ووقوع في المعاصي فيكون كل من ذلك سببًا لاستغفاره ﷺ.

***

8 - أبو الحسن سُمنون حمزة الخواص(3) (ت بعد 298هـ)

10) عن ابن عمر -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي معي وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**»(4).

---

(1) سورة التوبة: 40.

(2) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 23/17، وفتح الباري 101/11، وقد أشار النووي إلى ما ذكر عن الجنيد.

(3) هو: سمُنون بن حمزة الخواص، ويُقال سمنون بن عبد الله أبو الحسن، من كبار مشايخ العراق وزهادها، صحب سريًّا السقطي ومحمد القصّاب، وكان يتكلّم في المحبة بأحسن كلام، مات بعد الجنيد. انظر: طبقات الصوفية للأزدي 158، وحلية الأولياء 158/1.

(4) رواه البخاري في صحيحه ك: الأطعمة، باب: المؤمن يأكل في معي واحد ح5078.

قال سمنون الخواص -رحمه الله- في معنى الحديث: «واحد منها طبع، وستة حرص، فالمؤمن يأكل بمعاء الطبع، والكافر يأكل بمعاء الحرص»(1).

وقد اختلف العلماء في معنى الحديث فقيل: ليس المراد به ظاهره، وإنما هو مثل ضرب للمؤمن وزهده في الدنيا، والكافر وحرصه عليها، وقيل: أن المؤمن يأكل الحلال، والكافر يأكل الحرام، والحلال أقل من الحرام في الوجود، وقيل: المراد حض المؤمن على قلة الأكل، ويدل على أن كثرة الأكل من صفة الكفار، وقيل على ظاهر الحديث وأن للمؤمن معي واحد فقط والكافر له سبعة أمعاء ولهذا لا يشبع(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** أفاد ظاهر الحديث أن للمؤمن معي واحد بخلاف الكافر ففيه سبعة أمعاء، فلهذا المؤمن يشبع والكافر لا يشبع إلا إذا امتلأت أمعائه السبعة، وهذا المعنى الظاهر قال به بعض أهل العلم.

2- **المشار إليه:** وهو أن أمعاء الإنسان سبعة أمعاء ثم تنقسم إلى قسمين: معي واحد منها طبع خلق الله تعالى الإنسان عليه، والستة الأمعاء الأخرى حرص، فيأكل الكافر بمعي الطبع وبالأمعاء الستة الباقية بالحرص على الطعام، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** هو وصف الشبع، فالمؤمن يقنع بالميسور وليس عنده الحرص، وأما الكافر فيتصف بالحرص على شهوات الدنيا ومنها الأكل فيأكل ولا يقنع لجشعه، وكل منهما على كل حال يشبع ولكنه يختلف فيما بينهما.

* * *

(1) الصفوة 257/2، مجمع الأحباب 322/5.

(2) انظر: فتح الباري 539/9، وشرح صحيح مسلم للنووي 24/14.

11) عن أنس -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «**روّحُوا القُلوبَ سَاعة بِساعةٍ**»[1].

قال سمنون الخواص -رحمه الله- في معنى الحديث: «روحوا القلوب من هموم الدنيا تعي أذكار الآخرة»[2].

والمُراد من الحديث -والله أعلم- الأمر بإراحة القلوب بعض الأوقات من مُكابدة العبادات بمباح لا عقاب منه ولا ثواب، لكي يَنشط بعد ذلك للحق والذكر، وهذا الظاهر من الحديث[3].

ويتضح المعنى الإشاري بأركانه الثلاثة فيما يأتي:

1- **المشير:** وهو أن الشريعة الغرّاء ندبت بإراحة القلب في وقت من الأوقات ليعيد الذاكر والقارئ نشاطه، فيتفهّم معاني الذكر، وأقرب لحضور قلبه، وهذا المعنى المتبادر من الحديث.

2- **المشار إليه:** يشير الحديث إلى معنى آخر وهو الابتعاد من هموم الدنيا ومتطلباتها في بعض الأوقات حتى تدرك حقائق ذكر الآخرة والتفكر في مواقف الآخرة، فيستيقظ المؤمن من غفلاته، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** الصلة بين المعنى الظاهر والإشاري وهي:

---

(1) رواه الشهاب القضاعي في مسنده 393/1، والديلمي في مسند الفردوس 253/2، قال السخاوي: يشهد له ما في صحيح مسلم ك: التوبة، باب: فضل دوام الفكر والذكر ح2750 من حديث: «**يا حنظلة ساعة وساعة**»، والحديث ضعيف الإسناد بسبب الموقري لضعفه إلا أن الحديث له شاهد كما قال السخاوي عند مسلم -والله أعلم- والحديث رواه ابن أبي شيبة في مصنفه 177/7 لكن عن قسامة بن زهير من قوله: «روحوا القلوب تعي الذكر»، وذكره ابن حجر في المطالب العالية 22/13. انظر: المقاصد الحسنة 372، والمداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي للغماري 143/3.

(2) الصفوة 257/2، ومجمع الأحباب 322/5.

(3) انظر: فيض القدير 40/4.

التفهم لمعرفة أسرار الأذكار والأدعية والعبادات بشكل عام، ونيل الطمأنينة التي قال الله تعالى عنها: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾(1).

* * *

9- الحكيم الترمذي(2) (ت295هـ وقيل: 255هـ)

12) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: **«نظرُ الرجل إلى أخيه على شَوقٍ خيرٌ مِنْ اعتكافِ سنةٍ في مسْجدِي هذا»**(3).

قال الحكيم الترمذي -رحمه الله- بعد الحديث: «الاعتكاف: إقبال العبد على الله تعالى والتخلي عن الدنيا وشهواتها، وكف النفس عن التردد في ساحات العيش ومنعها عن الانبساط والتفسّح... ثم قال: كذا حكم الاعتكاف فقد جعل ﷺ النظر إلى أخيه على شوق منه أكثر منه، لأنه المؤمن لما انتبه بقلبه وعرَف ربه تبارك وتعالى، واشتغل نور اليقين في قلبه فانكشف له الغطاء عن جلاله...»(4).

---

(1) سورة الرعد: 28.

(2) هو: محمد بن علي بن الحسن بن بشر الشهير بالحكيم الترمذي، الزاهد الحافظ الإمام الصوفي، صاحب التصانيف، سمع الحديث بخرسان والعراق، ولقي أبو عبد الله أبا تراب التخشبي وصحب ابن الجلاء، من مصنفاته: نوادر الأصول في أحاديث الرسول، والفروق، وإثبات العلل للشريعة واختلفوا في سنة وفاته قيل (295هـ) وقيل سنة (255هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى 245/2، وتذكرة الحفاظ للذهبي 645/2، ولواقح الأنوار في طبقات الأخيار 78/1، وشذرات الذهب 220/2.

(3) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول 139/2 واللفظ له، وفي سنده أمية بن يعلى ومحمد بن الفضل وهما ضعيفان، ورواه الديلمي في مسند الفردوس 287/4 من طريق محمد بن معاذ وهو ضعيف، وفي سنده أيضًا يحي بن يزيد وهو منكر الحديث، فالحديث إسناده ضعيف. انظر: المداوي عن علل الجامع الصغير وشرحي المناوي 469/6.

(4) نوادر الأصول في أحاديث الرسول 139/2، 140.

والاعتكاف في اللغة: الاحتباس على الشيء أقبل عليه مواظبًا، وأقام على الشيء، وفي الشرع: المكث في المسجد من شخص مخصوص بصفة مخصوصة(1)، والحديث دلّ على أفضلية نظر المسلم لأخيه نظرة محبة وشفقة أكثر أجرًا من الاعتكاف في مسجد النبي ﷺ سنة، وهذا المعنى الظاهر(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يدل الحديث على فضل نظرة المؤمن لأخيه المؤمن ابتغاء مرضاة الله تعالى، وأنها أفضل من اعتكاف في المسجد النبوي سنة، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يشير الحديث إلى معنى إشاري وهو: الإقبال على الله تعالى والإقامة على عبادته وهو مقصد عظيم سواء كان بالاعتكاف أو الشفقة على المسلمين أو أي عمل صالح فالغرض الإقامة على الطاعة وحبس النفس عن شهواتها، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود صفة بينهما وهي الإقامة على الشيء والإقبال عليه، فالاعتكاف شامل لذلك كما أن الإقبال على الله وملازمة العبادة ومنع النفس الأمارة عن الانبساط والتفسح المضيّع لأعمال البر شامل للصفة المذكورة.

* * *

13) عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ الجُهَنِيِّ -رضي الله عنه- قال قال رسول اللهِ ﷺ: «**لَا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ على الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فإنَ اللهَ يُطْعِمهم وَيَسْقِيهِمْ**»(3).

---

(1) انظر: مختار الصحاح 188/1 مادة عكف، النهاية في غريب الحديث 3/ 284، وشرح صحيح مسلم للنووي 66/8.

(2) انظر: فيض القدير 285/6.

(3) رواه الترمذي في سننه ك: الطب، باب: ما جاء لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب ح2040، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وابن ماجه في سننه ك: الطب، باب: =

قال الحكيم الترمذي -رحمه الله-: «وأما معنى قوله ﷺ: «**فإن اللهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ**» هو أنه يطهّر قلوبهم من رَيْن الذنوب إذا طهرهم من رين الذنوب منَّ عليهم باليقين فأشبعهم وأرواهم فذلك طعامه وسُقياه، ألا ترى أنه يمكث الأيام الكثيرة لا يذوق شيئًا ومعه قوته، ولو كان ذلك في أيام الصحة لضعف عن ذلك وعجز عن مقاساته»(1).

والمعنى الظاهر من الحديث عدم إكراه المرضى، فإن الله يُطعمهم ويسقيهم؛ أي: يحفظ قواهم ويمدّهم بما يقع موقع الطعام والشراب في حفظ الروح وتقويم البدن(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يرشد الحديث إلى النهي بإكراه المريض على الطعام والشراب، فإن الله تعالى يمدهم بمعونته فيحفظ قواهم وأجسادهم، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يستنبط الحكيم الترمذي -رحمه الله- معنى آخر فيجعل معنى إطعام الله

=

لا تكرهوا المريض على الطعام الطعام ح3444، والحاكم في المستدرك 502/1، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول 250/1، إلا أن في سند الحديث بكر بن يونس وهو ضعيف، قال البوصيري: هذا إسناد حسن بكر بن يونس مختلف فيه وباقي رجال الإسناد ثقات. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه 52/4، وقال ابن حجر عنه: قال ابن عدي عامة ما يرويه لا يتابع عليه روى له الترمذي وابن ماجة حديثًا واحدًا من حديث عقبة بن عامر لا تكرهوا مرضاكم على الطعام وحسّنه الترمذي واستغربه، وأما أبو حاتم فقال: هذا الحديث باطل، قلت -القائل ابن حجر-: وذكره بن حبان في الثقات. تهذيب التهذيب 429/1، وللحديث شاهد عند أبي نعيم في حلية الأولياء50/10، وإسناده لا بأس به ولعلَّ من حسّنه نظر لشواهده والله أعلم. انظر: المداوي للغماري 581/6.

(1) نوادر الأصول في أحاديث الرسول 251/1.

(2) انظر: فيض القدير 420/6.

وسُقياه للمرضى بإكرامهم باليقين الثابت بعد تطهيرهم من الذنوب والآثام، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اشتراكهما في إشباعهم وإروائهم بحيث لا يحتاجون إلى طعام ولا شراب سواء كان بإمدادهم بما يقع موقع الطعام، وهو المعنى الظاهر أو بتطهيرهم من الذنوب ومن ثَمَّ بإكرامهم باليقين، وهو لا يكون إلا للمؤمنين المحتسبين أخذًا من قول النبي ﷺ: **«ما يُصِيبُ المُسْلِمَ من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حُزْنٍ ولا أَذًى ولا غَمٍّ حتى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إلا كَفَّرَ الله بها من خَطَايَاهُ»**(1)، وهو خاص بالمؤمن فقط، وهذا المعنى الإشاري(2).

* * *

14) عن جابر -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: **«النُّجُومُ جُعِلَتْ أَمَانًا لأَهْلِ السَّمَاءِ وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي أَمَانٌ لأُمَّتِي»**(3).

---

(1) رواه البخاري ك: المرضى، باب: ما جاء في كَفَّارة المرض وقول الله تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [سورة النساء: 123] ح5317 من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(2) لم يرتضِ المناوي -رحمه الله- المعنى الإشاري الذي ذكره الحكيم الترمذي -رحمه الله- وقال: فما هذه المقالة إلا مزْلقة زلِقَ فيها ذلك العلامة. ولم يذكر اسمه، وعلّل تخطئة هذا المعنى أن قائله إن أراد أن ذلك يخص المؤمن فالوجدان قاضٍ بأن الكافر كالمؤمن في صبر تلك المدة بلا فرق، وإن أراد الشمول فهو ذُهول، لأن الكافر خبيث مُخبّث لا يظهر المرض شيئًا من ذنوبه؟ انظر: فيض القدير 420/6. إلا أن هذا التعليل ضعيفٌ جدًّا، فإن خطاب النبي ﷺ موجه للمؤمنين من أُمته فهو يخاطب أصحابه فيقول: «**لا تُكرهوا مرضاكم**» وبين المؤمن والكافر فرق في الوجدان، وحصول الثواب والحِكم والمقاصد من الأحكام الشرعية شرطه الإيمان، ولعل كلام المناوي ليس بجيد وليس في محله -والله تعالى أعلم-.

(3) رواه الحاكم في المستدرك 486/2، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والطبراني في معجمه الكبير =

قال الحكيم الترمذي -رحمه الله- بعد الحديث: «فأهل بيته من خلفه من بعده على منهاجه، وهم الصديقون والأبدال الذين روى علي -كرم الله وجهه- قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلًا كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلا بهم يُسقي الغيث ويُنصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الأرض بهم البلاء**»[1]، فهؤلاء أهل بيت رسول الله ﷺ وأمان هذه الأمة، فإذا ماتوا فسدت الأرض وخربت الدنيا قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾[2]»[3].

والمعنى الظاهر من الحديث فضل أهل البيت وأن بصلاحهم يحفظ الله أمة نبيّه ﷺ، وهم الذي جلّلهم النبي ﷺ بالكساء ومن تناسل منهم من أولادهم إلى يوم القيامة، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: في بيتي نزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[4]، وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجلّلهم النبي ﷺ بكساء كان عليه وقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم**

=

22/7 واللفظ له، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول 61/3 وقد ضعّف إسناد الحديث ابن حجر من طريق موسى بن عبيدة الربذي كما عند الطبراني إلّا أن الحديث صححه الحاكم من طريقه، وحسّنه السيوطي والمناوي. انظر: المطالب العالية 386/18، وفيض القدير 298/6.

(1) رواه أحمد في مسنده 112/1، وقال السخاوي عقبه: ورجاله من رواة الصحيح إلا شريحًا وهو ثقة، وقال السيوطي: وسنده حسن وله طرق متعددة ثم ذكر من رواه وقال: وقد جمعت طرق الحديث كلها في تأليف مستقل، وقد أسماه: الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال. انظر: المقاصد الحسنة 45، واللآلئ المصنوعة 280/2.

(2) سورة البقرة: 251.

(3) نوادر الأصول في أحاديث الرسول 63/3.

(4) سورة الأحزاب: 33.

تطهيرًا»[1]، وهذه الرواية لا تتعارض مع قول زيد بن أرقم -رضي الله عنه- أن أهل بيته نساؤه وآل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس[2]، لأن قول زيد عام، وحديث أم سلمة خاص[3].

ويتضح المعنى الإشاري ببيان أركانه فيما يأتي:

1- المشير: يخبر النبي ﷺ أمته بأن الله تعالى جعل أهل بيته من ذرية علي -رضي الله عنه- وذرية الحسن والحسين رضي الله عنهما أمان لهم، وذلك بصلاحهم وسيرهم على هدي جدهم ﷺ كما أخبر بأنهم لن يفترقا والقرآن العظيم، قال ﷺ: **«إني قد تَرَكْتُ فِيكُمْ ما إن أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بعدي الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إلى الأَرْضِ وعترتي أَهْلُ بيتي ألا وإنهما لَنْ يَفْتَرِقَا حتى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ»**[4]، وهذا المعنى الظاهر.

2- المشار إليه: فهِم الحكيم الترمذي -رحمه الله- من الحديث إشارة أيضًا إلى حفظ الله

---

(1) رواه الترمذي في سننه ك: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة الأحزاب ح3205، ورواه مختصراً ح 3871، وقال: هذا حديث حسن وهو أحسن شيء روي في هذا وفي الباب عن عمر بن أبي سلمة وأنس بن مالك وأبي الحمراء ومعقل بن يسار وعائشة. والحاكم في المستدرك 451/2 وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(2) رواه مسلم في صحيحه ك: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب ح2408.

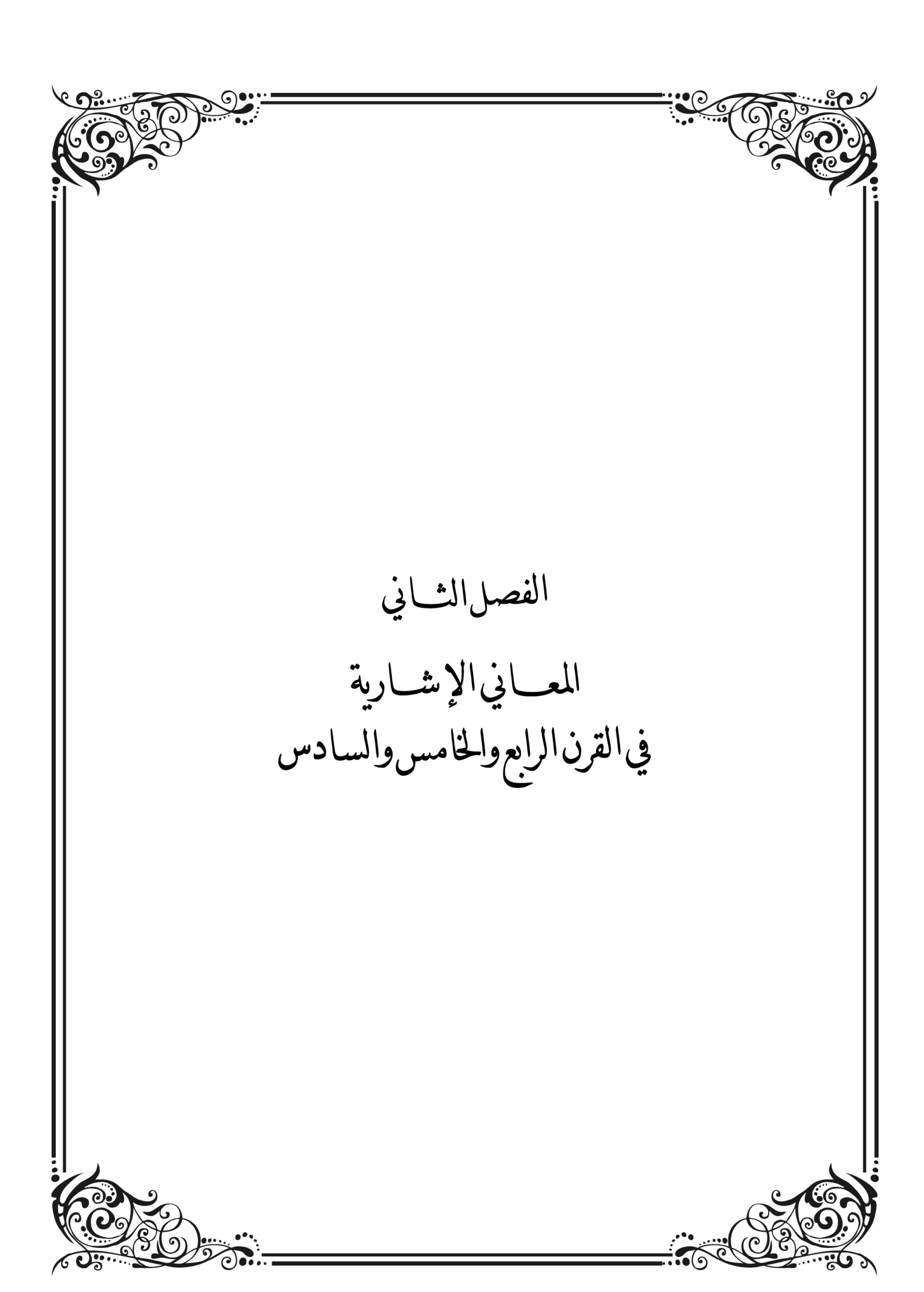
(3) انظر: فيض القدير 219/1، 519/2.

(4) رواه أحمد في مسنده 59/3، والطبراني في المعجم الكبير 65/3، قال الهيثمي: رواه أحمد وإسناده جيد. انظر: مجمع الزوائد 163/9، وفيض القدير 15/3، وهو عند مسلم في صحيحه بلفظ: **«وأنا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فيه الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَاب اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ فَحَثَّ على كِتَاب اللهِ وَرَغَّبَ فيه ثُمَّ قال وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ في أَهْلِ بَيْتِي...»** ك: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ح2408.

تعالى بالصالحين من أمة النبي ﷺ السائرين على منهاجه المقتفين لآثاره[1]، وهذا المعنى لا يمنع من دخول أهل البيت النبوي بل يشملهم، لأن المقصود من أهل البيت علمائهم وصلحاهم.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** هي حفظ الله تعالى لأمة نبيه ﷺ وهي خاصة بأهل بيته والأصفياء من أمته كالأبدال الذين ذكرهم الرسول ﷺ.

(1) فالحديث يدل على أن الله تعالى يحفظ الخلق بالصالحين من عبادالله تعالى، ويؤيده ماورد عند مسلم عن النبي ﷺ: «**النُّجُومُ آمنة للسَّمَاءِ فإذا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أتى السَّمَاءَ ما تُوعَدُ وأنا آمنة لِأَصْحَابِي فإذا ذَهَبْتُ أتى أَصْحَابِي ما يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي آمنة لِأُمَّتِي فإذا ذَهَبَ أَصْحَابِي أتى أُمَّتِي ما يُوعَدُونَ**» ك: فضائل الصحابة، باب: بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة ح2531 من حديث أبي بردة عن أبيه -رضي الله عنه-.



الفصل الثاني

المعاني الإشارية
في القرن الرابع والخامس والسادس

الفصل الثاني
المعاني الإشارية في القرن الرابع والخامس والسادس

10- أبو عمرو الدمشقي[1] (ت320هـ)

15) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ غُمِّيَ عليكم فَأَكْمِلُوا الْعَدَدَ**»[2].

سئل أبو عمرو الدمشقي عن قول النبي ﷺ: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ**» قال: «إشارة إلى استواء الأحوال أي لا ترجعوا عن الحق بإفطار ولا تقبلوا عليه بصوم، ليكن صومكم كإفطاركم وإفطاركم كصومكم عند دوام حضوركم»[3].

والمراد بظاهر الحديث وجوب الصوم والإفطار برؤية الهلال عند إمكان رؤيته فمواقيت الصوم والفطر والنسك بالرؤية لا بالحساب[4].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يدل الحديث على تعلّق وجوب الصوم والإفطار برؤية الهلال وإلا فتمام العدة ثلاثون يومًا، وهذا المعنى الظاهر.

---

(1) هو: أبو عمرو الدمشقي، من أجل مشايخ الشام بل واحدها، عالم بعلوم الحقائق، صحب ابن الجلاء وأصحاب ذي النون المصري، توفي سنة (320هـ). انظر: طبقات الصوفية للأزدي 215، وحلية الأولياء 346/10.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: الصيام، باب: لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين ح1081.

(3) انظر: حلية الأولياء 346/10، وطبقات الصوفية للأزدي 216.

(4) انظر: فيض القدير 215/4.

2- المشار إليه: يزيد أبو عمرو الدمشقي -رحمه الله- معنى جديدًا فهمه من الحديث وهو ثبوت المسلم على الحق دائمًا في سائر الأحوال المتغيّرة، وهذا يكون عند استحضار القلب لاطلاع الخالق سبحانه، وهذا المعنى الإشاري.

3- العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه: وجود صفة مشتركة بينهما وهي الاستواء على حالة واحدة والثبوت على أمر واحد، فالصوم والإفطار يكون عند رؤية الهلال وهي حالة واحدة مستقرّة إلا عند استحالة الرؤية فثمَّ حكم آخر، ومثل ذلك المسلم يجب عليه الثبوت والاستقرار على حالة واحدة دومًا وذلك في الاستمرار على الحق والثبات عليه.

* * *

11- أبو بكر الواسطي المعروف بابن الفرغاني[1] (ت 322هـ)

16) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**ما جُبِل ولي الله إلا على السخاء وحسن الخلق**»[2].

سئل أبو بكر الواسطي -رحمه الله- عن معنى الحديث فقال: «أما السخاوة من ولي الله تعالى: أن يَهَب نفسه وقلبه لله عز وجل»[3].

---

(1) هو: محمد بن موسى الشهير بأبي بكر الواسطي، ويُعرف بابن الفرغاني، من قدماء أصحاب الجنيد والنوري، وهو من علماء مشايخ القوم، وكان عالمًا بالأصول وعلوم الظاهر، انتقل إلى خرسان، توفي سنة (322هـ). انظر: طبقات الصوفية للأزدي 232، وحلية الأولياء 349/10.

(2) رواه الديلمي في مسند الفردوس 69/4، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال 187/1، وابن عساكر مرفوعًا وموقوفًا في تاريخ دمشق 472/54، والحديث إسناده ضعيف إلّا أن السخاوي ذكر له شواهد قال: ومن شواهده حديث أنس مرفوعًا: «**إن بُدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصوم ولا صلاة ولكن برحمة الله وسخاء الأنفس والرحمة للمسلمين**» رواه الديلمي في مسند الفردوس 231/1، ونحوه. انظر: المغني عن حمل الأسفار للعراقي 900/2، المقاصد الحسنة 578، وكشف الخفاء 241/2.

(3) انظر اللمع 163.

ومعنى الحديث أن عباد الله الصالحين من الأولياء فُطِروا على الأخلاق الحسنة الفاضلة ومنها: خلق السخاء، وهو الجود والكرم، وهذا المعنى الظاهر من الحديث(1).

ولتوضيح المعنى الإشاري فهذه أركانه فيما يأتي:

1- **المُشير:** يخبرنا سيدنا رسول الله ﷺ أن الأولياء الذين اختارهم الله تعالى قد طُبعت في طبائعهم حُب الجود والكرم، فكَرَمُهم للخلق سجيّة وليس تكلُّفًا وليس من صفاتهم البخل والشح.

2- **المشار إليه:** لأبي بكر الواسطي -رحمه الله- معنى آخر لمعنى السخاء وذلك أن سخاء أولياء الله تعالى: هو هبتُهم أنفسهم وقلوبهم لله عز وجل، فينظرون لأنفسهم أنهم مِلكٌ لله يفعل بهم ما يشاء.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وهو أن بينهما صلة فإن السخيَّ يخرج كل ما عنده لوجهه الكريم، وكذلك نفسه وقلبه فهو قلبًا وقالبًا لله تعالى، وهو المالك الحقيقي لكل ما في الكون وكل ما يملكه الإنسان من مال أو نفس مصدقًا لقول الله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾(2)، وقوله سبحانه: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٦٤﴾(3).

* * *

17) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فما تَعَارَفَ منها ائْتَلَفَ وما تناكَرَ منها اخْتَلَفَ**»(4).

---

(1) انظر: فيض القدير 97/2.

(2) سورة طه: 6.

(3) سورة الحج: 64.

(4) رواه البخاري في صحيحه ك: الأنبياء، باب: الأرواح جنود مجندة ح3158.

سئل أبو بكر الواسطي -رحمه الله- عن قول النبي ﷺ: «**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ**» قال: «(مجندة) على قدر المقامات، والمقامات مثل: التوبة، والورع، والزهد، والفقر، والصبر، والرضا، والتوكل وغير ذلك»(1).

والمعنى الظاهر من قول النبي ﷺ: «**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ**» أي: أن الأرواح التي تقوم بها الأجساد ويكون بها الحياة هي عبارة عن جموع مجتمعة، والمقصود من الحديث عمومًا: أنه يشير إلى معنى التشاكل في الخير والشر، فإذا اتفقت الأشكال تعارفت وتآلفت، وإذا اختلفت تنافرت وتناكرت(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** وهو أن أرواح أهل الصلاح تتشاكل فتصبح كالجموع المجتمعة في التآلف والمحبة، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يرشد الحديث إلى معنى جديد وهو أن اجتماع أرواح أهل الخير لا تجتمع إلا على قدر المقامات الموصلة إلى رضا الله سبحانه كالتوبة، والورع، والزهد ونحوها، وهذا معنى إشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** هو الاجتماع، فالجنود المجندة لا تكون إلا جموع مجتمعة فكما أن الأرواح تتآلف في الخير فأرواح الصالحين وأهل اليقين تجتمع وتتآلف في المقامات التي توصل أصحابها إلى إنعام الله تعالى عليهم بمعية الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾(3).

* * *

(1) انظر: اللمع 65.

(2) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 185/16، وعمدة القاري 216/15.

(3) سورة النساء: 69.

12- أبو بكر الشبلي[1] (ت 334هـ)

18) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ على من خَالَفَ أَمْرِي**»[2].

سئل الشبلي -رحمه الله- عن معنى الحديث فقال: «كان سيفه ﷺ [3] التوكل على الله تعالى، وأما ذو الفقار[4] فهو قطعة من حديد»[5].

المعنى الظاهر من الحديث أن رزق النبي ﷺ جعل من الغنائم بواسطة الجهاد في سبيل

---

(1) هو: أبو بكر الشبلي البغدادي، قيل اسمه: دلف بن جحدر، وقيل: دلف بن جعفر، أصله خرساني، شيخ الصوفية، عالمٌ فقيهٌ مسندٌ، صحب الجنيد ومن في عصره، توفي ببغداد سنة (334هـ). انظر: طبقات الصوفية الأزدي 257، وحلية الأولياء 366/10، وتاريخ بغداد 396/14.

(2) رواه البخاري معلقًا في صحيحه ك: الجهاد والسير، باب: ما قيل في الرماح واللفظ له، ورواه ابن أبي شيبة موصولًا في مصنفه 471/6، وأحمد في مسنده 50/2 بلفظ: «**بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حتى يُعْبَدَ اللهُ لاَ شَرِيكَ له وَجُعِلَ رزقي تَحْتَ ظِلِّ رمحي وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ على من خَالَفَ أمري وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ منهم**»، والحديث حسن بشواهده وقد ذكر بعضها ابن حجر، وصحح إسناده العراقي. انظر: المغني عن حمل الأسفار 420/1، وفتح الباري 98/6.

(3) الوارد في الحديث ذكر الرمح بلفظ: «تَحْتَ ظِلِّ رمحي» وليس «تحت ظل سيفي» إلا أن في رواية أحمد ذكر السيف أول الحديث كما تقدّم في تخريجه -والله أعلم-.

(4) ذو الفقار: هو: السيف سُمي بذلك، لأنه كان فيه حفر صغار جيان. والمفقر من السيوف: الذي فيه حزوز أو شقوق مطمئنة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر 464/3، وأطلق على سيف النبي ﷺ رواه الترمذي في سننه ك: السير، باب:في النفل ح 1561، وقال: هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه. وابن ماجه في سننه ك: الجهاد، باب: السلاح ح2808، والحاكم في المستدرك 141/2، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(5) انظر: حلية الأولياء 375/10، واللمع للطوسي 162.

الله بالرمح أو السيف ونحوهما، وهو يدل على الحث على العمل وطلب الرزق بالكسب[1].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه الثلاثة فيما يأتي:

1- **المشير:** يرشد الحديث إلى طلب الرزق والحث على الكسب باليد ومن ذلك الجهاد في سبيل الله بالرمح أو السيف ونحوهما، فإنهما سبب للرزق عن طريق الغنائم، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** للعلماء الربانيين فهم آخر لا يتعارض مع معنى الحديث المتبادر وهو ما ذكره الشبلي -رحمه الله- من أن المراد بالسيف هو التوكل والاعتماد على الله تعالى، وما الأخذ بالأسباب إلا فرع من الاعتماد على الله الملك الوهاب، فلهذا جمع النبي ﷺ بين الأسباب والمسببات في قوله: «**لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا**»[2]، فالتوكل على الله تعالى الرزاق وهو المسبب والغدو والرواح التي هي أسباب أمران مهمان لبلوغ مرتبة أهل الإحسان والإيقان.

فمَنْ توكّل على الله تعالى في ذهابه ومجيئه وتصرفه، وعلم أن الخير بيده تعالى ومن عنده لم ينصرف إلا سالمًا غانمًا كالطير، بخلاف من يعتمد على قوته وكسبه فقط فهذا الفعل خلاف التوكل[3]، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة بين المشير والمشار إليه:** أن كلًا من العمل كالجهاد بالسيف والتوكل على

(1) انظر: عمدة القاري 192/14.

(2) رواه الترمذي في سننه ك: الزهد، باب: في التوكل على الله تعالى ح 2344، وقال: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن ماجه في سننه ك: الزهد، باب: التوكل واليقين ح 4164، واللفظ له من حديث عمر، والحاكم في المستدرك 354/4، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(3) انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك 313/4.

الله تعالى أمران مطلوبان للحصول على الرزق، فهما متلازمان ولابد منهما للأحاديث الدالة على ذلك وتقدم ذكر بعضها.

* * *

19) عن مالك أنه بَلَغَهُ أن عِيسَى بن مَرْيَمَ -عليه السلام- كان يقول: «**لَا تُكْثِرُوا الْكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ فإن القَلْبَ القَاسِيَ بَعِيدٌ مِنَ الله وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ وَلَا تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ الناس كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ وَانْظُرُوا فِي ذُنُوبِكُمْ كَأَنَّكُمْ عَبِيدٌ فَإِنَّمَا الناس مُبْتَلًى وَمُعَافًى فَارْحَمُوا أَهْلَ البَلاَءِ وَاحْمَدُوا الله على الْعَافِيَةِ**»(1).

سئل أبو بكر الشبلي -رحمه الله- عن معنى قوله: «**فَارْحَمُوا أَهْلَ البَلاَءِ وَاحْمَدُوا الله على الْعَافِيَةِ**» في الحديث، فقال: «أهل البلاء أهل الغفلة عن الله تعالى»(2).

والمراد من ظاهر الحديث المتبادر إذا رأيتم أهل المحن ومن اختبرهم الله تعالى فاسألوا الله تعالى العافية بشكره ليُديم العافية فيكم لقول النبي ﷺ: «**من رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ فقال الحَمْدُ لِلهِ الذي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي على كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا إلا عُوفِيَ من ذلك البَلَاءِ كَائِنًا ما كان ما عَاشَ**»(3).

(1) رواه مالك في الموطأ 986/2 عن سيدنا عيسى -عليه السلام- من قوله، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه 340/6، بسنده عن محمد بن يعقوب عن سيدنا عيسى عليه السلام، وأبو نعيم في حلية الأولياء 58/6.

(2) انظر: اللمع 164.

(3) رواه الترمذي في سننه ك: الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب: ما يقول إذا رأى مبتلى ح 3431، واللفظ له من حديث أبي هريرة، وابن ماجه في سننه ك: الدعاء، باب: ما يدعو به الرجل إذا نظر إلى أهل البلاء ح3892، والحديث حسنه المنذري والهيثمي.انظر: الترغيب والترهيب 139/4، ومجمع الزوائد 138/10.

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يرشد الحديث المسلم بشكر ربه تعالى على نعمه خصوصًا عند رؤيته لمن ابتلاهم في شيء من أمور حياتهم، فإنه لا يعرف قدر العافية إلا المبتلى، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يضيف الشبلي -رحمه الله- معنى جديدًا يشمله الحديث وهو أن البلاء لا يكون في الأمور الدنيوية وقضايا الحياة فقط بل ثَمَّ بلاء أعظم وهو ذهاب الدين والابتعاد عن الله رب العالمين، وذلك بالغفلة عن طاعته وصراطه المستقيم، وهذا المعنى الإشاري.

3- العلاقة بين المشير والمشار إليه: هو وجود الامتحان والفتنة فيهما، فكما أن الإنسان قد يُبتلى في نفسه وماله، فقد يبتلى بالتفريط في جنب الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝﴾(1)، وقال سبحانه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝﴾(2).

* * *

20) عن المقدام بن معد يكرب -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**ما كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا أَطْيَبَ من عَمَلِ يَدِهِ**»(3).

سئل أبو بكر الشبلي -رحمه الله- عن حديث: «**ما كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا أَطْيَبَ من عَمَلِ**

---

(1) سورة الملك: 2.

(2) سورة العنكبوت: 2.

(3) رواه ابن ماجه في سننه ك: التجارات، باب: الحث على المكاسب ح 2128، والحديث حسنه ابن حجر والبوصيري. انظر: الدراية في تخريج أحاديث الهداية 146/2، ومصباح الزجاجة 5/3، ورواه البخاري ك: البيوع، باب: السهولة والسماحة في البيع والشراء بلفظ: «**ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا من أَنْ يَأْكُلَ من عَمَلِ يَدِهِ...**» ح1966.

يَدِهِ» قال: «إذا كان الليل فذلك كسب يمينك»(1).

ومعنى الحديث تحريض المسلم على الأكل من عمل يده، وتقديم ما يباشره بنفسه على ما لا يباشره بنفسه استغناءً عن الناس(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يحث الحديث على الترغيب في اعتماد الإنسان على نفسه، والحث على العمل، وأن خير ما يكسبه المسلم هو من عمل يده، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** لأبي بكر الشبلي -رحمه الله- معنى جديد للحديث وهو من كسب المؤمن أيضًا ومن أحسنها: هو قيام الليل والناس نيام. فهو من الأعمال المقربة إلى الله تعالى، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** هو اتحادهما في صدور الفعل من الإنسان نفسه وكسب عمله، فعمله بيده لقوته وقوت عياله، وكذلك قيامه بالليل هو من كسبه ينال به أجرًا وفضلًا.

* * *

13- محمد بن إبراهيم الزجاجي النيسابوري أبو عمرو(3) (ت 348هـ)

21) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**فِكْرَةُ سَاعةٍ خيْرٌ مِنْ عبادةِ ستّين سَنةٍ**»(4).

---

(1) طبقات الأولياء لابن الملقن 34.

(2) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري 50/9، وفتح الباري 306/4.

(3) هو: محمد بن إبراهيم الزجاجي أبو عمرو، نيسابوري الأصل، وأقام بمكة، أحد المشايخ في وقته، صحب الجنيد والثوري والخواص وغيرهم، وحج سبعين حجة وله مناقب عظيمة، توفي سنة (348هـ). انظر طبقات الصوفية للأزدي 323، وحلية الأولياء 376/10.

(4) رواه أبو الشيخ بن حيان في العظمة 300/1، وابن الجوزي في الموضوعات 320/2، وقال: هذا =

سئل محمد بن إبراهيم الزجاجي -رحمه الله- عن حديث: **«فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة»** فقال: «ذاك التفكير هو نسيان النفس»(1).

ومعنى الحديث الحث على التفكّر وصرف الذهن في تقصير العبد وتفريطه في حقوق الله تعالى وإمعان النظر إلى ملكوت الله تعالى، فإن التفكر خير له من عبادة سبعين سنة مع عزوبة باله عن التفكر، فإن التفكر طريق للخوف من الله تعالى وسبب للحضور في العبادة(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يرشدنا سيدنا رسول الله ﷺ إلى الاعتناء بالتفكر الثاقب في ذات العبد نفسه وتقصيره في جنب الله تعالى، والنظر في عظيم صنع الله تعالى، فهو أفضل من عبادة معها عُجب أو مراءاة للخلق، وهذا المعنى الظاهر من الحديث.

= حديث لا يصح. وفي الإسناد كذابان، فما أفلت وضعه من أحدهما إسحاق ابن نجيح. قال أحمد: هو أكذب الناس، وقال يحيى: هو معروف بالكذب ووضع الحديث، وقال الفلاس: كان يضع الحديث على رسول الله صراحًا. والثاني عثمان. قال ابن حبان: يضع الحديث على الثقاة. قال السيوطي بعد قول ابن الجوزي: قلت: اقتصر العراقي في تخريج أحاديث الإحياء على تضعيفه وله شاهد، قال الديلمي أنبأنا أحمد بن نصر أنبأنا طاهر بن ملة حدثنا صالح بن أحمد حدثنا علي بن إبراهيم القزويني حدثنا إبراهيم بن إسحاق النيسابوري حدثنا محمد بن جعفر الودكاني حدثنا سعيد بن ميسرة سمعت أنس بن مالك يقول: «تفكر ساعة في اختلاف الليل والنهار خير من عبادة ألف سنة»، وقال أبو الشيخ في العظمة حدثنا محمد بن يحيى المروزي حدثنا إسحاق بن المنذر حدثنا يحيى بن المتوكل أبو عقيل عن عمرو بن قيس الملائي قال بلغني أن: «تفكر ساعة خير من عمل دهر من الدهر» والله أعلم. اللآلئ المصنوعة 276/2، والعظمة لأبي حيان 305/1، والمغني عن حمل الأسفار 1193/2، وفيض القدير 443/4.

(1) طبقات الأولياء لابن الملقن 25.

(2) انظر: فيض القدير 443/4.

2- المشار إليه: يذكر الزجاجي -رحمه الله- معنى جديدًا للحديث وهو أن التفكر هو نسيان العبد لنفسه، فلا يجعل لنفسه شيئًا، فينسب كل خير في الآجل والعاجل إلى الله تعالى وحده، كما قيل: كن مع الخالق كأن لا خلق وكن مع الناس كأن لا نفس.

3- العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه: اجتماعهما في الوصول إلى معرفة عجز الإنسان ومعرفة الخالق حق معرفته، فتفكر الإنسان في تفريطه في حق الله وتفكره في عظمة الله تعالى، ونسيان الإنسان لنفسه طريق لمعرفة عجزه وإخلاصهِ في عبادةِ ربه سبحانه.

* * *

14- أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي[1] (ت373هـ)

22) عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**أكثرُ أهلِ الجنّة البُلْهُ**»[2].

سئل أبو عثمان المغربي -رحمه الله- عن قول النبي ﷺ: «**أكثرُ أهلِ الجنّةِ البُلْهُ**» فقال: «الأبله في دنياه، الفقيه في دينه»[3].

---

(1) هو: سعيد بن سلام أبو عثمان المغربي القيرواني نزيل نيسابور، الإمام القدوة، شيخ الصوفية، صحب أبا علي الكاتب والمغربي والزجاجي وغيرهم، وكان أوحد في طريقته وزهده، بقيّة المشايخ وتاريخهم، توفي سنة(373هـ). انظر: طبقات الصوفية الإزدي 358، وتاريخ بغداد 112/9، وسير أعلام النبلاء 320/16.

(2) رواه القضاعي في مسند الشهاب 110/2، والديلمي في مسند الفردوس 362/1، والطحاوي في شرح مشكل الآثار 432/7، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال 313/3، وقال: وهذا الحديث بهذا الإسناد منكر لم يروه عن عقيل غير سلامة بن روح. وسلامة ضعيف ووثقه ابن حبان وغيره، قال السخاوي: وله شاهد عند البيهقي أيضًا في شعب الإيمان 125/2 من حديث مصعب بن ماهان عن الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر وقال عقبه إنه بهذا الإسناد منكر. انظر: المقاصد الحسنة 137، ومجمع الزوائد 79/8، والمداوي للغماري 146/2.

(3) طبقات الصوفية الأزدي 360، وانظر: شعب الإيمان 126/2 فقد روى البيهقي بسنده عن سهل التستري في معنى الحديث قوله: هم الذين ولهت قلوبهم وشغلت بالله عز وجل.

ومعنى ظاهر الحديث أن أكثر أهل الجنة من الخلق هم البُله، والبُلْه: هم الغافلون الذين ليس لهم فتْك وحذق في أمور الدنيا، وهؤلاء سواد الناس وعامتهم من أهل الإيمان، الذين لا يفطنون للسُنّة فتدخل عليهم الفتنة، ومع ذلك فهم ثابتون وصحيحوا العقائد، وهم أكثر المؤمنين، وهم أكثر أهل الجنة، وأما العارفون والعلماء العاملون والصالحون المتعبِّدون فهم قليلون، وهم أصحاب الدرجات، وقيل البُله: الضعفاء من كل خاضع لله تعالى المذل لنفسه له سبحانه كما ورد في الحديث: «**قَالَتْ الجَنَّةُ فمالي لَا يَدْخُلُنِي إلا ضُعَفَاءُ الناس وَسَقَطُهُمْ وَعَجَزُهُمْ**[1]، **فقال الله للجَنَّة أَنْت رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ من أَشَاءُ من عِبَادي**»[2]، وحديث: «**ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لو أَقْسَمَ على اللهِ لَأَبَرَّهُ ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**»[3]،[4].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يبيّن النبي ﷺ أن أكثر أهل الجنة هم من عامة الناس الذين ليس لهم فطانة في أمور دنياهم دون فقه في دينهم أو الضعفاء الذين لا يُؤبه لهم وليس لهم ريادة أو أتباع، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يذكر المغربي -رحمه الله- معنى للحديث ولا يعارض ظاهره، وهو أن الأبله الذي لا يعقل ولا يفطن لأمور دنياه إلا أنه مُدْرِكٌ لأحكام دينه وعلى علم بشرع ربه.

(1) قال النووي -رحمه الله- سَقَطهم بفتح السين والقاف: أضعفاءهم والمتحقرون منهم، وأما عَجَزهم فبفتح العين والجيم جمع عاجز أي: العاجزون عن طلب الدنيا والتمكن فيها والثروة والشوكة. شرح صحيح مسلم 181/17.

(2) رواه مسلم في صحيحه ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب:النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ح 2846 من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(3) رواه البخاري في صحيحه ك: التفسير، باب: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [سورة القلم: 13]، ح 4634، من حديث حارثة بن وهب الخزاعي -رضي الله عنه-.

(4) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 181/17.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو الإعراض عن الأبله فالخلق لا يلتفتون إليه بل يُرضون عن الذين لا يحسنون قضايا دنياهم، وقد يكون أحدهم على إدراك لحقيقة الآخرة وبصيرة من ربه ومعرفة معاملته.

***

15- الكلاباذي (ت384هـ)

23) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**» قالوا: وما الْمُفَرِّدُونَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**»[1].

قال الكلاباذي -رحمه الله- بعد ذكره الحديث: «والمفرد الذي ليس معه غيره» وقال بعض الكبار: الذكر طرد الغفلة، فإذا ارتفعت الغفلةُ فأنت ذاكرٌ وإن سكتَّ»[2].

والمراد من ظاهر الحديث كما فسره رسول الله ﷺ، المفردون بالذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، وهذا المعنى هو مراد الحديث[3]، وأصل المفردين المعتزلون عن الناس من فرد إذا اعتزل وتخلّى للعبادة، فكأنه أفرد نفسه بالتبتل إلى الله تعالى، فهؤلاء قد سبقوا بنيل الزلفى والعروج إلى الدرجات العُلى[4].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** وهو المفردون وهم الذين يذكرون الله كثيرًا والذاكرات، وهذا المعنى الظاهر الذي بينه رسول الله ﷺ.

2- **المشار إليه:** المفرد من المفردين: هو المؤمن الكامل الذي لا يرى أحدًا إلا الله تعالى، فهو يخلو مع ربه وليس في قلبه ميل لخلقه وهذا غاية المراقبة، وهو المعنى الإشاري.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب:الحث على ذكر الله تعالى ح2676.

(2) التعرف لمذهب أهل التصوف 122.

(3) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 4/17، وفيض القدير 92/4.

(4) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر 425/3.

3- العلاقة بين المشير والمشار إليه: هي علاقة الاعتزال والتخلي، فليس مع الذاكر غير الله تعالى، وهذا معنى إشاري مقبول مأخوذ من أصل معنى المفردين، وكذلك الذي يذكر الله سبحانه فإنه منفرد بذكره ولا يذكر سواه.

* * *

24) عن أبي سَعيد الخُدْرِيّ -رضي الله عنه- قال قال رسول اللهِ ﷺ: «**يقول الرَّبُّ عز وجل من شَغَلَهُ القُرآنُ وذِكْرِي عن مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ ما أُعْطِي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللهِ على سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ على خَلْقِه**»(1).

قال الكلاباذي -رحمه الله- بعد الحديث: «معناه: من شغله مشاهدة عظمتي عن ذكر لسانه، لأن ذكر اللسان كله مسألة. وأخرى: أن مشاهدة العظمة تحيّره فتقطعه عن الذكر له، كما قال النبي ﷺ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ**»(2)»(3).

والمعنى الظاهر من الحديث: حث المؤمن على الاشتغال بذكر الله عز وجل ومنه القرآن الكريم، وأن الله تعالى سيكرمه على عطائه أكثر من عطائه لمن يسأله بالدعاء من خلقه(4).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

---

(1) رواه الترمذي في سننه ك: فضائل القرآن، باب ح2926 وقال: هذا حديث حسن غريب. والدارمي في سننه 533/2، والحديث حسن كما قال ابن حجر والسيوطي وغيرهما. انظر: اللآلئ المصنوعة 288/2.

(2) رواه مسلم في صحيحه ك: الصلاة، باب ما يقول في الركوع والسجود ح486 من حديث عائشة رضي الله عنها.

(3) التعرف لمذهب أهل التصوف 123، وللحكيم الترمذي كلام نحو كلام الكلاباذي. انظر: نوادر الأصول 64/3.

(4) انظر: مرقاة المفاتيح 33/5، وقد استُشْكِلَ هذا الحديث المقتضي لفضل ترك الدعاء حينئذ مع ورود الحثّ على الدعاء، وأجيب: بأن العقل إذا استغرق في الثناء كان أفضل من الدعاء، لأن الدعاء طلب الجنة والاستغراق في معرفة جلال الله أفضل من الجنة، أما إذا لم يحصل الاستغراق فالدعاء أولى لاشتماله على معرفة الربوبية وذل العبودية. انظر: شرح الزرقاني على موطأ مالك 44/2.

1- **المشير:** يقتضي الحديث أن الاشتغال بالذكر ومنه قراءة القرآن أفضل من الاشتغال بالدعاء وأجره أعظم وعطائه أجزل، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يذكر الكلاباذي -رحمه الله- معنى آخر لا يعارض المعنى الظاهر المتبادر، وهو أن من شغلهُ مشاهدة عظمة الله تعالى وجلال سلطانه وعظيم نواله عن ذكر لسانه الذي هو في الأصل طلب وله غرض دنيوي أو أخروي، فإن الله يكرمه بعطائه الذي لا يُحد ولا يُعد، الذي يقول عنه سبحانه: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٣٩﴾[1]، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** هي الانقطاع عن الله تعالى باستشعار الفقر إليه، وهي حاصلة بالذكر ومشاهدة عظمته، فإن الذكر يدل على المذكور، وهذا أصل كل عبادة شرعها الله جل جلاله.

* * *

25) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل الصَّوْمُ لي وأنا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ من أَجْلِي وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ حين يُفْطِرُ وَفَرْحَةٌ حين يَلْقَى رَبَّهُ وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ من رِيحِ الْمِسْكِ**»[2].

قال الكلاباذي -رحمه الله- بعد قوله ﷺ: «**وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ**»: «أي: حجاب عمّا دون الله في قوله: «**الصَّوْمُ لي وأنا أَجْزِي بِهِ**»»[3].

والمراد من ظاهر الحديث: أن الصوم ستر ومانع من الرفث والآثام ومانع أيضًا من

(1) سورة ص: 39.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة الفتح: 15] ح 7054.

(3) التعرف لمذهب أهل التصوف 161.

النار، وإنما كان الصوم جُنة من النار، لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات كما في الحديث الصحيح: «**حُفَّتْ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**»(1)، فإذا كفّ المؤمن نفسه عن الشهوات والآثام في الدنيا كان ذلك ساترًا له من النار غدًا(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** بيّن النبي ﷺ أن الصوم يقي الصائم من الوقوع في الآثام والشهوات ويقيه في الآخرة أيضًا من دخول النار، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** للكلاباذي -رحمه الله- معنى آخر للحديث فكما أن الصيام يقي الصائم من الشهوات والوقوع في النار، فهو أيضًا يمنعه من الركون عمّا سوى الله تعالى، فهو حجاب من كل ما يمنعه عن الوصول إلى الله سبحانه، وهذا المعنى الإشاري.

3- العلاقة بين المشير والمشار إليه: هو وجود صلة بينهما فهما يتفقان في أصل معنى جنة وهو المنع والحجب فالصوم يحجب صاحبه عن الإثم والنار ويحجبه أيضًا عمّا سوى الله تعالى فيتعلّق قلبه بالله وحده.

* * *

16- أبو علي الدقاق(3) (ت405هـ)

) عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ**»(4).

(1) رواه مسلم في صحيحه ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها ح 2822، من حديث أنس بن مالك.

(2) انظر: طرح التثريب في شرح التقريب للعراقي 90/4، وشرح صحيح مسلم للنووي 31/8.

(3) هو: الحسن بن علي الدقاق النيسابوري، أبو علي الشافعي الإمام الصوفي، لسان وقته وإمام عصره، صحب أبا القاسم النصراباذي وشيخ أبي القاسم القُشيري قال الغزالي عنه: كان زاهد زمانه وعالم أوانه، توفي سنة (405هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى 330/4، مرآة الجنان لليافعي 17/3، والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية 623/1.

(4) تقدم تخريج الحديث عند حديث رقم 8.

قال أبو علي الدقاق -رحمه الله- في معنى الحديث: «يُعمي عن الغير غَيرة، وعن المحبوب هيبةً»[1].

ومعنى ظاهر الحديث أن من الحب ما يعمي صاحبه عن طريق الرشد ويصمه عن استماع الحق، فالحديث يذم عن حب ما لا ينبغي الإغراق في حبه[2].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يدل الحديث أن من المحبة ما تعمي صاحبه وتصمه عن سماع الحق والتمادي في الباطل وترك طريق الرشد والهداية، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** لأبي علي الدقاق -رحمه الله- معنى آخر وهو أن المحبة الصادقة تعمي صاحبها عن غير المحبوب غَيْرة، وتعمي صاحبها عن المحبوب هيبةً وإجلالًا، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود صلة بينهما وهو العدول فالمعنى الظاهر عدول أصحاب المحبة المذمومة عن طريق الرشد والحق، والمعنى الإشاري عدول أصحاب المحبة الممدوحة عن الغير غَيْرةً، وعن المحبوب هيبةً وإجلالًا.

* * *

26) عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «**رَأَى أَعْرَابِيًّا يَبُولُ في المَسْجِدِ فقال دَعُوهُ حتى إذا فَرَغَ دَعَا بِمَاءٍ فَصَبَّهُ عليه**»[3].

---

(1) الرسالة القشيرية 401.

(2) انظر: فيض القدير 372/3، وما تقدم في الكلام عند حديث رقم 8.

(3) رواه البخاري في صحيحه ك: الوضوء، باب: ترك النبي ﷺ والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد ح216.

قال أبو علي الدقاق -رحمه الله-: «لمّا دخل الإعرابي مسجد رسول الله ﷺ، وبال فيه، وتبادر إليه الصحابة لإخراجه، إنما أساء الأعرابي الأدب، ولكن الخجل وقع على أصحابه، والمشقة حصلت لهم حين رأوا من وضع حشمته، كذلك العبد إذا عرف جلال قدره سبحانه يشقّ عليه سماع ذكر من يذكره بالغفلة، وطاعة من لا يعبده بالحرمة»(1).

ويدل ظاهر الحديث أن الصحابة -رضي الله عنهم- ثاروا على الإعرابي، لبوله في المسجد الشريف، وهو يتنافى مع بيوت الله تعالى، ولهذا زجروه باللسان، ويدل الحديث على تعظيم المسجد وتنزيهه عن الأقذار، وهذا مأخوذ من فعل الصحابة -رضي الله عنهم-(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** دلّ الحديث على غضب الصحابة -رضي الله عنهم- عندما بال الإعرابي في المسجد، واستنكروا هذا الفعل وكان شاقًا عليهم، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** استنبط أبو علي الدقاق -رحمه الله- معنىً جديدًا من فعل الصحابة -رضي الله عنهم- في الحديث وهو أن المؤمن الذي تمكنت معرفة الله في قلبه أنه يشق عليه ويثقل عندما يرى أو يسمع من يغفل عن الله أو من يفرّط في حق الله تعالى، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** حصول المشقة عند رؤية المخالفة وإساءة الأدب مع الرب سبحانه، فالصحابة -رضي الله عنهم- حصلت لهم المشقة عندما رأوا الإعرابي يبول في المسجد، والعارف بالله تعالى تحصل له المشقة والضجر عندما يرى من يُخلُّ بأدبٍ من آداب الشريعة الغرّاء.

* * *

(1) انظر: الرسالة القشيرية 332.

(2) انظر: فتح الباري 324/1.

17- أبو القاسم عبد الكريم هوازن القشيري النيسابوري (ت 465هـ)

27) عن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: قلتُ: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك وليسعكَ بيتُك وابكِ على خطيئتك**»[1].

قال القشيري -رحمه الله- في باب الصمت بعد إسناده الحديث المذكور وتعريفه الصمت: «والسكوت على قسمين: سكوت بالظاهر، وسكوت بالقلب والضمائر، فالمتوكل: يسكت قلبه عن تقاضي الأرزاق والعارف: يسكت قلبُه مقابلة للحكم بنعت الوفاق»[2].

قول النبي ﷺ: «**أمسك عليك لسانك**» يدل ظاهره على وجوب حفظ اللسان وصونه من الكذب والغيبة وغيرهما ومن كل ما لا يعود على صاحبه بالخير، وذلك لعظم خطر اللسان وكثرة ضرره[3].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** الحث على إمساك اللسان فيما لا نفع فيه وأنه سبب من أسباب النجاة في الآخرة بالإضافة إلى الاعتزال في الفتن والبكاء على الخطيئة، وهذا الظاهر من الحديث.

2- **المشار إليه:** يدل الحديث على الأمر بالسكوت وهو شامل أيضًا لسكوت القلب عن الاعتراض على الله تعالى بل ورضى القلب بحكمه وقضائه، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود الصلة بينهما وهو عدم الاعتراض على حكم الله سبحانه وقسمته بين خلقه، فالمعترض بلسانه أو بقلبه على ما يقضيه الخالق

---

(1) رواه أحمد في مسنده 148/4، والترمذي في سننه واللفظ له ك: الزهد، باب: ما جاء في حفظ اللسان، ح 2406، وقال: هذا حديث حسن، والبيهقي في شعب الإيمان 492/1، والطبراني في معجمه الكبير 270/17، والقشيري بسنده في الرسالة 187، وقال الهيثمي رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد 299/10.

(2) الرسالة القشيرية 188.

(3) انظر: فيض القدير 197/2.

في الخلق يُعدُّ ابتعادًا عن طريق النجاة.

* * *

28) عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المسكين ليس بالطوَّاف الذي تردُّه اللُّقمةُ واللُّقمتان، والتمرةُ والتّمرتان**» قال فقيل: مَن المسكين يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يجد ما يُغْنيهِ ويستحي أن يسأل الناس ولا يُفْطَنُ له فيُتصدَّقَ عليه**»(1).

قال القشيري -رحمه الله- بعد روايته الحديث بإسناده: «معنى قوله: «**ويستحي أن يسأل الناس**» أي: يستحي من الله تعالى، أن يسأل الناس، لا أنه يستحي من الناس»(2).

وقوله ﷺ: «**ويستحي أن يسأل الناس**» ظاهره الحياء من الناس وهذا من حسن أخلاقه وهو مطلوب هنا كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾(3)،(4).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يرشد الرسول ﷺ إلى اعتناء المتصدق بالمسكين المتعفف الذي لا يسأل أحدًا من الناس ولا يظهر حاجة إليهم، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يذكر القشيري -رحمه الله- معنى آخر يشمله قوله النبي ﷺ: «يستحي أن يسأل الناس» وهو أنه لا يعني الحياء من الناس فقط، بل حقيقة الحياء أن يستحي من الله عز وجل مما يجعل صاحبه أن لا يسأل أحدًا من الناس لئلا ينزل حاجته بغير الله سبحانه، وهذا المعنى الإشاري.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: الزكاة، باب: قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [سورة البقرة: 273]، ح1406، ومسلم في صحيحه ك: الزكاة، باب المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه، ح1039، ورواه القشيري بسنده واللفظ له الرسالة القشيرية 345.

(2) الرسالة القشيرية 345.

(3) سورة البقرة: 273.

(4) انظر: عمدة القاري 60/9.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود علاقة بينهما وهو الخوف من الله تعالى بترك الشكوى، فالمسكين لا يشكو حاله إلى الناس ليُعطى من الصدقات، فمن خاف الله تعالى فوض أمره إليه ولم يلتفت إلى خلقه امتثالًا لقول النبي ﷺ: «**من نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لم تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللهِ فَيُوشِكُ الله له بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أو آجِلٍ**»(1).

***

29) عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ كان إذا اسْتَوَى على بَعِيرِهِ خَارِجًا إلى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾(2)، «**اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ في سَفَرِنَا هذا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَمِنْ الْعَمَلِ ما تَرْضَى اللهم هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هذا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ اللهم أنت الصَّاحِبُ في السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ في الْأَهْلِ اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من وَعْثَاءِ السَّفَرِ وكَآبَةِ الْمَنْظَرِ وَسُوءِ المنقلبِ في المالِ وَالْأَهْلِ وإذا رَجَعَ قالهن وزاد فِيهِنَّ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ**»(3).

قال القشيري -رحمه الله- في باب أحكامهم في السفر وروايته الحديث بإسناده: «واعلم أن السفر على قسمين: سفر بالبدن: وهو الانتقال من بقعة إلى بقعة، وسفر بالقلب: وهو الارتقاء من صفة إلى صفة، فترى ألفًا يُسافر بنفسه وقليل من يسافر بقلبه»(4).

المراد بالسفر في الأحاديث هو الانتقال والذهاب من مكان إلى مكان آخر سواء كان

---

(1) رواه أحمد في مسنده 407/1، والترمذي في سننه واللفظ له، ك: الزهد، باب: ما جاء في الهم في الدنيا وحبها ح 2326، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وأبو داود في سننه ك: الزكاة، باب: في الاستعفاف ح 1645، والحاكم في المستدرك 566/1، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-.

(2) سورة الزخرف: 13، 14.

(3) رواه مسلم في صحيحه واللفظ له ك: الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره ح 1342، والقشيري في الرسالة القشيرية 365.

(4) الرسالة القشيرية 366.

بالسير على الأقدام أو بالركوب على حيوان أو سيارة أو طائرة في العصر الحديث(1).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** المراد بالسفر في الحديث هو الذهاب من مكان إلى مكان آخر على مختلف وسائل النقل، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يذكر القشيري -رحمه الله- معنى آخر للسفر وهو سفر القلب فالقلب ينتقل من صفة إلى صفة أخرى بالتفكر في خلق الله تعالى تارة، وبالنظر إلى تقصير النفس، وهما طريقان لمعرفة الله تعالى، وهذا السفر وهو سفر الباطن بالقلب إلى الله تعالى يشير إليه قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾(2)، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود صلة بينهما وهو الانتقال والذهاب، فالمسافر بنفسه يذهب إلى مكان آخر غير الأول، والمسافر بقلبه يذهب إلى النظر إلى عظمة الله تعالى والنظر في تقصيره في جناب ربه.

* * *

18- الغزالي (ت 505هـ)

30) عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا يَزَالُ اللهُ عز وجل مُقْبِلًا على الْعَبْدِ وهو في صَلَاتِهِ ما لم يَلْتَفِتْ فإذا الْتَفَتَ انْصَرَفَ عنه»**(3).

(1) انظر: فيض القدير 81/4، 82.

(2) سورة الصافات: 99.

(3) رواه أبو داود في سننه واللفظ له، ك: الصلاة، باب الالتفات في الصلاة ح909، والنسائي في سننه ك: السهو، باب: التشديد في الالتفات في الصلاة ح 1195، والحاكم في المستدرك 361/1، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأبو الأحوص هذا مولى بني الليث تابعي من أهل المدينة وثقه الزهري وروى عنه. وقال النووي: رواه أبو داود والنسائي بإسناد فيه رجل فيه جهالة، ولم يضعفه =

قال الغزالي -رحمه الله-: «وأما دوام القيام فإنه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور. قال ﷺ: «**إن الله عز وجل مُقْبل على المصلي ما لم يلتفت**»، وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات، فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة، فإذا التفت إلى غيره فذكره باطلاع الله عليه وبقُبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود إليه»(1).

والحديث دلّ ظاهره على كراهة الالتفات بالرأس أثناء الصلاة وسبب كراهة الالتفات يحتمل: أن يكون لنقص الخشوع أو لترك استقبال القبلة ببعض البدن(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** كراهة التفات المصلي برأسه في الصلاة، لأن ذلك سبب لإعراض الله عز وجل عنه، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** إن انصراف قلب المصلي عن الحضور في الصلاة سبب لإعراض الله تعالى عنهُ، فلا ينبغي أن يلتفت المصلي في صلاته إلى غير الله تعالى من الخواطر الدنيوية ونحوها، لئلا يتعرض لرد صلاته عليه، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود صلة بينهما وهو الإعراض، فالإعراض قد يكون بصرف الوجه عن القبلة، وقد يكون بصرف القلب عن الحضور في الصلاة بإشغال القلب بالدنيا وملذاتها.

* * *

=

أبو داود فهو حسن عنده. والرجل الذي فيه جهالة هو أبو الأحوص، وقد وثقه ابن حبان والزهري كما تقدّم. انظر: خلاصة الأحكام للنووي 480/1، ونصب الراية للزيلعي 89/2.

(1) إحياء علوم الدين 198/1.

(2) انظر: فتح الباري 234/2.

31) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ **«مَثَلُ الذي يَجْلِسُ يَسْمَعُ الْحِكْمَةَ ثُمَّ لَا يحدث عن صَاحِبِهِ إلا بِشَرِّ ما يَسْمَعُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أتى رَاعِيًا فقال: يا رَاعِي اجزرني شَاةً من غَنَمِكَ قال اذْهَبْ فَخُذْ بِأُذُنِ خَيْرِهَا فَذَهَبَ فَأَخَذَ بِأُذُنِ كَلْبِ الْغَنَمِ»**(1).

قال الغزالي -رحمه الله- بعد ذكره الحديث: «وكل من ينقل هفوات الأئمة فهذا مثاله أيضًا»(2).

دلّ الحديث النهي عن إيثار الضار على النافع، فبدلًا من أن يستفيد المسلم من الحكمة ونحوها مّما ينفع يأخذ الشيء الضار السيئ(3).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يخبرنا النبي ﷺ عن ترك ما يضر المسلم، والاستفادة من النافع كالحكمة، فلا يأخذ الحِكم السيئة التي يُستعان بها على الشر، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يقرر الغزالي -رحمه الله- معنى الحديث ويزيد معنى آخر وهو ذم من يتتبع هفوات العلماء، والمسائل الشاذة التي قال بها أحد من أهل العلم، لأن العصمة للأنبياء، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف تتبع الشاذ السيئ، فالذي يتبع

---

(1) رواه أحمد في مسنده 405/2، وابن ماجه في سننه واللفظ له، ك: الزهد، باب: الحكمة ح 4172، والبيهقي في شعب الإيمان 269/2، وأبو يعلى مسنده 275/11، كلهم من طريق علي بن زيد بن جدعان وهو مختلف فيه وقد وثّقه يعقوب بن شيبة والترمذي وضعفه جماعة، وقد حسّن حديثه السيوطي وغيره. انظر: تهذيب الكمال 434/20، الكاشف 40/2، والمغني عن حمل الأسفار 545/1، وفيض القدير 510/5، والمداوي للغماري 542/5.

(2) إحياء علوم الدين 253/2.

(3) انظر: فيض القدير 510/5.

الضار ويترك النافع، هو كمن يتتبع زلات العلماء بجامع تتبع الشاذ المذموم.

* * *

32) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**الدُّنيا سِجْنُ المؤمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ**»(1).

قال الغزالي -رحمه الله- بعد ذكره الحديث: «والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد إلا الحياة الدنيا ورضي بها واطمأن إليها، والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين إلى الخروج منها، والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي، وبقدر حب الدنيا فى القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب إلا الواحد الحق...»(2).

والمراد من الكافر في ظاهر الحديث هو: الذي لا يؤمن بالله ولا يصدق بأنبيائه تعالى، وعكسه المؤمن، ومعنى الحديث: كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة، مكلّف بفعل الطاعات الشاقة التي تطاق، فإذا مات استراح من هذا، وانقلب إلى ما أعدَّ الله تعالى له من النعيم الدائم، وأما الكافر فإنمّا له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد(3).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يقرر النبي ﷺ أن الدنيا دار ابتلاء فهي بمثابة سجن للمؤمن؛ لأنه مقيّد بترك المحرمات، وأن الدنيا بمثابة جنة للكافر؛ لأنه يفعل ما يحلو له من الشهوات دون ضابط، وهذا المعنى الظاهر.

(1) رواه مسلم في صحيحه ك: الزهد والرقائق ح2956.

(2) إحياء علوم الدين 136/4.

(3) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 93/18.

2- المشار إليه: يشير الحديث إلى معنى جديد وهو أن الكافر قد يشمل المؤمن المقصّر المنهمك في الدنيا، لأنه كفر بنعمة الله عليه ولم يُسخّر ما وهبه الله في طاعته ولم يشكره، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾(1)، وأما المؤمن الحق هو الذي لا يريد بفعله إلا وجه الله فلم ينظر لدنيا أو شهوة، وهذا المعنى الإشاري.

3- العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه: وجود وصف الإعراض، فالكافر الحقيقي أعرض عن الإيمان بالله تعالى والانقياد لوحي السماء، وأما الكافر المَجازي الذي لا يخرج صاحبه عن دائرة الإيمان فقد أعرض أيضًا عن الله تعالى فلم يقصد إلا نيل لُعاعةٍ الدنيا وزهرتها، وفُتِنَ بها حتى فرِحَ بها، وليس هذا طريق المؤمن الكامل.

* * *

19- عبد القادر الجيلاني(2) (ت 561هـ)

33) عن علي -رضي الله عنه- قال: «يهتفُ العلمُ بالعمل فإنْ أجابه وإلا ارتحل»(3).

قال عبد القادر الجيلاني -رحمه الله- بعد ذكره الحديث: «ترتحل بركته وتبقى محنته،

---

(1) سورة إبراهيم: 7.

(2) هو: عبد القادر بن موسى الجيلاني الحسني ويقال له: الجيلي، محيي الدين أبو محمد، الحنبلي، الإمام العارف بالله صاحب الطريقة القادرية، من كبار الزّهاد والصوفية ولد في جيلان سنة (471هـ) ثم انتقل إلى بغداد فتلقى العلم وظهر، من مصنفاته: الغُنية لطالبي طريق الحق، والفتح الرباني والفيض الرحماني وغيرهما، توفي سنة (561هـ). انظر: البداية والنهاية 252/12، ومرآة الجنان لليافعي 242/3، ولواقح الأنوار في طبقات الأخيار 108/1.

(3) رواه الخطيب في اقتضاء العلم والعمل عن علي موقوفًا 36، ورواه أيضًا عن محمد بن المنكدر من قوله، ورواه ابن عساكر عن ابن المنكدر في تاريخ دمشق 66/56، وهذا الحديث لم أجده مرفوعًا عن النبي ﷺ إلّا أنه في حكم المرفوع، لأن الذي يخبر عن ذهاب العلم بسبب عدم العمل به لا يُتلقّى إلا عن الشارع الحكيم -والله أعلم-.

ترتحل شفاعته لك من مولاه»[1].

معنى الحديث أن العلم يدعوا أصحابه أن يعملوا به، وأن يُطبّقوه في حياتهم حتى لا يكون حجة عليهم وإلّا فإن العلم يذهب من أصحابه، بأن لا يفقهوا شيئًا منه كأنهم لم يتعلموا وهذا حقيقته[2].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يرشد الحديث إلى العمل بالعلم، فإن مقصود العلم العمل فإن لم يعمل صاحبه به كان وبالًا عليه، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يذهب الجيلاني -رحمه الله- إلى أن للحديث معنى جديدًا، وهو أن العالم إن لم يعمل بعلمه، فإن بركة العلم تذهب عنه ولا ينفع الله به أحدًا من الناس، ويكون على صاحبه فتنة، ويُعذّب العالم بتركه العمل به يوم القيامة، لحديث: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يوم الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِه فَيَدُورُ بها كما يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إليه أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يا فُلَانُ مالك أَلَـمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالمعروفِ وَتَنْهَى عن المنكرِ فيقول بَلَى قد كنت آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ولا آتِيهِ وَأَنْهَى عن المنكرِ وَآتِيهِ**»[3]، وهذا المعنى الإشاري وهو: كناية عن نزع البركة مع بقاء العلم.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** ارتباطهما في نزع العلم فالمشير يُنزع العلم من صاحبه حقيقة، والمشار إليه ينزع العلم أي: بركته ونفعه، وهذا مجاز.

***

---

(1) الفتح الرباني والفيض الرباني 23.

(2) انظر: قوت القلوب 223/1.

(3) رواه البخاري في صحيحه ك: الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله ح2989، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

34) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**تُنْكَحُ المرأةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»(1).

قال الجيلاني -رحمه الله-: «تَنَبَّه قبل أن تُنَبَّه بلا أمرك، تَدَيَّن وخالط أهل الدين، فإنهم هم الناس، أعقل الناس من أطاع الله عز وجل، وأجهل الناس من عصاه، قال النبي ﷺ: «**تَرِبَتْ يَدَاكَ**» يعني: افتقرت، وأترب: إذا استغنى، إذا خالطت أهل الدين وأحببتهم استغنت يداك»(2).

معنى الحديث الظاهر: الحث والترغيب لصاحب الدين والمروءة أن يكون الدين مَطمح نظره في كل شيء، لاسيما فيما تطول صحبته فأمر النبي ﷺ المسلم بتحصيل المرأة الصالحة صاحبة الدين(3).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يُرغّب النبي ﷺ الشاب طالب العفاف، أن يتزوج من المرأة الصالحة المتدينة، ففيها السعادة والغنى، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يفيد الحديث معنى آخر أدركه الجيلاني -رحمه الله- وهو أن المسلم ينبغي أن يتدين بأخلاق الإسلام، وذلك بصحبة وبمجالسة أهل الدين والتقوى دومًا، ينتفع بهم ويُقتدى بأحوالهم الفاضلة، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتفاقهما في دوام الخلطة والمجالسة، فالزوج مجالس لزوجه، والمسلم مجالس لأهل التقوى، فينبغي أن يظفر كلًّا منهما بصحبة الأخيار المتدينين.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: النكاح، باب: الأكفاء في الدين ح4802.

(2) الفتح الرباني 39. وانظر: النهاية في غريب الأثر 184/1.

(3) انظر: فتح الباري 135/9.

35) عن الزبير بن أبي هالة -رضي الله عنه- قال: قال رسول ﷺ: «**آلا وإنّي بريءٌ من التَّكلفُ وصَالح أمتي**»[1].

قال الجيلاني -رحمه الله- بعد ذكره الحديث: «التقي لا يتكلّف[2] عبادة الحق عز وجل، لأنها صارت طبعه، فهو يعبد الله بظاهره وباطنه من غير تكلّف منه، وأما المنافق فهو في كل أحواله يتكلّف، ولاسيما في عبادة الحق عز وجل، يتكلفها ظاهراً ويتركها باطنًا، لا يقدر أن يدخل مدخل المتقين»[3].

والحديث يدل ظاهره على النهي عن التكلف في أمور الحياة، كالضيافة ونحوها، لأن التكلّف قد يكون سبباً للكراهية، وقد قيل: لا أُلفه مع كلفة[4].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- المشير: يرشد النبي ﷺ أنه والصلحاء من أمته يتبرؤون من التكلّف، وإلزام الإنسان نفسه بما لا يطيق، لأن الإسلام نهى عن ذلك وجعل ذلك سبباً لتنافر القلوب، وهذا المعنى الظاهر.

---

(1) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق 278/35، ونقل عن أبي حاتم أن ابن أبي هالة: هو ابن خديجة زوج النبي ﷺ، والحديث سنده ضعيف ويتقوى بحديث عمر -رضي الله عنه- قال: «نهُينا عن التكلّف» رواه البخاري في صحيحه ك: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: ما يكره من كثرة السؤال وتكلّف ما لا يعنيه ح6863، وقد ذكر له السيوطي شاهدًا آخر، ويتقوى معنى الحديث بقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ [سورة ص: 86]. انظر: اللآلئ المصنوعة 392/1، والمقاصد الحسنة171.

(2) التكلّف: من كلفه الشيء تكليفًا إذا أمره بما يشق عليه، وتكلفت الشيء إذا تجشمته على مشقة وعلى خلاف عادتك. انظر: النهاية في غريب الأثر 196/4.

(3) الفتح الرباني 48.

(4) انظر: مرقاة المفاتيح 501/4، وكشف الخفاء 238/1.

2- **المشار إليه:** فهم الجيلاني -رحمه الله- من الحديث معنى يشمله الحديث أيضًا وهو أن الأتقياء بطبيعتهم لا يتكلفون طاعة الله عز وجل، فهم يقومون بها طبعًا ورغبةً، ومحبةً وشوقًا حتى صارت من طبعهم بخلاف المنافقين يجدونها ثقيلة متعبة، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** هو القيام بالأعمال بالرغبة والطبع دون تكلّف وتنطع، فالأتقياء لا يتكلفون في أمور حياتهم؛ معاشهم وعلاقاتهم الأخوية، وكذلك الأتقياء يأتون العبادة بشُوق وذوق، وليس بمشقة ومُكابدة كما يجدون فيها من حلاوة الإيمان ولذة العبودية المحضة.

36) عن جابر -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عليها فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلأَهْلِكَ فَإِنْ فَضَلَ عن أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عن ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا يقول فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ**»(1).

قال الجيلاني -رحمه الله-: «هذّب نفسك بصحبة من هو أعلم منك، اشتغل بإصلاحها ثم انتقل إلى غيرها، قال النبي ﷺ «**ابدأ بنفسك ثم بمن تعول**»(2)»(3).

(1) رواه مسلم في صحيحه ك: الزكاة، باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة ح997.

(2) نصَّ أهل العلم أنه لم يرد حديث بهذا اللفظ قال ابن الملقن -رحمه الله-: هذا الحديث -أي: «**ابدأ بنفسك ثم بمن تعول**»- يتكرر على ألسنة جماعات من أصحابنا، كالإمام، والغزالي، وصاحب المهذب، وغيرهم، ولم أره كذلك في حديث واحد. انظر: البدر المنير 626/5، ومثله في التلخيص الحبير لابن حجر 184/2، وقد وردت كلمة «بمن تعول» في أحاديث مستقلة منها حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**خَيْرُ الصَّدَقَةِ ما كان عن ظَهْرِ غِنًى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**» رواه البخاري في صحيحه ك: النفقات، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال ح 5041.

(3) الفتح الرباني 162.

ومعنى الحديث الأمر بالابتداء في النفقة على الإنسان نفسه أولًا ثم ينفق على من يعولهم الأقرب فالأقرب(1).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يأمر النبي ﷺ المسلم أن يبدأ في النفقة على نفسه قبل غيره وبعد ذلك ينفق على أهله الأقرب الأقرب، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يستنبط الجيلاني -رحمه الله- معنى آخر من الحديث وهو أن المسلم يجب عليه أن يصلح نفسه الأمّارة بتهذيبها بتعاليم الشرع عن طريق العلماء الربانيين، فإن أصلح نفسه فعليه إصلاح غيره بإرشادهم، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** الصلة بينهما هو البدء بالنفس فظاهر الحديث أرشد إلى أن يبدأ الإنسان بنفسه في النفقة، ومعناه الإشاري يرشد إلى أن يبدأ الإنسان بنفسه في إصلاحها بالتخلي عن الرذائل وبالتحلي بالفضائل.

* * *

37) عن طارق بن أشيم -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**نعمتَ الدارُ الدُّنيا لِمَن تزوّد منها لآخرتِه**»(2).

---

(1) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 83/7.

(2) رواه الحاكم في المستدرك 348/4، وقال:هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والديلمي في مسند الفردوس 269/4، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال 249/3، والعقيلي في الضعفاء الكبير 89/3، وقال: هذا يروى عن علي من قوله. وابن الجوزي في العلل المتناهية 798/2، وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ وإنما يروى نحو هذا الكلام عن علي عليه السلام وعبد الجبار مجهول، والحديث غير محفوظ. والحديث إسناده ضعيف كما قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار 992/2، وورد نحو هذا الحديث عن جرير -رضي الله عنه- مرفوعًا بلفظ: «**من يتزود في الدنيا ينفعه في الآخرة**» رواه الطبراني في معجمه الكبير 305/2، وابن عساكر في تاريخ دمشق =

قال الجيلاني -رحمه الله- بعد ذكره الحديث: «زرع هذه الزراعة بالقلب والبدن هو الإيمان، والحراثه لها وجلب الماء إليها وسقيها بالأعمال الصالحة، إذا كان هذا القلب فيه لين ورأفة ورحمة نبت فيه، وإذا كان قاسياً فظًّا غليظًا كانت أرضه سَبْخة، والسَّبْخ لا ينبت الزراع، إذا زرعت على رأس جبل لا ينبت فيه فهو إلى الهلاك أقرب»(1).

يدل الحديث على الحث على الجد والاجتهاد في الأعمال الصالحة في الحياة الدنيوية، وأن يستفيد من أوقاتها ليحصد جهده في الآخرة، فالدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء.

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يشير الحديث إلى الاجتهاد بالعمل الصالح في الدنيا للنجاة في الآخرة، فلكل مجتهد نصيب، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** أن القلب هو محل الزرع والثمار، فإن كان القلب متأهلًا تقيًّا كان العمل مقبولًا، وإن كان القلب سيئًا قاسياً كان العمل غير مثمر ولا نافع، لأن القلب أصابه الران قال الله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾(2)، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود علاقة بينهما قبول التأثر بالخير

=

349/57، إلا أن في سنده هشام بن عمار، قال أبو حاتم لما سئل عن حديثه هذا: صدوق وقد تغيّر فكان كلّما لقنه تلقّن فأظن هذا مما لُقّن. انظر: علل الحديث لأبي حاتم 153/2، وميزان الاعتدال للذهبي 86/7، وذكر الجيلاني -رحمه الله- الحديث بلفظ: «**الدنيا مزرعة الآخرة**» ولم يرد -والله أعلم- في شيء من كتب الحديث المسندة، وقال علي القاري: معناه صحيح يقتبس من قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ٢٠﴾ [سورة الشورى: ٢٠]. انظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة 199.

(1) الفتح الرباني والفيض الرحماني 163.

(2) سورة المطففين: 14.

أو الشر، فالدنيا قد يفعل فيها الإنسان خيرًا أو شرًا، وكذلك القلب قد يرده الإيمان والهدى كالخواطر الإيمانية أو النفاق والردى كالخواطر الشيطانية.

* * *

20- أحمد الرفاعي (ت 578هـ)

38) عن عمار بن ياسر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**ذُو الوجْهينِ في الدُّنيا، ذُو لِسانَيْن في النَّارِ**»(1).

قال أحمد الرفاعي -رحمه الله- بعد روايته الحديث بسنده: «ولهذا صرف العارفون وجوههم إلى الله تعالى، فلن ترى للعارف وجهتين أصلًا، ومن هذا السر أمروا بعدم الجمع بين أستاذين، وقالوا: إذا وُجد الأكمل الأفضل في طريق الله تعالى، الأصح إتباعًا لرسول الله ﷺ، فعلى المريد أن يتمسك به، بل على من كان يزعم المشيخة، أن يلتحق به هو وأولاده في الطريق، وهذا ضرب من أعظم المعرفة بالله»(2).

والمعنى الظاهر من الحديث ذم ذي الوجهين الذي يأتي كل طائفة من الناس بما يرضيها، فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها، وصنيعه هذا نفاق وتحّيل على الاطلاع على أسرار الطائفتين، وهي مُداهنة محرّمة(3).

---

(1) رواه أبو داود في سننه بلفظ: «**من كان له وَجْهَانِ في الدُّنْيَا كان له يوم الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ من نَارٍ**» ك: الأدب، باب: في ذي الوجهين ح 4873، وابن حبان في صحيحه 68/13، والبيهقي في السنن الكبرى 246/10، والرفاعي واللفظ له حالة أهل الحقيقة مع الله 24، والحديث حسن لكثرة طرقه كما حسّنه العراقي السيوطي وأحمد الغماري. انظر: المغني عن حمل الأسفار 830/2، وفيض القدير 568/3، والمداوي للغماري 88/4.

(2) حالة أهل الحقيقة مع الله 24.

(3) انظر: فيض القدير 568/3، وتحفة الأحوذي 144/6.

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** في الحديث تحريم أن يأتي الرجل قومًا بوجه ثم يأتي قومًا آخر بوجه آخر مُوهمًا أنه مخالف الآخرين، وفي هذا ضرر ونفاق، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** أفاد الرافعي -رحمه الله- معنى آخر للحديث وهو أن العارف بالله يجب أن لا يصرف وجهه وقصده إلا لله وحده.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود صفة المخادعة فيهما، ومُطلق ذي الوجهين شامل لهما[1]، فالذي يخادع الناس يأتيهما بوجهين مختلفين، والعبد الذي يرُائي في عمله ابتغاء محْمَدة الخلق، فإنه لم يقصد وجه الله تعالى، وهذا حاله على خطر قال الله تعالى في وصفه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[2].

* * *

39) عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنْصُر أخاك ظالمًا كان أو مظلومًا، قال: انصُره مظلومًا، فكيف انصره ظالمًا؟ قال: تمْنعهُ من الظلم، فذلك نصْرُكَ إيّاه**»[3].

قال أحمد الرفاعي -رحمه الله- بعد روايته الحديث بسنده: «أقول: هذا بشأن أخيك، فكيف بك بشأنك؟ أخيفوا نفوسكم وامنعوها وازجروها»[4]، ثم تحدّث عن الخوف وفضله وقول الله تعالى في أحبابه: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ

(1) انظر: التمهيد لابن عبد البر 261/18، فتح الباري 475/10.

(2) سورة النساء: 142.

(3) رواه البخاري في صحيحه ك: الإكراه، باب: يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه ح 6552، والرفاعي واللفظ له في حالة أهل الحقيقة مع الله تعالى 30.

(4) حالة أهل الحقيقة مع الله تعالى 30.

ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٣٧﴾[(1)].

والمعنى الظاهر من الحديث الحث على محبة المؤمنين فيما بينهم، وذلك بنصرتهم بالوقوف مع المظلوم وكف الظالم عن ظلمه ومنعه[(2)].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه مما يأتي:

1- **المشير:** الحث على المحافظة على الصديق والاهتمام بشأنه، والوقوف مع المظلوم وردع الظالم، وهذا المعنى المتبادر.

2- **المشار إليه:** منع المؤمن نفسه من ظلمه وتخويفها بالله تعالى، ليكون أبعد عن ظلم غيره من عباد الله تعالى، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتحادهما في المنع من الظلم سواء كان ظلم الغير للغير أو ظلم الإنسان لنفسه.

* * *

40) عن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**المرءُ في ظلِّ صدقته حتى يقضى بين الناس**»[(3)].

قال أحمد الرفاعي -رحمه الله- بعد روايته الحديث بسنده: «هذا لكونه ترك شيئًا قليلًا

(1) سورة النور: 37.

(2) انظر: فتح الباري 98/5، وفيض القدير 59/3.

(3) رواه أحمد في مسنده 147/4، والحاكم في المستدرك 576/1، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وابن خزيمة في صحيحه 94/4، وابن حبان في صحيحه 104/8، والرفاعي واللفظ له في حالة أهل الحقيقة مع الله تعالى 55، والحديث صحيح. انظر: مجمع الزوائد 110/3، وفيض القدير 12/5.

من ما تحبه نفسه لربه، فكيف إذا خرج عن نفسه بالكلية؟»[1].

والمعنى الظاهر من الحديث: أن المتصدق يُكفى المخاوف، ويصير في كنف الله تعالى وستره، يُقال: أنا ظل في فلان أي: في داره وحِماه، أو المراد الحقيقة بأن تجسّد الصدقة فيصير لها بها ظل بخلق الله وإيجاده[2].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يدل الحديث على فضل الصدقة وخروج المسلم عن ماله لوجه الله تعالى، فينالُ لطف ربه به، وتظله صدقته يوم القيامة من حر الشمس، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** فهم أحمد الرفاعي -رحمه الله- فهمًا مفيدًا مع تقريره لظاهر الحديث وهذا المعنى طلب خروج المسلم عن نفسه لله رب العالمين، فيهب نفسه كلها لخالقه وباعثه فينال أجرًا عظيمًا مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾[3]، والإنسان بطبعه يحب نفسه كماله ولكنه مأمور ببذلهما فيما أمر به، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** هو وجود وصف الخروج عن شيء، فيخرج المسلم عن ماله صدقة لله تعالى، ويخرج عن نفسه لوجه الله الكريم بالجهاد في سبيل الله أو في مرضاته.

* * *

(1) حالة أهل الحقيقة مع الله تعالى 55.

(2) انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك 436/4، وفيض القدير 12/5.

(3) سورة التوبة: 111.

21- أبو مدين المغربي[1] (ت 590هـ)

41) عن أبي شُرَيْحٍ الخُزَاعِيّ -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ جَائِزَتُهُ قِيلَ: ما جَائِزَتُه، قال: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَسْكُتْ**»[2].

سئل أبو مدين -رحمه الله- لماذا المشايخ يدخلون في الأسباب وأنت لا تدخل فيها؟ فقال: «الدنيا دار الله، ونحن ضيوفه وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ**» قلنا: عند الله ثلاثة أيام ضيافة، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾[3]، قلنا: عند الله ثلاثة الآلف سنة ضيافة، مدة إقامتنا في الدنيا منها، وهو مُكّمل ذلك بفضله في الدار الآخرة، وزائد على ذلك الخلود الدائم؟»[4].

يدل الحديث على الأمر بالضيافة والاهتمام بها وعظم موقعها، وهي من متأكدات الإسلام وأنها ثلاثة أيام وأن يتحفه في اليوم الأول وما بعده فهو صدقة[5].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** دلّ الحديث على أن الضيافة تكون ثلاثة أيام فقط، وأنها مطلوبة شرعًا، وهي من مكارم الأخلاق، وهذا المعنى الظاهر.

---

(1) هو: شعيب بن الحسين أبو مدين الأندلسي الزاهد شيخ أهل المغرب، كان كبير الصوفية والعارفين في عصره، وكان من أهل العمل والاجتهاد منقطع القرين في العبادة والنسك وقد أجمع المشايخ على إجلاله، توفي نحو سنة (590هـ). انظر: سير أعلام النبلاء 219/21، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان 469/3، ولواقح الأنوار في طبقات الأخيار للشعراني 131/1.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: الرقائق، باب: حفظ اللسان ح6111.

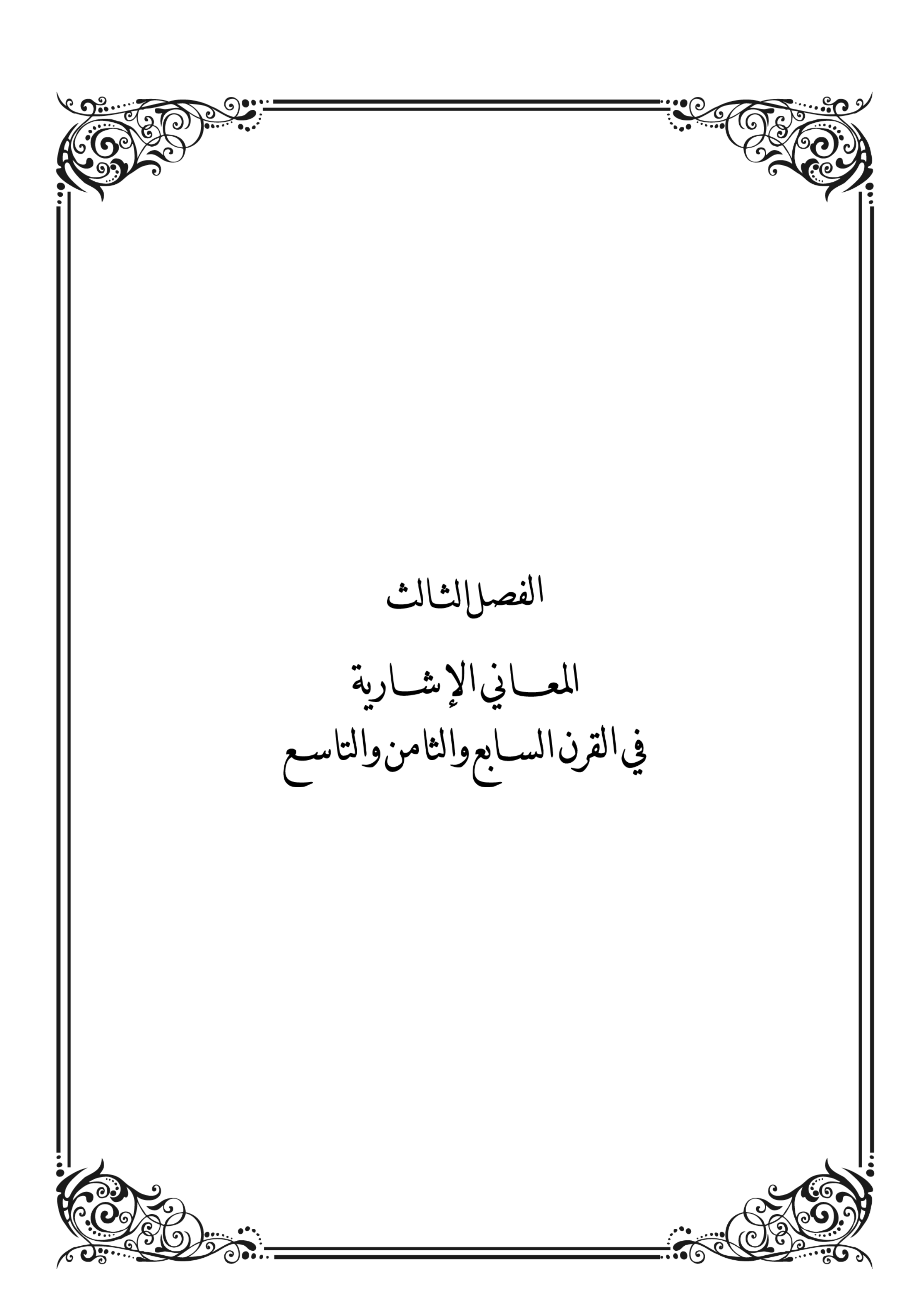
(3) سورة الحج: 47.

(4) انظر: التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله 29.

(5) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي30/12، وفتح الباري 310/11.

2- المشار إليه: أخذ أبو مدين -رحمه الله- من الحديث أن الخلق كلهم ضيوف الله تعالى، لأن الدنيا داره هو خلقها، فهو يُكرم ضيوفه الآلف السنين، فلا ينبغي للمسلم العاقل أن يركن إلى الأسباب، وهذا المعنى الإشاري.

3- العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه: وهو وجود وصف ترك الأسباب، فالضيف عند المضيف يترك أسباب البحث عن الطعام، لأن المضيف تكفّل له بذلك، فكذلك العبد الكامل ترك الأسباب في الدنيا ولم يركن إليها قلبه، وهذا مقام جليل لا يبلغه إلا الخواص من عباد الله الصالحين، مع عدم ذمهم من يأخذ بالأسباب واعتقادهم أن الله تعالى هو المقصود في كل الأحوال.



الفصل الثالث

المعاني الإشارية في القرن السابع والثامن والتاسع

الفصل الثالث
المعاني الإشارية في القرن السابع والثامن والتاسع

22- السهروردي[1] (ت 632هـ)

42) عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجَعَ من غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا من المَدِينَةِ، فقال: «**إِنَّ بِالمَدِينَةِ أَقْوَامًا ما سِرْتُمْ مَسِيرًا، ولا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إلا كَانُوا مَعَكُمْ**»، قالوا يا رَسُولَ اللهِ: وَهُمْ بالمدينة؟ قال: «**وَهُمْ بالمدينة حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ**»[2].

قال السهروردي -رحمه الله-: «الشاب الطالب إذا خدم أهل الله المشغولين بطاعته يشاركهم في الثواب، وحيث لم يؤهل لأحوالهم السنيّة يخدم من أُهّل لها، فخدمته لأهل القرب علامة حب الله -تعالى-، ثم استدل بالحديث. ورواه بسنده وقال: فالقائم بخدمة القوم تعوق عن بلوغ درجتهم بعذر القصور وعدم الأهلية، فحام حول الحمى باذلًا مجهوده في الخدمة يتعلل بالأثر حيث منع النظر، فجزاه الله على ذلك أحسن الجزاء وأناله من جزيل العطاء، وهكذا كان أهل الصفة يتعاونون على البر والتقوى ويتجمعون على المصالح الدينية ومواساة الإخوان بالمال والبدن»[3].

---

(1) هو: عمر بن محمد بن عبد الله السّهْرَوَرْدِي، أبو عبد الله وقيل: أبو نصر، الإمام الصوفي الجامع بين علمي الباطن والظاهر ولد سنة (539هـ) بسهْرورد، صحب عمه أبا النجيب عبد القاهر وأخذ عنه التصوف والوعظ، وكان فقيهًا فاضلًا إمامًا ورعًا، شيخ وقته في علم الحقيقة، من أهم مصنفاته: عوارف المعارف، توفي سنة (632هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى 338/8، وسير أعلام النبلاء 374/22، ومرآة الجنان لليافعي 1079/4.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: المغازي، باب: نُزُولِ النبي ﷺ الْحِجْرَ، ح 1461.

(3) عوارف المعارف 109، 110.

دلَّ ظاهر الحديث أن من حبسه العذر من أعمال البر كالجهاد في سبيل الله مع نية فيها يكتب له أجر العامل بها، فالقاعد الذي له عذر يشارك المجاهد في الأجر، ولا يدل على استوائهما فيه، لقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٩٥﴾(1)، (2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** من حبسه العذر عن اللحاق بأعمال البِر كالجهاد في سبيل الله تعالى، ينال الأجر بنيته وفضل الله أعظم، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** بلوغ الطالب القائم بخدمة أهل الفضل في الأجر والخير ما ناله أهل الفضل من المنشغلين بطاعة الله تعالى، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف العجز والقصور فيهما، فالقاعد عن الجهاد والطالب المنشغل بالخدمة لأهل الله تعالى، كل منهما عاجز عن بلوغ مراتب الكمال إلا أن نيتهما الصادقة تبلغهما ثواب أهل المراتب العالية.

* * *

43) عن النعمان بن بشر -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَثَلُ المؤمنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَدَاعَى له سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهرِ والْحُمَّى**»(3).

---

(1) سورة النساء: 95.

(2) انظر: عمدة القاري بشرح صحيح البخاري 133/14، ومرقاة المفاتيح 349/7.

(3) رواه البخاري في صحيحه ك: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم ح5665، ومسلم في صحيحه واللفظ له ك: البر والصلة والأدب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم 2586.

قال السهروردي -رحمه الله-: «فهم -أي: العلماء الربانيون والصوفية- في الربط كجسد واحد بقلوب متفقة وعزائم متحدة، ولا يوجد هذا في غيرهم من الطوائف» ثم ذكر الحديث وقال: «فالصوفية وظيفتهم اللازمة من حفظ اجتماع البواطن، وإزالة التفرقة بإزالة شعث البواطن، لأنهم بنسبة الأرواح اجتمعوا، وبرابطة التأليف الإلهي اتفقوا، وبمشاهدة القلوب تواطئوا، ولتهذيب النفوس وتصفية القلوب في الرباط رابطوا، فلا بد لهم من التآلف والتودد والنصح»(1).

دلَّ ظاهر الحديث إلى تعظيم حقوق المسلمين بعضهم مع بعض، وحثّهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه، وفيه تشبيه وضرب الأمثال للتقريب(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** الحث على التراحم والتعاون والمحبة بين المسلمين بعضهم مع بعض كالجسد الواحد، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** اتحاد قلوب العلماء والصوفية في مقاصدهم ومعرفة غوائل قلوبهم وإزالتها، فهُم في جهاد نفوسهم كالجسد الواحد، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتفاقهما في وصف الاتحاد، فالمسلمون ينبغي أن يتحدوا في تعاونهم وتعاطفهم، وكذلك العلماء والصوفية فقد اتحدوا في تهذيب نفوسهم وإدراك غوائلها ومعرفة أدوائها.

* * *

44) عن عَمْرِو بن عَبَسَةَ -رضي الله عنه- قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقلت: يا رَسُولَ

---

(1) عوارف المعارف 111.

(2) انظر: شرح صحيح مسلم 140/16، وفيض القدير 514/5.

اللهِ هل من سَاعَةٍ أَقْرَبُ من الْأُخْرَى أو هل من سَاعَةٍ يبتغي ذِكْرُهَا، قال: «**نعم إِنَّ أَقْرَبَ ما يَكُونُ الرَّبُّ عز وجل من الْعَبْدِ جَوْفَ اللَّيْلِ الْآخِرَ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ عز وجل في تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ، فإن الصَّلَاةَ مَحْضُورَةٌ مَشْهُودَةٌ إلى طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بين قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ وَهِيَ سَاعَةُ صَلَاةِ الْكُفَّارِ فَدَعْ الصَّلَاةَ حتى تَرْتَفِعَ قِيدَ رُمْحٍ وَيَذْهَبَ شُعَاعُهَا... الحديث**»(1).

قال السهروردي -رحمه الله- في حديثه عن النفس وخواطرها: «فللنفس وثَبَات إلى توهم التروحات، فمن فَطِن لهذه الدقيقة لا يغتر بالتروحات المستعارة التي لا تحمد عاقبتها ولا تُؤمن غائلتها، ويتثبت عند ظهور خاطر السفر، ولا يكترث بالخاطر بل يطرحه بعدم الالتفات مُسيئًا ظنّه بالنفس وتَسْويلاتها، ومن هذا القبيل -والله أعلم- قول رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ بين قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ**»، فيكون للنفس عند طلوع الشمس وثَبَات تستند تلك الوثَبَات والنهضات من النفس إلى المزاج والطبائع، ويطول شرح ذلك ويعمق»(2).

معنى قول النبي ﷺ في الحديث: «**فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بين قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ...**» يحتمل على ظاهره على الحقيقة وأن الشمس تغرب وتطلع على قرن شيطان وعلى رأس شيطان، ويحتمل أن

---

(1) رواه النسائي في سننه واللفظ له ك: المواقيت، باب: النهي عن الصلاة بعد العصر ح572، والترمذي في سننه أبواب الصلاة، باب: ما جاء في تعجيل العصر ح 160، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود في سننه ك: الصلاة، باب: في وقت صلاة العشر ح 413، وابن ماجه في سننه ك: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في الساعات التي تكره فيها الصلاة ح1251، وابن حبان في صحيحه 418/4، وابن خزيمة في صحيحه 129/1، والحديث عند مسلم في صحيحه لكن بلفظ: «**تِلْكَ صَلَاةُ المنافقِ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حتى إذا كانت بين قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ قام فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللهَ فيها إلا قَلِيلًا**» ك: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب التبكير بالعصر ح622.

(2) عوارف المعارف 120.

معناه على مجاز اللفظ، وأن النبي ﷺ أراد أمته أن لا تعبد الشمس وتسجد لها وتصلي حين طلوعها وغروبها من دون الله، ولهذا نهى النبي ﷺ عن الصلاة في تلك الأوقات وهذا هو الأولى(1).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** دل الحديث أن الشمس تطلع وتغرب بين قرني شيطان حقيقة، أو المراد أن أمة تعبد الشمس وتصلي لها حين طلوعها وغروبها، ولهذا نهي عن الصلاة عند ذلك، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** الحذر من وثَّبات النفس الأمارة، وخواطرها المفسدة والتي تأخذها من المزاج والطبائع، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو الانتباه من أمرين، فالمصلي يجب عليه أن لا يصلي وقت طوع الشمس ووقت غروبها، وكذلك المسلم يجب أن يحذر من غوائل وثَّبات النفس ووساوسها المنبثقة من المزاج والطبائع.

* * *

45) عن أبي أَيُّوبَ -رضي الله عنه- قال: جاء رَجُلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي وَأَوْجِزْ، قال: «**إذا قُمْتَ في صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ... الحديث**»(2).

---

(1) انظر: التمهيد 4/6-11، وشرح صحيح مسلم للنووي 5/113.

(2) رواه أحمد في مسنده 2/412، وابن ماجة في سننه واللفظ له ك: الزهد، باب: الحكمة ح4171، والحاكم في المستدرك 4/362، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والطبراني في معجمه الكبير 4/154، والقضاعي في مسند الشهاب 2/93، قال البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه 4/227: هذا إسناد ضعيف عثمان بن جبير، قال الذهبي في الطبقات: مجهول وذكره =

قال السهروردي -رحمه الله- بعد ذكره الحديث: «فالمصلي سائر إلى الله تعالى بقلبه يودع هواه ودنياه وكل شيء سواه، والصلاة في اللغة هي الدعاء، فكأن المصلي يدعو الله تعالى بجميع جوارحه، فصارت أعضاؤه كلها ألسنة يدعو بها ظاهراً وباطناً، ويشارك الظاهر الباطن بالتضرع والتقلّب والهيئات في تملّقات متضرّع سائل محتاج»[1].

ومعنى الحديث يدل على الإقبال على الله تعالى في الصلاة وترك غيره، كأنه لا يظن أن يرجع إلى صلاته مرة أخرى، ليكون ذلك باعثاً على قطع العلائق والتلبّس بالخشوع في الصلاة[2].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** استشعار المصلي أنه لن يصلي مرة أخرى، وذلك بتركه الدنيا ومفارقته لها فيُقبل على الله تعالى، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ينبغي للمصلي أن يترك عند الدخول في صلاته دنياه وهواه وكل شيء، حتى يُقبل على الله تعالى، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو الترك والتوديع، فالمصلي بالمعنى الظاهر يستشعر أنه مفارق للدنيا وتارك لها بموته، والمصلي بالمعنى الإشاري تارك لدنياه وهواه عند قيامه في الصلاة، ليُقبل على الله تعالى حق الإقبال.

* * *

=

ابن حبان في الثقات، وقال البخاري وأبو حاتم: روى عن أبيه عن جده عن أبي أيوب. والحديث له شواهد كثيرة ذكرها السخاوي والغماري وغيرهما، وقد حسّنه السيوطي. انظر: المقاصد الحسنة 216، وفيض القدير1/419، والمداوي1/401-404.

(1) عوارف المعارف 212.

(2) انظر: فيض القدير 1/389.

23- أبو العباس المرسي[1] (ت 686هـ)

46) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يوم لَا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عليه وَتَفَرَّقَا عليه، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فقال: إني أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حتى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»[2].

قال أبو العباس المرسي -رحمه الله- في الحديث: «الإمام العادل هو القلب، ورجل قلبه معلّق بالمسجد حتى يعود إليه، أي: ورجل قلبه معلّق بالعرش، فالعرش مسجد قلوب المؤمنين، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه أي: خاليًا من النفس والهوى، ورجل تصدق بصدقة أي: فأخفاها عن نفسه وهواه»[3]، ثم فصّل القول في شرحه للحديث بالمعنى الظاهر.

ومعنى الحديث اختص الله تعالى سبعة يوم القيامة يستظلون في ظله، وهو ظل العرش، فإذا قام الناس لرب العالمين ودنت الشمس اشتدَّ عليهم حرّها، وأخذهم العرق ولا ظل هناك لشيء إلا العرش، وقيل المراد بالظل في الحديث: الكرامة والكنف، والمراد بالإمام

---

(1) هو: أحمد بن عمر بن محمد أبو العباس المُرسي الأنصاري المالكي، الإمام الزاهد الكبير العارف، كان من أعظم العارفين وأكابر المحققين وارث شيخه أبا الحسن الشاذلي، وشيخ ابن عطاء الله السكندري، وله إجابات عن مشكلات القوم، توفي بالإسكندرية سنة(686هـ). انظر: الوافي بالوفيات للصفدي 173/7، ولواقح الأنوار في طبقات الأخيار 11/2، والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية 22/2.

(2) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له ك: الزكاة، باب: الصدقة باليمين ح1357، ومسلم في صحيحه ك: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة ح1031.

(3) انظر: لطائف المنن لابن عطاء الله 252.

العادل: كل من نظر في شيء من مصالح المسلمين من الولاة والحكام، والمراد بالشاب أي: الرجل الذي نشأ على عبادة الله تعالى، والمراد بالرجل المعلق قلبه بالمساجد أي: شديد الحب للمساجد والملازمة للجماعة، والمراد بالرجلين المتحابين أي: أنهما اجتمعا على حب الله تعالى وافترقا على حب الله، والمراد بالرجل الذي دعته امرأة أي: رجل دعته امرأة ليزني بها، وهي ذات منصب وجمال، فقال لها: إني أخاف الله، والمراد بالرجل المتصدق: ضُربَ به مبالغة في إخفاء واستتار الصدقة حتى أن يده الأخرى لا تعلم بما تتصدق به يده اليمنى، والمراد برجل ذكر الله خاليًا أي: ليس عنده أحد يراه، وهو يدل على فضل طاعة السر(1).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** ذكر في الحديث سبعة يظلهم الله في ظل عرشه سبحانه، ومنهم الإمام العادل من الولاة والحكام الذين يضعون الأمور في محلها ولا يميلون لأحد، والشاب الذي نشأ في طاعة الله تعالى ملازمة لبيت الله بأن تربّى على ذلك، ورجل ذكر الله تعالى ولم يكن عنده أحد من الخلق، فبكى من خشية الله تعالى، ورجل تصدّق بصدقة ولم يطلع أحد لإخفائها.

2- **المشار إليه:** الإمام العادل القلب فلا يميل إلى غير الله تعالى، والمؤمن المتعلق قلبه بالله، والخاشع يبكي لله تعالى دون رياء نفس أو سمعة، ورجل يتصدق بصدقته مُخْفيًا لنفسه التي تُحب أن تُشْكر لبذلها المعروف ومخالفًا لها، لأنها ميّالة للمال.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** أولًا: الإمام العادل اتفاقهما في وصف عدم الميل فالحاكم العادل لا يميل لأحد دون أحد، وكذلك ينبغي أن يكون قلب المسلم لا يميل إلّا إلى الله وحده، ثانيًا: الشاب المتعلّق بالمساجد اتفاقهما في وصف التعلّق، فالشاب متعلّق بالمساجد والطاعة، وكذلك ينبغي للمسلم التعلق بالله حقيقة، ثالثًا: والرجل الذاكر اتفاقهما في عدم الرياء والسمعة، فالرجل الذي يذكر الله تعالى خاليًا لم يقصد غير الله، وكذلك المسلم

(1) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 123/7.

يجب عليه أن يقصد إلا مرضاة الله دون غيره، فلا ينظر لنفسٍ ولا هوى. رابعًا: المتصدق اتفاقهما في وصف مشترك بينهما وهو الإخفاء فالمتصدّق يُخفي صدقته عن الأنظار خشية الرياء، وكذلك المسلم يبذل المعروف ويُخفي نفسه بقهرها حتى لا يطلب شكر أحد.

* * *

47) عن أنس -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا**»[1].

قال أبو العباس المرسي -رحمه الله- في قوله ﷺ: «**يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا**» أي: «دلُّوهم على الله ولا تدلّوهم على غيره، فإنّ من دلّك على الدنيا فقد غرّك، ومن دلّك على الأعمال فقد أتعبك، ومن دلّك على الله فقد نصحك»[2].

يدل ظاهر قول النبي ﷺ: «**يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا**» الأمر بالتيسير في الأعمال والنوافل والأخذ برخص الإسلام، وأكد الأمر بالتيسير بنفي ضده وهو التعسير والشدة، فهذا كان من نصائحه ﷺ لأصحابه[3].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يدل قول النبي ﷺ: «**يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا**» إلى التيسير على المسلمين في الأعمال والفتيا بما لا يشق على عامة الناس ممّا لا ترده الشريعة، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** أخذ المرسي -رحمه الله- معنى آخر لقول النبي ﷺ: «**يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا**» وهو أن النبي ﷺ أمر الدعاة والمصلحين من أمته أن يُقرّبوا الخلق إلى الخالق بالتوجه

---

(1) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له ك: العلم، باب: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ح69، ومسلم في صحيحه ك: الجهاد والسير، باب: في الأمر بالتيسير وترك التنفير ح1732.

(2) انظر: لطائف المنن 255.

(3) انظر: فتح الباري 525/10، وفيض القدير 573/2، والنهاية في غريب الحديث والأثر 295/5.

الصادق إليه والإخلاص في عبادته، فليس حقيقة العبادة بالإكثار من الأعمال الصالحة دون إخلاص وتعظيم للرب سبحانه، وهذا المعنى الإشاري.

3- العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه: وجود وصف وهو الدلالة على الله تعالى، فَمَنْ يسَّر على المسلمين في الأخذ بأحكام الشريعة ولم يَعنّت كان ممتثلًا لوصية النبي ﷺ، وكذلك من دلّهم على الله تعالى بإخلاص العبادة له وإرشادهم إلى تسخير الحركات والسكنات لنيل مرضاة ربهم وخالقهم ففي ذلك نصح.

* * *

48) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: **«يا أَيُّهَا الناس إنما أنا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»**(1).

قال أبو العباس المرسي -رحمه الله- في الحديث: «إن الأنبياء إلى أُممهم عطية، ونبينا ﷺ هدية، وفرق بين العطية والهدية، إن العطية للمحتاجين، أما الهدية فللمحبوبين»(2).

معنى ظاهر الحديث أن الله تعالى بعث سيدنا محمد ﷺ رحمة منه تعالى، فهو ذو رحمة كأن ذاته رحمة، وإذا كانت ذاته رحمة فصفاته التابعة لذاته كذلك، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾(3)، فقد أهداه الله تعالى للعالمين، فَمَنْ قَبِلَ

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك 91/1، وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما فقد احتجا جميعًا بمالك بن سعير، والتفرد من الثقات مقبول. ورواه الطبراني في معجمه الأوسط 223/3، والقضاعي في مسند الشهاب 189/2، والحديث صحيح. انظر: فيض القدير 572/2، والحديث عند مسلم في صحيحه بلفظ: **«إني لم أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»** ك: البر والصلة والآداب، باب: النهى عن لعن الدواب وغيرها ح2599.

(2) انظر: لطائف المنن 132.

(3) سورة الأنبياء: 107.

هديته أفلح ونجا ومن أبى خاب وخسر(1).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** أرشد النبي ﷺ إلى أن بعثته من عند الله تعالى هي رحمة للخلق كافة وهي بمثابة هدية من الخالق، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يُدرك أبو العباس المرسي -رحمه الله- معنىً لطيفًا للحديث وهو أن النبي ﷺ ذكر أنه رحمة مهداة ولم يقل عطيةً لمعنى دقيق وسرٍ شريف، وهو دليل أن أمته ﷺ أمةٌ مشَرّفةٌ بمحبة الله تعالى لهم وليس هذا إلا للمستجيبين له من أمة الإجابة، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتفاق المشير والمشار إليه في وصف الاستفادة فكل من الخلق قد أُكرم بالعَطاء سواء وصل للمحتاج أو للمحبوبين، لأن بعثت النبي ﷺ هي بمثابة عطية وهدية(2).

* * *

24- عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي (ت 695هـ)

49) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: **«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ من الدُّلْجَةِ»**(3).

---

(1) انظر: مرقاة المفاتيح 476/10، وفيض القدير 572/2.

(2) بين العطية والهدية عموم وخصوص، فالهدية أخص والعطية أعم فكل هدية عطية وليس عطية هدية، والخاص عُلِمَ بتخصيص الدليل وبقي لفظ العطية على عمومه.

(3) رواه البخاري في صحيحه ك: الإيمان، باب: الدين يسر وقول النبي ﷺ أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة ح39.

قال ابن أبي جمرة -رحمه الله- في شرحه للحديث: «قوله ﷺ: **«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ»** قد يريد به أن ما طلب منكم وهو الإذعان والاستسلام، يُسر يشهد لهذا قوله عليه السلام للصحابة حين أنزل عليهم ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[1]، فشق ذلك عليهم، فقال لهم: «لا تكونوا مثل بني إسرائيل ولكن قولوا آمنا بالله وما أنزل فآمنوا وأذعنوا فأنزل الله إذ ذاك: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[2]، فجاءهم هذا الفرج العظيم لاستسلامهم وإذعانهم لأمر ربهم، والإذعان والاستسلام يسر لا شك فيه، لأنه عمل بالقلب دون جارحة تحرك فيه»[3].

والمعنى الظاهر من قول النبي ﷺ: **«إن الدين يسر»** أن دين الإسلام ذو يسر مَبنيٌّ على اليُسْر في تشريعاته قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[4]، ولهذا نُهي عن التعمّق في العبادة[5].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يُعلّمنا نبينا ﷺ في قوله: **«إن الدين يسر»** أن تشريعات الدين الذي ارتضاه الله تعالى لنا كلها لا مشقة فيها، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** استخرج ابن أبي جمرة -رحمه الله- من قول النبي ﷺ: **«إن الدين يسير»** أن المقصود به أيضًا أن يسر الدين في الإذعان لله تعالى والاستسلام الباطني بكل ما جاء

---

(1) سورة البقرة:284 .

(2) سورة البقرة:285 .

(3) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها 84/1.

(4) سورة البقرة:185 .

(5) انظر: مرقاة المفاتيح 287/3.

عن الله تعالى، وهذا متيسر للجميع بخلاف فعل الأعمال المأمور بها، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتصافهما باليسر، فالأحكام التشريعية فيها يسر، وكذلك استشعار الإذعان والانقياد لله تعالى فيه يسر، وذلك أصل كل عبادة لله جل وعلا.

* * *

50) عن أبي موسى -رضي الله عنه- قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللهِ ما الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فإن أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إليه رَأْسَهُ قال وما رَفَعَ إليه رَأْسَهُ إلا أَنَّهُ كان قَائِمًا فقال: «**من قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عز وجل**»(1).

قال ابن أبي جمرة -رحمه الله- في شرحه للحديث: «هنا إشارة صوفية، لأن الجهاد عندهم هو جهاد النفس وهو الجهاد الأكبر كما أخبر ﷺ في غير هذا الحديث حين رجع من الجهاد فقال للصحابة: هبطتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، والجهاد الأكبر هو جهاد النفس فتكون مجاهدتهم لها لأن تكون كلمة الله أيضًا هي العليا وصفتها كما أخبر عز وجل على لسان نبيه عليه السلام: «**وما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلي بِالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ فإذا أَحْبَبْتُهُ كنت سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بها...**»(2) هذا هو طريق السادة الفضلاء منهم، وأما الذي يقول أهل الجهل: نواصل ونجاهد حتى نرى شيئًا من خرق العادات والكرامات، فأولئك عندهم جهال ومنهم من قال إنهم يدخلون تحت قوله عز وجل في كتابه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾(3) وأيُّ فائدة في

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: االعلم، باب من سأل وهو قائم عالمًا جالسًا ح123.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: الرقائق، باب: التواضع ح6137.

(3) سورة الحج: 11.

ذلك على هذا الوجه والله عز وجل يقول في كتابه: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ﴾(1) ثم تلمّح إلى قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾(2)، يتبيّن لك ما أخبرتك به»(3).

ظاهر الحديث يدل على أن القتال في سبيل الله لا يكون إلا بنية أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن الأعمال إنما تحسب بالنيات الصالحة(4).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** دل الحديث أن كل من جاهد الكفار للغضب أو الحميّة فليس في سبيل الله، وإنما الجهاد في سبيل الله إذا كان لأجل إعلاء كلمة الله تعالى، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** أخذ ابن جمرة -رحمه الله- من الحديث أن جهاد النفس هو لأجل أن تكون كلمة الله هي العليا ويُعدُ جهاد في سبيل الله وهو الجهاد الحقيقي الأكبر، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتفاقهما في القصد المطلوب شرعًا وهو إعلاء كلمة الله تعالى، وهو موجود في قتال الكفار وجهاد النفس.

* * *

51) عن عباد بن تميم عن عمه -رضي الله عنهما-: أنه شَكَا إلى رسول اللهِ ﷺ الرَّجُلُ الذي يُخَيَّلُ إليه أنه يَجِدُ الشَّيْءَ في الصَّلَاةِ فقال: «**لَا يَنْفَتِلْ أولا يَنْصَرِفْ حتى يَسْمَعَ**

(1) سورة النساء:147 .

(2) سورة العنكبوت:69.

(3) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها 151/1.

(4) بهجة النفوس 146/1، وشرح صحيح مسلم للنووي 49/13.

صَوْتًا أو يَجِدَ رِيحًا»[1].

قال ابن أبي جمرة -رحمه الله- بعد شرح ظاهر الحديث: «فيه من الإشارة لأهل القلوب أن لا يلتفتوا إلى الشكوك ولا العوارض لا قليلًا ولا كثيرًا، ولذلك يقولون: إن الملتفت عندهم هالك»[2].

ظاهر الحديث يدل على أنه لا يقطع الصلاة من يخيّل إليه الشيء حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا، بحيث يتقن الحدث ولا يشترط السماع ولا الشم، وأخذ العلماء من هذا الحديث أن الأشياء يحكم ببقائها على أصولها حتى يتيقن خلاف ذلك[3].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يدل الحديث أن المسلم لا يقطع صلاته بسبب شك في طهارته، ولا ينبغي له أن يلتفت للشك، لأن الأصل هو اليقين، فلا يطرح إلا بيقين مثله، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** فهم ابن أبي جمرة -رحمه الله- من الحديث معنىً جديدًا وهو أن أصحاب القلوب السليمة يجب عليهم أن لا يلتفتوا إلى الأوهام والشكوك والعوارض، لأن في ذلك ضرر عليه وفساد قلبه، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود رابطة بينهما وهو عدم الالتفات للشكوك، فالمصلي لا يلتفت إلى الشك في الحدث، وأصحاب القلوب المطمئنة لا ينبغي لهم الالتفات إلى الشكوك والخواطر والعوارض التي تُكدّر قلوبهم وتُقعدهم عن حقائق المعرفة.

* * *

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: الوضوء، باب: لا يتوضأ من الشك حتى يستيقن ح 137.

(2) بهجة النفوس 1/ 153.

(3) انظر: بهجة النفوس 151/1، وشرح صحيح مسلم للنووي 49/4.

52) عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- يقول: ما صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ أَخَفَّ صَلَاةً ولا أَتَمَّ من النبي ﷺ وَإِنْ كان لَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيُخَفِّفُ مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَنَ أُمُّهُ(1).

قال ابن أبي جمرة -رحمه الله- وبعد شرحه لظاهر الحديث: «فيه دليل لأهل الصوفية الذين يقولون بجبر القلوب، وهو عندهم من أعلى الأحوال، يؤخذ ذلك من رعيه عليه السلام فتنة أم الصبي والصبي أيضًا نفسه إلّا أنه بقيد لا يعرفه منه إلا السادة الأفذاذ وهو أن لا ينقصه من حاله الخاص فيما بينه وبين مولاه شيء، يؤخذ ذلك من قوله: «ولا أتم» لأن حالة عبادة المجزئ منها ما لم ينقص منها شيئًا»(2).

ظاهر الحديث تخفيف صلاة النبي ﷺ مع إتمامها ورعيه في تخفيفها أيضًا حق الغير، وفيه تعليم الأئمة الرفق بالمأمومين ودليل على شفقة النبي ﷺ على أصحابه(3).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** دل فعل النبي ﷺ التخفيف في الصلاة، مراعاة لأمهات الأطفال والعجزة وأصحاب الحاجات، وهذا كان دأبه، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** مراعاة الصوفية لإخوانهم المسلمين وذلك بجبرهم لقلوبهم ومواساتهم عند النوائب دون الإخلال بالقيام بحق الله تعالى، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف بينهما وهو مراعاة الآخرين، فالإمام ينبغي عليه مراعاة المصلين، والصوفية عليهم مراعاة إخوانهم بجبر قلوبهم وبذل النفع لهم قدر استطاعتهم.

* * *

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: الجمعة والإمامة، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي 676.

(2) بهجة النفوس 6/2.

(3) انظر: بهجة النفوس 2/2، وفتح الباري 202/2.

53) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «**ما الْعَمَلُ في أَيَّامٍ العشر أَفْضَلَ من العمل في هذه قالوا ولا الْجِهَادُ قال ولا الْجِهَادُ إلا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فلم يَرْجِعْ بِشَيْءٍ**»[1].

قال ابن أبي جمرة -رحمه الله- بعد شرحه ظاهر الحديث: «وفي هذا دليل صوفي لأنهم يقولون: لا تبلغ الأحوال النفيسة إلا بإذهاب النفس النفيسة والمخاطرة في المجاهدات بها تبلغ الغالية، فإذا كان طالب الدنيا الدنيّة يقول: أحاول ملكًا أو أموت فأعذرا، وملكها على أن يحصل ذاهب لا محالة، وقد يعقب في الآخرة في الأغلب تعبًا دائمًا، فما بالك بمن يطلب ملكًا أبديًا في حضرة قدسيّة ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝﴾[2]»[3].

يدل ظاهر الحديث على أنه ليس شيء من الأعمال أفضل من الأعمال في أيام التشريق إلا من خرج مجاهدًا في سبيل الله واستشهد، فهذه المخاطرة وهذا العمل أفضل من هذه الأيام وغيرها[4].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يرغب النبي ﷺ في الإكثار من العمل الصالح في أيام العشر من ذي الحجة وأنه أفضل فيها إلا من استشهد في سبيل الله تعالى، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يشير الحديث إلى أن حصول الأحوال النفيسة والطمأنينة القلبية لا تحصل إلا بمجاهدة النفس وإذهاب شهواتها بالمجاهدات، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف المخاطرة بالنفس، فالمجاهد في

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق ح926 .

(2) سورة القمر: 55.

(3) بهجة النفوس 76/2.

(4) انظر: بهجة النفوس 73/2، وعمدة القاري بشرح صحيح البخاري 291/6.

سبيل الله يخاطر بنفسه بتلفها في الجهاد، والعالم الرباني يذهب نفسه بإماتة شهواتها حتى تصير مطمئنه ثم راضيه مرضية، لتهنأ بالعيش الأبدي.

54) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**لو يَعْلَمُ الناس ما في الْوَحْدَةِ ما أَعْلَمُ ما سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ**»(1).

قال ابن أبي جمرة -رحمه الله- بعد شرحه لظاهر الحديث: «في الحديث إشارة صوفية: وهو أن السفر عند أهل الطريق عبارة عن الانتقال من حال إلى حال كما هو عند أبناء الدنيا عبارة عن الانتقال من بقعة إلى بقعة، وظلمة الليل عبارة عن الجهل ووافقهم في هذا أهل الفقه، لأن الظلام عند الكل بمعنى الجهل وضدها العلم وهو النور فلا يسافر أحد منهم سفراً فيه ظلمة إلا بموافقة العلم والتقوى فيصير هو بمن معه ركباً يأمن من ضرر الشيطان وفتن الهوى»(2).

ظاهر الحديث يدل على كراهة سير الراكب بالليل وحده، ويجوز للمصلحة والضرورة كإرسال الجاسوس أو عند الحاجة مع الأمن(3).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** كراهة سفر الإنسان بمفرده، لما في ذلك من المفاسد إلا لجلب مصلحة أو الحاجة مع أمن الطريق فيجوز، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** فهم ابن أبي جمرة -رحمه الله- من الحديث معنى آخر وهو أن المسلم في الدنيا في سفر فهو ينتقل من حال إلى حال آخر ولكن لا ينتقل بمفرده بل لابد وأن

---

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: الجهاد والسير، باب: السير وحده ح2836.

(2) بهجة النفوس 144/3.

(3) انظر: المصدر السابق 143/3، وفتح الباري 138/6.

يصحب معه العلم ويتزود بالتقوى ليأمن الوصول إلى طريق الهدى، ويسلم من غوائل الشيطان والهوى.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف بينهما وهو الانتقال، فالمسافر بمفرده لا يأمن العواقب فلابد من رفقة أحد، وكذلك المسلم الذي يريد الانتقال من حالته إلى حالة أرقى لابد من مرافق يدلّه ومُرشد يرشده.

* * *

25- ابن عطاء الله السكندري (ت 709هـ)

55) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا من حَفِظَهَا دخل الْجَنَّةَ وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**»[1].

قال ابن عطاء الله -رحمه الله-: «وقوله عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**» أي: يحب القلب الذي لا يشفع بمشوشات الآثار، فكانت هذه القلوب لله، وبالله، تركوا الله يتصرف لهم، فلم يكلهم إلى أنفسهم، ولم يدعهم لتدبيرهم، فهم أهل الحضرة المفاتحون بعين المنة، لا تقطعهم عن الله محاسن الآثار، ولا تشغلهم عنه بهجة الحسن المعار»[2].

والمراد من الوتر في الحديث: الفرد، ومعناه في حق الله تعالى: الواحد الذي لا شريك له ولا نظير، ومعنى يحب الوتر: تفضيل الوتر في الأعمال وكثير من الطاعات فجعل الصلاة خمسًا والطهارة ثلاثًا، والطواف سبعًا، والسعي سبعًا، والرمي سبعًا، وأيام التشريق ثلاثًا، وغير ذلك، فالحديث يدل على استحباب الايتار في الأمور، وقيل: الحديث يدل على الترغيب في صلاة

---

(1) رواه مسلم في صحيحه ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ح 2677.

(2) التنوير في إسقاط التدبير 118.

الوتر، وتكون اللام في الوتر للعهد لتقدم ذكر الوتر لكن العموم فيه أظهر(1).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** دلّ الحديث أن الله تعالى واحد أحد في ذاته وأفعاله وصفاته لا شريك له، ويحب الوتر في الأعمال، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يدل الحديث أيضًا لمعنى آخر، وهو أنّ الله تعالى واحد أحد فرد صمد يحب قلب عبده الذي لا يقصد إلا الله وحده، فلم يكن في قلبه سواه، فلهذا يُوليه ربه بإحسانه وجزيل عطائه، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتفاق المشير والمشار إليه في الإفراد دون التعدد، فالله تعالى كما يحب الوتر في الأعمال يحب أيضًا من عبده أن يتفرد بعبادته دون أن يشرك أحدًا سواه.

* * *

56) عن أبي بكر -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**لَا نُورَثُ ما تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**»(2).

قال ابن عطاء الله -رحمه الله-: «الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تجب عليهم الزكاة، لأنهم لا ملك لهم مع الله حتى تجب عليهم الزكاة فيه، وإنما تجب عليك زكاة ما أنت له مالك. إنما يشهدون ما في أيديهم من ودائع الله تعالى لهم، يبذلون في أوان بذله، ويمنعونه من غير محله. ولأن الزكاة إنما هي طهرة لما عساه أن يكون ممن وجبت عليه، لقوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(3)، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام مبرؤون من الدنس، لوجود العصمة ولأجل ذلك لم يوجب أبو حنيفة رحمه الله على الصبيان زكاة، لعدم دنس المخالفة، والمخالفة لا تكون إلا بعد جريان التكليف وذلك بعد البلوغ،

(1) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 5/17، وفتح الباري 227/11.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: الجهاد والسير، باب: فرض الخمس ح2926.

(3) سورة التوبة: 103.

وافهم هاهنا قوله ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء، لا نورث ما تركناه صدقة**»[1]، يتبيّن ما ذكرناه ويتضح ما قررناه»[2]. يدل ظاهر الحديث على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يورثون وأن ما يتركونه من أملاكهم يكون لبيت مال المسلمين صدقة[3].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يقرر النبي ﷺ حكمًا جليًّا وهو: أن الأنبياء قاطبة لا يورثون وهذا خاص بهم، بل يكون ما يتركونه لمن آمن بهم صدقة، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** أفاد الحديث أيضًا معنى آخر وهو أن الأنبياء لا يملكون شيئًا، لأنهم يدركون حق الإدراك أنهم ملك لله تعالى يتصرف بهم كيف شاء وفي ما شاء ولا يتصرفون فيما خولّهم الله عليه إلا في موضعه الذي أمرهم به، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك في المشير والمشار إليه وهو عدم الملك حقيقة، فالله تعالى مالك لكل شيء حتى ما يملكه الإنسان هو ملك لله، وإنما يطلق عليه ملك مَجازًا، فمن لا يملك شيئًا حقيقة أو مجازًا لا يورث منه.

---

(1) رواه النسائي في السنن الكبرى 46/4 بلفظ: «**إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة**» ورواه الطبراني كذلك في معجمه الأوسط 26/5، وهو صحيح كما قال ابن حجر في التلخيص الحبير 100/3، وقال ابن حجر -رحمه الله-: ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم بلفظ: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث**» فقد أنكره جماعة من الأئمة وهو كذلك بالنسبة لخصوص: «**نحن**» لكن رواه النسائي من طريق ابن عيينة عن أبي الزناد بلفظ: «**إنا معاشر الأنبياء لانورث**» الحديث رواه عن محمد بن منصور عن ابن عيينة عنه وهو كذلك في مسند الحُميدي عن ابن عيينة، وهو من أتقن أصحاب ابن عيينة فيه، وأورده الهيثم بن كليب في مسنده من حديث أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- باللفظ المذكور. انظر: فتح الباري 8/12.

(2) التنوير في إسقاط التدبير 120.

(3) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 73/12.

57) عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ ما نَوَى فَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى دُنْيَا يُصِيبُهَا أو امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه**»(1).

قال ابن عطاء الله -رحمه الله-: «لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير والمكان الذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المُكوّن انظر إلى قوله ﷺ: «**فَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى دنيا يُصِيبُهَا أو امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه**»، فافهم قوله وتأمل هذا الأمر إن كنت ذا فهم والسلام»(2).

معنى الهجرة في قول النبي ﷺ: «**فَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى دُنْيَا يُصِيبُهَا أو امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه**»، أي: الترك والهجرة إلى الشيء الانتقال إليه عن غيره، والمراد من ظاهر الحديث أن من قصد بهجرته وجه الله والتقرب إلى رضاه لا يخلطها بشيء من الأغراض الدنيوية كالزواج مثلًا حتى تكون هجرته مقبولة(3).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** المهاجر إن قصد وجه الله تعالى في هجرته دون قصد دنيوي كانت هجرته مقبولة وصحيحة، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ينبغي للمؤمن عند انتقاله من مكان إلى مكان آخر أن يصل بانتقاله من النظر إلى الكون إلى الوصول إلى معرفة المكوّن الخالق سبحانه، وهذا المعنى الإشاري.

---

(1) تقدم تخريجه صـ 137.

(2) انظر: الحكم مع شرحها إيقاظ الهمم 92 - 94.

(3) انظر: مرقاة المفاتيح 101/1.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو الانتقال من شيء إلى شيء آخر، فالمهاجر والمُخلص ينتقل من دار الكفر إلى دار الإسلام ابتغاء مرضاة الله تعالى، والسالك ينتقل من النظر في ملكوت الله تعالى إلى معرفة عظمة الله تعالى.

* * *

26- محمد بن الحسن الواسطي[1] (ت 776هـ)

) عن جابر -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عليها فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلأَهْلِكَ فَإِنْ فَضَلَ عن أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ فَإِنْ فَضَلَ عن ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا يقول فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ**»[2].

قال محمد بن الحسن الواسطي -رحمه الله-: «العارف إذا وهبه الله تعالى رزقًا يصرفه إلى النفوس الحيوانية[3]، أول نفس تلقاه نفسه، فليس له أن يتعداها إلى غيرها، لأن نفسه قد صارت عنه أجنبية، فما يلزمه في حق نفوس العالم يلزمه في حق نفسه، وإلى هذا السر اللطيف أشار الشرع بقوله ﷺ: «**ابدأ بنفسك ثم بمن تعول، والأقربون أولى بالمعروف**»[4]»[5].

(1) هو: محمد بن الحسن بن عبد الله الواسطي الحسيني، الإمام المُتقن، ولد سنة (717هـ) بواسط، وقدم مصر فسمع الحديث وبرع في الفقه والأصول، من مؤلفاته: شرح مختصر ابن الحاجب، وتفسير القرآن الكريم، ومجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب وهو مختصر حلية الأولياء وغيرها، توفي سنة (776هـ). انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر 160/5، وشذرات الذهب لابن العماد 206/6.

(2) تقدم تخريج الحديث عند حديث رقم 37.

(3) يقصد بالرزق هنا: ما يَرِدُ على القلب ممّا يهبه الله تعالى لأحبابه من الروحانيات والتعظيم له سبحانه، وكلام الواسطي جواب عمّا ورد على قلب أبي حفص الحداد النيسابوري. انظر: مجمع الأحباب 197/5.

(4) حديث: «**الأقربون أولى بالمعروف**» لا يوجد في كتب السنة، وقد ذكر ذلك السخاوي والعجلوني وغيرهما. انظر: المقاصد الحسنة 134، وكشف الخفاء 183/1، وانظر الكلام على الحديث رقم37.

(5) مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب 221/5.

يدل ظاهر الحديث الأمر في البدء في النفقة على النفس أولًا ثم من يعولهم وهكذا[1].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** في الحديث أمر بأن يبدأ الإنسان بتوزيع النفقة على نفسه أولًا ثم من يعولهم الأقرب فالأقرب، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** استنبط محمد الواسطي -رحمه الله- معنىً جديدًا من الحديث وهو أن الله تعالى يرزق من يشاء مواهبًا وأسرارًا ترِد على قلوب أحبابه وأصفيائه فينبغي أن يستثمروها بزيادة البر، فهم أولى بها من غيرهم، ثم بعد ذلك لا مانع من سؤال الله تعالى أن يرزق غيرهم مثل ما رزقهم، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو البداءة بالنفس قبل الغير، فالمنفق يبدأ بنفسه ثم بغيره، وكذلك العارف بالله تعالى يبدأ بإيثار نفسه أولًا بما يقذفه الله في قلبه من معارف وروحانيات ثم بعد ذلك يسألها لغيره من أحبابه.

* * *

58) عن بلال -رضي الله عنه- قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا بِلالُ مُتْ فَقِيرًا وَلا تَمُتْ غَنِيًّا»**، قلت: وَكَيْفَ بِذَاكَ، قال: **«ما رُزِقْتَ فَلا تَخْبَأْ وما سُئِلْتَ فَلا تَمْنَعْ»**، فقلت: يا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ لي بِذَاكَ؟ فقال: **«هو ذَاكَ أَوِ النَّارُ»**[2].

قال محمد بن الحسن الواسطي -رحمه الله- بعد ذكره الحديث: «والمعنى فيه -والله أعلم-

---

(1) انظر: الحديث المتقدم رقم 37.

(2) رواه الحاكم في المستدرك350/4 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والطبراني في معجمه الكبير واللفظ له 341/1، والبزار في مسنده 204/4، وأبو نعيم في حلية الأولياء149/1، والحديث حسنه ابن حجر والسيوطي وذكر له شواهد كثيرة . انظر: الأمالي المطلقة لابن حجر 158، واللآلئ المصنوعة 266/2.

ليكن نظرك واعتمادك إلى الله عز وجل لا إلى ما تدّخره، فإنه ليس بمغْنٍ عنك شيئًا»[1].

ظاهر الحديث النهي عن الادخار وعدم منع السائل من الصدقة، وقد قال أهل العلم: إن الحديث كان في صدر الإسلام حين كان الادخار ممنوعًا والضيافة واجبة ثم نسخ الآن[2].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يرشد المصطفى ﷺ إلى إعطاء السائل من الصدقات بحيث لا ندخر شيئًا وقد كان ذلك الإدخال منهيًا أول الإسلام ثم نسخ، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** فهم محمد الواسطي -رحمه الله- معنىً جديدًا قيّمًا فبيّن أن الحديث يستفاد منه أن المسلم ينبغي له أن يعتمد على ربه دومًا، دون النظر إلى ما يخبئه من الرزق، لأن ذلك سبب لا غير واعتماده على ذلك قادحٌ في توكله على الله تعالى ومؤثر على عقيدته، لأن الحافظ والرازق هو الله وحده، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود علاقة بينهما وهي الاعتماد على الله تعالى مسبب الأسباب دون الاعتماد على الأسباب فَمَنْ لا يخبأ شيئًا طلب منه هو كَمَن يعتمد على الله ولا يركن إلى ما يدّخره.

* * *

59) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**من وَلِيَ القَضَاءَ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ**»[3].

(1) مجمع الأحباب 212/5.

(2) انظر: اللآلئ المصنوعة 266/2.

(3) رواه الترمذي ك: الأحكام، باب: ما جاء عن رسول الله في القاضي ح1325، قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأبو داود واللفظ له ك: الأقضية، باب: في طلب القضاء ح3571، وابن ماجه بلفظ: «**من جُعِلَ قَاضِيًا بين الناس فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ**» ك: الأحكام، باب: ذكر =

قال محمد بن الحسن الواسطي -رحمه الله- بعد نقله لكلام الشبلي -رحمه الله-: «حقيقة المحبة بمتابعة الإسلام، وهي أن تموت نفسك عنك، فتبقى مسلوب الحركة شرعًا بلا هوى، فيحكم عليك الإسلام بما يريد ثم تلا ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[1]، قال محمد بن الحسن -رحمه الله-: كلام الشبلي -رحمه الله- هنا مأخوذ من قول سيد المرسلين محمد ﷺ: «**من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين**»، ووجه الشبه: أن المذبوح بالسكين لا حركة له ولا اختيار حينئذ، ومن تولّى القضاء فإنه لا حركة له ولا اختيار شرعًا، لأن الشرع سلبه حركته واختياره، فبقي تبعًا للشرع، وهذا معنى قول الشبلي -رحمه الله-: أن تموت نفسك عنك»[2].

دل ظاهر الحديث التحذير من طلب القضاء والحرص عليه، فمن تصدّى للقضاء وتولاه فقد تعرّض للذبح فليحذر، والمراد بالذبح هنا مجاز عن الهلاك[3].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يدل الحديث على خطورة تولي القضاء، وأنه يجب عليه الحذر، لأنه قد يؤديه إلى الهلاك إن غلّب الهوى، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** استخرج محمد الواسطي -رحمه الله- معنى من الحديث وهو أن القاضي يجب عليه أن يُميت نفسه عن إتباع الهوى والدنيا، فيبقى تبعًا للشرع لا يحيد عنه، وهذا المعنى الإشاري.

= القضاة ح2308، والحاكم في المستدرك 103/4وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والحديث حسنه السخاوي وغيره. انظر: المغني عن حمل الأسفار 939/2، والمقاصد الحسنة 642.

(1) سورة النساء: 65.

(2) مجمع الأحباب 142/5.

(3) انظر: مرقاة المفاتيح 279/7، وفيض القدير 238/6.

3- العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه: وجود وصف بينهما وهو سلب إتباع الهوى والشهوات، فالقاضي قد ينحرف عن الحق، لأن الهوى والشهوات قد سلبت عقله فجار، والقاضي الصالح مسلوب من إتباع هواه، وملزم بإتباع الحق والشرع، فهو تبع للشرع لا للنفس الأمارة.

* * *

27- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)

60) عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**يتعاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيسْأَلُهُمْ** وهو **أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**»(1).

قال ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- في شرحه للحديث ناقلًا عن الصوفية ومُقرًا: «استنبط منه بعض الصوفية أنه يستحب أن لا يفارق الشخص شيئًا من أموره إلا وهو على طهارة كشعره إذا حلقه وظفره إذا قلمه وثوبه إذا أبدله ونحو ذلك»(2).

وقوله ﷺ: «**تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**» ظاهره أنهم فارقوهم عند شروعهم في العصر سواء تمت أم منع مانع من إتمامها، وسواء شرع الجميع فيها أم لا، لأن المنتظر في حكم المصلي، ويحتمل أن يكون المراد بقولهم: وهم يصلون أي: ينتظرون صلاة المغرب، والواو في قوله ﷺ: «**وهم يصلون**» واو الحال أي: تركناهم على هذه الحال، ولا يقال: يلزم منه أنهم فارقوهم قبل انقضاء الصلاة فلم يشهدوها معهم، والخبر ناطق بأنهم يشهدونها، لأنا نقول: هو محمول على أنهم شهدوا الصلاة مع من صلاها في أول وقتها،

---

(1) رواه البخاري في صحيحه ك: الصلاة، باب: فضل صلاة العصر ح530.

(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري 30/2.

وشهدوا من دخل فيها بعد ذلك ومن شرع في أسباب ذلك كان فيها[1].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يبين الحديث أن الملائكة الكرام يتعاقبون المصلين بالليل والنهار، وأن المصلين ما دام أنهم ينتظرون الصلاة فهم في صلاة، فلذا حكم لهم الملائكة بذلك، وفيه فضل الاستمرار على الطاعة والرغبة فيها، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ينبغي للمسلم أن لا يفارق شيئًا من أموره إلا على طهر كشعره وظفره وثيابه، واستحباب الدوام على الطهارة دومًا، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتفاقهما في الاستمرارية وعدم مفارقة الشيء، فالمصلي يتبع الصلاة بالصلاة وينتظر الصلاة بعد الصلاة فهو في صلاة، وكذلك ينبغي للمسلم أن يستمر على الطهارة فلا يفارق شيئًا من جسمه إلا على طهارة.

* * *

61) عن أبي هُرَيْرَةَ قال قال رسول اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قال من عَادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحربِ وما تَقَرَّبَ إلي عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إلي مِمَّا افْتَرَضْتُ عليه وما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلي بِالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ فإذا أَحْبَبْتُهُ كنت سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بها وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بها وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيْءٍ أنا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الموتَ وأنا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»[2].

قال ابن حجر العسقلاني -رحمه الله-: «قال بعضهم وهو مُنتزع مّما تقدّم لا يتحرك له

(1) انظر: المصدر السابق نفسه.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: الرقائق، باب: التواضع ح6137.

جارحة إلا في الله ولله فهي كلها تعمل بالحق للحق»[1].

في قوله ﷺ: «**فإذا أَحْبَبْتُهُ كنت سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الذي يبصِر بِهِ وَيَدَهُ التي يبْطِشُ بها وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بها**» اتفق العلماء ممّن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته حتى كأنه سبحانه يُنزّل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها.

والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله تعالى عنه ببصره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده ومن السعي إلى الباطل برجله[2].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

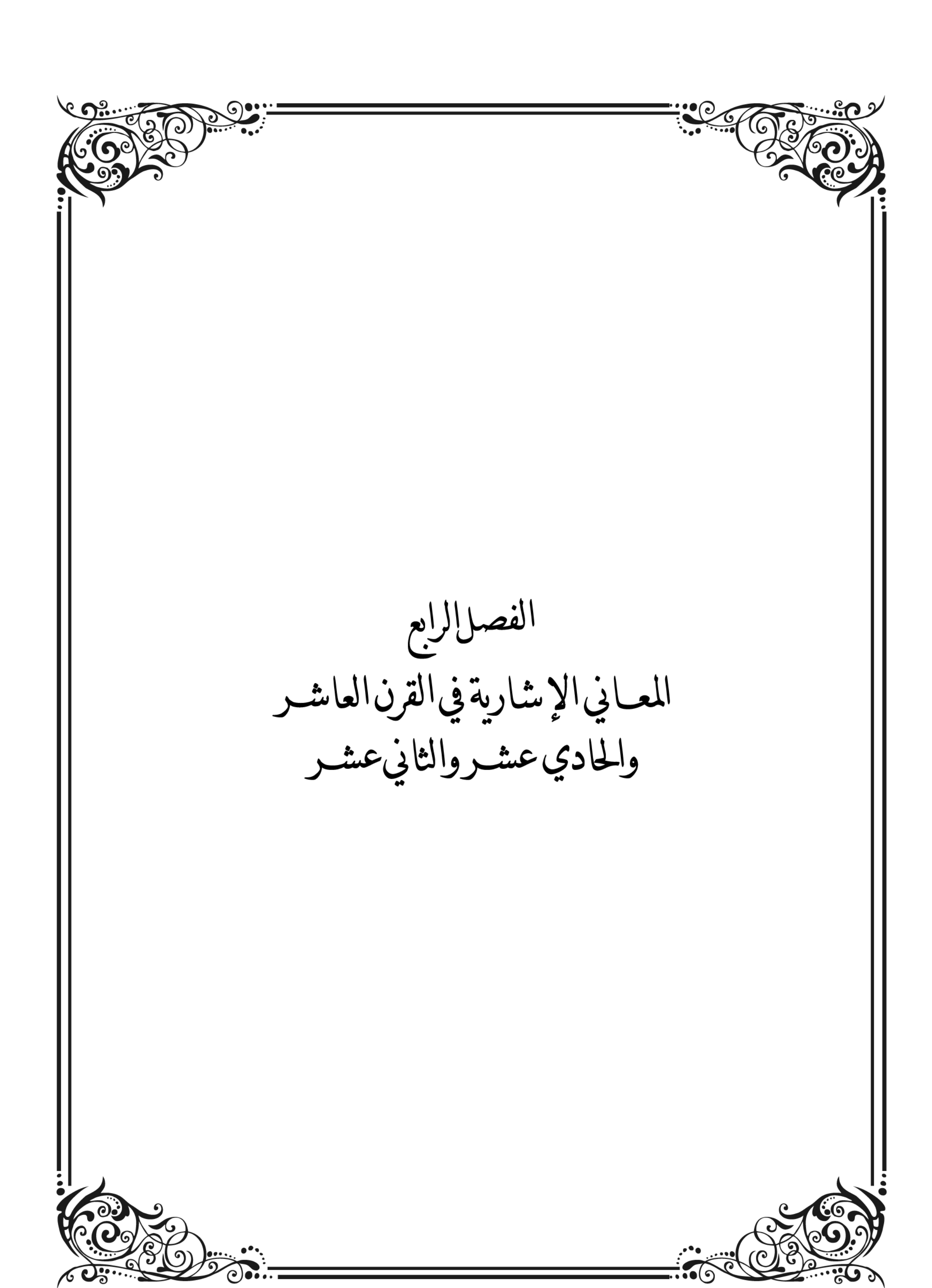
1- **المشير:** تأييد الله تعالى لأحبابه ونصرته لهم وحفظه لجوارحهم من مخالفة أوامره، وتسخيره لجوارحهم في الحق والخير، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ينبغي للمسلم أن لا يتحرك حركة ولا يخطو خطوةً إلا يقصد بها وجه الله تعالى وفق مراده في طاعته وعبادته، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتفاقهما في قصد الخير ومرضاة الله تعالى، فالعبد الصالح هو الذي يؤيده الله تعالى ويعينه للخير، ويجب على المسلم أن لا تصدر حركة منه إلا قصد بها وجه الله سبحانه.

(1) فتح الباري 344/11 .

(2) انظر: فتح الباري 344/11.



الفصل الرابع
المعاني الإشارية في القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر

الفصل الرابع
المعاني الإشارية في القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر

28- علي الخواص[1] (ت 973هـ)

62) عن أبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هذا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**»[2].

قال الشعراني فيما سمعه عن شيخه علي الخواص -رحمه الله- في معنى الحديث: «وقد سمعت سيدي علياً الخواص -رحمه الله- يقول في معنى الحديث: «**إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هذا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**» معناه: أن الناس ينتفعون بعلم الفاجر وتعليمه وإفتائه وتدريسه حتى يكون في الصورة كالعلماء العاملين، ثم يدخله الله بعد ذلك النار، لعدم إخلاصه»[3].

---

(1) هو: علي الخوّاص البرلسي المصري، أحد الأولياء الصالحين، والرجال المُلهمين، وهو شيخ عبد الوهاب الشعراني، وقد جمع لشيخه ما تلقّفه منه وممّا سمعه عنه من المعارف والإشارات وسمّاه الجواهر والدرر، وكتاب آخر أسماه: درر الخواص على فتاوى سيدي الخواص. وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك تكلّم في الطريق، وله تفسيرات للقرآن والسنة حيّرت العلماء. انظر: كشف الظنون 618/1، وخلاصة الأثر للمحبي 416/2.

(2) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له، ك: الجهاد والسير، باب: إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ح 2829، ومسلم في صحيحه ك: الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ح 111.

(3) لواقح الأنوار القدسية 21.

دلَّ ظاهر الحديث أن الله تعالى يؤيد وينصر دينه بالرجل الكافر أو الفاسق(1).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يدل الحديث على أن نصر الدين وتأييده قد يكون بالرجل الكافر أو الفاسق ومن لا خلاق له وهو واقع، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** فهم الخواص -رحمه الله- معنى جديدًا يشمله الحديث وهو أن الله تعالى ينفع الناس بعلم الرجل الفاسق وإفتائه وتدريسه مع عدم انتفاعه بعلمه لريائه ويكون من أهل النار، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتفاقهما في التأييد للدين والانتفاع به دون نفسه، فالفاجر قد يكون بفعله مؤيدًا للدين، وكذلك قد يؤيد الله بالرجل العالم الدين فينفع بعلمه.

* * *

63) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ من تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ ما أُمِرَ بِهِ هَلَكَ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ من عَمِلَ مِنْكُمْ بِعُشْرِ ما أُمِرَ بِهِ نَجَا**»(2).

قال الشعراني -رحمه الله- فيما ينقله عن شيخه علي الخواص -رحمه الله- في معنى الحديث: «وسمعت سيدي عليًّا الخواص -رحمه الله- يقول في معنى حديث: «**سيأتي على**

(1) انظر: فتح الباري 474/7، وفيض القدير 259/2.

(2) رواه الترمذي في سننه واللفظ له، ك: الفتن ح 2267 وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث نعيم بن حماد عن سفيان بن عيينة، قال: وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد، والطبراني في معجمه الصغير 274/2، وأبو نعيم في حلية الأولياء 316/7، ورواه أحمد في مسنده وفي سنده رجل مجهول من حديث أبي ذر مرفوعًا بلفظ: «**من تَمَسَّكَ فيه بِعُشْرِ ما يَعْلَمُ نَجَا**» 155/5، وحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- حسنه ابن حجر في الأمالي المطلقة 146.

أمتي زمان من عمل فيه بعُشر ما علم نجا» المراد به: «أن الواحد منهم يعمل بعلمه كله ولا يحصل له من ذلك قدر عشر من عمل بعشر علمه من السلف» فلا تقتصر يا أخي على اثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة إلا إذا كملت فرائضك، وأنى لك بذلك؟»(1).

يدل معنى الحديث أن من آخر الزمان من يعمل بعشر ما تعلّمه من أمور دينه فتكون عاقبته النجاة، لكثرة الفساد والظلم(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يخبر الرسول ﷺ أن من أسباب النجاة يوم القيامة أن يعمل العالم بعشر ما علم من العلم، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يفهم من الحديث أن من الناس من يعمل بعلمه كله ومع ذلك عمله يقصر عن عمل من سبقه من السلف الصالح، فكأنه عمل بعشر علمه، لقصور عمله في الإخلاص والإتقان والخشوع، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود علاقة بينهما وهي الإعراض عن العمل الخالص لوجه الله الكريم، فالذي يعمل بعشر ما يعلمه كالذي يعمل بعلمه كله ولا يبلغ مبلغ الأول بجامع عدم إخلاصهم الكامل لله عز وجل.

* * *

64) عن جابر بن سمرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**أَلا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا**»، فَقُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ المَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قال: «**يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ**»(3).

---

(1) لواقح الأنوار القدسية 70.

(2) انظر: فيض القدير 556/2.

(3) رواه مسلم في صحيحه واللفظ له ك: الصلاة، باب: الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة =

قال الشعراني -رحمه الله- نقلًا عن شيخه الخواص -رحمه الله-: «سمعت سيدي عليًا الخواص -رحمه الله- يقول: لا ينبغي للشخص أن يبادر ويزاحم على الصف الأول إلا إن كان سالمًا من العيوب الباطنة، التي لو اطلع الناس عليها لحقروه وأخروه، فلينتبه المصلي لمثل ذلك فإن في الحديث: «**صفوا كما تصف الملائكة عند ربها**»(1) أي: لا يتقدّم صغير على كبير، ولا مطرود على مقرب بالنظر لاختلاف المراتب واعتبار المشاهد.. **فكذلك** لا يتقدم مرتكب المعاصي ولو سرًا على السالم منها ولو جهراً»(2).

دل ظاهر الحديث على الترغيب في التراص في الصفوف في الصلاة وإتمامها الأول فالأول كما تراص الملائكة، وهو من خصائص هذه الأمة، وكانت الأمم السابقة يصلون منفردين ووجوه بعضهم إلى بعض(3).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** طلب التراص في الصفوف للصلاة، وإتمامها كما تصف الملائكة عند ربها سبحانه، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** لا ينبغي لأهل الغفلة التَراص في الصفوف الأولى سواء كان في الصلاة أم المحافل العامة للمسلمين، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود علاقة بينهما وهي تقدم وتراص أهل القرب من الله تعالى، فالمؤمنون ينبغي لهم التقدم في الصفوف الأولى في الصلاة كالملائكة

=

باليد ورفعها عند السلام وإتمام الصفوف الأول والتراص فيها والأمر بالاجتماع ح430.

(1) رواه الطبراني بهذا اللفظ في الأوسط 218/8 قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه ولم أجد من ترجمة. مجمع الزوائد 90/2.

(2) لواقح الأنوار القدسية 485، 446.

(3) انظر: طرح التثريب 104/2، وفيض القدير 566/1.

المقربون وكذلك المقربون السالمون من العيوب الباطنة ينبغي لهم أن يتقدموا في الجماعات والاجتماعات.

* * *

29- عبد الوهاب الشعراني[1] (ت 973هـ)

65) عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثَلَاثًا**»[2].

قال الشعراني -رحمه الله- في شرحه للحديث: «أي: العقل ولا يكون العبد عاقلًا إلا إذا كان بهذا الوصف الذي ذكرناه، فإن من كان في ظاهره أو باطنه صفة يكرهها الله تعالى فليس بعاقل كامل، ولا يتقدم للصف الأول بين يدي الله في المواكب الإلهية إلا الأنبياء والملائكة، ومن كان على أخلاقهم، وأما من تخلّف عن أخلاقهم فيقف في أُخريات الناس خير له، فينبغي للإمام أن يأمر كل من عمل بعلمه بالتقدم، كلما صلوا خلفه حتى يكون ذلك من عادتهم في الوقوف، ويأمر بالتخلف إلى وراء كل من رآه لا يعمل بعلمه»[3].

---

(1) هو: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني أبو المواهب الشافعي من ذرية الإمام محمد بن الحنفية، العالم المحقق والصوفي المربي، والفقيه المحدّث، ولد بساقية أبي شعرة من صعيد مصر سنة (898هـ)، ثم انتقل إلى القاهرة وأخذ عن السيوطي وزكريا الأنصاري والرملي وغيرهم، وفتح الله عليه بشيخه علي الخوّاص، وكان من المدافعين عن للتصوف السُّني المعتدل، ودسَّ عليه حساده ما يخالف الشرع فخذلهم الله وأظهره عليهم، من مصنفاته: لواقح الأنوار القدسية، واليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر ولطائف المنن وغيرها، توفي سنة (973هـ). انظر: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية 69/4، والموسوعة الصوفية للحفني 244-247، وكشف الظنون 2054/2.

(2) رواه مسلم في صحيحه ك: الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام ح 432.

(3) لواقح الأنوار القدسية 64.

الأَحلامُ والنُّهى بمعنى واحد وهي العقولُ، وقيل أُولي الأحلام: البالغون، وأولي النهى: العقلاء، ودلّ ظاهر الحديث على استحباب أن يلي الإمام الأفضل فالأفضل من أصحاب العقل والرجاحة، لأنه ربما احتاج الإمام إلى استخلاف أو تنبيه لسهوٍ[1].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** استحباب أن يلي الإمام أهل العقل والعلم، ليعينوا الإمام عند الحاجة، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** استحباب تقديم أهل التقوى والزهد من العلماء العاملين خلف الإمام، فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب الخاشعين الخاضعين له، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف أرباب العقول فيهما، فالذين يلُون الإمام ينبغي أن يكونوا من أصحاب العقول الراجحة، وكذلك ينبغي أن يكونوا من أولي العقول السليمة من غوائل أمراض القلوب، المستشعرين لنظر علاّم الغيوب.

* * *

66) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**ما بَعَثَ الله نَبِيًّا إلا رَعَى الْغَنَمَ**»[2].

قال الشعراني -رحمه الله- في شرحه للحديث: «فرعْية كل راعٍ من سلطان أو أمير أو شيخ في الطريق هم ربحه وخسرانه، فبِهم يربح وبهم يخسر»[3].

دلّ الحديث على أن الأنبياء رعوا الأغنام، وفيه دليل على تواضع النبي ﷺ لربه،

(1) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 155/4، والنهاية في غريب الحديث والأثر 138/5.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط ح 2143.

(3) لواقح الأنوار القدسية 270.

والتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء، وفي ذلك تعليم لهم لرعاية أُممهم[1].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** نصَّ الحديث على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قد رعوا الأغنام، وهو دليل على تواضعهم مع علو مقامهم، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يشير الحديث إلى ربح كل راعي على قومه كحاكم أو شيخ ونحوهما أو خسرانه يكون في رعيته، فالرعيّة هم ربح أو خسران الراعي، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتفاقهما في وصف الربح أو الخسران فالراعي للغنم قد يربح إن اعتنى بأغنامه وقد يخسر إن أهملها، وكذلك الحاكم أو الشيخ أو الأب قد يربح أو يخسر في الآخرة بحسب قيامه بحقوق الرعية أو تقصيره ودليل ذلك قول النبي ﷺ **«كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسؤول عن رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ ومسؤول عن رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ في أَهْلِهِ وهو مسؤول عن رَعِيَّتِهِ وَالمرأةُ رَاعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِهَا ومسؤولة عن رَعِيَّتِهَا وَالخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ ومسؤول عن رَعِيَّتِهِ»**[2].

* * *

67) عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: **«إِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ القَبْرِ مِنَ البَوْلِ فَتَنَزَّهُوا عنه»**[3].

---

(1) انظر: فتح الباري 441/4، وتنوير الحوالك في شرح موطأ مالك للسيوطي 244/2.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن 853 من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(3) رواه الطبراني واللفظ له في معجه الكبير 79/11، والدارقطني في سننه 28/1، وقال: لا بأس به. والحديث عند ابن ماجه في سننه بلفظ: «**أَكْثَرُ عَذَابِ القَبْرِ من البَوْلِ**» ك: الطهارة، باب: التشديد =

قال الشعراني -رحمه الله-: «ورد «**إِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ القَبْرِ مِنَ البَوْلِ**» مع أنه معدود من النجاسة الظاهرة، فالباطنة أولى، لأن القلب محل نظر الرب كما يليق بجلاله، قال ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**»(1) رواه مسلم، وأيضًا فكما لا تصح صلاة أحدنا وفي ظاهر جسده لمعة لم يصبها الماء أو نجاسة لا يعفى عنها، فكذلك القول في نجاسة الأخلاق الردية»(2).

دلّ الحديث أن أكثر عذاب القبر من أجل البول وذلك بسبب ترك التحرز منه فيصلي على حالته ولا تصح صلاته لنجاسته(3).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** أكثر عذاب القبر بسبب عدم التنزّه من نجاسة البول، ويدل على أن من صلى وفي ثوبه نجاسة كالبول فإن صلاته باطلة، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** إن نظر الله تعالى لعباده إلى قلوبهم فيجب عليهم أن يطهروا قلوبهم من الأمراض السيئة كالكبر والرياء، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتفاقهما في حصول العقوبة، فالذي يصلي وفي ثوبه نجاسة كالبول ومثله الذي يصلي وفي قلبه نجاسة معنوية كالرياء فكلاهما قد تعرّضا للعقوبة.

=

في البول ح 348، الحاكم في المستدرك 293/1، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه، وله شاهد من حديث أبي يحيى القتات. والحديث صحيح نصَّ على ذلك ابن الملقن وابن حجر وغيرهما. انظر: البدر المنير 232/2، والتلخيص الحبير 106/1.

(1) تقدم تخريجه صـ 121.

(2) لواقح الأنوار القدسية 468.

(3) انظر: لواقح الأنوار القدسية 468، وفيض القدير 269/3.

68) عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: «**لقد رأيت رَسُولَ اللهِ ﷺ إذا وَجَدَ رِيحَهُمَا من الرَّجُلِ في المسجدِ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إلى البَقِيعِ**»(1).

قال الشعراني -رحمه الله- بعد ذكره للحديث: «قلتُ: ويقاس بالروائح الكريهة المحسوسة الروائح الكريهة المعنوية، فمَنْ عصى الله تعالى ولم يتب توبة نصوحًا فليس له أن يدخل المسجد حتى تزول رائحة تلك المعصية الخبيثة، هذا في شأن من يعصي خارج المسجد فكيف حال من يعصي الله تعالى فيه متكررًا دائمًا؟»(2).

دلّ الحديث على إخراج من وجد منه ريح كريهة نحو بصل في المسجد، وطلب إزالة المنكر باليد لمن أمكنه(3).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** أفاد الحديث إخراج من به ريح كريهة من المسجد، لأنه يؤذي المصلين، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** لا ينبغي لمرتكب المعاصي أن يدخل المسجد حتى يتوب توبةً نصوحًا، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو عدم الدخول المسجد، فالذي به رائحة حسية كريهة لا يدخل المسجد، وكذلك من يعصي الله تعالى بالذنوب ينبغي له أن لا يدخل المسجد حتى يتطهر من ذنوبه ويتوب، فالمسجد من أطهر وأزكى البقاع قال ﷺ: «**أَحَبُّ الْبِلَادِ إلى اللهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إلى اللهِ**

---

(1) رواه مسلم في صحيحه ك: المساجد ومواضع الصلاة، باب: باب نهي من أكل ثومًا أو بصلًا أو كراثًا أو نحوهما ح 567.

(2) لواقح الأنوار القدسية 480.

(3) انظر: مرقاة المفاتيح 386/2، وشرح صحيح مسلم للنووي 35/5.

أَسْوَاقُهَا»[1]، وأمر الله تعالى سيدنا إبراهيم -عليه السلام- أن يطهر بيته من الأنجاس والأرجاس فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾[2].

* * *

30- علي القاري (ت 1014هـ)

) عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الْأَعْمَالُ بالنيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ ما نَوَى فَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى دُنيا يُصِيبُهَا أو امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه**»[3].

قال علي القاري -رحمه الله- في شرحه للحديث بعد تقرير معنى ظاهر قول النبي ﷺ: «**إنما الْأَعْمَالُ بِالنيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ ما نَوَى**»: «هذا بلسان العلماء أرباب العبارة، وأما بلسان العرفاء أصحاب الإشارة فمعناه مجملًا أن أعمال ظاهر القالب متعلق بما يقع في القلوب من أنوار الغيوب، والنية جمع الهم في تنفيذ العمل للمعمول له، وأن لا يسنح في السر ذكر غيره، وللناس فيما يعشقون مذاهب... ثم ذكر نيات الناس وقال: ونية أهل التصوف ترك الاعتماد على ما يظهر منهم من العبادات»[4].

دلّ ظاهر قول النبي ﷺ: «**إنما الْأَعْمَالُ بِالنيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ ما نَوَى**» أن الأعمال من العبادات والمباحات لا تقبل ولا ينال صاحبها المثوبة إلا إذا نوى بها وجه الله تعالى

---

(1) رواه مسلم في صحيحه ك: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد ح 670 من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(2) سورة الحج: 26.

(3) تقدم تخريجه صـ 137.

(4) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 102/1.

والقرب منه، والمقصود من النية إقامة الطاعات لله عز وجل[1].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** لا تصح العبادات إلا بالنية الصحيحة الخالصة ووقتها أول العبادات، وتقلْب النية المباح إلى طاعة، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** أن لا يقصد العبد في أي عمل إلا وجه الله تعالى دائمًا بحيث لا يستقر في القلب ذكر غير الله تعالى ولا قصد غيره، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتفاقهما في وصف القصد فالمسلم عندما يقوم بالعبادات فيجب عليه قصدها لله عز وجل عند فعلها، وكذلك ينبغي عليه أن يقصد في كل أعماله وجه الله تعالى، فلا يستقر بقلبه قصد أو ميل لغير الله في كل أوقاته وكل حياته، وهذا مقام عظيم لا يناله إلا الصادقين المخلصين.

* * *

69) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو: «**رَبِّ أَعِنِّي ولا تُعِنْ عَلَيَّ وَانْصُرْنِي ولا تَنْصُرْ عَلَيَّ وَامْكُرْ لِي ولا تَمْكُرْ عَلَيَّ وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إلي وَانْصُرْنِي على من بَغَى عَلَيَّ اللهم اجْعَلْنِي لك شَاكِرًا لك ذَاكِرًا لك رَاهِبًا لك مِطْوَاعًا إِلَيْكَ مُخْبِتًا أو مُنِيبًا رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَاغْسِلْ حَوْبَتِي وَأَجِبْ دَعْوَتِي وَثَبِّتْ حُجَّتِي وَاهْدِ قَلْبِي وَسَدِّدْ لِسَانِي وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي**»[2].

---

(1) انظر: المصدر السابق نفسه 99/1.

(2) رواه أبو داود في سننه واللفظ له ك: الصلاة، باب: ما يقول الرجل إذا سلم ح 1510، وابن ماجه في سننه ك: الدعاء، باب: دعاء رسول الله ﷺ ح 3831، والترمذي في سننه ك: الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب: في دعاء النبي ﷺ ح 3551، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم في المستدرك 701/1، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال ابن حجر: هذا حديث حسن. انظر: الأمالي المطلقة 296.

قال علي القاري -رحمه الله- في شرحه للحديث في قول النبي ﷺ: «**لك رَاهِبًا**» «أي: منقطعًا عن الخلق، وفيه هذا من لوازم معناه الأعم منه ومن غيره، هو بإشارة الصوفية أشبه، وأما معنى العبارة فما قدمناه مع أن الرهبانية منسوخة عن هذه الأمة، ومُراد الصوفية بالانقطاع إنما هو انصراف الهمة عن الخلق والتعلق بالحق، وهذا تارة يصدر وينشأ من غاية الرهبة، وتارة يصدر من غاية الرغبة[1]»[2].

وظاهر معنى قول النبي ﷺ في دعائه: «**لك رَاهِبًا**» أي: خائفًا في السراء والضراء، وهو: مقام الخوف من الله تعالى[3].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** إقرار المسلم لربه بأنه خائف في سائر حالاته، لكونه مستشعراً لاطلاع ربه عليه، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** إقرار المسلم بأنه منقطع عن الخلق ومتعلق بالخالق سبحانه هربًا إليه تعالى تارة، ورغبة لمرضاته تارة أخرى، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو استشعار المراقبة، فالمسلم يخاف من ربه، وكذلك ينقطع عن الخلق بالخالق فهما قد استشعرا مراقبة الله سبحانه.

* * *

(1) الرغبة: صورته ميل النفس عن الطبع إلى القلب، وأصله الرغبة فيما تحقق وقوعه بخبر الصادق عن النعيم الباقي، ولقاء الحق يوم التلاقي. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني 223.

(2) مرقاة المفاتيح 394/5.

(3) انظر: مرقاة المفاتيح 394/5.

70) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**غَيِّرُوا الشَّيْبَ ولا تَشَبَّهُوا باليَهُودِ**»(1).

قال علي القاري -رحمه الله- في شرحه للحديث: «واحتمل أن تغيير الشيب أن يُغيِّر على نفسه ما كان يفعله من الأمور الدنيوية ويقبل على الأمور الأخروية، قلت: -القائل القاري- وهذا بالإشارة الصوفية أشبه من العبارات الصورية»(2).

يدل ظاهر الحديث طلب تغيير الشيب بغير السواد استحباباً كأن يكون بالحناء ونحوه والنهي عن التشبه باليهود في ترك خضاب الشيب(3).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** طلب تغيير بياض شعر الرأس بالحناء ونحوه دون السواد، وعدم التشبه باليهود، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ينبغي أن يغيِّر المسلم نفسه بأن يتخلّى عن الرذائل والاشتغال بالدنيا إلا بما يصلحه منها، ويتحلّى بالفضائل والاشتغال بالأمور الأخروية، وهذا المعنى الإشاري.

---

(1) رواه الترمذي في سننه واللفظ له ك: اللباس باب: ما جاء في الخضاب ح 1752، وقال: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، والنسائي في سننه ك: الزينة، باب: الإذن بالخضاب ح 5073، وأحمد في مسنده 261/2، وابن حبان في صحيحه 287/12 لكن عندهما بزيادة (والنصارى)، والحديث صحيح. انظر: فتح الباري 355/10، والمداوي للغماري 542/4-545، وحديث الأمر بتغيير الشيب ورد أيضًا عند مسلم في صحيحه بلفظ: «**غَيِّرُوا هذا بِشَيْءٍ وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ**» ك: اللباس والزينة، باب: استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة وتحريمه بالسواد ح 2102، وفي رواية «**إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ نخَالِفُوهُمْ**» باب: في مخالفة اليهود بالصبغ ح 2103.

(2) مرقاة المفاتيح 296/8.

(3) انظر: المصدر السابق نفسه 295/8.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو التغيير، فالمسلم يستحب له أن يُغير بياض شعر رأسه، وكذلك ينبغي له أن يُغيّر نفسه بترك عيوبها والاشتغال بما يزهده من الأمور الأخروية.

* * *

31 - محمد بن عبد الله العيدروس[1] (ت 1031هـ)

71) عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «**إني لَأَدْخُلُ في الصَّلَاةِ وأنا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ في صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ من شِدَّةِ وَجْدِ[2] أُمِّهِ من بُكَائِهِ**»[3].

قال محمد العيدروس -رحمه الله-: «وما أحسن ما رُويَ عن النبي ﷺ في هذا المعنى، وهو قوله: «**إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز فيها، لما أعلم من وجْدِ أُمه عليه**» فينبغي للإنسان أن يكون سمحًا سهلًا خارجًا عن طريق الهوى»[4].

(1) هو: محمد بن عبد الله بن شيخ العيْدروس باعلوي الحسيني، الإمام العلامة صاحب التصانيف القيّمة، ولد بتريم سنة (970هـ) تلقى العلم عن جده شيخ بأحمد أباد بالهند، وقرأ عليه في عدة علوم، وتخرّج به في طريق القوم ومن شيوخه عبد الله بافقيه، له مؤلفات نافعة منها: إيضاح أسرار المقربين، وفضائل اليمن وغيرهما، توفي بالهند سنة (1031هـ). انظر: خلاصة الأثر 82/1، وعقد اليواقيت 1028/2، والنور السافر للعيدروس 332.

(2) الوُجد: يطلق على الحزن وعلى الحب أيضًا وكلاهما سائغ هنا، والحزن أظهر فيكون المعنى من حزنها واشتغال قلبها بابنها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر 319/1، وشرح صحيح مسلم 187/4.

(3) رواه البخاري في صحيحه ك: الجماعة والإمامة، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي ح 677.

(4) إيضاح أسرار علوم المقربين 90، 91.

دلّ ظاهر الحديث طلب الرفق بالمأمومين وسائر الأتباع ومراعاة مصلحتهم وتقديمها على مصلحة نفسه، وأن لا يدخل عليهم ما شق عليهم وإن كان يسيرًا(1).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** طلب الرفق بالمأمومين في الصلاة وتقديم مصلحتهم على مصلحة النفس تيسيرًا، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ينبغي للمسلم أن يكون سمحًا سهلًا في أموره كلها مقدمًا المصلحة الشرعية على هواه، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود علاقة بينهما وهي تقديم المصلحة على الهوى، فالإمام يقدم مصلحة التيسير على المصلين على مصلحته من الإطالة، وكذلك المسلم ينبغي له أن يقدم دائمًا المصلحة على هواه.

72) عن شَدَّاد بن أَوْسٍ -رضي الله عنه- قال سمعت النبي ﷺ يقول: **«إِنَّ أَخْوَفَ ما أَتَخَوَّفُ على أُمَّتِي الْإِشْرَاكُ بِاللهِ أَمَا إني لَسْتُ أَقُولُ يَعْبُدُونَ شَمْسًا ولا قَمَرًا ولا وَثَنًا وَلَكِنْ أَعْمَالًا لِغَيْرِ اللهِ وَشَهْوَةً خَفِيَّةً»**(2).

---

(1) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 187/4.

(2) رواه ابن ماجه في سننه واللفظ له ك: الزهد، باب: الرياء والسمعة ح4205 من طريق محمد بن خلف العسقلاني عن روّاد بن الجراح عن عامر بن عبد الله عن الحسن بن ذكوان عن عبادة بن نسي عن شداد مرفوعًا، قال البوصيري عقب الحديث: هذا إسناد فيه مقال عامر بن عبد الله لم أر من تكلّم فيه بجرح ولا غيره وباقي رجال الإسناد ثقات وله شاهد.. مصباح الزجاجة 237/4 ثم ذكر الشاهد، والحسن بن ذكوان وإن تكلّم فيه الإمام أحمد فقد وثقه غيره، واحتج به البخاري في صحيحه، وعامر بن عبد الله جعله أحمد الغماري ابن يساف، وقد قال عنه ابن معين: ثقة، وقال أبو داود: لا بأس به رجل صالح، وقال ابن عدي يكتب حديثه مع أنه ضعفه. انظر: لسان الميزان 223/3، والمداوي 445/2، ولعل ما قاله الغماري غير سديد -والله أعلم- فقد قال الذهبي: عامر بن عبد الله عن الحسن بن ذكوان ما روى عنه سوى روّاد بن الجراح. انظر: الميزان 19/4، =

قال محمد العيدروس -رحمه الله- «معنى قوله ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي.. الشهوة الخفية» قالوا: هي أعمال البر بالهوى. قال أهل المعرفة: الهوى يلازم ضعف العقل فمتى كان هذا الإنسان أوفرَ عقلًا كان أقلَّ هوى، فإذا قلّ الهوى كره الإنسان الشرور والمماراة والخوض في الفضول»(1).

المراد من الشهوة الخفية في الحديث ما بيّنها النبي ﷺ وهي أن الصائم تعْرض له شهوة من شهواته كالأكل والجماع وغيرهما فيميل إليها فيخالف الشرع فيفطر بها فيرجح جانب النفس والهوى على عبادة الله تعالى(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** النهي عن إتباع الشهوات وتقديم الهوى على طاعة الله تعالى كمن يصوم فتعرض له شهوة الإفطار فيفطر، وهذا المعنى الظاهر.

= ومثله في تهذيب الكمال للمزي 370/9 فعامر معروف ولم يذكر بخير ولا بشر فيُقبل حديثه كما هو مقرر عند أهل الحديث، وأما عبادة بن نسي فهو ثقة روى عن الصحابة رضي الله عنهم وهو في المرتبة الثالثة كما ذكره الحافظ ابن حجر في التقريب برقم 3160، والحديث روي من طرق كثيرة من طريق عبد الواحد بن زيد وهو ضعيف، وشهر بن حوشب مختلف فيه ووثقه أحمد وابن معين وابن حجر وجماعة. انظر: فتح الباري 65/3، فالحديث محفوظ وممن رواه الحاكم في المستدرك 633/4 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأحمد في مسنده 123/4 بلفظ: «**أَتَخَوَّفُ على أمتي الشِّرْكَ وَالشَّهْوَةَ الخَفِيَّةَ**»، قال: قلت يا رَسُولَ اللهِ أَتُشْرِكُ أُمَّتُكَ من بعدكَ؟ قال: «**نعم، أَمَّا إنهم لَا يَعْبُدُونَ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا وَلاَ حَجَرًا وَلاَ وَثَنًا ولكنْ يُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ والشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ أن يُصْبِحَ أَحَدُهُمْ صَائِمًا فَتَعْرِضُ له شَهْوَةٌ من شَهَوَاتِهِ فَيَتْرُكُ صَوْمَهُ**»، والطبراني في معجمه الكبير 284/7، وأبو نعيم في حلية الأولياء 268/2 رواه من ثلاث طرق، فالحديث حسن بمجموع طرقه.

(1) إيضاح أسرار علوم المقربين 101.

(2) انظر: مرقاة المفاتيح 516/9.

2- **المشار إليه:** ذم إتباع تقديم الهوى في الأعمال فإذا قلّ هوى الإنسان قلّت مخالفته للشرع وقلت شروره، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتفاقهما في وصف بينهما وهو تقديم الهوى، فلا ينبغي للصائم أن يُقدّم هواه وشهوته فيفطر، وكذلك ينبغي للمسلم أن لا يُقدّم هواه في أعماله بل يمنع هواه وشهواته لئلا يقع في الهلاك، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾(1).

***

32- عبد الرؤوف المناوي(2) (ت 1052هـ)

73) عن علي -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَفْوَاهَكُمْ طُرُقٌ لِلْقُرآنِ فَطَيِّبُوهَا بِالسِّوَاكِ**»(3).

---

(1) سورة النازعات: 37-41.

(2) هو: محمد عبد الرؤوف بن علي الحدادي المناوي القاهري، زين الدين، من كبار العلماء بالدين، انزوى للبحث والتصنيف، من مؤلفاته: فيض القدير شرح الجامع الصغير، وكنوز الحقائق وغيرهما، توفي سنة (1052هـ). انظر: خلاصة الأثر للمحبي 441/1، والأعلام للزركلي 2204/6، ومعجم المؤلفين 196/4.

(3) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء 296/4، وقال: غريب من حديث سعيد لم نكتبه إلا من حديث بحر وحديث أبي الصهباء عن سعيد تفرد به عمارة. ورواه ابن ماجه في سننه موقوفاً عن علي ك: الطهارة، باب: السواك ح291 كلاهما من طريق بحر بن كنيز عن عثمان بن ساج عن سعيد بن جبير عن علي. قال البوصيري: هذا إسناد ضعيف لانقطاعه بين سعيد وعلي، ولضعف بحر راويه، ورواه البزار بسند جيد لا بأس به مرفوعاً ولعلّ من وثقه أشبه، ورواه البيهقي في الكبرى 38/1 من طريق عبد الرحمن السلمي عن علي موقوفاً. مصباح الزجاجة43/1، ولفظ البزار في مسنده 214/2: =

قال المناوي -رحمه الله- بعد شرحه الحديث ناقلًا لكلام الصوفية على معنى هذا الحديث ومؤيدًا لهم: «أخذ بعض الصوفية من هذا -أي الحديث- أنه كما يشرع تنظيف الأفواه للقراءة من الدنس الحسي يشرع من القذر المعنوي فيتأكد لحملة القرآن صون اللسان عن نحو كذب وغيبة ونميمة وأكل حرام، إجلالًا لكلام الملك العلام.. والقوم يشهدون القذر الحُكمي كالحسي فيرون تضمخ اللسان مثلًا بدم اللثة أخف من تضمخه بغيبة ونميمة»[1].

يدل الحديث الترغيب في تطهير الفم عن طريق السواك، لأن الأفواه طريق للنطق بحروف القرآن وذكر الله تعالى[2].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** طلب الاستياك عند قراءة القرآن الكريم واستحبابه، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ينبغي ويتأكد تطهير اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب وغيرها من آفات اللسان، حتى يقرأ المسلم القرآن وهو طاهر الباطن خصوصًا، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف بينهما وهو التطهير، فالمسلم يطهر

=

«إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فتسمع لقراءته فيدنو منه أو كلمة نحوها حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك فطهروا أفواهكم للقرآن» وقال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن علي -رضي الله عنه- بإسناد أحسن من هذا الإسناد وقد رواه غير واحد عن الحسن بن عبيد الله عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي -رضي الله عنه- موقوفًا. والحديث حسّنة العراقي وابن الملقن والهيثمي وغيرهم. انظر: طرح التثريب 61/2، والبدر المنير 51/2، ومجمع الزوائد 99/2.

(1) فيض القدير 428/2.

(2) انظر: المصدر السابق 428/2.

فمه بالسواك عند قراءة القرآن، وكذلك ينبغي له أن يطهر فمه من اللغو والرفث وآفات اللسان.

* * *

74) عن أبي مَالِك الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّة غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِن ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا الله لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَلاَنَ الكَلاَمَ وَتَابَعَ الصِّيَامَ وَصَلَّى وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»(1).

قال المناوي -رحمه الله- في شرحه للحديث عند قوله ﷺ «**وتابع الصيام**»: «وقال الصوفية الصيام هنا الإمساك عن كل مكروه فيمسك قلبه عن اعتقاد الباطل ولسانه عن القول الفاسد ويده عن الفعل المذموم»(2).

والمراد من قول النبي ﷺ: «**وتابع الصيام**» الصيام المعروف بترك الطعام والتراب والشهوة من الفجر إلى الغروب خصوصًا الأشهر الفاضلة والأيام المشهود لها بالفضل على الوجه المشروع(3).

---

(1) رواه أحمد في مسنده واللفظ له 343/5، والترمذي في سننه ك: البر والصلة، باب: ما جاء في قول المعروف ح 1984، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق، وقد تكلّم بعض أهل الحديث في عبد الرحمن بن إسحاق هذا من قبل حفظه وهو كوفي وعبد الرحمن بن إسحاق القرشي مدني وهو اثبت من هذا وكلاهما كانا في عصر واحد. ورواه ابن خزيمة في صحيحه 306/3، وابن حبان في صحيحه 262/2، والبيهقي في سننه الكبرى 300/4، والحاكم في المستدرك 153/1 وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا جميعًا بحيي وهو أبو عبد الرحمن المذحجي صاحب سليمان بن عبد الملك ويقال مولاه ولم يخرجاه. والحديث حسنه المنذري والهيثمي وعلي القاري وغيرهم. انظر: الترغيب والترهيب 34/2، ومجمع الزوائد 192/3، ومرقاة المفاتيح 279/3، والمداوي 484/2.

(2) فيض القدير 465/2، ومرقاة المفاتيح 279/3.

(3) انظر: فيض القدير 465/2.

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** الترغيب في الصيام بالإمساك عن الشراب والطعام ومتابعته واستحبابه، وأنه سبب لنيل الجنة والغُرف الكريمة، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ينبغي للمسلم أن يصوم بأن يُمسك قلبه عن الاعتقادات الباطلة ولسانه عن الأقوال الفاسدة، ويده عن الأفعال المذمومة، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو الإمساك فالمسلم يمسك في صومه عن الطعام والشراب من الفجر إلى الغروب، وكذلك يمسك حقيقة عن الاعتقادات والأقوال والأفعال المذمومة.

* * *

75) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين، ولَفَقِيه أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه**»[1].

قال المناوي -رحمه الله- مُقرًّا عن نقله عن الصوفية: «وذهب بعض الصوفية إلى أن

(1) رواه الدارقطني واللفظ له في سننه 79/3، والطبراني في معجمه الأوسط 194/6، والقضاعي في مسند الشهاب 150/1، وأبو نعيم في حلية الأولياء 192/2، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 110/2، كلهم من طريق يزيد بن عياض بن جعدبة وهو متروك. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال 263/7، وللحديث طرق أخرى من غير طريق يزيد المذكور منها: عند البيهقي في شعب الإيمان 226/2 وقال: تفرد به عيسى بن زياد بهذا الإسناد وروي من وجه آخر ضعيف، والمحفوظ هذا اللفظ من قول الزهري. ثم ذكر الوجه الضعيف من طريق يزيد بن عياض، وقال: يزيد بن عياض ضعيف في الحديث. والحديث له طرق أخرى ذكرها السخاوي والغماري يعضد بعضها بعضًا ويرتقي للحسن لغيره. انظر: المقاصد الحسنة 534، والمداوي 486/5، وكشف الخفاء 188/2.

المراد هنا معناه اللغوي فقال: الفقه انكشاف الأمور والفهم هو العارض الذي يعترض في القلب من النور، فإذا عرض انفتح بصر القلب فرأى صورة الشيء في صدره حسناً كان أو قبيحًا، فالانفتاح هو الفقه والعارض هو الفهم، وقد أعلم الله أن الفقه من فعل القلب بقوله: ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا﴾(1)... فالفقه في الدين جند عظيم يؤيد الله به أهل اليقين الذين عاينوا محاسن الأمور ومشائنها وأقدار الأشياء وحسن تدبير الله في ذلك لهم بنور يقينهم، ليعبدوه على بصيرة ويُسر، ومن حُرِم ذلك عَبَده على مُكابدةٍ وعُسْرٍ»(2).

والحديث يدل على فضل الفقه وتميّزه على سائر العلوم، والمراد بالفقه معرفة الأحكام الشرعية العملية مما لا رخصة للمكلف في تركه(3).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** تفضيل طلب علم الفقه لمعرفة كيفية عبادة الله تعالى على وجهها الصحيح، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** أفضل الفقه في الدين هو الفهم عن الله تعالى، ومعرفة حقائق الأشياء صحيحها من سقيمها بنور الإيمان الصادق، وهذا العلم هو من ثمرة التقوى قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٢٨٢﴾(4)، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود صفة مشتركة بينهما وهي الفهم فيطلق على الفقه في اللغة الفهم، فالمسلم يفهم أحكام الشريعة العملية بالتعلّم، ويدرك ويفهم عن الله تعالى ما يريده من الأشياء فيأخذ بأحسنها وأصوبها.

(1) سورة الأعراف: 179.

(2) فيض القدير 455/5.

(3) انظر: المصدر السابق نفسه 454/5.

(4) سورة البقرة: 282.

76) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**أَحَبُّ الدِّين إلى اللهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**»[(1)].

قال المناوي -رحمه الله- بعد شرحه الحديث مؤيدًا لكلام الصوفية: «وقال بعض الصوفية: معنى الحنيفية التي تميل بالعبد إلى الله، والأحنف الأميل وهو الذي تميل أصابع إحدى رجليه إلى الأخرى فكأنه قال: أحب أوصاف أهله إليه أن يميل العبد بقلبه في سائر أحواله وبجوارحه إلى عبادته بحيث يعرض عمّا سواه ويكون معنى السماحة سهولة الانقياد إلى رب العباد فيما أمر ونهى فيصبر على مر القضاء وحلوه ويشكر فهذه أحب أوصاف أهل الدين إليه»[(2)].

يدل الحديث أن أفضل خصال الدين ما كان منها سمحًا سهلًا ينقاد إليه فهو أحب إلى الله تعالى[(3)].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** أفضل خصال الدين ما كان سهلًا سمحًا موافقًا للفطرة، فيميل الإنسان إليه بطبعه دون مشقة، وكل تشريعات الإسلام فهي كذلك، وهذا المعنى الظاهر.

---

(1) رواه أحمد في مسنده 236/1، وعبد الرزاق في مصنفه 292/11، والطبراني واللفظ له في معجمه الأوسط 229/7، والقضاعي في مسند الشهاب 104/2، وابن عساكر في تاريخ دمشق 356/22، والبخاري في صحيحه معلقًا ك: بدء الوحي، باب: الدين يسر وقول النبي ﷺ: «**أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة**» ورواه متصلًا في الأدب المفرد 108، قال ابن حجر: وهكذا رواه عبد الأعلى وعبد الرحمن بن مغراء وعلي بن مجاهد وغيرهم عن محمد بن إسحاق ولم أره من حديثه إلا معنعنًا وله شاهد من مرسل صحيح الإسناد. ثم ذكر شواهد للحديث. انظر: تغليق التعليق على صحيح البخاري 41/2، والمقاصد الحسنة 186.

(2) فيض القدير 170/1.

(3) انظر: المصدر السابق نفسه.

2- **المشار إليه:** أعظم أوصاف المسلم ميل العبد بقلبه لربه فينقاد لأمره ونهيه من غير تكلّف بل سجيّة، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتفاقهما في وصف الميل والانقياد، فأحكام الدين يُمال إليها من غير تكلّف، والمسلم ينقاد ويميل إلى ربه في سائر أحواله سجيّة وطبعًا.

***

77) عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: كنتُ رديف رسول الله ﷺ فقال: يا غلام ألا أعلمك شيئًا ينفعك الله به، قلتُ بلى يا رسول الله قال: «**احْفَظ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ، إذا سَأَلْتَ فَسَلِ اللهَ وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ فَقَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هو كَائِنٌ إلى يوم الْقِيَامَةِ، فَلَوْ جَهَدَ الخَلَائِقُ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لم يَكْتُبْهُ اللهُ لك لم يَقْدِرُوا على ذلك وَلَوْ جَهَدَ الْخَلَائِقُ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لـم يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لم يَقْدِرُوا على ذلك**»(1).

قال المناوي -رحمه الله- بعد شرحه للحديث في قوله ﷺ: «**تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ**» «قال الصوفية ينبغي أن يكون بينه وبين ربه معرفة خاصة بحيث يجده قريبًا للاستغناء له منه فيأنس به في خلوته، ويجد حلاوة ذكره ودعائه ومناجاته وخدمته،

(1) رواه الحاكم في المستدرك 623/3 وقال: هذا حديث كبير عالٍ من حديث عبد الملك بن عمير عن بن عباس رضي الله عنهما إلا أن الشيخين رضي الله عنهما لم يخرجا شهاب بن خراش ولا القداح في الصحيحين، وقد روي الحديث بأسانيد عن بن عباس غير هذا. ورواه الطبراني واللفظ له في معجمه الكبير 123/11، والبيهقي في شعب الإيمان 27/2، وأبو نعيم في حلية الأولياء 314/1، والحديث حسن قال السخاوي عنه: ومن طريق الطبراني أورده الضياء في المختارة وهو حسن وله شاهد عند عبد بن حميد. انظر: المقاصد الحسنة 257، ومجمع الزوائد 190/7، والحديث رواه الترمذي في سننه من غير زيادة: «**تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ**» ك: صفة القيامة والرقائق والورع ح 2516 وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ولا يزال العبد يقع في شدائد وكرب في الدنيا والبرزخ والموقف فإذا كان بينه وبين ربه معرفة خاصة كفاه ذلك كله»[1].

ظاهر قوله ﷺ: «**تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ**» في الحديث يدل على التحبب والتقرب إلى الله تعالى بطاعته وشكره وقت الأمن والنعمة حتى يكون العبد متصفًا عنده تعالى بطاعته يفرج عنه شدائده كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾[2]، [3].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** ينبغي للمسلم أن يتقرب إلى الله تعالى بالطاعة والشكر وقت الأمن والرخاء، ليحفظه الله وقت الشدائد ويلطف به، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ينبغي للمسلم أن يكون دائمًا متقربًا إلى الله تعالى في كل أوقاته حتى يكون محبوبًا عند مولاه، فلا يأنس إلا به حتى يلطف به في الدارين معًا، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود علاقة بينهما وهي التقرب إلى الله تعالى، فالمسلم يتقرب إلى ربه وقت الرخاء، وكذلك ينبغي أن يتقرب إليه دومًا في كل أحواله وقت أُنْسِهِ وسرورِهِ وشدته وضعفه، وهذا مقام الصالحين.

***

(1) فيض القدير 251/3.

(2) سورة الطلاق: 2ـ3.

(3) انظر: فيض القدير 251/3.

33- محمد بن علان الصديقي[1] (ت 1057هـ)

78) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: حَفِظْتُ من رسول اللهِ ﷺ **«دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى مالا يَرِيبُكَ فإن الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ»**[2].

قال ابن علان -رحمه الله- في شرحه للحديث مؤيدًا لكلام العلماء الربانيين: «وقال بعض أرباب الإشارات معناه: إذا كنت صحيح الخاطر طاهر الباطن مراقبًا للغيب وتعرف لَمّة[3] الملك من لمة الشيطان والإلهام من حديث النفس وكنت مميزًا بين الحق والباطل بنور الفراسة وصفاء القلب، فدع ما يريبك من الأغلوطات والشبهات النفسانية والشيطانية إلى ما لا يريبك ممّا ينزل بقلبك وعقلك وروحك من الإلهام الإلهي والعلم اللدني، وكما أن ترك ما يريبك مأمور به فكذا ترك ما يريب الغير مما يصعب على أفهام العامة أولى»[4].

ومعنى ظاهر الحديث أن ما اشتبه حاله على الإنسان فتردد بين كونه حلالًا أو حرامًا

---

(1) هو: محمد علي بن محمد بن علان البكري الصديقي الشافعي الأشعري، الفقيه العلامة صاحب التصانيف الكثيرة النافعة، من مؤلفاته: الفتوحات الربانية بشرح الأذكار النواوية، ودليل الفالحين بشرح رياض الصالحين وغيرهما، توفي سنة (1057هـ). انظر: خلاصة الأثر للمحبي 184/4، وكشف الظنون 936/1.

(2) رواه الترمذي في سننه واللفظ له ك: صفة القيامة والرقائق والورع ح 2518 وقال: هذا حديث حسن صحيح. والنسائي في سننه ك: الأشربة، باب: الحث على ترك الشبهات ح 5711، والدارمي في سننه 319/2، والحاكم في المستدرك 15/2 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وابن حبان في صحيحه 498/2، وابن خزيمة في صحيحه، والحديث إسناده صحيح. انظر: تغليق التعليق لابن حجر 211/3.

(3) اللّمّة: بالفتح من الإلمام، ومعناه: النزول والقرب والإصابة، والمراد بها ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك. انظر: مرقاة المفاتيح 235/1، والنهاية في غريب الحديث والأثر 273/4.

(4) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية 318/7.

فاللائق بحاله تركه والذهاب إلى ما يعلم حاله، ويعرف أنه حلال بحيث يبني المسلم أمره على يقين(1).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** ترك ما يشتبه على المسلم مما يتردد بين التحريم والتحليل، وفعل ما يعلم أنه حلال خالص، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ترك السالك ما يريبه من الأغلوطات والشبهات النفسية إلى ما لا يريبه مما ينزل قلبه من العلوم اللدنية، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو ترك ما كانت فيه الريبة إلى ما لا ريبة فيه، فالمؤمن يترك ما يشك في حرمته وحله ويأخذ مال هو حلال، وكذلك السالك إلى الله تعالى يترك ما فيه الريبة مما يرد على قلبه من الشكوك والأوهام ونحوها إلى ما يعلم أنه من العلوم اللدنية.

* * *

79) عن أنس -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**لَا يُؤْمِنُ أحدكم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(2).

قال ابن علان -رحمه الله- في شرحه للحديث بعد تقريره لظاهره: «وقال بعض أرباب الإشارات في الكلام على الحديث تحقيق ذلك أن المؤمنين متحدون بحسب الأرواح والحقائق متعددون من حيث الأجسام والصور، فهم كنور واحد في مظاهر مختلفة

(1) انظر: حاشية السندي على سنن النسائي 328/8، والفتوحات الربانية 318/7.

(2) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له ك: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ح 13، ومسلم في صحيحه ك: الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير ح 45.

أو كنفس واحدة في أبدان متفرقة بحيث لو تألم الواحد تأثر الجميع بل من تمكّن فيه صح ذلك له بالنسبة إلى جميع الأشياء»(1).

والمراد من ظاهر الحديث أن المؤمن الكامل هو الذي يحب لأخيه المؤمن من الطاعات والمباحات دون الحرام(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** شرط الإيمان الكامل أن يحب المؤمن لأخيه من الخير ما يحبه لنفسه، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** المؤمنون المخلصون أرواحهم متحدة مترابطة فإذا تأثر أحدهم تأثروا جميعًا، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اشتراكهما في المحبة الصادقة فالمؤمن إن أحب أخاه المؤمن بذل له الخير ما استطاع، وكذلك المؤمنون المتحققون بحقائق الإيمان حتى أنهم يتأثرون بتألم أو سرور إن حصل بأحدهم بسبب المحبة الصادقة لله عز وجل وصدق الله العظيم في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(3).

* * *

80) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَيُّهَا الناس إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المؤمنينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المرسلينَ، فقال:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١﴾(4)، **وقال:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن

(1) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية 322/7.

(2) انظر: عمدة القاري 141/1، والفتوحات الربانية 321/7.

(3) سورة الحجرات: 10.

(4) سورة المؤمنون: 51.

طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾[1]، **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلى السَّمَاءِ يا رَبِّ يا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**»[2].

قال ابن علان -رحمه الله- في شرحه للحديث في قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا**»: «وقال أهل الإشارات لا يقبل إلا طيباً، أي: لا ينبغي أن يتقرب إليه إلّا بما يكون طاهراً حلالاً من خيار المال، ولا يقبل إلا عبداً متحلياً بفضيلتي العلم والعمل، تقيًّا من الشبهات، نقيًّا من النجاسات، سليمًا قلبه من الآفات»[3].

معنى قول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا**» الطيب في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص وهو بمعنى القدوس، والمراد الحث على الإنفاق من الحلال والنهي عن الإنفاق من الحرام، والترغيب في العمل الخالص من الرياء والعجب[4].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** لا يقبل الله تعالى من الأعمال إلا ما كان خالصًا لوجهه ولم يكن حرامًا، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** لا يقبل الله تعالى عبدًا من عباده إلّا إن كان متحليًا بالعلم والعمل مع سلامة قلبه من الآفات القلبية والأمراض المعنوية، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتفاقهما في وصف التخلي عن النقائص والحرام، ويقبل الله تعالى من العمل الذي خلا عن النقائص والحرام، وكذلك يقبل الله العبد المتخلي عن الذنوب المعنوية والمتحلي بالمعاني النبيلة كالعلم والأدب.

---

(1) سورة البقرة: 172.

(2) رواه مسلم في صحيحه ك: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ح 1015.

(3) الفتوحات الربانية 324/7.

(4) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 100/7، والفتوحات الربانية 324/7.

81) عن سهل بن سعد -رضي الله عنه- قال: أتى النبي ﷺ رَجُلٌ فقال: يا رَسُولَ اللهِ دُلَّنِي على عَمَلٍ إذا أنا عَمِلْتُه أَحَبَّنِي الله وَأَحَبَّنِي الناس فقال رسول اللهِ ﷺ: **«ازْهَدْ في الدُّنيا يُحِبَّكَ اللهُ وَازْهَدْ فِيمَا في أَيدِي الناس يُحِبُّوكَ»**[1].

قال ابن علان -رحمه الله- في شرحه للحديث وبيانه لمعنى الزهد عند العلماء: «ويطلق الزهد على معنى أدق من هذا وهو الإعراض عمّا سوى الله تعالى من دنيا وآخرة وجنة ونار وحال ومقام، ومقصد صاحبه هذا الوصول إلى الرب -عز وجل- والتقرب منه، فليس مراده إلا وجه الله تعالى، وهذا زهد المقربين»[2].

دلَّ الأمر في الحديث إلى الزهد في الدنيا بترك ما عدا الضروريات التي لا بد منها في قوام البدن من المباحات والإعراض عنها خوفًا من النار أو طمعًا في الجنة.

وقيل الزهد: عزوف النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لأجل الآخرة[3].

---

(1) رواه ابن ماجه في سننه واللفظ له، ك: الزهد، باب: الزهد في الدنيا ح 4102، والحاكم في المستدرك 248/4 وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه. والطبراني في معجمه الكبير 293/6، والقضاعي في مسند الشهاب 373/1، قال السخاوي: وقال الحاكم إنه صحيح الإسناد، وليس كذلك فخالد مجمع على تركه بل نسب إلى الوضع لكن قد رواه غيره عن الثوري بل رواه أبو نعيم في الحلية أيضًا من حديث منصور بن المعتمر عن مجاهد عن أنس رفعه نحوه ورجاله ثقات لكن في سماع مجاهد من أنس نظر وقد رواه الأثبات فلم يجاوزوا به مجاهدًا، وكذا يروى من حديث ربعي بن حراش عن الربيع بن خيثم رفعه مرسلًا. وبالجملة فقد حسَّن هذا الحديث النووي ثم العراقي رحمهما الله، وكلام شيخنا -ابن حجر- رحمه الله ينازع فيه كما بينته في تخريج الأربعين. وقال المنذري: لكن على هذا الحديث لامعة من أنوار النبوة ولا يمنع كون راويه ضعيفًا أن يكون النبي ﷺ قاله، وقد تابعه عليه محمد بن كثير الصنعاني عن سفيان، ومحمد هذا قد وثق على ضعفه وهو أصلح حالا من خالد. والحديث حسنه النووي، وذكر أحمد الغماري شواهد للحديث. انظر: رياض الصالحين 107، والمقاصد الحسنة 106، والترغيب والترهيب 75/4، وكشف الخفاء 127/1.

(2) الفتوحات الربانية 334/7.

(3) انظر: الفتوحات الربانية 334/7، ومرقاة المفاتيح 381/9.

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** طلب الإعراض وترك المباحات وكل ما يُعدُّ من الدنيا إلا الضروري الذي لا بد منه دون إفراط ولا تفريط، لأجل الآخرة، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** الإعراض عن كل ما سوى الله تعالى ولا يقصد ترك شيء خوفًا من النار أو رغبة في الجنة وإنما لنيل رضا الرب وحده، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود علاقة بينهما وهي مطلق الإعراض والترك، فيعرض بعضهم عن الدنيا لأجل الجنة أو هربًا من النار، ويعرض بعضهم عن الدنيا وكل ما سوى الله تعالى لأجل الله ونيل رضاه، وهذا مقام عظيم.

* * *

34- عبد العزيز الدباغ[1] (ت 1129هـ)

82) عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: **«عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حتى القَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ من المسجِدِ وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فلم أَرَ ذَنْبًا أَعْظَمَ من سُورَةٍ من القُرآنِ أو آيةٍ أُوتِيَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا»**[2].

(1) هو: عبد العزيز بن مسعود بن أحمد الشهير بالدبّاغ الحسني، من عباد الله السالكين وحامل لواء العارفين، ومع أنه أمي إلا أنه من المُلهمين الذين ينطقون بالحِكَم والمعارف، وقد ترجم له تلميذه أحمد بن المبارك الملطي السجلماسي في مقدمة الكتاب الذي جمع فيه محاورات جرت بينه وبين شيخه الدباغ، وقد ألفه سنة (1129هـ). انظر: مقدمة كتاب الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ 3-24، ومعجم المطبوعات العربية 1010/1.

(2) رواه أبو داود في سننه واللفظ له ك: الصلاة، باب: فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد ح 461، والترمذي في سننه ك: فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ ح 2916 وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه، قال: وذاكرت به محمد بن إسماعيل فلم يعرفه وأستغربه قال محمد ولا أعرف للمطلب بن عبد الله سماعًا من أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا قوله حدثني من شهد خطبة النبي ﷺ، قال: وسمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول لا نعرف للمطلب سماعًا من أحد من أصحاب =

قال عبد العزيز الدباغ لما سئل عن الحديث: «هو في الذي بلغه القرآن فأعرض عنه ومنع ذاته من نوره، واستبدله بضده من الظلام، بأن أعرض عن الحق الذي هو فيه، وتبع الضلال الذي هو ظلام عن الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة، كحال المنافقين في زمانه ﷺ، فالحديث وارد فيهم وعليهم نازل وإليهم يشير... والآية تصدق بآية اللفظ التي يتعلّق بها الحفظ والتلاوة، وتصدق بآية المعنى التي يتعلق بها العمل والامتثال»(1).

دلّ ظاهر الحديث أن نسيان القرآن بعد حفظه بأن لا يقدر أن يقرأ بالنظر من غير عذر كمرض يُعدُّ من كبائر الذنوب(2).

=

النبي ﷺ. قال عبد الله: وأنكر علي بن المديني أن يكون المطلب سمع من أنس. ورواه البيهقي في السنن الكبرى 440/2، وابن خزيمة في صحيحه 271/2، والطبراني في معجمه الأوسط 308/6، وأبو يعلى في مسنده 254/7، وابن عبد البر في التمهيد 136/14 وقال: وليس هذا الحديث مما يحتج به لضعفه. والحديث قد ضعفه ابن الجوزي والنووي. انظر: العلل المتناهية 117/1، وخلاصة الأحكام 307/1، إلّا أن للحديث شواهد فيها مقال وموقوفة جيدة بمجموعها لا ينزل الحديث عن مرتبة الحسن، ولا يخفى أن الموقوف في هذا الموضوع الذي يشتمل على تهديد شديد أن له حكم الرفع، ولذا قال ابن حجر بعد ذكره الحديث: في إسناده ضعف وقد أخرج بن أبي داود من وجه آخر مرسل نحوه ولفظه: «**أعظم من حامل القرآن وتاركه**» ومن طريق أبي العالية موقوفًا: «كنّا نعد من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام عنه حتى ينساه» وإسناده جيد، ومن طريق بن سيرين بإسناد صحيح في الذي ينسى القرآن كانوا يكرهونه، ويقولون فيه قولًا شديدًا، ولأبي داود عن سعد بن عبادة مرفوعًا: «**من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجذم**» وفي إسناده أيضًا مقال. فتح الباري 86/9، وقد روى الروايات التي أشار إليها ابن حجر الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 109/1، وابن أبي شيبة في مصنفه 124/6.

(1) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ 176-177.

(2) انظر: فتح الباري 86/9 وقد ذكر الحافظ ابن حجر أقوال أهل العلم وأدلتهم في جعل نسيان القرآن من كبائر الذنوب.

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- المشير: نسيان القرآن الكريم بعد حفظه دون عذر كمرض أو إغماء يُعدُّ من أعظم الذنوب، وهذا المعنى الظاهر.

2- المشار إليه: أن من اطلع على القرآن الكريم ولكنه أعرض عنه بعدم العمل به والانقياد لأحكامه، فإنه قد وقع في أعظم الذنوب لا لنسيانه للقرآن، وهذا المعنى الإشاري.

3- العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه: وجود وصف مشترك بينهما وهو الإعراض عن القرآن الكريم، فالذي أعرض عن القرآن واشتغل بالدنيا ونسي حفظ القرآن فقد وقع في الذنب وكذلك من أعرض عن القرآن الكريم ولم يعمل به واستبدل هديه بسبل الشيطان فقد عرّض نفسه للعذاب لوقوعه في الإثم[1].

* * *

35- الحداد[2] (ت1132هـ)

83) عن عمر -رضي الله عنه- قال سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «**من احْتَكَرَ على المسلِمِينَ طَعَامًا ضَرَبَهُ الله بِالجُذَامِ وَالْإِفلَاسِ**»[3].

---

(1) ذكَرَ ابن حجر الهيتمي مَنْ قال بهذا القول في الزواجر 233/1.

(2) هو: عبد الله بن علوي بن محمد الحدّاد، باعلوي الحسيني مجدد القرن الثاني عشر بحضرموت والإمام المُصلح والعارف بالله، ولد بتريم سنة (1044هـ)، من شيوخه: عقيل السقاف، وعبد الرحمن بن شهاب وسهل باحسن باعلوي وغيرهم، من مؤلفاته النصائح الدينية، والدعوة التامة والمعاونة والمؤازرة وديوان وغيرها من المؤلفات النافعة، توفي بتريم سنة (1132هـ). انظر: عقد اليواقيت 865/2-870.

(3) رواه ابن ماجه في سننه واللفظ له ك: التجارات، باب: الحكرة والجلب ح 2155، وأحمد في مسنده 21/1، والبيهقي في شعب الإيمان 526/7، قال البوصيري عقب الحديث: هذا إسناد =

قال الحداد -رحمه الله- في معنى الحديث: «إمَّا الجذام الظاهر أو مَحْق البركة، لأن الجذامَ المحقُ، فيُمحَق ويفلس من الدنيا مع إفلاسه أيضًا من الدِّين، لأن الغالب ما يفعل ذلك أحدٌ إلا افتقر قبلَ أن يخرج من الدنيا»(1).

دلّ الحديث على تحريم احتكار طعام المسلمين بأن يشتريه ليبيعه بأغلى وقت الغلاء، وأن عقوبته أن يُصب بالجذام في بدنه وإفلاس في ماله، لأن المحتكر يقصد إصلاح بدنه وماله(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** تحريم الاحتكار في طعام المسلمين وعقوبة المحتكر الجذام ببدنه والإفلاس في ماله، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** إفلاس المحتكر من الدين لتضييقه على المسلمين، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو الإفلاس، فالاحتكار يكون سبباً لإفلاس المحتكر في ماله، وكذلك يفلس في دينه، فالذي يحتكر طعام المسلمين فكأنه قد انعدم وأفلس من دينه والعياذ بالله تعالى.

* * *

=

صحيح رجاله موثقون، أبو يحيى المكي وشيخه فروخ ذكرهما ابن حبان في الثقات، والهيثم بن رافع وثقه ابن معين وأبو داود، وأبو بكر الحنفي واسمه عبد الكبير بن عبد المجيد احتج به الشيخان، وشيخ ابن ماجه يحيى بن حكيم وثقه أبو داود والنسائي وغيرهما. مصباح الزجاجة 11/3، والحديث حسنه ابن حجر والسيوطي وغيرهما. انظر: فتح الباري 348/4، واللآلئ المصنوعة 125/2.

(1) انظر: الفيوضات الربانية من أنفاس السادة العلوية لابن سميط 164.

(2) انظر: فيض القدير 35/6.

(83** عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هذا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**»(1).

قال الحداد -رحمه الله- في معنى الحديث: «أي: كما ترى أقوامًا يقاتلون الكفار مرادُهم الغنائم وأخذ البلدان، فيحصل بذلك دفعٌ عن الإسلام والمسلمين، وآخرين يقاتلون قُطّاع الطريق وغيرَ ذلك مما يقوى به الدين، وأكثرُ ما يكون ذلك في الوُلاة»(2).

دل ظاهر الحديث أن الله تعالى ينصر دينه بالرجل الكافر أو الفاسق(3).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** دل الحديث على أن الله تعالى ينصر دينه ويعزه بالرجل الكافر أو الفاسق ومن لا خلاق له، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** للحديث معنى يشمله أدركه الحداد -رحمه الله- وهو أن الله تعالى يؤيد دينه بأقوام يقاتلون الكفار لأجل الغنائم والإمارة، وليس لهم قصد الأجر أو إعزاز الدين، فيحصل بفعلهم هذا نصر وتأييد، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتفاقهما في التأييد والنصرة للدين، فالكافر أو الفاسق قد يدافع عن حِمى الإسلام، وكذلك قد يكون الرجل المرائي أو قاصد الدنيا يقاتل الكفار فيحصل بقتاله لهم نصر للدين مع أنه لا ثواب له في الآخرة لقصده.

* * *

(84 عن بُرَيْدَةَ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما يُخْرِجُ رَجُلٌ شَيْئًا مِنَ**

(1) تقدم تخريج الحديث عند حديث رقم 64.

(2) انظر: الفيوضات الربانية 161.

(3) انظر: فتح الباري 474/7، وفيض القدير 259/2.

الصَّدَقَةِ حتى يَفُكَّ عنها لَحْيَيْ سَبْعِينَ شَيْطَانًا»(1).

قال الحداد -رحمه الله- في معنى الحديث: «يعني خالف صفات الشياطين، فشيطان يأمره بالبُخل وآخر يخوِّفه الحاجة وآخر يأمره ويؤخِّره ونحو ذلك إلى سبعين شيطانًا من هذا القبيل، فإذا تصَدَّق فقد خالفَ جميعَ هذه الدَّواعي»(2).

دل الحديث على فضل الصدقة وأن صاحبها قد رغم الشياطين وكان ذلك دليلًا على استقامته وصدق نيته(3).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** الترغيب في الصدقة وأن من تصدق فقد رغم سبعين شيطانًا، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** المتصدق خالف صفات سبعين شيطانًا من الصفات المذمومة، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتفاقهما في وصف المخالفة، فالذي يتصدّق فقد خالف ورغم الشياطين، وكذلك من تصدق فقد خالف صفات الشياطين السيئة.

* * *

(1) رواه أحمد في مسنده 350/5، والحاكم في المستدرك 577/1 وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وابن خزيمة في صحيحه 105/4، والبيهقي في السنن الكبرى 187/4، والطبراني في معجمه الأوسط 308/1، والحديث وثّق رجال الطبراني الهيثمي. انظر: مجمع الزوائد 109/3، وفيض القدير 405/5.

(2) الفيوضات الربانية 163.

(3) انظر: فيض القدير 504/5.

36- محمد بن زين بن سميط[1] (ت1172هـ)

85) عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: تلا رسول الله ﷺ ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾[2]، فقال رسول الله ﷺ: **«إن النور إذا دخل الصدر انفسح، فقيل يا رسول الله: هل لذلك من علم يعرف، قال نعم التّجافي عن دار الغُرور والإنابةِ إلى دار الخلُود والاستعداد للموت قبل نزوله»**[3].

قال محمد بن سميط -رحمه الله- في شرحه للحديث: «معنى التجافي والعزوف عن الدنيا هو انصرافُ القلب وميله وانزواؤه عنها والإعراض عن لذّاتها ومشتهياتها عنه بحكم الشّرَه والهوى والنّهمة، لا بقصد الاستعانة على طاعة الله وعلى القيام بوظائف عبادته وعبوديَّته، فمتى صحَّ قصده في كلٍّ ما يتناوله ويتعاطاه من أمر الدنيا، كالتقوي به على طاعته سبحانه والاستعانة على محابِّه ومراضيه فقد انتفى عن طلب الدنيا المذمومة شرعًا، وانقلب ذلك بنيته آخرةً»[4].

دل قول النبي ﷺ: **«التجافي عن دار الغرور»** إلى التباعد من شهوات الدنيا وعدم الحرص عليها مما يُشغل عن طاعة الله، وأما ما يُعينه منها على حياته فلا مانع من الإقبال عليه[5].

---

(1) هو: محمد بن زين بن علوي ين سميط باعلوي الحسيني، الإمام العلامة والعارف بالله، ولد سنة (1100هـ)، من شيوخه: الإمام عبد الله الحداد وأحمد بن زين الحبشي وغيرهما، من مؤلفاته: غاية القصد والمُراد في مناقب الإمام الحداد، وقرة العين بذكر مناقب أحمد بن زين وغيرهما، توفي بشبام حضرموت سنة (1172هـ). انظر: عقد اليواقيت 2/860-863، وهامش الفيوضات الربانية 110.

(2) سورة الأنعام: 125.

(3) تقدم تخريج الحديث صـ 53.

(4) الفيوضات الربانية 222.

(5) انظر: نوادر الأصول للحكيم الترمذي 1/419.

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** التباعد عن شهوات الدنيا مما يبعد عن الله تعالى علامة لانشراح الصدر قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾(1)، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** من علامات دخول الأنوار للقلوب انصراف القلب وميله عن الدنيا حتى لا يتعلق القلب إلا بما عنده تعالى مع عدم المانع من الأخذ بأسباب الدنيا للاستعانة بها على التقوى، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو التباعد والانصراف، فالمسلم يتباعد عن الدنيا إلا ما لزم منها لحياته، وكذلك ينبغي له أن يتباعد حقيقة بقلبه عن الدنيا فلا يميل ولا ينصرف إليها.

* * *

37- أحمد ولي الله الدهلوي (ت 1179هـ)

86) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**من غَدَا إلى المسجِدِ وَرَاحَ أَعَدَّ الله له نُزُلَهُ من الجنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أو رَاحَ**»(2).

قال الدهلوي -رحمه الله- بعد ذكره الحديث: «أقول: هذا إشارة إلى أن كل غدوة وروحة تمكّن من انقياد البهيمية للملكية»(3).

(1) سورة الأنعام: 125.

(2) رواه في صحيحه واللفظ له، ك: الجماعة والإمامة، باب: فضل من غدا إلى المسجد ومن راح، ح 631، ومسلم في صحيحه ك: المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تُمحى به الخطايا وترفع به الدرجات 699.

(3) حجة الله البالغة 192/1.

دلّ ظاهر الحديث على استحباب الذهاب بالرواح والغدو إلى المسجد لأجل العبادة وأن جزاءه أنه يُعدُّ له مكانًا للنزول(1).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** فضل الذهاب بالغدو والرواح إلى بيوت الله تعالى للعبادة، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ينبغي أن تكون كل حركة للإنسان من ذهاب أو إياب أن تكون في مرضاة الله تعالى، فلا يتحرك المسلم إلا فيما كان لله وفي الله، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو الذهاب والرواح، فالمسلم يذهب للمسجد ابتغاء الفضل من الله تعالى وعبادته، وكذلك ينبغي للمسلم أن يكون كل ذهابه وحركاته -من المباحات- ليس لقضاء شهوته بل لأجل الله تعالى وطاعته فيقصد امتثال أمره لينال رحمته.

* * *

87) عن زَيْدِ بن أَسْلَمَ عن أبيه قال سمعت عُمَرَ -رضي الله عنه- يقول: حَمَلْتُ على فَرَسٍ في سَبِيلِ اللهِ فَأَضَاعَهُ الذي كان عِنْدَهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِيَهُ وَظَنَنْتُ أنهُ يَبِيعهُ بِرُخْصٍ فَسَأَلْتُ النبي ﷺ فقال: **«لَا تشتره ولا تَعُدْ في صَدَقَتِكَ وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ فإن الْعَائِدَ في صَدَقَتِه كَالْعَائِدِ في قَيْئِهِ»**(2).

(1) انظر: فتح الباري 148/2، ومرقاة المفاتيح 376/2.

(2) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له، ك: الزكاة، باب: هل يشتري صدقته ولا بأس أن يشتري صدقته غيره لأن النبي ﷺ إنما نهى المتصدق خاصة عن الشراء ولم ينه غيره ح 1419، ومسلم في صحيحه ك: الهبات، باب: كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ح 1622.

قال الدهلوي -رحمه الله- بعد ذكره الحديث: «أقول: سبب ذلك أن المتصدق إذا أراد الاشتراء يسامح في حقه أو يطلب هو المسامحة، فيكون نقضًا للصدقة في ذلك القدر، لأن روح الصدقة نفض القلب تعلقه بالمال، وإذا كان في قلبه ميل إلى الرجوع إليها بمسامحة لم يتحقق كمال النفض»[1].

دلّ ظاهر الحديث على تحريم رجوع الإنسان في صدقته، وأكثر العلماء على كراهته، لرجوعه عن صدقته كرجوعه في قيئه[2].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** النهي عن رجوع المتصدق عن صدقته، لخروجه من مُلكه، وهذا المعنى الظاهر.

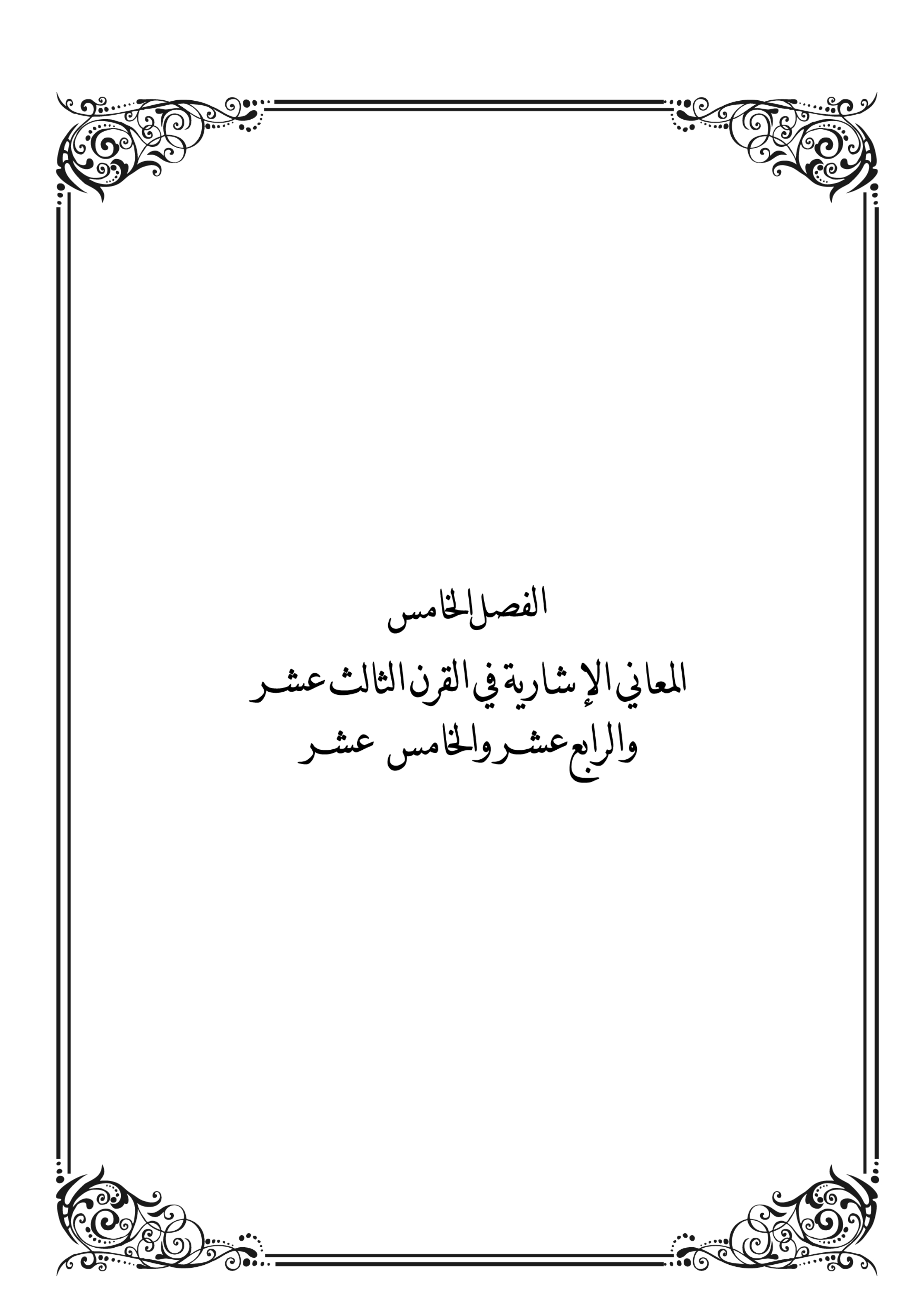
2- **المشار إليه:** المسلم المخلص هو الذي ينفض ويخرج الدنيا والمال من قلبه فلا يميل إلى ما أخرجه لله تعالى، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو الخروج، فالمتصدق يخرج ماله صدقة فلا يعود إليه، وكذلك ينبغي للمسلم أن يخرج الدنيا وحب المال من قلبه، وهذا مقام الزاهدين.

---

(1) حجة الله البالغة 48/2.

(2) انظر: طرح التثريب للعراقي 87/4، وفتح الباري 353/3.



الفصل الخامس

المعاني الإشارية في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر

الفصل الخامس

المعاني الإشارية في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر

38- أحمد بن عجيبة (ت1224هـ)

88) عن سعد بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُ الذِّكْرِ الخفي، وَخَيْرُ الرِّزْقِ ما يكفي**»[1].

قال أحمد بن عجيبة -رحمه الله- في معنى قول النبي ﷺ: «**خَيْرُ الذِّكْرِ الخفي**» «أي: في القلب وهو الفكرة»[2].

دلّ قول النبي ﷺ: «**خَيْرُ الذِّكْرِ الخفي**» استحباب أن يذكر المسلم ربه سرًّا دون إعلان لما فيه من البعد عن الرياء[3].

(1) رواه أحمد في مسنده واللفظ له 172/1، وابن حبان في صحيحه 91/3، والبيهقي في شعب الإيمان 406/1، وابن أبي شيبة في صحيحه 85/6، والقضاعي في مسند الشهاب 217/2، قال الهيثمي بعد الحديث: وفيه محمد بن عبدالرحمن بن لبينة وقد وثقه ابن حبان وقال روى عن سعد بن أبي وقاص، وضعفه ابن معين وبقية رجالهما رجال الصحيح. والحديث إسناده حسن. انظر: مجمع الزوائد 81/10، وفيض القدير 472/3، والمداوي 509/3.

(2) إيقاظ الهمم في شرح الحِكم 384.

(3) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 26/1، وفيض القدير 472/3.

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** أفضل الذكر ما كان في السرِ لئلا يكون فيه رياء، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** الذكر الخفي أن يتفكر المسلم في آلاء الله سبحانه في الكون والنفس دون أن يطلع عليه أحد إلا الله، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف الخفاء فالذي يذكر الله تعالى سرًا كالذي يتفكر في مخلوقات الله تعالى فكلًا منهما لا يُطّلع على ما يفعله من ذكر أو فكر.

* * *

89) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**ليس الْغِنَى عن كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ**»[1].

قال أحمد بن عجيبة -رحمه الله- في معنى الحديث: «وهو الغِنى بالله وهذه النعمة الحقيقية»[2].

دل الحديث أن الغِنى المحمود هو غِنى النفس ورضاها وقلة حرصها، لا كثرة المال ومتاع الدنيا مع الحرص على الزيادة، لأن من كان طالبًا للزيادة لم يستغن بما معه فليس له غِنى[3].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** الغِنى المحمود أن يقنع ويستغني المسلم بما أعطاه الله تعالى من الدنيا ولو كان قليلًا، وهذا المعنى الظاهر.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له، ك: الرقائق، باب: الغنى غنى النفس ح 6081، ومسلم في صحيحه ك: الزكاة، باب: ليس الغنى عن كثرة العرض ح 1051.

(2) إيقاظ الهمم في شرح الحكم 384.

(3) انظر: شرح صحيح مسلم 26/1، وفيض القدير 472/3.

2- **المشار إليه:** الغِنى الحقيقي أن يكون المؤمن غنياً بربه عز وجل، فيستغني عن الخلق بالخالق، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو الاستغناء، فالإنسان يستغني عن غيره بغنى وقناعة نفسه، وكذلك أهل كمال الإيمان يَستغنون بالله عن كل ما سواه، وهذا الافتقار إلى الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ١٥﴾[1].

* * *

90) عن عبد اللهِ بن واقد السَّعْدِيّ -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**لَا تَنقَطِعُ الْهِجْرَةُ ما قُوتِلَ الْكُفَّارُ**»[2].

قال أحمد بن عجيبة -رحمه الله- في معنى الحديث: «يعني: الهجرة الحسيّة والمعنوية، فكل بلد لا يجد فيها من يعينه على دينه أو لا يجد فيها قلبه تجب الهجرة عنها، وكل شهوة تقطعه عن ربه تجب الهجرة عنها»[3].

دلّ الحديث أن الهجرة بالانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام باقية إلى أن تقوم

(1) سورة فاطر: 15.

(2) رواه النسائي في سننه واللفظ له ك: البيعة، باب: ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة ح 4173، وأحمد في مسنده 270/5، وابن حبان في صحيحه 207/11، وسعيد بن منصور في سننه 171/2، وأبو داود في سننه بلفظ: «**لَا تَنقَطِعُ الْهِجْرَةُ حتى تَنقَطِعَ التَّوْبَةُ، ولا تَنقَطِعُ التَّوْبَةُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ من مَغْرِبِهَا**» ك: الجهاد، باب: هل الهجرة انقطعت ح 2479، قال الهيثمي: رواه النسائي باختصار ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد 251/5، والحديث حسنه ابن كثير. انظر: تفسير القرآن العظيم 196/2، وقد ذكره ابن عجيبة بلفظ: «**الهجرة باقية إلى يوم القيامة**» ولم أجده بهذا اللفظ وهو في المطالب العالية لابن حجر 427/9 مرسلًا بلفظ: «**الهجرة باقية ما قوتل المشركون**».

(3) إيقاظ الهمم في شرح الحِكم 453.

الساعة، وهي واجبة إن لم يستطع المسلم القيام بشعائر الإسلام في دار الكفر[1].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** بقاء حكم الهجرة إلى قيام الساعة بالانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام بسبب عدم الاستطاعة بالقيام بشعائر الإسلام، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ينبغي للمسلم أن ينتقل من بلد لا يجد من يُعينه فيها على طاعة الله إلى بلد آخر، وكذلك يترك الشهوات التي تقطعه عن الله تعال فيهجرها، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو الانتقال، فالمسلم ينتقل من دار الكفر إلى دار الإسلام، وكذلك ينبغي للمسلم أن ينتقل من بلد السوء التي لا يجد من يعينه على الطاعة بل على المعصية إلى بلد الصالحين الذين سيكونون عونًا له على طاعة الله تعالى.

* * *

) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: حَفِظْتُ من رسول اللهِ ﷺ: «دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ فإن الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ**»[2].

قال أحمد بن عجيبة -رحمه الله- في بيان معنى الورع: «ورع العامة ترك الحرام المتُشابه، وورع الخاصة ترك كل ما يُكدِّر القلبَ ويجد منه كزازة وظلمة ويجمعُهُ قوله عليه الصلاة والسلام: «**دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ**»»[3].

ومعنى ظاهر الحديث أن ما اشتبه حاله على الإنسان فتردد بين كونه حلالًا أو حرامًا

(1) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 173/5.

(2) تقدم تخريجه حديث رقم 81.

(3) معراج التشوق إلى حقائق التصوف 29.

فاللائق بحاله تركه والذهاب إلى ما يعلم حاله من الحلال[1].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** ترك ما يشتبه على المسلم مما يتردد بين التحريم والتحليل، وفعل ما يعلم أنه حلال خالص، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ترك ما يُكدِّر القلب ويجد منه كزازة وظلمة ممَّا كان فيه ريبة ولو كان من المباحات المُلهيات عن تفرُّغ القلب لله عز وجل، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما ترك ما فيه ريبة إلى ما لا ريبة فيه، فالمسلم يترك ما فيه ريبة مما يشك في حله أو حرمته، وكذلك ينبغي له أن يترك ما فيه ريبة ولو كان مباحًا ما دام أنه يشوِّش قلبه ولا يجعله متفرِّغًا لله تعالى.

***

39- أحمد بن عمر بن سميط[2] (ت 1257هـ)

91) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»**[3].

---

(1) انظر: حاشية السندي على سنن النسائي 328/8، والفتوحات الربانية لابن علان 318/7.

(2) هو: أحمد بن عمر بن زين بن سُميط باعلوي الحسيني الشافعي، الإمام العارف بالله تعالى، والداعي إلى الله تعالى والمصلح الصالح، ولد بشبام حضرموت سنة (1177ه)- قرأ على والده والتحق بتريم لطلب العلم، ومن شيوخه أحمد بن حسن الحداد وعمر البار وعلي عمر باكثير وغيرهم، وممّن أخذ عنه عيدروس بن عمر الحبشي وعبد الله باسودان وعبد الله بلفقيه وغيرهم، من مؤلفاته: ديوان في الشعر ومجموع كلامه، توفي سنة (1257هـ). انظر: مقدمة كتاب مجموع مواعظ وكلام الإمام أحمد بن عمر بن سميط لتلميذه باذيب 16-32، وعقد اليواقيت والدرر للحبشي 10/1-26.

(3) رواه مسلم في صحيحه ك: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وإنه يأرز بين المسجدين ح 145.

قال أحمد بن عمر بن سميط -رحمه الله- في معنى الحديث: «ولا تكن مثلَ أهلِ الزمان، فإنهم مُغرِبون عن الحق فيهم قولُ النبي ﷺ: «**بدأ الدين غريبًا وسعودُ كما بدأ**»»[1].

معنى الغربة في الحديث أن الإسلام كان في أول أمره كالغريب الوحيد الذي لا أهل له عنده لقلة المسلمين يومئذ، وسيعود غريبًا كما كان بأن يقل المسلمون في آخر الزمان وابتعاد الناس عند دين الإسلام[2].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** ظهر الإسلام غريبًا لقلة المتبعين له، ويكون كذلك آخر الزمان بسبب ابتعادهم عن الإسلام، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ابتعاد الناس آخر الزمان عن الحق وتعاليم الإسلام، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو الابتعاد، فالمسلمون آخر الزمان يكونون قليلًا بابتعاد الناس عن الإسلام، وكذلك بعض المسلمين آخر الزمان يبتعدون عن الحق وإتباع سبيل الرشاد.

* * *

92) عن أُمِّ سَلَمَةَ قالت: ما خَرَجَ النبي ﷺ من بَيْتِي قَطُّ إلا رَفَعَ طَرْفَهُ إلى السَّمَاءِ فقال: «**اللهم إني أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيَّ**»[3].

---

(1) مجموع مواعظ وكلام أحمد بن عمر بن سميط 110.

(2) انظر: النهاية في غريب الأثر 348/3، وشرح صحيح مسلم للنووي 177/2.

(3) رواه أبو داود في سننه واللفظ له ك: الأدب، باب: ما جاء فيمن دخل بيته ما يقول ح 5094، =

قال أحمد بن سميط -رحمه الله- في قوله ﷺ: «أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ»: «توسّع في المعنى، لا تقتصر على معنى الظلم الذي سبق إلى الفهم، لأن أصلَ الظلم: وضع الشيء في غير محلّه، ومنه: أن تضع صدقتك في مفضول وعادْ -أي: وهناك- أفضل منه، فإنك ظلّمْت... بل تخيّر لها، وضعها في طالب علمٍ تقيٍّ حتى يزيدَ ربحُ الصدقة»(1).

معنى الظلم: الجور ومجاوزة الحدّ، والمراد من «أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ» الاستعاذة بالله تعالى من أن أَظلِم غيري من الناس في معاملاتهم أو أُظلم من قِبَل غيري فيظلمني أحد(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** طلب الاستعاذة بالله من أن يظلم المسلم غيره فيجاوز الحد، ومن أن يَظلمه أحد، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** من ظُلمك لغيرك أن تضع صدقتك في مستحق ويوجد من هو أشد استحقاقاً من الأول فإنك حينئذٍ جاوزت الحد.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو مجاوزة الحد، فالمتعدي على غيره بأخذ ماله مثلًا قد جاوز الحد المشروع وظلمه، وكذلك المتصدق الذي يضع صدقته في محتاج وثمَّ محتاج آخر أشد حاجة فقد جاوز الحد وظلم الثاني.

* * *

=

والترمذي في سننه بلفظ الجمع ك: الدعوات عن رسول الله، باب: ما يقول إذا خرج من بيته ح 3427 وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده 306/6، والطبراني في معجمه الأوسط34/3، والقضاعي في مسند الشهاب 333/2، والحديث صححه النووي وغيره. انظر: الفتوحات الربانية بشرح الأذكار النواوية 189/1.

(1) مجموع مواعظ وكلام أحمد بن سميط 302.

(2) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر 161/3، ومرقاة المفاتيح 353/5.

93) عن أبي سَعيد الْخُدْرِيّ -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الدُّنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنيا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فإن أَوَّلَ فِتْنَةِ بنى إِسْرَائِيلَ كانت في النِّسَاءِ**»(1).

قال أحمد بن سميط -رحمه الله- في معنى الحديث: «**الدُّنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ**» يعني: عند القاصرين، وإلاّ فهي جِيفة قذرة عند العارفين)(2).

ظاهر معنى قول النبي ﷺ: «**الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ**» أي: أن الدنيا حسنة المنظر مزينة للعيون وحلوة المذاق، فخضرتها عبارة عن زهرتها وحسنها وحلاوتها كناية عن كونها محببة للنفوس(3).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** جعل الله تعالى الدنيا حلوة المذاق خضرة حسنة تبهر العقول بفتنتها، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** حقيقة الدنيا جيفة قذرة ومحل فتنة وابتلاء، فحلاوتها مرارة وخضرتها يبْسٌ، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود علاقة مشتركة بينهما وهي الفتنة، فالدنيا بزهرتها وحلاوتها فتنة للخلق، وكذلك هي في حقيقتها بقذارتها ومرارتها فتنة وابتلاء.

* * *

(1) رواه مسلم في صحيحه ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء ح 2742.

(2) مجموع مواعظ وكلام أحمد بن سميط 460.

(3) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر 41/2، وفيض القدير 188/1.

40- عيدروس بن عمر الحبشي (ت 1314هـ)

94) عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال قال أبو بَكْرٍ -رضي الله عنه- يا رَسُولَ اللَّهِ قد شِبْتَ قال: «**شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وإذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**»[1].

قال عيدروس الحبشي -رحمه الله- في الحديث: «إنّ المراد الشّيبة المعنوية، وهي: ارتفاع القدر وعظم المنزلة عند الله لا الشيبة الحسّيّة، لأنه ﷺ خرج من الدنيا وليس فيه من الشَّيب الحسّي إلا شعراتٌ معدودة»[2].

معنى الحديث أن النبي ﷺ ظهر عليه آثار أوان الكِبرِ فبيّن ﷺ أن سبب ذلك سورة هود وأشباهها من السور التي فيها ذكر القيامة والعذاب، فكان يهتم ﷺ بما فيها من أهوال القيامة وذكر هلاك الأمم[3].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** ظهور آثار الكِبَر في جسم النبي ﷺ ممّا في سورة هود وأشباهها من السور التي ذكرت فيها القيامة والعذاب وهلاك الأمم، وهذا المعنى الظاهر.

---

(1) رواه الترمذي في سننه واللفظ له ك: تفسير القرآن عن رسول الله، باب: ومن سورة الواقعة ح 3297 وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث بن عباس إلا من هذا الوجه وروى علي بن صالح هذا الحديث عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة نحو هذا. والحاكم في المستدرك 374/2 وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وأبو يعلى في مسنده 102/1، والبيهقي في شعب الإيمان 482/1، والطبراني في معجمه الكبير بلفظ: «**شيبتني هود وأخواتها**» 286/17، والحديث حسنه ابن دقيق العيد والسيوطي والمناوي. انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور 397/4، وفيض القدير 168/4، والمقاصد الحسنة 410، والمداوي 297/4.

(2) انظر: الفيوضات الربانية 203.

(3) انظر: مرقاة المفاتيح 537/9.

2- المشار إليه: ظهور قدر النبي ﷺ وارتفاعه بما ورد في سورة هود وأخواتها، وهذا المعنى الإشاري.

3- العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه: وجود وصف مشترك بينهما وهو الظهور والارتفاع، فظهور علامات الكِبَر في سيدنا رسول الله ﷺ بسبب ما في سورة هود ومثيلاتها، وكذلك يفهم من الحديث عن طريق الإشارة ظهور وعلو مقام النبي ﷺ بما ورد في سورة هود وأخواتها.

* * *

95) عن المقداد -رضي الله عنه- قال: «**أَمَرَنَا رسول اللهِ ﷺ أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ**»[1].

قال عيدروس الحبشي -رحمه الله- في معنى الحديث: «إنَّ المراد: أَعطوهم شيئًا من المال، إذ المال من التراب»[2].

دلّ ظاهر الحديث أن من يمدح الناس في وجوههم بالباطل أن يُحثى في وجوههم بالتراب، وقد حمله بعضهم على حقيقته فيُحثى عليهم بالتراب، وعند الجمهور المراد به كناية عن حرمانهم وردِّهم[3].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- المشير: استحباب رد المدّاحين بغير الحق، ومنعهم من الإكرام حتى لا يستمروا في

---

(1) رواه مسلم في صحيحه ك: الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح ح 3002.

(2) انظر: الفيوضات الربانية 209.

(3) انظر: فتح الباري 477/10، والنهاية في غريب الحديث والأثر 339/1، وفيض القدير 182/1، والمدح في الحديث ليس على إطلاقه وإنما المنهي المدح بالباطل، وأما بحق وبما في صاحبه فليس بمنهي عنه، فقد أثنى النبي ﷺ على من مدحه، والأحاديث في ذلك شهيرة.

مدحهم، وقيل: أن يُحثى على وجوههم بالتراب حقيقة، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** إعطاء المدّاحين من المال حتى يسكتوا من المدح، ويقنعوا بما أعطوا من الدنيا، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود علاقة بينهما وهي المنع من المدح، فقد يكون منعهم من المدح بردهم وعدم إكرامهم، وقد يكون بإعطائهم من المال حتى يقنعوا ولا يزيدوا في المدح.

* * *

96) عن عبد الله بن عباس أنه قال: كان رسول اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كما يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ من الْقُرآنِ، فَكَانَ يقول: «**التَّحِيَّاتُ الـمُبَارَكَاتُ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النبِي وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللهِ**»[1].

قال عيدروس الحبشي -رحمه الله- في معنى: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النبِي**»: «أنه لمّا كان السلام للتأمين من المسلم للمسلم عليه أنْ لا يصله منه سوءٌ وكان ﷺ آمناً من ذلك السُّوء بيقين، فيكون معنى هذا التسليم في جنابه صلوات الله وسلامُه عليه هو تأمين من إساءة المسلِّم في شيءٍ مما شرعه الله على يديه ﷺ، ومن إخلاله به»[2].

معنى السلام على الرسول ﷺ الدعاء، أي: سلِمتَ من المكاره، وقيل معناه: اسم السلام عليك كأنه يتبرك عليه باسم الله عز وجل[3].

---

(1) رواه البخاري ك: الصلاة، باب: الأخذ باليدين وصافح حماد بن زيد بن المبارك بيديه ح 5910، ومسلم في صحيحه واللفظ له، ك: الصلاة، باب: التشهد في الصلاة ح 403.

(2) انظر: الفيوضات الربانية 211.

(3) انظر: عمدة القاري 111/6، وشرح الزرقاني على الموطأ 272/1.

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** الدعاء للرسول ﷺ في التسليم عليه بأن يسلم من جميع المكاره، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** التسليم والتأمين من الإساءة إلى ما شرع به الله تعالى على يد رسوله ﷺ وعدم الإخلال به، إذْ كل ما جاء به الرسول ﷺ فحقه التسليم والقبول، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود علاقة بينهما وهي التسليم، فالمسلم يدعو للرسول ﷺ بالسلامة من جميع المكاره، وكذلك يُسلِّم ويقبل كل ما جاء به ﷺ من شرع عن الله تعالى دون أيِّ اعتراض، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾(1).

* * *

97) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ عَمَلِ ابن آدَمَ يُضَاعَفُ الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إلى سَبْعمائَة ضِعْف، قال الله عز وجل: إلا الصَّوْمَ فإنه لِي وأنا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ من أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فيه أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ من رِيحِ الْمِسْكِ**»(2).

قال عيدروس الحبشي -رحمه الله- في معنى قوله ﷺ: «**لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ**»: «أن فرحته عند فطره ليس المراد بها الوقوع على شهوته من طعام وشراب وإن كان اللفظ يحتمل ذلك، بل المراد ما هو أعلى من ذلك وهو تمامُ هذه العبادة العظيمة، وبقاء العبد بصفة التأهُّل لها إلى أن كملت وصارت ذخيرةً له إلى يوم

---

(1) سورة النساء: 65.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: الصوم، باب: هل يقول إني صائم إذا شتم 1805، ومسلم في صحيحه واللفظ له، ك: الصيام، باب: فضل الصيام ح 1151.

لقاء ربِّه وهو يوم حصول الفرحة الثانية التي لا ألذّ ولا أجلَّ منها»[1].

المتبادر من ظاهر قوله ﷺ: «**فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ**» السرور والفرح بزوال الجوع والعطش حيث أبيح للصائم الفطر، وهذا الفرح طبيعي[2].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** يفرح الصائم عند فطره بزوال جوعه وعطشه، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يفرح الصائم عند فطره بتمام عبادته على وجهها المطلوب وتوفيق الله تعالى له، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو الفرح، فالصائم يفرح بزوال جوعه وعطشه، وكذلك يفرح الصائم بإكمال صوم يومه على التمام وهذا مقام أهل العرفان.

* * *

41 - أحمد بن محمد المقابلي[3] (ت 1327هـ)

98) عن أنس -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**كادَ الفقرُ أنْ يكونَ كفرًا، وكادَ الحسدُ أنْ يغلبَ القدَرَ**»[4].

---

(1) انظر: الفيوضات الربانية 211، وقد ذكر الحافظ ابن حجر نحو ما ذكره الحبشي في فتح الباري 118/4.

(2) انظر: فتح الباري 118/4، ومرقاة المفاتيح 390/4.

(3) هو: أحمد بن محمد المقابلي بن عبد الرحمن بن عركي السَّماني، العارف بالله تعالى والإمام الصوفي، ولد بالعيلفون بالسودان سنة (1260هـ)، من شيوخه: والده، والفكي رملي ود مضوي، ومحمد الأمين الهندي وغيرهم، من أجلّ مؤلفاته: باب التوصّل لحقيقة التوكل، توفي بالعيلفون سنة (1327هـ). انظر: مقدمة كتابه باب التوصل لحقيقة التوكل، تحقيق: الأستاذ الدكتور الفاتح الحبر عمر أحمد 19، 20.

(4) رواه البيهقي في شعب الإيمان واللفظ له 267/5، والقضاعي في مسند الشهاب 342/1، وأبو نعيم =

قال أحمد بن محمد المقابلي -رحمه الله-: «الفقر: هو فقد الشيء، فإن الشيء المفقود من القلب هو الله فذلك هو المذموم الذي ذمه رسول الله ﷺ بقوله: «**كاد الفقر أن يكون كفرًا**»»[1].

دلّ ظاهر قول النبي ﷺ: «**كادَ الفقرُ أنْ يكونَ كفرًا**» أن فقر الإنسان بفقد ما لا بد منه لحياته قد يكون سببًا للكفر، لأنه يحمل على حسد الأغنياء أو التذلل لهم بما يُدنّس عِرضه ويُثْلم به دينه أو سببًا على عدم الرضى بالقضاء وتسخط الرزق، فذلك جارٍ إلى الكفر[2].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** إن فقد الإنسان لما لا بدَّ له لحياته، قد يكون سببًا في كفره بالحسد على الأغنياء أو السخط بقضاء الله تعالى، وذلك يؤدي بصاحبه إلى الكفر، وهذا المعنى الظاهر.

=

في حلية الأولياء 53/3، والعقيلي في الضعفاء 206/4، وابن أبي شيبة في مصنفه 330/5 بلفظ: «**كاد الحسد أن يغلب القدر وكادت الفاقة أن تكون كفرًا**»، والطبراني في معجمه الأوسط 225/4 وقال: لم يرو هذا الحديث عن سليمان إلّا عيسى ولا عن عيسى إلّا عمرو بن عثمان تفرد به أحمد بن محمد الكاتب. وابن الجوزي في العلل المتناهية 805/2 وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، ويزيد الرقاشي لا يُعول على ما يروي. والحديث إسناده ضعيف بسبب يزيد المذكور، وفي سند الطبراني عمرو بن عثمان الكلابي وثّقه ابن حبان، وهو متروك -كما قال الهيثمي-، إلا أن للحديث شاهدًا عند النسائي في سننه مرفوعًا بلفظ: «**اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ**»، فقال رَجُلٌ: وَيَعْدِلَانِ؟ «**قال: نعم**» ك: الاستعاذة، باب: الاستعاذة من الكفر ح 5485، ورواه أيضًا الحاكم في المستدرك 90/1 وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقد احتج مسلم بعثمان الشحام. وابن حبان في صحيحه 302/3 وغيرهم، وقال السخاوي بعد ذكره الشاهد المذكور: وهذا أصحها وما قبله من المرفوع ضعيف الإسناد. انظر: المقاصد الحسنة 498، ومجمع الزوائد 78/8.

(1) باب التوصل لحقيقة التوكل 66.

(2) انظر: فيض القدير 542/4، ومرقاة المفاتيح 251/9.

2- المشار إليه: إن فقد عظمة الله تعالى ومحبته والإيمان به من القلب فإنه والعياذ بالله تعالى طريق للكفر والوقوع في المحذور شرعًا، وهذا المعنى الإشاري.

3- العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه: وجود وصف مشترك بينهما وهو فقد الشيء، فالفقير الذي فقد المال الذي يكفيه ما يحتاج إليه ممّا لا بد منه فيجب عليه الحذر، وكذلك القلب الذي فقد معرفة الله عز وجل، وفقد عظمة ربه فأمره على خطر، إذْ كل منهما قد يكون فقدهما طريق إلى الكفر والعياذ بالله تعالى.

* * *

****)** عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ**»[1].

قال أحمد بن محمد المقابلي -رحمه الله-: «لو عمل -أي الإنسان- أمثال الجبال حسنات ما رجاها ولا يرجوا إلا ربه ولا يصده عن ربه صاد ولا يعلّق قلبه بغيره، ولا يفتنه حُور ولا قصور ولا غيرها من النعيم الدائم ولا يشغله عنه خوف سَقر ولا جحيم نار، كل ذلك بمحبة سيده أصم أعمى عن غير محبوبه كما قال عليه الصلاة والسلام: «**حبك للشيء الذي يعمي ويصم**» فلم يعظّم في قلبه غيره ولم يكبر في عينه سواه ولا يشك أنه إذا كان هناك، نجا من كل سوء في الدنيا والآخرة»[2].

دلّ ظاهر الحديث أن من الحب ما يُعمي صاحبه عن طريق الرشد ويصمه عن استماع الحق فالحديث يذم عن حب ما لا ينبغي الإغراق في حبه[3].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- المشير: يرشد الحديث إلى أن من المحبة ما تعمي صاحبها وتُصمّه عن سماع الحق،

---

(1) تقدم تخريج الحديث عند حديث رقم 8.

(2) باب التوصل لحقيقة التوكل 86.

(3) انظر: فيض القدير 372/3.

والتمادي في الباطل وترك طريق الرشد والهداية، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** المسلم المتحقق هو الذي لا يعلّق قلبه بغير الله تعالى فهو لا يعدل ولا يغرق إلا في رجاء ربه ورضاه عنه، ولا يلتفت إلى جنة أو نار، وهذا المعنى الإشاري.

3- العلامة الرابطة بين المشير والمشار إليه: وجود صلة بينهما وهي العدول والإعراض، فالإنسان ينبغي له أن لا يعدل عن طريق الرشد والحق بسبب المحبة، وكذلك لا يعدل عن ربه ولا يشغله عنه نار ولا يفتنه حُور ولا قصور.

* * *

42- أحمد بن حسن العطاس[1] (ت 1334هـ)

99) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**عَجِبَ الله من قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجنَّةَ في السَّلَاسِلِ**»[2].

قال أحمد العطاس -رحمه الله- في معنى الحديث: «هم المتثاقلون عن فعل الطاعة، وتقودهم العناية كرهًا لها»[3].

لمعنى الحديث احتمالات منها: أن أناسًا من الكفار أُسروا وقُيِّدوا بالسلاسل فلما عرَفوا صحة الإسلام دخلوا طوعًا فدخلوا الجنة، فكان الإكراه على الأسر والقيد هو السبب، فأقيم المسبب مقام السبب، ويحتمل: أن هؤلاء يقادون إلى الإسلام مكرهين فيكون ذلك سبب

(1) هو: أحمد بن حسن بن عبد الله العطّاس باعلوي الحسيني، الإمام العلامة الفقيه، ولد بحُرَيضة بحضرموت سنة (1257هـ)، وأخذ عن مفتي الشافعية بمكة المكرمة أحمد زيني دحلان، جمع كلامه وآراءه في كتاب تنوير الأغلاس وتذكير الناس، توفي بحريضة سنة (1334هـ). انظر: هامش الفيوضات الربانية 43.

(2) رواه البخاري في صحيحه ك: الجهاد والسير، باب: الأسارى في السلاسل ح 2848.

(3) انظر: الفيوضات الربانية 221.

دخولهم الجنة فليس هناك سلاسل، ويحتمل أن يكون المراد المسلمين المأسورين عند أهل الكفر يموتون على ذلك فيدخلون الجنة[1].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** من رحمة الله تعالى بأقوام من الكفار يأسرون فيعرفون صحة الإسلام فيُقادون إلى الجنة، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** إن قومًا من المسلمين تقودهم عناية الله تعالى إلى طاعته تعالى وهم عنها متثاقلون كأنهم مقيدون ويكون جزاءهم الجنة،وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود علاقة بينهما وهي القيادة، فالكفار يُقَيّدون بالسلاسل فيُسلمون طوعًا ويقودهم إسلامهم إلى الجنة، وكذلك من المسلمين من يتثاقل عن الطاعات إلا أن عناية الله تعالى ولطفه بهم تقودهم إليها فيدخلون الجنة.

* * *

100) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**الْإِمَامُ ضَامِنٌ وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ اللهم أَرْشِدْ الْأَئِمَّةَ وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ**»[2].

---

(1) انظر: فتح الباري 145/6، وذكر الحافظ ابن حجر ما يقرب من معنى العطاس إلا أنه استدرك عليه بما ثبت من حمل الحديث على حقيقته وهو القول الأول.

(2) رواه أبو داود في سننه واللفظ له ك: الصلاة، باب: ما يجب على المؤذن من تعاهد الوقت 517، والترمذي في سننه ك: أبواب الصلاة، باب: ما جاء أن الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن 207 وقال: وفي الباب عن عائشة وسهل بن سعد وعقبة بن عامر. ورواه ابن ماجه ك: ما جاء في الصلاة والسنة فيها، باب: ما يجب على الإمام ح 981، وأحمد في مسنده 232/2، وابن حبان في صحيحه 559/4، وابن خزيمة في صحيحه51/3، ورواه الحاكم في المستدرك 337/1 بلفظ: «**إن الإمام ضامن فإن أتم كان له ولهم، وإن نقص كان عليه**» وقال: هذا حديث صحيح على شرط =

قال أحمد العطاس -رحمه الله- في معنى الحديث: «ليس معناه أنه يضمن ما اختلَّ وقصّر من صلاة المأمومين، بل معناه أنّه ينوبُ عنهم في المخاطبة والسُّؤال، فإذا لم يأتِ بالمقصود من حيث الذّات أو أخلَّ بشيءٍ من المأمور به في الصلاة فقد خانهم»(1).

وظاهر قول النبي ﷺ: «**الْإِمَامُ ضَامِنٌ**» أي: أن الإمام يحفظ على القوم صلاتهم فهو كالمتكفّل لهم صحة صلواتهم، ويتحمل عنهم القراءة(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** الإمام يحفظ صلاة من يُصلي وراءه بإكمال طهارته والحفاظ على أركانها وشرائطها ويتحمل القراءة عنهم، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** الإمام يتحمل عن المأمومين في النيابة عنهم في الدعاء والخطاب والسؤال ولا ينفرد في ذلك بنفسه حتى لا يكون خائنًا لهم، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود علاقة بينهما وهي التحمّل والنيابة، فالإمام يتحمّل عن المأمومين الحفاظ على صحة صلاتهم، وكذلك يتحمل وينوب عنهم في السؤال والدعاء.

* * *

=

مسلم ولم يخرجاه بهذا اللفظ. والحديث صححه العراقي وكذا الهيثمي والزيلعي من طريق أحمد بن حنبل، وقال الزيلعي: في سندهما اضطراب لكن رواه أحمد في مسنده قال: حدثنا قتيبة ثنا عبد العزيز بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا. وهذا سند الصحيح قال في التنقيح: روى مسلم في صحيحه بهذا الإسناد نحوًا من أربعة عشر حديثًا. انظر: المغني عن حمل الإسفار 121/1، ومجمع الزوائد 2/2، ونصب الراية 68/2.

(1) انظر: الفيوضات الربانية 221.

(2) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر 102/3، ومرقاة المفاتيح 334/2.

43- عبد الله بن محسن العطاس (ت 1351)

101) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**الحِدَّةُ**[1] **تَعْتَرِي خِيَارَ أُمَّتِي**»[2].

سئل عبد الله العطاس -رحمه الله- عن معنى الحديث المذكور فقال: «المُراد من الحِدَّة هنا الغضبُ لله عند انتهاك محارمه، وأمّا إذا كانت الحدَّة في غير ذلك فليست محمودة بحالٍ وإنما هي حماقة»[3].

دلّ الحديث على أن مِنْ وصف خيار المؤمنين أنهم سريعوا الغضب من غير ارتكاب محذور[4].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** من أوصاف خيار المؤمنين سرعة الغضب بحيث لا يؤدي إلى وقوع في حرام، وهذا المعنى الظاهر.

---

(1) الحِدّة: الحدة كالنشاط والسرعة في الأمور والمضاء فيها مأخوذ من حد السيف والمراد بالحدة ها هنا المضاء في الدين والصلابة والقصد في الخير. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر 353/1.

(2) رواه الطبراني في معجمه الكبير 194/11، وأبو يعلى في مسنده 337/4، وابن أبي شيبة في مصنفه 122/2، والحديث إسناده ضعيف إلا أنه يتقوى بطرقه ويرتقي للحسن وقد ذكرها السخاوي والغماري، وقال ابن عراق: له شاهد من حديث ابن عباس: «**الحدة تعترى خيار أمتى**»، رواه أبو يعلى والطبراني، ومن حديث أبي منصور الفارسى وله صحبة: «**إن الحدة تعترى خيار أمتي**»، رواه الحسن بن سفيان فى مسنده، والبغوى فى معجم الصحابة من جهة الليث عن ذويد بن نافع، عن أبى منصور. ورواه المستغفري من طريق الليث أيضًا، لكنه قال عن يزيد بن أبى منصور، وكانت له صحبة وأشار إلى الاختلاف على الليث فيه. انظر: المقاصد الحسنة 303، والمداوي 442/3، تنزيه الشريعة 299/1.

(3) الفيوضات الربانية 191.

(4) انظر: كشف الخفاء 423/1، وفيض القدير 410/3.

2- المشار إليه: خيار المؤمنين يغضبون لله تعالى عندما يرون انتهاك حرمات الله تعالى، وهذا المعنى الإشاري.

3- العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه: وجود وصف مشترك بينهما وهو الغضب فمن الأخيار من يكون سريع الغضب وكذلك فمنهم أيضًا من يغضب عندما تنتهك محارم الله تعالى وهذا أعظمهم أجرًا وأرفعهم قدرًا.

* * *

102) عن عمر-رضي الله عنه- قال: لم يَكُنْ رسول اللهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حين يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «**اللهم إني أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدنيا وَالْآخِرَةِ اللهم إني أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللهم اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي وَاحْفَظْنِي من بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ من تَحْتِي**» قال وَكِيعٌ: يَعْنِي الْخَسْفَ(1).

قال عبد الله بن العطاس -رحمه الله- في قول النبي ﷺ: «**وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ من تَحْتِي**»: «الاغتيال هو نزولُ الإنسان عن المرتبة التي هو فيها إلى ما هو دونها»(2).

ظاهر معنى قول النبي ﷺ: «**وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ من تَحْتِي**» أي: أن يُخسف بي الأرض، وفيه طلب الاستعاذة بالله تعالى من الخسف(3).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- المشير: يعلمنا النبي ﷺ أن يستعيذ المسلم بربه من أن يخسف به الأرض فيسقط

---

(1) رواه أبو داود في سننه ك: الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح ح 5074، والنسائي مختصرًا في سننه ك: الاستعاذة، باب: الاستعاذة من الخسف ح 5529، وابن ماجه في سننه واللفظ له ك: الدعاء، باب: ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى ح 3871، والحاكم في المستدرك 698/1 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والحديث صحيح. انظر: الفتوحات الربانية بشرح الأذكار النواوية 53/2.

(2) الفيوضات الربانية 191.

(3) انظر: التمهيد لابن عبد البر 187/12.

وسطها، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** يستعيذ المسلم بالله تعالى من أن ينزل عن مرتبته التي هو فيها من صلاح إلى ما هو دونها من فساد والعياذ بالله، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو السقوط أو النزول، فالمؤمن يستعيذ بالله سبحانه من أن يخسف به الأرض فيسقط فيها، وكذلك يستعيذ المؤمن بالله تعالى من أن ينزل أو يسقط في مراتب الفساد أو الهلاك، وهذا أعظم فإن سقوط الروح أشد من سقوط الجسم.

* * *

103) عن محمد بن مسلمة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لربكم عز وجل في أيامِ دهركم نفحات فتعرضوا لها لعل أحدكم أن تصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبداً**»(1).

---

(1) رواه الطبراني في معجمه الأوسط 180/3 وقال: لا يروى هذا الحديث عن محمد بن مسلمة إلا بهذا الإسناد تفرد به أحمد بن عبدة. قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده رجاله رجال الصحيح غير عيسى بن موسى بن إياس بن البكير وهو ثقة. وروى هذا الحديث بلفظ: «**اطلبوا الخير دهركم وتعرضوا لنفحات رحمة الله فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤُمن روعاتكم**» الطبراني في معجمه الكبير 250/1، والبيهقي في شعب الإيمان 42/2، والقضاعي في مسند الشهاب 407/1، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول 293/2، والديلمي في مسند الفردوس 79/1، وابن عبد البر في التمهيد 339/5، وابن عساكر في تاريخ دمشق 5/52، كلهم من حديث أنس مرفوعًا، وقد قال المناوي في حديث أنس: فيه حرملة بن يحيى التجيبي، قال أبو حاتم: لا يحتج به، وأورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين. فيض القدير 541/1، ولا يوجد في سند الحديث حرملة بن يحيى التجيبي إطلاقًا، وحرملة صدوق صاحب الإمام الشافعي، قال عنه الذهبي: أحد الأئمة الثقات. انظر: ميزان الاعتدال 215/2، وتقريب التهذيب 156، والمداوي 601/1، وقال العراقي: في سنده اختلاف. انظر: المغني عن حمل الأسفار 139/1.

سئل عبد الله العطاس رحمه الله - عن معنى الحديث هل التعرُّض خاصٌّ أم عام؟ فقال: «هو عامٌ لسائر أهل الإسلام، والتعرُّضُ هو السعي في إزالة الموانع التي تمنعُ خصولَ الرحمة، لأن المقصود دوامُ التذكر ورؤية الحقّ في كل شيء»[1]. دلّ الحديث أن لله تعالى تجليات وعطايا يُصيب بها من يشاء من عباده، وحثَّ للتهيؤ لها والاستعداد لنيلها[2].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** طلب التهيؤ والاستعداد والسعي لعطايا الله تعالى في الأيام الفاضلة المشهودة بالخير، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** طلب السعي لإزالة الموانع والتخلي عن القواطع التي تمنع حصول العطايا والرحمات أيام الخيرات، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود علاقة مشتركة بينهما وهي السعي، فالمتعرض لنفحات الله تعالى يتهيأ لها بفعل الخيرات، وكذلك ينبغي أن يتعرض لها بالسعي لإزالة موانع نزول الرحمة وترك المنكرات، وكل منهما قد اشتركا في السعي وبذل الجهد إما بالفعل وإما بالترك بالتحلي أو بالتخلي.

* * *

104) عن عبد اللهِ بن مُغَفَّلٍ -رضي الله عنه- قال: قال رَجُلٌ للنَّبِيِّ ﷺ: يا رَسُولَ اللهِ والله إني لَأُحِبُّكَ، فقال: «**انْظُرْ مَاذَا تَقُولُ**»، قال: والله إني لَأُحِبُّكَ، فقال: «**انْظُرْ مَاذَا تَقُولُ**»، قال: والله إني لَأُحِبُّكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فقال: «**إن كُنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافًا فإن الفَقْرَ أَسْرَعُ إلى من يُحِبُّنِي من السَّيْلِ إلى مُنْتَهَاه**»[3].

---

(1) الفيوضات الربانية 192.

(2) انظر: فيض القدير 505/2.

(3) رواه الترمذي في سننه واللفظ له ك: الزهد، باب: ما جاء في فضل الفقر ح 2350 وقال: هذا حديث حسن غريب، والحاكم في المستدرك 367/4 وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين =

سئل عبد الله العطاس -رحمه الله- عن المراد مِن الفقير في هذا الحديث؟ فأجاب بقوله: «ليس هو فقيرَ المال الذي يكون صاحبه فقير الزكاة، بل هو الفقير إلى الله الغنيُّ به عمَّن سواه»(1).

المراد بالفقر في الحديث قلة المال، والمراد من الحديث أن من أراد المحبة الصادقة فليقتد بنا في إيثارنا الفقر على الدنيا(2).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** المراد بالفقر هو قلة المال وانعدامه من اليد بحيث يحتاج الفقير إلى مال، فهو علامة على محبة الله ورسوله ﷺ، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** للفقر معنى آخر وهو الاحتياج إلى الله تعالى والافتقار إليه في كل شيء كما قال الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾(3)، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو الاحتياج، الفقير يحتاج إلى مالٍ وطعام ونحوهما، وكذلك الفقراء إلى الله تعالى فهم محتاجون إلى عطائه ومستغنون به عمّن سواه.

* * *

=

ولم يخرجاه. والبيهقي في السنن الكبرى 119/6، والطبراني في معجمه الأوسط 161/7، قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده جيد. مجمع الزوائد 314/10.

(1) الفيوضات الربانية 196.

(2) انظر: فيض القدير 33/3.

(3) سورة فاطر: 15.

44- أحمد بن مصطفى العلوي المستغانمي (ت 1353هـ)

105) عن رَافِعِ بن خَدِيجٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **«التَمِسُوا الْجَارَ قبل الدَّارِ وَالرَّفِيقَ قبل الطَّرِيقِ»**[1].

قال أحمد العلوي المستغانمي -رحمه الله- في الحث على طلب شيخ يسير المسلم بسيره إلى الله تعالى حتى لا يقع في إتباع نفسه: «بأن يقصدها -أي نفسه- بلا واسطة شيخ فلا جرم أنه يقع في الهلاك لعدم الرفيق، قال عليه الصلاة والسلام: **«التمس الرفيق قبل الطريق»** وخصوصًا في هذا المقام العظيم والأمر المهم»[2].

دلّ الحديث على طلب اختيار الرفيق قبل الشروع في السفر، لأن به تذهب الوحشة ويحصل الأُنس[3].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** استحباب اختيار أنيس في السفر، للتعاون على رفع الأخطار وإبعاد وحشة الطريق، وهذا المعنى الظاهر.

---

(1) رواه الطبراني في معجمه الكبير واللفظ له 268/4، والقضاعي في مسند الشهاب 412/1، والخطيب في الجامع لأخلاق الرواي وآداب السامع 234/2، قال السخاوي: وابن المحبر متروك وهو وسعيد لا تقوم بهما حجة ولكن له شاهد رواه العسكري فقط من حديث عبد الملك بن سعيد الخزاعي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي قال خطب رسول الله ﷺ وذكر حديثًا طويلًا وفي آخره: «**الجار ثم الدار الرفيق ثم الطريق**»، وهو عند الخطيب في جامعه باختصار.. ثم قال: وكلها ضعيفة ولكن بانضمامها تقوى. المقاصد الحسنة 151. وانظر: مجمع الزوائد 164/8.

(2) المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية 90، وقد ذكر المناوي نحو ما ذكره المستغانمي. انظر: فيض القدير 156/2.

(3) انظر: فيض القدير 156/2.

2- **المشار إليه:** طلب المسلم شيخًا يسيرُ بسيره في الطريق إلى الله تعالى، ليُعرِّفه شرع الله تعالى في العبادات والمعاملات، ومعرفة النفس وعيُوبها حتى لا يقع في الهلاك، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود علاقة بينهما وهي حصول السلامة، فالمسافر يختار رفيقًا له في سفره، وكذلك المسلم يطلب شيخًا يسير بأخلاقه وتعاليمه في السير إلى الله تعالى لتحصل السلامة لهما.

* * *

****)** عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**لِلهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا من حَفِظَهَا دخل الجَنَّةَ، وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**»[1].

قال أحمد العلوي المستغاني -رحمه الله-: «قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**» أي: يحب من يبالغ في معرفة الوتر، ولا يتحقق بهذه الحقيقة[2] إلا خواص أهل الطريقة[3]»[4].

معنى ظاهر قول النبي ﷺ: «**يُحِبُّ الْوِتْرَ**» أي: أن الله تعالى يحب الوتر في الأعمال الصالحة وكثير من العبادات وتر، فجعل سبحانه وتعالى الصلاة خمسًا، والطهارة ثلاثًا، والطواف سبعًا، والسعي سبعًا، والرمي سبعًا، وأيام التشريق ثلاثًا وغير ذلك

(1) تقدم تخريجه عند حديث رقم 56.

(2) الحقيقة: هي سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه بأنه الفاعل بك فيك منك، لا أنت قال تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [سورة هود: 56]. انظر: التعريفات للجرجاني 214.

(3) الطريقة: هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى، من قطع المنازل والترقي في المقامات. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني 85.

(4) المنح القدوسية 179.

كثير، فالحديث دالٌّ على استحباب الإيتار في الأمور[1].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** دلّ قول النبي ﷺ أن الله تعالى يحب الوتر في الأعمال الصالحة وكذلك صلاة الوتر، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** إن الله تعالى يحب من يبالغ في معرفته تعالى فهو واحد أحد، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود علاقة بينهما وهي الإفراد، فالمسلم ينبغي له أن يوتر في صلاة الوتر وفي العبادات ونحوها، وكذلك المسلم ينبغي له أن يبالغ في إفراده تعالى في صفاته ويعتقد أنه تعالى واحد في صفاته وذاته وأفعاله فلا يتعلق قلبه إلا بالواحد الأحد الفرد الصمد.

* * *

45- عبد المحمود الحفيان[2] (ت 1393هـ)

106) عن أبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أتى الـمَقْبُرَةَ فقال: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إن شَاءَ الله بِكُمْ لَاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قد رَأَينا إِخْوَانَنَا**»، قالوا:

---

(1) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 5/17، وقد تقدم الحديث وشرحه رقم 56.

(2) هو: عبد المحمود الحفيان بن عبد القادر الجيلي الطيبي السَّماني القادري، الأستاذ والمربي الصوفي، ولد في طابت الشيخ عبد المحمود بالسودان سنة (1337هـ) من شيوخه: والده والجيلي وغيرهما، عمل مدرسًا في معهد طابت العلمي، وخلَف والده على مشيخة الطريقة السّمانية، له مؤلفات مُتعددة الفنون من أهمها: موسوعة نظرات في التصوف الإسلامي، والتي منها طهرٌ وصلاة، وأعراف ومواسم، وأصول الفقه رؤية معاصرة وغيرها، توفي سنة (1393هـ). انظر: مقدمة كتابه طهر وصلاة إشارات وعبارات، تحقيق: المدني محمد توم 9-14.

أو لسنا إِخْوَانَكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «**أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لم يأْتُوا بَعْدُ**»، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ من لم يَأْتِ بَعْدُ من أُمَّتِكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ فقال: «**أَرَأَيْتَ لو أَنَّ رَجُلًا له خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بين ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ألا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟**»، قالوا: بَلَى يا رَسُولَ اللهِ، قال: «**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ من الْوُضُوءِ وأنا فَرَطُهُمْ على الحوضِ، ألا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عن حَوْضِي كما يُذَادُ البَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: ألا هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قد بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا**»(1).

قال عبد المحمود الحفيان -رحمه الله- بعد ذكره الحديث: «وهل الغرة والحجل إلا النور المميز للوجوه يوم القيامة تمييزًا لها عن الوجوه الباسرة التي تطن أن يفعل بها فاقرة، وذلك لعدم تطهرها في الدنيا من النجاسات المعنوية، فعليكم بغسل وجوهكم بماء الحياء حتى تخرج نجاسات عدم الحياء»(2).

دلّ ظاهر قول النبي ﷺ: «**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ من الْوُضُوءِ**» علامة أمة النبي ﷺ يوم القيامة من المؤمنين وجود الغرة على وجوههم والتحجيل على أيديهم وأرجلهم واستحباب الغرة والتحجيل في الوضوء(3).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** استحباب الغرة والتحجيل في طهارة أعضاء الوضوء، وهما من العلامات التي يعرف بها رسول الله ﷺ أمته بها يوم القيامة، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ينبغي للمسلم أن يطهر أعضاء الوضوء خصوصًا الوجه واليدين والرجلين

(1) رواه مسلم في صحيحه ك: الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ح 249.

(2) طهرٌ وصلاة إشارات وعبارات 78، 79.

(3) انظر: التمهيد لابن عبد البر 258/20، ومرقاة المفاتيح 16/2.

بماء الحياء من النجاسات المعنوية كالحقد والحسد والكبر ونحوها، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود صلة بينهما وهي التطهر، فالمتوضأ يتطهر بالماء حتى يبلغ الغرة والتحجيل، وكذلك ينبغي للمسلم أن يتطهر بماء الحياء من النجاسات المعنوية.

* * *

107) عن قَتَادَةَ بن النُّعْمَانِ -رضي الله عنه- قال: قال رسول اللهِ ﷺ يوم أُحُد: «**من يَأْخُذُ هذا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**» فَقَامَ عَلِيٌّ فقال أنا يا رَسُولَ اللهِ، قال: «**اقْعُدْ**»، فَقَعَدَ ثُمَّ قال الثَّانِيَةَ: «**من يَأْخُذُ هذا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**» فَقَامَ أبو دُجَانَةَ الثَّانِيَةَ فَدَفَعَ رسول اللهِ ﷺ إليه سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ، فَقَامَ أبو دُجَانَةَ فَرَبَطَ على عَيْنَيْهِ عِصَابَةً حَمْرَاءَ فَرَفَعَ حَاجِبَيْهِ عن عَيْنَيْهِ مِن الْكِبْرِ، ثُمَّ مَشَى بين يَدَيْ رسول اللهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، وفي رواية: أَنَّ أَبَا دُجَانَةَ يوم أُحُد أَعْلَمَ بِعِصَابَةٍ حَمْرَاءَ، فَنَظَرَ إليه رسول اللهِ ﷺ وهو مُخْتَالٌ في مِشْيَتِهِ بين الصَّفَّيْنِ، فقال: «**إِنَّهَا مِشْيَةٌ يبغضُهَا اللهُ إلا في هذا الـمَوْضِعِ**»[1].

قال عبد المحمود الحفيان -رحمه الله-: «كان الطاغي بالله في بسطٍ مع أدبٍ في حضرة

(1) رواه الطبراني في معجمه الكبير واللفظ له 19/9، والحاكم في المستدرك 256/3 وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وسعيد بن منصور في سننه مختصرًا 364/2، والبزار في مسنده 193/3، ووثق رجاله الهيثمي في مجمع الزوائد 109/6، والزيادة عند الطبراني أيضًا في معجمه الكبير 104/7، قال الهيثمي بعدها: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه. مجمع الزوائد 109/6، وأصل الحديث عند مسلم في صحيحه مختصرًا بلفظ: أَخَذَ ﷺ سَيْفًا يوم أُحُد فقال: «**من يَأْخُذُ مِنِّي هذا؟**» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ منهم يقول: أنا أنا، قال: «**فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟**»، قال: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ، فقال سِمَاكُ بن خَرَشَةَ أبو دُجَانَةَ: أنا آخُذُهُ بِحَقِّهِ، قال: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ المشركينَ. ك: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة ح 2470.

الحق تعالى، وها هو ذا أبو دجانة يتبخْتر بين الصفوف في غزوةِ أحدٍ لمَّا طغى بالله على نفسهِ وعلى النفوس الدنيا التي آثرتِ الظلام على النور حتى يراها صغيرةً لا تستحق أن يحمل همَّ بقائها الإنسان، ومن ثمَّ يعصب عصابة الموت على رأسه ناسياً نفسَه ذاكرًا الله مستغنيًا عن كل شيءٍ بالله فيمشي مشيةً يقولُ عنها الرسول ﷺ: «**إِنَّهَا مِشْيَةٌ يُبغِضُهَا اللهُ إِلا في هذا المَوْضِع**» فمثل هذا طغيانٌ بالله مع ذكره، يكون للذاكرين الله كثيرًا فتزيدهم الذكرى هدىً ورشادًا ثمّ تحقُّقًا ويقينًا»[1].

دلَّ ظاهر الحديث على أن الخيلاء تكون محمُودة، وذلك في اختيال الرجل في الحرب ضد أعداء الإسلام، فالخيلاء في هذا الموضع هو لله – عز وجل - إظهارًا لدينه لا لأجل النفس[2].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** استحباب الخيلاء للمجاهد في سبيل الله تعالى أمام أعداء الله، ابتغاء وجه الله تعالى ورضاه لإرهاب الأعداء، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** حصول الطغيان على النفس الأمارة وعلى النفوس التي ركنت للدنيا وكفرت بالله تعالى، وهو حال يعتري بعض الذين هداهم الله تعالى، وطغيانهم هذا مرتبط بالله وابتغاء مرضاته، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود صلة بينهما وهي ابتغاء وجه الله -عز وجل- على هذا الفعل، فالذي يختال على أعداء الله تعالى قصده وجه الله والاعتزاز بدينه، وكذلك ينبغي للمسلم العاقل أن لا يرى لنفسه شيئًا فيستحقرها ويستحقر كل نفسٍ كفرت بربها، وهذا الاستحقار لأجل الله سبحانه ففي الحديث: «**من أَحَبَّ لِلّٰهِ وَأَبْغَضَ لِلّٰهِ**

---

(1) طهر وصلاة إشارات وعبارات 152.

(2) انظر: مدارج السالكين لابن القيم 314/2.

وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»[1].

* * *

108) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: **«اغْتَنِمْ خمسًا قبل خمْسٍ: شبابَك قبل هرمِك، وصحتِك قبل سقمك، وغناءك قبل فقرك، وفراغكَ قبل شُغْلِك، وحياتِك قبْل موتِك»**[2].

قال عبد المحمود الحفيان -رحمه الله-: قال الرسول ﷺ في صحيح الحديث: **«خُذْ مِنْ شبابِك لهرمِك»**[3] فشبابك الذي يمثله أوّلُ عصرك يجب أن تدفعه لتحقيق عبوديتك بمعرفتك للمعبود حالَ عرضِه الآيات في نفسك مستعيناً في ذلك بضياء فجر المعرفة التي أنلتها حين شهودك الحق فيك بعد جلاءِ سرك بنور الإيمان[4].

دلّ قول النبي ﷺ: **«وشبابك قبل هرمك»** إلى اغتنام الطاعة حال القدرة قبل هجوم عجز الكبير[5].

---

(1) رواه أبو داود في سننه واللفظ له ك: السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ح 4681، والترمذي في سننه ك: صفة القيامة والرقائق والورع ح 2521 وقال: هذا حديث حسن، والحاكم في المستدرك 178/2 وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والبيهقي في شعب الإيمان 492/6، والطبراني في معجمه الأوسط 41/9 والحديث حسن بطرقه. انظر: فتح الباري 47/1، واللآلئ المصنوعة 46/1.

(2) رواه الحاكم في المستدرك واللفظ له 341/4 وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والبيهقي في شعب الإيمان 263/7، والقضاعي في مسند الشهاب 425/1، وأبو نعيم في حلية الأولياء 148/4، والحديث حسنه العراقي والمناوي. انظر: المغني عن حمل الأسفار 1206/2، وفتح الباري 235/11، والمداوي 31/2.

(3) روى هذه الجملة من الحديث: **«خذ من شبابك لهرمك»** ابن عساكر في تاريخ دمشق 398/34.

(4) طهر وصلاة إشارات وعبارات 174، 175.

(5) انظر: مرقاة المفاتيح 370/9، وفيض القدير 16/2.

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** حث النبي ﷺ على اغتنام وقت الشباب واستثماره والحفاظ عليه قبل هجوم عجز الإنسان حال كبره، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** ينبغي للعاقل أن يستثمر ضياء فجره بصفاء قلبه بإدراك معرفة الخالق ومعرفة عظمته كي يتحقق بالعبودية الخالصة، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود صلة بينهما وهي الحفاظ واستثمار الشيء، فكما ينبغي للإنسان استثمار شبابه في طاعة الله تعالى قبل العجز وكذلك يستثمر وقت صفاء روحه وقلبه ونشاطه بالعبادة لمعرفة الله تعالى.

* * *

46- محمد متولي الشعراوي[1] (ت 1419هـ)

109) عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أتاني جبرائيل ﷺ من عندِ الله تَبارَكَ وتعالى، فقال: يا محمد إنّ الله عز وجل قال لكَ: إنِّي قد فَرَضْتُ على أُمتكَ خمسُ صلوات مَنْ وافهنَّ على وُضوئهنَّ ومواقيتهنَّ وسجودهنَّ فإنَّ له عندك بهنَّ عهدًا أن أُدخلهُ بهنَّ الجنَّة، ومَنْ لقيَني قدْ انقصَ من ذلك شيئًا أو كلمة نسيتُها فليس له**

---

(1) هو: محمد متولي الشعراوي المصري، العلامة، والمفسّر لكتاب الله تعالى، والواعظ، ولد سنة (1911م) بقرية ميت غمر بمحافظة الدقهلية بمصر، تخرّج من كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف سنة 1940م، وحصل على العالمية مع إجازة التدريس، وتقلّد مناصب علمية رفيعة كوزارة الأوقاف وشؤون الأزهر، وأعطيت له أوسمة كوسام الجمهورية والدعوة، وحصل على الدكتوراة الفخرية في الآداب، من أشهر مؤلفاته الكثيرة: تفسير القرآن الكريم، والأحاديث القدسية، وحول خصوم الإسلام، وعلى مائدة الفكر وغيرها، توفي سنة (1419هـ) الموافق 1998م. انظر: الموسوعة التاريخية لمجموعة من المؤلفين 6/11.

عندك عهدًا إنْ شئتُ عذبته وإن شئتُ رحمته»[1].

قال محمد الشعراوي -رحمه الله- في شرحه للحديث ومفهوم الصلاة: «الصلاة هي إدامة ولاء العبودية للحق تبارك وتعالى، فهي رزق عبودي يحرر من كل خوف، وفضلها لا حدود له، لأن فارضها هو الخالق المُربي، فكيف يبخل الإنسان على نفسه أن يكون موصولًا بربه»[2].

دلّ ظاهر الحديث على افتراض الصلوات الخمس ووجوب المحافظة عليهن في مواقيتهن وتوفر شروطهن، وأنه لا تجب صلاة غيرهن[3].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** فرض خمس صلوات على المسلمين ووجوب الاستمرار عليهن في مواقيتهن بشروطهن، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** دوام الولاء لله تعالى واستشعار العبودية في كل لحظة حتى يكون المسلم موصولًا بربه لينال جزيل فضله، وهذا المعنى الإشاري.

---

(1) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده واللفظ له 78، وابن ماجه في سننه بلفظ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ الله على عِبَادِهِ فَمَنْ جاء بِهِنَّ لم يَنْتَقِصْ مِنْهُنَّ شيئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ فإن اللهَ جَاعِلٌ له يومَ الْقِيَامَةِ عَهْدًا أَنْ يُدْخِلَهُ الجنَّةَ، وَمَنْ جاء بِهِنَّ قد انْتَقَصَ مِنْهُنَّ شيئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ لم يَكُنْ له عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ إن شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ له**» ك: ما جاء في الصلوات والسنة فيها، باب: ما جاء في فرض الصلوات الخمس ح 1401، وأبو داود في سننه ك: الصلاة، باب: المحافظة على وقت الصلوات ح 430، ومالك في الموطأ 123/1، وابن حبان في صحيحه 175/6، قال النووي بعد الحديث: صحيح رواه مالك في الموطأ وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأحد إسنادي أبي داود على شرط الصحيحين. خلاصة الأحكام 246/1.

(2) الأحاديث القدسية 167/1.

(3) انظر: فتح الباري 463/1.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف بينهما وهو الدوام والاستمرار، فالمسلم يداوم على الصلوات الخمس، وكذلك ينبغي له أن يداوم على استشعار ولاء العبودية لله تعالى وحده.

* * *

110) عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: **«من رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيده فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»**[1].

قال محمد الشعرواي -رحمه الله-: «ولكن كيف يكون التغيير بالقلب؟ أي: أن يكون تصرّف الإنسان المؤمن هو المقاطعة لمن يخرج على منهج الله، فإن قاطع كل المؤمنين أيَّ خارج عن منهج الله، فلا بد أنه سيرتدع.. فالتغيير بالقلب أن يكون التصرف السلوكي الظاهري مطابقًا لما في القلب، فيحس فاعل المنكر أنه مُستْهجن من غيره»[2].

والمعنى الظاهر من قول النبي ﷺ: **«فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ»** هو كراهية فاعل المنكر بالقلب، وليس في ذلك إزالة وتغيير للمنكر ولكنه هو الذي في وسعه[3].

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** وجوب النهي عن المنكر وأدنى مراتبه كراهية فاعل المنكر، وعدم الرضى عنه، وهذا في وسع أضعف الإيمان، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** مقاطعة فاعل المنكر عن طريق التصرف السلوكي الظاهري الذي يعبّر عمّا في القلب من عدم الرضى، وهذا المعنى الإشاري.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه ك: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص ح 49.

(2) الأحاديث القدسية 184/1.

(3) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 25/2.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود وصف مشترك بينهما وهو عدم الرضى، فالمسلم ينكر بقلبه ولا يرضى بما يراه من المنكر، وكذلك ينبغي له أيضًا أن يعرض ولا يرضى عن فاعل المنكر وذلك بمقاطعته فعليًّا.

* * *

47- محمد قطب(1)

111) عن أنس -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**إن قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فان اسْتَطَاعَ أن لَا يَقُومَ حتى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**»(2).

قال محمد قطب -رحمه الله- في شرحه للحديث: «كم مِنْ معنى تستخلصه النفس من هذه الكلمات البسيطة العميقة في آن، أول ما يخطر على البال هو هذه العجيبة التي يتميز بها الإسلام: أن طريق الآخرة هو طريق الدنيا بلا اختلاف ولا افتراق ! إنما ليسا طريقين منفصلين: أحدهما للدنيا والآخر للآخرة: وإنما هو طريق واحد يشمل هذه وتلك، ويربط ما بين هذه وتلك. ليس هناك طريق للآخرة اسمه العبادة، وطريق للدنيا اسمه العمل! وإنما هو طريق واحد أوله الدنيا وآخره في الآخرة»(3).

---

(1) هو: محمد قطب إبراهيم المصري، شقيق سيد قطب، كاتب إسلامي معاصر ومفكر للحركة الإسلامية المعاصرة، ولد بأسيوط سنة (1919م) وتخرّج من جامعة القاهرة، ولشقيقه سيد قطب التأثير في توجيهه وتفكيره، وله مؤلفات عديدة منها: دراسات في النفس الإنسانية، وجاهلية القرن العشرين، وشبهات حول الإسلام، وقبسات من الرسول ﷺ وغيرها، وأقام بمكة المكرمة، وتوفي بجدة سنة (1334هـ الموافق 2014/4/4م). انظر: علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب 2/275-293.

(2) رواه أحمد واللفظ له في مسنده 3/191، والبخاري في الأدب المفرد 168، وأبو داود الطيالسي في مسنده 1/275، والديلمي في مسند الفردوس 1/241، والحديث صححه السيوطي والمناوي وغيرهما. انظر: فيض القدير 3/30، ومجمع الزوائد 4/63.

(3) قبسات من الرسول ﷺ 15، 16.

دلَّ ظاهر الحديث المبالغة في الحث على غرس الأشجار، ومنها الفسيلة: وهي نخلة صغيرة، وسبب الحث على ذلك عمران الدنيا لينتفع بها من يأتي من الناس فكما غرس غيرك فانتفعتَ فاغرس كذلك(1).

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** فضل غرس النخل ونحوها، لينتفع بها غيرنا والحث على العمل حتى ولو أن أشراط الساعة قد ظهرت فضلًا عن القيامة، وهذا المعنى الظاهر.

2- **المشار إليه:** وجود ارتباط الآخرة بالدنيا، فبينهما ارتباط وثيق، فكل عمل في الدنيا ينبغي أن يكون سبباً في نعيم الجنة، وهذا المعنى الإشاري.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** اتفاقهما في العمل فالمسلم يعمل في دار الدنيا لينتفع غيره بعمله، وكذلك ينبغي أن يعمل في الدنيا للآخرة فهي مزرعة لها وطريق للوصول إليها.

* * *

112) عن أبي ذر -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ لك صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالمعروفِ وَنَهْيُكَ عن المنكرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ في أَرْضِ الضَّلَالِ لك صَدَقَةٌ وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لك صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عن الطَّرِيقِ لك صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ من دَلْوِكَ في دَلْوِ أَخِيكَ لك صَدَقَةٌ**»(2).

(1) انظر: فيض القدير 30/3.

(2) رواه الترمذي في سننه واللفظ له ك: البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف ح 1956 وقال: وفي الباب عن ابن مسعود وجابر وحذيفة وعائشة وأبي هريرة، هذا حديث حسن غريب. وابن حبان في صحيحه 287/2، والطبراني في معجمه الأوسط 183/8، والبزار في مسنده 458/9، والحديث حسن الإسناد كما قال الترمذي ويعضده ما رواه مسلم في صحيحه بلفظ: =

قال محمد قطب -رحمه الله- في شرحه للحديث: «إن المسألة ليست البسمة ولا نقطة الماء، إنها الإعطاء. إنها الحركة التي تتم في داخل النفس. إنها فتح القفل المغلق، أو تحرك اليد النفسية وانبساطها إلى الأمام... والرسول المربي لا يريد أن يعرفنا بمنابع الخير فحسب، ولا أن يعودنا على الخير فحسب. ولكني ألمح من وراء تعديد الصدقات، وتبسيطها حتى تصبح في متناول الجميع، معنى آخر. الإعطاء حركة إيجابية، ولذلك قيمة كُبرى في تربية النفوس، فالنفس التي تتعوّد الشعور بالإيجابية نفس حيّة متحركة فاعلة»(1).

دلّ ظاهر الحديث على الحث على الصدقة والأعمال الصالحة ممّا يكون فيها نفع للغير، وثبوت حكم الصدقة فيها، ومنها: التبسّم في وجه المسلم، وإبعاد الأذى من الطريق، وإرشادك للآخرين في طريقهم.

ويتضح المعنى الإشاري بذكر أركانه فيما يأتي:

1- **المشير:** الترغيب في الصدقة وما يقوم مقامها من التبسم في وجه المؤمن، وإماطة الأذى من الطريق، ودلالتك على الطريق، كل ذلك يُعدّ مما يُؤجر عليه المسلم ويحصل به النفع للآخرين، وهذا المعنى الظاهر.

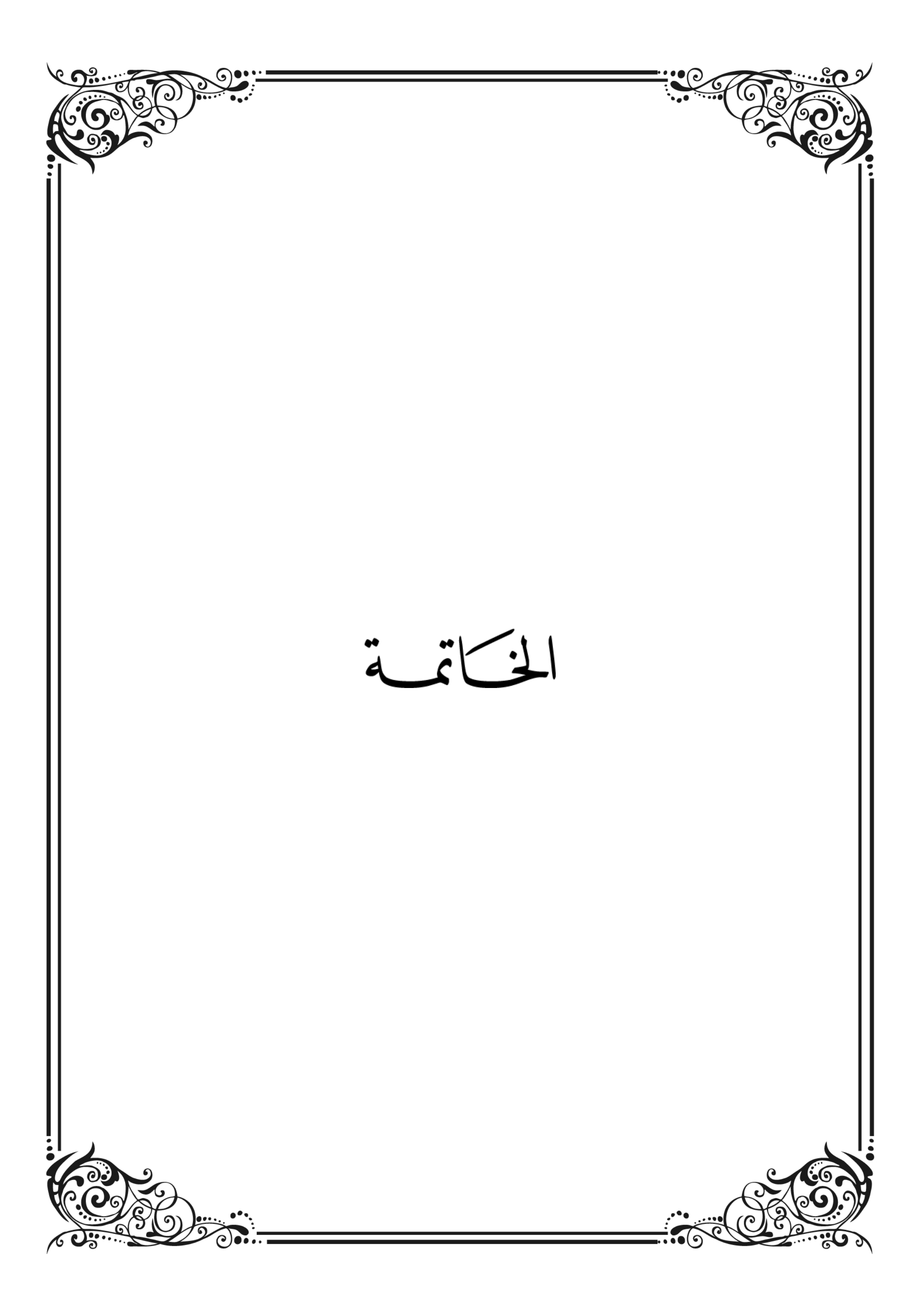
2- **المشار إليه:** ينبغي للمسلم أن تكون كل حركاته إيجابيّة نافعة فتتعود النفس على ذلك حتى يصير سجيّة وطبعًا، وهذا المعنى الإشاري.

= **«كُلُّ سلامي من الناس عليه صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ، قال: تَعْدِلُ بين الإثنين صَدَقَةٌ وَتُعِينُ الرَّجُلَ في دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عليها أو تَرْفَعُ له عليها مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، قال: وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إلى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ وَتُمِيطُ الْأَذَى عن الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»** ك: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل معروف ح 1009.

(1) قبسات من الرسول ﷺ 108.

3- **العلاقة الرابطة بين المشير والمشار إليه:** وجود اتفاق بينهما في إيصال النفع للآخرين، فالمسلم يبذل المساعدة سواء كان بإماطة الأذى عن الطريق أو إرشاد من ضل عن طريقه ونحوها، وكذلك ينبغي أن تكون نفسه دومًا محبة لإيصال الخير للآخرين ونفعهم بأي وسيلة مرضية.





الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين على توفيقه أن منّ عليَّ بأن أتممت هذا البحث، وأسأله سبحانه أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، ومقربًا إلى جنات النعيم، وفيما يأتي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث والدراسة، وألخصها فيما يأتي:

1- إن المعاني الإشارية لا تتعارض مع المعاني الظاهرة كتابًا أو سنةً، وإنما تُضيف معنىً جديدًا وهي لا تخالف الشريعة، والمعاني الظاهرة هي المقدَّمة على المعاني الإشارية، وهذا منهج العلماء الربانيين بخلاف غيرهم من الباطنيين ومن سلك مسلكهم، فإنهم يُقدِّمون المعنى الباطني المُنحرف على المعنى الظاهر المقصود أولًا من النصِّ الشرعي.

2- المعاني الإشارية لم تكن وُفْق أراء مُسبقة وإنما هي معاني قريبة مبنية على أصول الشريعة، بخلاف غيرها من المعاني المنحرفة والبعيدة كالباطنية والرمزية والنظرية، إذْ هي مبنية على مقدمات مُسبقة ومبادئ فاسدة، فربطوا بينها وتعسَّفوا في فهم نصوص ألفاظ الشرع، لإخضاعها لأباطيلهم التي يريدونها فوجب ردّها والتحذير منها.

3- وجوب التفريق بين منهج العلماء الربانيين والصوفية القائم على أصول الكتاب والسنة، ومنهج غيرهم المدّعى سُلوك سبيلهم دون الالتزام بأصولهم ولا قواعدهم، ووجوب كشفها وتمييزها، لئلا تختلط على بعضهم أو يَستغل ذلك البعض فيُعممون.

4- لا يمكن فتح مجال استنباط المعاني الإشارية على الإطلاق، إذ ثَمَّ شروط وضوابط ومن أهمها:أن يكون لها شاهد شرعي، ولايخالف المعنى الظاهر، ولايُدّعى أنه المراد وحده، فيجب إتباعها وأخذها بالاعتبار حتى لا يدخل هذا الباب كل داخل،

ولذا وجب على العلماء تبيين ذلك وتمييز المقبول من المردود.

5- إن استخراج المعاني الإشارية ليس باستطاعة كل أحد، وإنما تظهر للمتقين المتأملين لكلام الله تعالى ورسوله ﷺ، فهي معاني ناتِجة من التّقوى والاستقامة، وثمرة المُجاهدة والتربية السلوكية.

6- وجود ثروة ضخمة من المعاني الإشارية والعبارات الذوقيّة المنْبثقة من أُصول الشرع مبْثُوثة في بطون كتب السلوك، وتراجم الأعلام والصوفية ومؤلفاتهم.

7- إن المعاني الإشارية التي صدرت من أرباب السلوك والأخلاق تُظْهِرُ القيم السامية والمعاني السلوكية التي تُهذّب الطباع، وتُقوّم اعوجاج الأخلاق، وتحارب القيم السلبية وواقعنا بأمس الحاجة إليها.

8- إن استنباط المعاني الإشارية في الكتاب والسنة ليس من الألفاظ ودلالاتها، وإنما من الاعتبار والقياس وإلحاق النظير بالنظير، فلا علاقة لغوية بين المعاني الإشارية المستنبطة والنصَّ الشرعي، وإنما العلاقة هي علاقة تشابه وارتباط لا غير.

9- إن المعاني الإشارية ليست بدْعًا من القول، فإنها منهج قرآني ونبوي، فنجد أن نصوص القرآن الكريم والسنة المشرفة مليئة بطلب إعمال الفكر، لاستخراج المعاني منهما، والتمثيل بالأمثال الحسية، والمقصود منها: المعاني المعنوية الذوقية الزهدية.

10- إن القول المجيز لاستنباط المعاني الإشارية من النصِّ الشرعي كتابًا وسنةً، قول راجح ينبثق من الأدلة من القرآن الكريم والسنة المشرفة، وأقوال الصحابة والسلف الصالح، وعمل الأمة، شريطة الالتزام بضوابط مُتّبعة قررها العلماء، وأن القول بمنع ذلك وإن كانت له أدلة إلا أنها لا تَنهض مُقابل أدلة المجيزين، وقصْدُ المانعون من منعهم خوفهم من التلاعب بآيات الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وترك المعنى المتبادر، وهو ما أراده الله تعالى ورسوله ﷺ، وهو قصدٌ حسنٌ لا يختلف عليه اثنان، إلّا أن هذا الخوف

لا يمنع من الاستفادة من نصوص الشرع المَصُون، وأن هذا الخوف يذهب باشتراط ضوابط للمعاني الإشارية، وهي صمّام الأمان.

11- وجود علماء ربانيين في كل عصر يستخرجون معاني إشارية، ومفاهيم سلوكية، يُستفاد منها في واقع الحياة، فلا يخلو عصر من هؤلاء العلماء، والدراسة التطبيقية تَدُل على ذلك.

12- إن تقرير المعنى الظاهر من النص الشرعي أولًا أمرٌ لا بد منه، إذْ لا مطمع في الوصول إلى المعنى الإشاري قبل إحكام المعنى الظاهر ومعرفته وتقريره، فالمعنى الظاهر طريق إلى المعنى الإشاري ومعْبرٌ له، وهذا يُعدُّ من أهم ضوابط استخراج المعنى الإشاري.

13- نجد للحديث الواحد أو الآية الواحدة - بعد تقرير معناه المتبادر منه وهو الظاهر- أكثر من معنى إشاري، ويختلف عن الآخر في المنحا والاتجاه، وهذا يدل على أن المعاني الإشارية كثيرة فإن النصّ الشرعي حمّال المعاني.

* * *

أهم التوصيات

أذكر هنا أهم التوصيات التي توصلت إليها، وأرى أنها مهمّة، وهي باختصار كما يأتي:

1- أوصي الباحثين إلى سُلوك مسلَك الترويّ والاعتدال، والتّجرد عن الأهواء في بحث القضايا الشائكة والمُشْكلة، وتحريرها بوسائل البحث العلمي، القائم على المنهجية المجرّدة والمُؤهلة، خصوصًا المسائل التي يختلف فيها المسلمون، وتكون محل اجتهاد ونظر، وموضوع هذه الرسالة من تلك المواضيع التي تتجاذبها الأدلة، والرجوع إلى الصواب واجب.

2- وأُشجع الباحثين إلى استخراج الثروة الزُّهدية والأخلاقية من كتب العلماء الربانيين، للاستفادة منها لإثراء مكتباتنا بتراث وأفكار أولئك الأفذاذ من العلماء والصُلحاء، والاستفادة منها في واقع حياتنا المليئة بالماديات والأخلاق التي لم تكن في سلف الأمة،

حتى تنهضَ الأمة وتسعدَ بما سَعُد به أولها.

3- وأقترح على إخواني الباحثين والمشتغلين بالفكر والدعوة إلى الله تعالى أن يقوموا بدراسات مُستقلة لمناهج العلماء الربانيين، في مصنفاتهم واستخراج المعاني الإشارية التي استنبطوها واعتنوا بها ودراستها، كالحكيم الترمذي -رحمه الله- في كتابه النافع **نوادر الأصول**، وابن أبي جمرة -رحمه الله- في كتابه الماتع «**بهجة النفوس**»، لاعتنائهما بالمعاني الإشارية والاستنباطات الذوقية.

4- وأوصي كل مسلم غيور على أعراض المسلمين أن يلتزم الأدب مع أهل العلم خصوصًا أولئك الذين اشتهروا بالفضل والزهد والورع والتقوى، وأن لا يرميهم بعظائم الدين، فيما لا يُدركه من كلامهم أو ما يحتمل أكثر من معنى، فيحملهم على الضيّق ويُضيّق على نفسه المُسائلة يوم الدين.

5- كما أُوصي طلاب العلم خصوصًا التمييز بين الفِرق والاتجاهات، ودراسة أُصولها وآرائها حتى لا يحكم على أحدٍ إلا وُفقَ ما يقوله وما يعتقده، بالرجوع إلى مصادرهم الأصلية، والنقل عن أعلامهم مباشرة، ويتبع طرق الاستقراء والبحث العلمي الرصين.

والله الموفق لما يحبه ويرضاه، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





الفهارس العِلْمِيَّة

تشتمل على الفهارس الآتية:

1- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

2- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

3- فهرس الأعلام المترجم لهم.

4- فهرس المصادر والمراجع.

5- فهرس الموضوعات.



فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾	251	البقرة	237
﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾	255	البقرة	127
﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾	269	البقرة	10، 174
﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾	273	البقرة	260
﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾	282	البقرة	30، 168، 182، 196، 330
﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾	284	البقرة	291
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	285	البقرة	291
﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	139	آل عمران	95
﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾	181	آل عمران	111، 167
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	65	النساء	305، 361
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾	69	النساء	244
﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾	78	النساء	110، 161، 165
﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾	79	النساء	165
﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾	78، 79	النساء	226
﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾	81، 82	النساء	162
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾	82	النساء	161
﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾	95	النساء	281
﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾	105	النساء	87
﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾	125	النساء	24

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾	128	النساء	236
﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾	142	النساء	274
﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ﴾	147	النساء	293
﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾	159	النساء	214
﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾	3	المائدة	134، 163، 190، 192
﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾	14	الأنعام	147
﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾	37	الأنعام	189
﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾	38	الأنعام	103، 203
﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	72	الأنعام	150
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾	82	الأنعام	24
﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾	91	الأنعام	201
﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾	91	الأنعام	201
﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ﴾	125	الأنعام	53، 345، 346
﴿وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾	145	الأنعام	189
﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾	58	الأعراف	41
﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا﴾	179	الأعراف	330
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾	201	الأعراف	227
﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١﴾	21	الأنفال	139
﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾	45	الأنفال	46
﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾	62	الأنفال	173

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾	40	التوبة	230
﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾	103	التوبة	299
﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم﴾	111	التوبة	276
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾	123	التوبة	72، 144
﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾	56	هود	374
﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢﴾	72	يوسف	87
﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾	111	يوسف	104
﴿يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾	4	الرعد	26
﴿مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾	17	الرعد	142
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾	28	الرعد	233
﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾	7	إبراهيم	266
﴿وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ٤٥﴾	45	إبراهيم	41
﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥﴾	45	الحجر	46
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥﴾	75	الحجر	47
﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾	89	النحل	203
﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾	96	النحل	218
﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾	23	الإسراء	150
﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾	44	الإسراء	87
﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ﴾	80	الإسراء	172
﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾	84	الإسراء	169
﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ﴾	19	الكهف	87
﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾	65	الكهف	49، 168، 170، 172

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ...﴾	67-68	الكهف	169
﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ﴾	82	الكهف	169
﴿ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا ﴾	26-30	مريم	59
﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧ ﴾	57	مريم	95
﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾	6	طه	243
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾	22	الأنبياء	161
﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ﴾	26	الأنبياء	85
﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾	79	الأنبياء	175
﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ ﴾	82	الأنبياء	111
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧ ﴾	107	الأنبياء	289
﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾	26	الحج	107
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾	11	الحج	292
﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾	26	الحج	139
﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾	26	الحج	319
﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧ ﴾	47	الحج	277
﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾	64	الحج	243
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا صَٰلِحًا ﴾	51	المؤمنون	336
﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾	91	المؤمنون	162
﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۝١٦ ﴾	16	النور	189
﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾	37	النور	275
﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠ ﴾	40	النور	172
﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾	33	الفرقان	66

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾	16	النمل	108، 111
﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾	34	النمل	62
﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا ﴾	61	النمل	77
﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾	85	القصص	111
﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	2	العنكبوت	248
﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ﴾	41	العنكبوت	163
﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾	43	العنكبوت	39، 177
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾	69	العنكبوت	176، 293
﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾	69	العنكبوت	209
﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾	13	لقمان	24
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾	33	الأحزاب	237
﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾	35	الأحزاب	46
﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ ﴾	10	سبأ	87
﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	15	فاطر	352
﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾	12	يس	142، 154
﴿ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾	71	يس	166
﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾	99	الصافات	262
﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾	18	ص	148
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾	29	ص	161
﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾	39	ص	255
﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾	86	ص	269
﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾	18	الزمر	26

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ...﴾	27، 28	الزمر	111
﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ﴾	67	الزمر	166
﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾	11	فصلت	87
﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾	42	فصلت	9
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾	11	الشورى	165
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾	20	الشورى	272
﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾	49، 50	الشورى	140
﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾	52	الشورى	168
﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾	13، 14	الزخرف	261
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾	19	محمد	229
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾	24	محمد	26، 161، 162، 165
﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾	15	الفتح	255
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	10	الحجرات	336
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾	13	الحجرات	222
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾	37	ق	182
﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾	14	القمر	166
﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾	55	القمر	296
﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾	79	الواقعة	141
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾	3	الحديد	161
﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾	17	الحديد	143
﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾	21	الحديد	151



فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصادر والمراجع

1. الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، لأحمد بن المبارك، المكتبة الشعبية.
2. الإتجاه الإشاري في تفسير القرآن الكريم، لعبد الرحيم أحمد الزقة، بحث في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد الثالث، 1428هـ-2007م.
3. إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، لفهد عبد الرحمن الرُومي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1414هـ.
4. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، لمرتضى محمد الزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت.
5. الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1423هـ- 2003م.
6. الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، لمحمد عبد الحي اللكنوي، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مع التعليقات الحافلة لأبي غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت ط3، 1414هـ- 1994م.
7. الأحاديث القدسية، لمحمد متولي الشعراوي، تقديم عادل أبو المعاطي، دار الروضة للنشر، القاهرة، ط1، 1422هـ- 2002م.
8. إحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد الغزالي، مع المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار لعبد الرحيم العراقي، دار الفكر، لبنان.
9. أدب المفتي والمستفتي، لعثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح الشهرزوي، تح: موفق عبد الله عبد القادر، العلوم والحكم، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ.

10. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323هـ.
11. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414هـ - 1994م.
12. الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ- 1992م.
13. أصول التشريع الإسلامي، علي حسب الله، دار المعارف، مصر، ط5، 1396هـ- 1976م.
14. أصول التفسير وقواعده، لخالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ط2، 1406هـ- 1986م.
15. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العربي، بيروت.
16. الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م.
17. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحـ: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1973م.
18. اقتضاء العلم العمل، لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحـ: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، 1397هـ.
19. الأمالي المطلقة، لأحمد بن حجر العسقلاني، تحـ: حمدي عبد المجيد السلفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1416هـ- 1995م.
20. إيضاح أسرار علوم المقربين، لمحمد عبد الله العيدروس، دار الحاوي، ط1، 1416هـ - 1995م.
21. إيقاظ الهمم في شرح الحِكَم، لأحمد محمد بن عجيبة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى

الحلبي، مصر، ط3، 1402هـ- 1982م.

22. باب التوصل لحقيقة التوكل، لأحمد بن محمد المقابلي، تحـ: د. الفاتح الحبر عمر أحمد، المجلس القومي للذكر والذاكرين، الأمانة العامة بالسودان، طبع بدمشق، ط4، 1428هـ- 2007م.

23. البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد الزركشي، تح: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، 1421هـ- 2000م.

24. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، 1422هـ-2001م.

25. البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف، بيروت.

26. البدر المنير في شرح الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لعمر بن علي بن الملقن، تحـ: مصطفى أبو الغيط عبد الحي وآخرون، دار الهجرة، السعودية، ط 1425هـ- 2004م.

27. بدع التفاسير، لعبد الله محمد الغماري، مكتبة القاهرة، مصر، ط3، 1426هـ- 2005م.

28. البرهان المؤيد، أحمد الرفاعي الحسيني، تح: عبد الغني نكه مي، دار الكتاب النفيس، لبنان، ط1، 1408هـ.

29. البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ.

30. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان - صيدا.

31. البيان والتبيين، للجاحظ، تحـ: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت.

32. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحـ: عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ- 1987م.
33. تاريخ بغداد، لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
34. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، لعلي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تحـ: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ط1، 1419هـ- 1998م.
35. تأييد الحقيقة العلية وتشيد الطريقة الشاذلية، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحـ: عبد الله محمد الغماري، مكتبة القاهرة، مصر، ط3، 1428هـ- 2008م.
36. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، لطاهر بن محمد أبو المظفر الإسفراييني، تحـ: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، 1403هـ- 1983م.
37. التبيان في أقسام القرآن، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن القيم الزرعي، دار الفكر، دمشق.
38. التبيان في علوم القرآن، لمحمد على الصابوني، مكتبة الغزالي، مؤسسة مناهل العرفان، ط2، 1401هـ- 1981م.
39. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، منشورات دار الكتب، تونس.
40. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
41. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1424هـ- 2003م.
42. تذكرة الحفاظ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، وزارة معارف الحكومة العالية

الهندية، ودار إحياء التراث العربي.

43. الترغيب والترهيب، لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحـ: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

44. تشنيف المسامع بجمع الجوامع، لبدر الدين محمد بهادر الزركشي، تح: الحسيني بن عمر عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ- 2000م.

45. التصوّف طريقًا وتجربة ومذهبًا، لمحمد كمال جعفر، دار الكتب الجامعية، القاهرة، ط1، 1409هـ - 1989م.

46. التعرّف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد الكلاباذي، تحـ: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1413هـ- 1993م.

47. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، لصلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط3، 1329هـ- 2008م.

48. التعريف بأوهام من قسّم السن إلى صحيح وضعيف، لمحمود سعيد ممدوح، دار البحوث للدراسات الإسلامية دبي، ط1، 1421هـ- 2000م.

49. التعريفات، لعلي محمد الجرجاني، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1، 1424هـ- 2003م.

50. تغليق التعليق على صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحـ: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار، عمان- الأردن، 1405هـ.

51. التفسير الصوفي للقرآن الكريم: منهج الاستنباط والدلالة الجديدة، لحسين علي عكاش، بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، تصدر عن جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم، زليتن، العدد 17، يونيو 2008م.

52. تفسير القرآن العظيم، لأبي محمد سهل التستري، تحـ: محمد باسل عيون السود،

منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423هـ.
53. تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي تحـ: سامي بن محمد سلامة.
54. تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، تحـ: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.
55. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ- 2000م.
56. التفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي، ط1.
57. تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحـ: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط1، 1406هـ- 1986م.
58. تكملة معجم المؤلفين وَفيات (1397-1415هـ) = (1977-1995م)، لمحمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1418هـ- 1997م.
59. تلبيس إبليس، لعبد الرحمن بن علي أبو الفرج بن الجوزي، تحـ: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ- 1985م.
60. التلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المدينة المنورة، تحـ: عبد الله هاشم اليماني المدني، 1384هـ- 1964م.
61. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ليوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحـ: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ.
62. تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، لابن عراق، تحـ: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1401هـ- 1981م.

63. تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، عبد الرحمن السيوطي، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة.
64. تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، ط1، 1404هـ- 1984م.
65. تهذيب الكمال، ليوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي، تحـ: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ- 1980م.
66. جامع الأصول في أحاديث الرسول، لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحـ: عبد القادر الأرناؤوط، مطبعة الملاح، 1389هـ- 1969م.
67. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، 1405هـ.
68. جامع بيان العلم وفضله، ليوسف بن عبد البر النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398هـ.
69. جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، المطبعة المنيرية، 1346هـ.
70. الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة.
71. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحـ: محمد رأفت سعيد، دار الوفا، ط1، 1423هـ- 2002م.
72. جواهر التصوف، ليحيى بن معاذ الرازي، جمع وتح: سعيد هارون عاشور، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1423هـ- 2002م.
73. حالة أهل الحقيقة مع الله، لأحمد الرفاعي، تحـ: إبراهيم الرفاعي، دار آل الرفاعي، مصر، ط1، 1413هـ- 1993م.
74. حجة الله البالغة، لأحمد ولي الله الدهلوي، دار التراث، القاهرة، ط1، 1355هـ.
75. حقائق التفسير، لمحمد بن الحسين الأزدي السلمي، تح: سيد عمران، دار الكتب

العلمية، لبنان- بيروت، 1421هـ- 2001م.

76. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1405هـ.

77. حول مفهوم مصطلح الإشارة ودلالته عند الصوفية، لحسين علي عكاش، مقال منشور ضمن مجلة الساتل، مجلة علمية محكمة شاملة تصدر عن جامعة السابع من أكتوبر، العدد 3، ديسمبر 2007م السنة الثانية.

78. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين بن فضل الله المحبي، مكتبة خياط، بيروت.

79. خلاصة الاحكام في مهمات السنن وقواعد الاسلام، يحيى بن مري النووي، تح: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ- 1997م.

80. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر، حلب، بيروت، 1416هـ.

81. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر، بيروت، 1993م.

82. دراسات في القرآن الكريم، للسيد أحمد خليل، دار المعارف، مصر، 1972م.

83. الدراية في تخريج أحاديث الهداية، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: عبد الله هاشم اليماني، دار المعرفة، بيروت.

84. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأحمد بن حجر العسقلاني، تح: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر.

85. دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984م.

86. الرسالة القشيرية، لعبد الكريم هوزان القشيري، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي،

دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1419هـ- 1998م.

87. روح البيان في تفسير القرآن، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، دار إحياء التراث العربي.

88. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

89. الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، لمحمد بن إبراهيم بن الوزير الصنعاني، تح: محمد علاء الدين المصري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ- 1999م.

90. رياض الصالحين مع دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان، لأبي زكريا النووي، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ- 1995م.

91. الزهد، عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

92. الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيثمي، المكتبة العصرية، بيروت، 1420هـ- 1999م.

93. السنن، لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تح: فواز أحمد زمرلي وآخر، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.

94. سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

95. سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

96. سنن الترمذي، المسمّى بالجامع الصحيح، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي

السلمي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي.
97. سنن الدارقطني، لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تح: عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، 1386هـ- 1966م.
98. السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414هـ- 1994م.
99. السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي، تح: عبد الغفار سليمان البنداري وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ- 1991م.
100. سنن النسائي، لأحمد بن شعيب النسائي، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ- 1986م.
101. السنن، لسعيد بن منصور الخراساني، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، 1403هـ- 1982م.
102. سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.
103. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن العماد الحنبلي، دار المسيرة، بيروت.
104. شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح، لسعد الدين مسعود التفتازاني، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.
105. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ.
106. شرح السنة، للحسين بن مسعود البغوي، تح: شعيب الأرناؤوط وآخر، المكتب الإسلامي، دمشق - بيروت، 1403هـ- 1983م.
107. شرح العقائد النسفية، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تح: أحمَد حجازِى السقّا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1408هـ- 1988م.

108. شرح صحيح مسلم، ليحيى بن شرف النووي، دار القلم، بيروت، ط1، 1407هـ- 1987م.
109. شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحـ: شعيب الأرنؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة.
110. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحـ: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ.
111. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، تحـ: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ- 1993م.
112. صحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، تحـ: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1390هـ- 1970م.
113. صحيح البخاري المسمّى بالجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحـ: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1407هـ- 1987م.
114. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحـ: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
115. صفة الصفوة، لعبد الرحمن بن علي أبو الفرج ابن الجوزي، تحـ: محمود فاخوري وآخر، دار المعرفة، بيروت، 1399هـ- 1979م.
116. الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة، ليوسف بن هاشم الرفاعي، ط1، الكويت، 1419هـ- 1999م.
117. صيد الخاطر، لعبد الرحمن أبو الفرج بن الجوزي، تحـ: عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، القاهرة.
118. الضعفاء- الكبير، لمحمد بن عمر بن موسى العقيلي، تحـ: عبد المعطي أمين قلعجي،

دار المكتبة العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ- 1984م.

119. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

120. طبقات الحفاظ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ.

121. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي تحـ: محمود محمد الطناحي وآخر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ.

122. طبقات الصوفية، محمد بن الحسين الأزدي، تحـ: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ- 1998م.

123. طبقات الصوفية، لمحمد بن الحسين السُّلمي، تحـ: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1412هـ- 2003م.

124. الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، دار صادر، بيروت.

125. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحـ: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، 1417هـ- 1997م.

126. طرح التثريب في شرح التقريب، لزين الدين عبد الرحيم العراقي، تحـ: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

127. طهرٌ وصلاة إشارات وعبارات، لعبد المحمود الحفيان، راجعه محمد سرور بن عبد المحمود، تحـ: المدني محمد توم، المجلس القومي للذكر والذاكرين، الأمانة العامة بالسودان، طبع بدمشق، ط1، 1429هـ- 2008م.

128. العظمة، لعبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، تحـ: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، 1408هـ.

129. عِقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية بذكر طريق السادات العلوية،

لعيدروس بن عمر الحبشي، تح: محمد أبو بكر باذيب، دار الفتح للدراسات والنشر، ط1، 1430هـ- 2009م.

130. العلل المتناهية، لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تح: خليل الميس، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ.

131. العلل الواردة في الأحاديث النبوية، علي بن عمر الدارقطني، تح: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة، الرياض، 1405هـ- 1985م.

132. علم الدّلالة، لأحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.

133. علم الدّلة عند العرب، لعادل فاخوري، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1994م.

134. علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب، دار الشواف، الرياض، ط4، 1992م.

135. علوم القرآن الكريم، لنور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ط1، 1414هـ- 1993م.

136. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني الحنفي، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، 1348هـ.

137. عمر الأمة وقرب ظهور المهدي، لأمين محمد جمال الدين، مكتبة المجلة العربي، القاهرة، ط4، 1417هـ- 1997م.

138. عوارف المعارف، لأبي حفص عمر السهروردي، تح: د. عبد الحليم محمود وآخر، دار المعارف، القاهرة.

139. العواصم من القواصم، لأبي بكر محمد بن العربي، تح: نشأت المصري، شروق للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1429هـ- 2008م.

140. عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ.

141. غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: عبد الله الجبوري،

الناشر مطبعة العاني.

142. غريب الحديث، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، تحـ: عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر دار الكتب العلمية.

143. فتاوى ابن الصلاح، لعثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح، تحـ: موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ.

144. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

145. الفتح الرباني والفيض الرحماني، لعبد القادر الجيلاني، دار الريان للتراث، مصر.

146. فتح المغيث شرح ألفية الحديث، لشمس الدين محمد عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1403هـ.

147. الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، لمحمد بن علان الصديقي، دار الفكر، بيروت، 1398هـ- 1987م.

148. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977م.

149. الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، تحـ: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

150. فصوص الحكم، لابن عربي مع شرح عبد الرزاق الكاشاني، طبعة مصطفى البابي الحلبي، 1966م.

151. فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمساسلات، لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحـ: إحسان عباس، دار العربي الاسلامي، لبنان، 1402هـ- 1982م.

152. فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، تحـ: علي محمد بن يعوض الله

وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.
153. الفوز الكبير في أصول التفسير، لولي الله الدهلوي، عربه من الفارسية: سلمان الحسيني الندوي، دار الصحوة، القاهرة، ط2، 1407هـ- 1986م.
154. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356هـ.
155. الفيوضات الرّبانية من أنفاس السادة العلوية في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لزين إبراهيم بن سميط باعلوي، دار العلم والدعوة، ط2، 1427هـ- 2006م.
156. القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط1، 1412هـ.
157. قانون التأويل، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري، تح: محمد السّليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدّة، ط1، 1406هـ- 1986م.
158. قبسات من الرسول صلى الله عليه وسلم، لمحمد قطب، وزارة المعارف، الشؤون المدرسية، السعودية، ط9، 1407هـ- 1986م.
159. قواطع الأدلة في الأصول،لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، تح: محمد حسن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ- 1997م.
160. قوت القلوب في معاملة المحبوب، لأبي طالب محمد بن أبي الحسن المكي، مكتبة المتنبي، القاهرة، 1310هـ.
161. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لمحمد بن أحمد الذهبي الدمشقي، تح: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو، جدة، ط1، 1413هـ- 1992م.
162. الكامل في ضعفاء الرجال، لعبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد الجرجاني، تح: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط3،1409هـ- 1988م.

163. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1988م- 1408هـ.
164. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ- 1992م.
165. الكواكب الدُّرية في تراجم السادة الصوفية، لعبد الرؤف المناوي، تحـ: عبد الحميد حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
166. كيف نتعامل مع السنة النبوية، ليوسف القرضاوي، دار الوفاء، مصر، ط3، 1411هـ- 1990م.
167. اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، لعبد الرحمن السيوطي، المطبعة الحسينية، 1352هـ.
168. لسان العرب، لمحمد بن منظور المصري، دار صادر، بيروت، ط1.
169. لسان الميزان، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1423هـ- 2002م.
170. لطائف الإشارات، لعبد الكريم بن هوازن القشيرى، تحـ: إبراهيم بسيونى، الهيئة المصرية العامة للكتّاب، مصر.
171. لطائف المنن، لابن عطاء الله السكندري، تحـ: عبد الحليم محمود، مطبعة حسان.
172. اللمع، لأبي نصر السرّاج الطُوسي، تحـ: د: عبد الحليم محمود وآخر، دار الكتب الحديثة، مصر، 1380هـ- 1960م.
173. لواقح الأنوار القدسية، لعبد الوهاب أحمد الشعراني، تحـ: نواف الجرّاح، دار صادر، بيروت، ط2، 1429هـ- 2008م.
174. مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ط2،

1382هـ- 1962م.

175. مباحث في علوم القرآن، لمنّاع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7.

176. مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب مختصر حلية الأولياء، لمحمد بن الحسن الواسطي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1423هـ- 2002م.

177. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، 1412هـ.

178. مجموع الفتاوى، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مطابع الرياض، ط1، 1382هـ.

179. مجموع مواعظ وكلام الإمام العلامة الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، لدحمان عبد الله باذيب، تحـ: محمد باذيب، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 1426هـ- 2005م.

180. مجموعة رسائل الإمام الغزالي، لمحمد بن محمد الغمالي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1424هـ - 2003م.

181. محاضرات في علوم القرآن، لغانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن- عمّان، ط1، 1423هـ- 2003م.

182. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحـ: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1415هـ- 1995م.

183. مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد، لأحمد بن حجر العسقلاني، تحـ: صبري عبد الخالق أبو ذر، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط1، 1412هـ- 1992م.

184. مختصر قيام الليل وقيام رمضان، لمحمد بن نصر المروزي، طبعة حديث أكادمي، باكستان، ط1، 1408هـ- 1988م.

185. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر أيوب بن

القيم، تح: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1393هـ- 1973م.
186. المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي، لأحمد بن محمد الغماري، دار الكتب، القاهرة، ط1، 1996م.
187. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لعبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1413هـ- 1993م.
188. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان القاري، المكتبة الإمدادية، باكستان.
189. المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحـ: مصطفى عبد القادر عطا مع تحقيقات الذهبي في التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ- 1990م.
190. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تحـ: شعيب الارنؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
191. مسند البزار، لأحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحـ: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط1، 1409هـ.
192. مسند الشهاب، لمحمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407هـ- 1986م.
193. مسند الطيالسي، لأبي داود سليمان بن داود البصري الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.
194. مسند الفردوس - الفردوس بمأثور الخطاب، للديلمي، تحـ: السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986م.
195. المسند، لأحمد بن علي، أبو يعلى الموصلي التميمي، تحـ: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1404هـ- 1984م.

196. المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضًا ونقدًا، لصادق سليم صادق، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1414هـ- 1994م.

197. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري الكناني، تح: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، 1403هـ.

198. مصنف عبد الرزاق، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحـ: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403هـ.

199. المصنف، لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحـ: كمال يوسف الحوتل، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ.

200. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحـ: الأعظمي، دار المعرفة، بيروت.

201. معالم التنزيل، للبغوي، تح: خالد عبد الرحمن العك دار المعرفة بيروت.

202. معجم اصطلاحات الصوفية، لعبد الرزاق الكاشاني، تحـ: عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، ط1، 1413هـ- 1992م.

203. المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد الطبراني، تحـ: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ.

204. المعجم الصغير، للطبراني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1403هـ- 1983م.

205. المعجم الصوفي، لمحمود عبد الرزاق، رسالة دكتوراة من دار العلوم جامعة القاهرة، قسم العقيدة، مطبوعة بالكمبيوتر.

206. معجم ألفاظ الصوفية، لحسن الشرقاوي، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987م.

207. المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحـ: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، 1404هـ - 1983م.

208. معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف إليان سركيس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
209. معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مطبعة الترقي، دمشق، 1376هـ.
210. معراج التّشوق إلى حقائق التصوف، لأحمد بن عجيبة، تحـ: د. عبد المجيد خَيّالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء.
211. المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، لعبد الرحيم بن الحسين العراقي، دار المعرفة، بيروت.
212. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.
213. المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة، لعبد الرحمن السخاوي، دار الأدب العربي، مصر، 1375هـ.
214. الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، 1404هـ.
215. المناهج التفسيرية، لجعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق، إيران، ط2، 1422هـ.
216. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، 1408هـ- 1988م.
217. المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية، لأبي العباس أحمد بن علوية، تحـ: سعود القوّاص دار ابن زيدون، بيروت، ط1.
218. الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، تحـ: إبراهيم رمضان مع شرح عبد الله درّاز، دار المعرفة، لبنان، ط3، 1417هـ- 1997م.
219. الموسوعة التاريخية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف علوي بن عبد القادر

السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت.

220. الموسوعة الصوفية أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية، لعبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ط1، 1412هـ- 1992م.

221. الموضوعات، لعبد الرحمن بن على بن الجوزي القرشى، تح: عبد الرحمن محمد عثمان، ط1، 1386هـ- 1966م.

222. الموطأ، لمالك بن أنس الأصبحي، رواية يحيى الليثي، تح: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.

223. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لمحمد بن أحمد الذهبي، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

224. نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، لعبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي، تح: محمد يوسف البنوري، دار الحديث، مصر، 1357هـ.

225. نظم المتناثر من الحديث المتواتر، لمحمد بن جعفر الكتاني، تح: شرف حجازي، دار الكتب السلفية، مصر.

226. نفحات الإسلام من البلد الحرام، لعلوي عباس المالكي الحسني، جمع: محمد علوي المالكي، دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدبي، إدارة الإفتاء والبحوث، دبي، 1411هـ.

227. النكت والعيون في تفسير القرآن، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

228. النهاية في غريب الحديث والأثر، للمبارك بن محمد الجزري، تح: طاهر أحمد الزاوي وآخر، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ- 1979م.

229. نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، لمحمد بن علي الحكيم الترمذي

تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، 1992م.

230. النور السافر عن أخبار القرن العاشر، لعبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ.

231. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الجيل، بيروت، 1973م.

232. هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، مكتبة المثنى، بغداد.

233. الوافي بالوفيات، لخليل بن أيبك الصفدي، دار النشر فرانزشتاينر، فيسبادن، 1980م.

234. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد بن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

فهرس الموضوعات